مركز
الدراسات السياسية
والاستراتيجية اليمني
Center for Yemeni
Political & Strategic
Studies

مقاربات سياسية

POLITICAL APPROACHES

مجلة فصلية تعنى بالشأن السياسي اليمني ومحيطه الإقليمي والدولي

العدد (٥) السنة الثالثة
يوليو ٢٠١٨م - مارس ٢٠١٩م

استراتيجية التحالف
حملة القصف الجوي وحرب الغذاء

مستقبل توزان القوى
بين محور المقاومة وإسرائيل

ترامب والسياسات الحمائية.. إلى أين؟

أمريكا ودول الخليج
علاقات متشابكة ومستقبل غامض

الوهابية وفلسطين
هوامش على فقه الخيانة

قراءة في تجربة المصالحات الوطنية ومسار التسوية السياسية في سوريا

الجذور التاريخية للهوية اليمنية ودورها الحضاري

دور القبيلة اليمنية في مواجهة العدوان على اليمن

تعز: العاصمة السياسية والدبلوماسية لليمن

ملخص كتاب:
"عاصفة الحزم" في "تويتر"(دراسة تحليلية)

تعز: رهينة الإرهاب وفشل قوى اليسار

قراءة في كتاب:
ما بعد الشيوخ.. الانهيار المقبل للممالك الخليجية

الموقف من الماضي وبروز الحس النقدي عند السيد حسين الحوثي

قواعد النشر في مجلة مقاربات سياسية

ترحب مجلة مقاربات سياسية بإسهامات الباحثين والكتاب والمتخصصين والمهتمين بقضايا اليمن ومحيطه الإقليمي والدولي، وتهتم في الصدد ذاته بنشر الدراسات الأصيلة والمقالات التحليلية والتقارير وعروض الكتب المختارة، وذلك وفقا لقواعد النشر التالية:

١- معايير إجازة هيئة التحرير للمواد الواردة للنشر هي: الموضوعية، والدقة، ودرجة التوثيق.

٢- أن تكون المواد المرسلة للنشر مطبوعة على الحاسوب بصيغة (word) بما في ذلك الجداول والرسوم البيانية، مع إرفاق نسخة مطابقة بصيغة (pdf) , وترسل النسختان إلى عنوان البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة.

٣- يشترط (كحد أقصى) ألا يزيد حجم البحث أو الدراسة عن (٦٠٠٠ كلمة)، والمقال عن (٤٠٠٠ كلمة)، والتقرير عن (٢٥٠٠ كلمة)، وعرض الكتاب ومراجعته عن (٢٠٠٠ كلمة).

٤- يشترط أن يكون توثيق المصادر والمراجع متسقا مع الأصول العلمية المتعارف عليها، وأن يتضمن هامش الإسناد المرجعي نمط التوثيق التالي:

أ- في الكتب: اسم المؤلف، **عنوان الكتاب**، مكان النشر، اسم الناشر، رقم الطبعة أو المجلد، تاريخ النشر، رقم الصفحة.

ب- في المجلات والدوريات: اسم الكاتب، عنوان الدراسة أو المقال، **اسم الدورية**، رقم العدد وتاريخه، رقم الصفحة.

ج- في المصادر والمراجع المتوفرة على المواقع الإلكترونية: تفاصيل عنوان المادة أو موضوعها، متوفرة على الرابط:

عنوان الرابط للموقع الإلكتروني منسوخاً عن الموقع ذاته

٥- يشترط أن يكون الإسناد المرجعي في هامش الصفحة وفقا لنمط "إدراج الحاشية السفلية" المترافقة مع الإشارة المرجعية أعلى النص في متن الصفحة نفسها، وبترقيم جديد لكل صفحة على حدة.

٦- ترحب المجلة بنشر أي تقرير يردها متضمناً تغطية لمؤتمر أو ندوة أو حلقة نقاش، على أن يدخل موضوع الفعالية ضمن دائرة اهتمامات المجلة وتخصصها، وبشرط أن يكون حجم التقرير ضمن الحد المشار إليه في البند (٣)، وأن يتضمن رصداً موجزاً لأبرز ما تناولته أوراق العمل والتعقيبات بخصوصها والتوصيات، مع تدوين عنوان الفعالية ومكان انعقادها وتاريخها وأبرز المشاركين فيها.

٧- ترحب المجلة بنشر عروض الكتب ومراجعتها، بشرط أن يكون حجم العرض والمراجعة ضمن الحد المشار إليه في البند (٣)، وألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، وأن يتضمن عرض الكتاب ومراجعته خلاصات مكثفة لمحتوياته في إطار رؤية تحليلية ناقدة لطروحات المؤلف واستنتاجاته، مع تدوين عنوان الكتاب واسم مؤلفه ومكان النشر واسم الناشر وتاريخ النشر وعدد الصفحات.

٨- تلتزم هيئة تحرير المجلة بتقييم أية مادة تصل إليها وفقاً لمعايير النشر الواردة في البند (١)، وإعلام الكاتب بنتيجة تقييمها خلال شهرين من تاريخ استلامها. ولا تعاد المواد المعتذر عن نشرها إلى أصحابها.

٩- تحتفظ المجلة بالحق في إجراء أي تغييرات شكلية على النصوص الواردة للنشر، بما يتلاءم مع نمطها العام في تحرير النصوص ومراجعتها وضبطها. كما يجوز للمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية أو شاملة للمادة قبل إجازتها للنشر.

مقاربات سياسية

POLITICAL APPROACHES

مجلة فصلية تعنى بالشأن السياسي اليمني ومحيطه الإقليمي والدولي

تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني

رئيس التحرير:
أ.عبد الملك العجري

نائب رئيس التحرير:
أ.محمد يحيى المنصور

مدير التحرير:
د.سامي السياغي

سكرتارية التحرير:
عبدالعزيز أبوطالب
عبدالرحمن العجري
يحيى شرف الدين

الإخراج الفني:
صالح الشامي

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير:

اليمن - صنعاء - حي الجراف

هاتف: ٩٦٧١٣٣٧٣٠٠+

صندوق بريد: ٤١٩٠

E-mail: yecscs@gmail.com

Website: www.yecscs.com

سعر النسخة:
للأفراد: ٥٠٠ ريال
للمؤسسات: ٢٠٠٠ ريال

خارج اليمن:
للأفراد: ٣٠ دولاراً
المؤسسات: ٧٠ دولاراً

جميع الآراء الواردة في المجلة لا تعني بالضرورة وجهة نظر المركز أو المجلة

رقم الإيداع: ١٣٢١

محتويات العدد

افتتاحية العدد: _____ ٣

استراتيجيات التحالف في حرب اليمن: حملة القصف الجوي وحرب الغذاء _____ ٩

تعز: رهينة الإرهاب وفشل قوى اليسار _____ ٤٣

الموقف من الماضي وبروز الحس النقدي عند السيد حسين الحوثي_____ ٦١

الوهابية وفلسطين: هوامش على فقه الخيانة _____ ٨٩

ملخص كتاب: _____ ١٠٣

تعز: العاصمة السياسية والدبلوماسية لليمن _____ ١٣٥

ترامب والسياسات الحمائية.. إلى أين؟ _____ ١٦٣

قراءة في تجربة المصالحات الوطنية ومسار التسوية السياسية في سوريا _____ ١٧٧

مستقبل توزان القوى بين محور المقاومة وإسرائيل _____ ٢٠١

الجذور التاريخية للهوية اليمنية ودورها الحضاري _____ ٢١٧

أمريكا ودول الخليج: علاقات متشابكة ومستقبل غامض _____ ٢٣٣

دور القبيلة اليمنية في مواجهة العدوان على اليمن _____ ٢٤٩

قراءة في كتاب: _____ ٢٥٩

من أنشطة المركز _____ ٢٧٥

بسم اللّه الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد:

د. سامي محمد السياغي
مدير التحرير

في ظل استمرار التحديات والظروف الاستثنائية الصعبة التي تمر بها بيئة الانتاج الفكري والثقافي في اليمن نتيجة العدوان الغاشم المستمر منذ ٢٦ مارس ٢٠١٥م؛ ونحن على أعتاب الشهر السابع من العام ٢٠١٩م، يواصل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني حرصه على الاستمرار في حجز مكانته الفكرية والثقافية المتقدمة ضمن نسق الجبهة الوطنية العريضة لرفد ملحمة الصمود اليمني في مواجهة ذلك العدوان. إذ يضع المركز بين يدي قرائه الكرام إصداره الخامس من مجلة مقاربات سياسية متضمناً المستوى نفسه من الجدية والمنهاجية والموضوعية التي ثابر على التمسك بها في الأعداد السابقة من المجلة.

يأتي هذا العدد الجديد من مقاربات سياسية في سياق زمني تكتنفه العديد من التطورات الاستثنائية التي يختبرها ملف الحرب العدوانية على اليمن في عامها الخامس؛ إذ تعززت - بصفة عامة - مظاهر المأزق الاستراتيجي الذي تعانيه قوى تحالف العدوان على أكثر من مستوى، كما تجذّر التحول - المستمر والمتصاعد - في ميزان القوى لصالح قوى مواجهة العدوان في صنعاء على أكثر من صعيد، وتراجع - في المقابل - سقف التوقعات لدى شريحة واسعة من صناع القرار في الدول الحليفة لقوى العدوان بخصوص إمكانية حسم المعركة لصالح تلك القوى في الوقت الراهن أو حتى في المدى المنظور على أقل تقدير، ناهيك أيضاً عن قناعات مماثلة بات يعتنقها ويعبر عنها الكثير من المحللين والخبراء الاستراتيجيين - العرب والغربيين - الموالين لقوى العدوان.

في المقابل، وكنتيجة مباشرة لفشل معركة قوى العدوان في الساحل الغربي وخطتها لاحتلال مدينة وميناء الحديدة، جاء اتفاق ستوكهولم في ديسمبر ٢٠١٨م مترجماً - لحظياً - لواقع التطورات الاستثنائية سالفة الذكر. وكان المفترض بذلك الاتفاق أن يشكل - بطبيعته المتفق عليها سلفاً - مُفتتحاً لإجراءات بناء الثقة الضرورية للبدء في عملية سلام شاملة ودائمة في اليمن. إلا أن قوى العدوان باتت تنظر إليه (أي الاتفاق)

كمنتهى لآخر أوراقها التي تراهن على إمكانية كسب المعركة من خلالها، وذلك عبر أداة الخنق الاقتصادي والمعيشي من الموانئ. بالتالي، وفي ظل التلكؤ - بل وربما الرفض غير المعلن - من قبل هادي وحكومته الموقعة على الاتفاق عن تنفيذ التزاماتها الأولية الواردة في الاتفاق في مقابل مبادرة حكومة صنعاء إلى تنفيذ التزاماتها المماثلة من طرف واحد، يبدو أن قوى تحالف العدوان في طريقها لوأد اتفاق ستوكهولم ودفع هادي وحكومته للنكوص عنه دون أي أفق واضح أو بديل ممكن أمام تلك القوى لإحداث أي تعديل على مشهد توازن القوى في ميدان المعركة عامةً أو على مستوى معركة الحديدة بصفةٍ خاصة.

والحال كذلك، يأتي هذا العدد من مقاربات مستلهماً في مواضيعه أمرين اثنين: يتعلق أولهما بحقيقة مفادها أن قوى العدوان بمكوناتها المتعددة تعاني - بالفعل - مأزقاً عويصاً على مستويات التخطيط والأداء والعمى في تفكيرها وحساباتها الاستراتيجية؛ فيما يتعلق الأمر الآخر بواقع مفاده أن صورة إدارة المعركة وحساباتها الاستراتيجية لدى قوى المقاومة في صنعاء كانت منذ بداية العدوان - ولا تزال - في غاية الوضوح والدقة والثبات وفاعلية الأداء الذي يصل في بعض معطياته مستوى الابتكار والإبداع. وهذا الواقع بمعطياته المتعددة - بالنسبة لقوى مقاومة العدوان - يأتي كنتاج مباشر للتوجهات المبدئية والسياق القيمي الإيماني الراسخ والرؤية الثاقبة والحكيمة لقائد المعركة قائد الثورة السيد المجاهد عبدالملك بدرالدين الحوثي الذي اتخذ مع العدوان منهج إلزام الحجة والصبر، والتزام موجبات الحق في مواضعه، واتخاذ الحيطة، وحسن الإعداد وتوسيع مدى البصيرة إلى الأمام وفق عاملي الحاجة والاستطاعة.

يتضح استلهام هذا العدد من مقاربات سياسية للأمرين سالفي الذكر وسياقهما الزمني بتطوراته الاستثنائية - سالفة الذكر أيضاً - من خلال مواضيع المجلة التي طرقت عناوين حيوية وأخرى ذات جِدّةٍ علميةٍ ومنهجية في تناولها لقضية العدوان على اليمن. وبطواف سريع على مواضيع المجلة تقابلنا الباحثة البريطانية مارثا موندي بدراستها المنهجية المتميزة عن استراتيجيات التحالف في قصفه الجوي على اليمن أو فيما أسمته الكاتبة "حرب الغذاء"، ولعلها الدراسة الأولى من نوعها في هذا الصدد؛ إذ تعطينا صورة بيانية واضحة تؤكد استهداف قوى العدوان - الممنهج - لمنظومة انتاج وتجهيز الغذاء

وتخزينه وتوزيعه ونقله. بصورةٍ تنفي عن هذه الحرب أي ادعاء بالشرعية، بل وترقى بها إلى جريمة الحرب مكتملة الأركان وفقاً للقانون الدولي الإنساني.

عن طبيعة التعقيدات والتحولات التي تمر بها محافظة تعز في ظل صراع قوى المرتزقة والارهاب وفشل وتراجع قوى اليسار عن مواقفها الوطنية المعهودة؛ يطوف بنا الكاتب والباحث اليمني الأستاذ ادريس الشرجبي على مجموعة من الحقائق التاريخية من خلال موضوعه المعنون "تعز.. رهينة الإرهاب وفشل قوى اليسار"، حيث يقدم لنا خلاصات تحليلية مفيدة بخصوص تقييم أدوار القوى المتصارعة وتأثيراتها المدمرة على الدور الوطني الرائد لمحافظة تعز كأيقونة تاريخية للعمل الوطني وعمق حضاري وثقافي متميز لليمن عامةً.

الدكتور عرفات الرميمة يسلط الضوء على أحد أهم ملامح المشروع القرآني للشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي، ألا وهو المتعلق بموقفه من الماضي (التراث) وبروز الحس النقدي لديه بخصوص طبيعة ما أسماه الباحث بـ"الأسطرة والترميز في كتب التراث"، ونقده للأدلجة وبعض علوم التراث التي أدت إلى خلق فجوة ما بين الأمة والقرآن الكريم وفتحت باباً لاختلاف وتفرق الأمة الاسلامية، بالإضافة لنقده دور كتب التراث في تقديس الحكام وتحوُّل عملية الاجتهاد بحد ذاتها إلى تقليد.

عن الجذور التاريخية للهوية اليمنية ودورها الحضاري يستعرض الدكتور أحمد العرامي بأسلوب تاريخي قشيب عدداً من الثوابت التاريخية التي تؤكد على واحدية الهوية اليمنية الوطنية لليمنيين في إطار الرقعة الجغرافية التي عرفت تاريخياً باسم اليمن، مع التركيز على الدور الحضاري الرائد لليمن عبر التاريخ.

في قراءة لتجربة المصالحات الوطنية ومسار التسوية السياسية في سوريا، يؤكد الكاتب السوري وضاح عيسى على عدد من الخلاصات الهامة التي تشير إلى حقيقة مركزية مفادها أن مآل الارتهان للخارج يظل مآلاً غير مأمون العواقب؛ إذ سرعان ما ينكشف ذلك السند الوهمي من الخارج ويتخلى عن مرتزقته، ولا يتبقى سوى حضن الوطن الذي يمكن أن يتسع لأبنائه كافة من خلال عملية مصالحة وطنية محورها الدولة وفروعها الجهود الشعبية والمبادرات الدولية ذات السند الشرعي.

الكاتب والباحث السوري الدكتور عفيف دلا يقدم لنا قراءة تحليلية رصينة عن مستقبل توزان القوى بين محور المقاومة وإسرائيل على هامش الصراع على سوريا، وذلك عبر

منظور تحليلي يؤكد على بنيوية ذلك الصراع وعلاقته بالإطار العالمي الأوسع للصراع التقليدي ما بين منظومة القوى الاستعمارية ومنظومة قوى التحرر من الاستعمار.

حول ما يعتمل على ساحة الاقتصاد الدولي من ملامح تنذر باندلاع حرب تجارية ما بين واشنطن وعواصم كبريات الاقتصادات الدولية؛ يقدم الخبير الاقتصادي اللبناني الدكتور حسن سرور قراءة تحليلية استشرافية لطبيعة السياسات التجارية الحمائية الراهنة للرئيس الأمريكي ترامب ومآلاتها. حيث ينتهي الكاتب إلى عدد من الخلاصات التحليلية والاستشرافية المهمة، والتي تتمحور حول حقائق تشير إلى واقع تراجع القدرة التنافسية للاقتصاد الأمريكي وصعود عدد من المنافسين الأقوياء، ما يعني أن العالم يبدو متجهاً للأخذ بنظام اقتصادي عالمي جديد للخروج من دائرة الابتزاز الأمريكي.

من أرض الكنانة مصر يشارك المفكر والباحث العربي الدكتور رفعت سيد أحمد برؤيته التاريخية المؤصلة لطبيعة المخاطر التي تحملها العلاقة ما بين الدعوة الوهابية والمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين، مبيناً في الصدد ذاته ابعاد موجة التطبيع السعودي مع الكيان الصهيوني وخطورة تصاعده في ظل تحركات ولي العهد السعودي محمد بن سلمان.

كما يتضمن العدد ملخصاً لكتاب الدكتورة بتول السيد مصطفى من مملكة البحرين تحت عنوان "عاصفة الحزم" في "تويتر" .. دراسة تحليلية، وهي دراسة نوعية حديثة تهدف إلى رصد كيفية تأطير أحد أبرز مواقع الإعلام التفاعلي "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم" في اليمن، وذلك منذ انطلاقتها وحتى ما سُمي بعملية "إعادة الأمل"، أي في الفترة من ٢٦ مارس-٢١ أبريل ٢٠١٥. وتنطوي الدراسة على معالجة علمية للدور الذي يلعبه الإعلام التفاعلي في الواقع السياسي، لاسيما في فترات الصراع والأزمات، حيث يزداد اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام.

مواضيع أخرى أيضاً سيطالعها القارئ الكريم ضمن هذا العدد لكتاب وباحثين يمنيين متميزين تناولوا من خلالها مواضيع تتعلق بـ: دور القبيلة اليمنية في مواجهة العدوان على اليمن (أ. خالد يحي العماد)، أمريكا ودول الخليج: علاقات متشابكة ومستقبل غامض (د. حبيب عبد الله الرميمة)، تعز: العاصمة السياسية والدبلوماسية لليمن (أ. د. محمود أحمد الشعبي)، قراءة في كتاب ما بعد الشيوخ للمؤلف كريستوفر م. ديفيدسون (إعداد: أ. أنس القاضي).

نرجو الله أن تعم فائدة هذا العدد كل قرائه الكرام، ومنه تعالى نستمد التوفيق والسداد. كما أننا في رئاسة التحرير نسأله جلّ وعلا أن يكتب لنا نصيباً من أجر الصابرين المجاهدين المرابطين على ثغور العزة والكرامة اليمنية والعربية، إنه نعم المولى ونعم النصير.

استراتيجيات التحالف في حرب اليمن: حملة القصف الجوي وحرب الغذاء

الكاتب: مارثا موندي *
إصدار: مؤسسة السلام العالمي (٩ أكتوبر ٢٠١٨) **
ترجمة: عبد الرحمن مطهر أبو طالب

إقرار وتنويه من الكاتبة:

أتقدم بالشكر والامتنان لمنحة المركز الدولي للأبحاث التنموية (IDRC) الخاصة بدراسة: الزراعة والبيئة والصحة (Environment and Health،Agriculture). الأستاذة ريما حبيب (كلية الصحة العامة، الجامعة الأمريكية في بيروت) لدعمها في عام ٢٠١٦، وكذلك منحة لشبكة باحثين دولية من مؤسسة ليفرهوم (Leverhulme Trus) التحول الزراعي والمسائل الزراعية في العالم العربي " Agricultural Transformation and Agrarian Questions in the Arab World)، كلية لندن للاقتصاد على دعمها في ٢٠١٨ - ٢٠١٩، وأتقدم - أيضاً - بالشكر لكل من سينثيا غاريوس وعمار الفَرِح لمساهماتهم. كما أتقدم - كذلك - بجزيل الشكر لجامعة تافتس ومؤسسة السلام العالمي لنشرها النسخة الإنجليزية من هذا التقرير في أكتوبر ٢٠١٨، وإلى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني في صنعاء، والمترجمَين عبد الرحمن أبو طالب (اليمن) وأحمد بشارة (لبنان) على إنتاج نسخة باللغة العربية من التقرير نفسه. وأود التنويه أن الأحكام الواردة في هذا التقرير تظل مسؤوليتي لوحدي.

- الحالة والظرف:

يقدم هذا التقرير نظرة عامة غير متوفرة في مكان آخر حول تأثير حملة القصف الجوية التي يشنها التحالف على إنتاج الغذاء وتوزيعه في المناطق الريفية في اليمن، وعلى صيد الأسماك على طول ساحل البحر الأحمر. ويأتي إطلاق هذا التقرير في توقيت مناسب؛ إذ تزايدت التغطية الصحفية لهذه الحرب المنسية، وبرز بعض الحراك الدبلوماسي والسياسي، فضلاً عن صدور التقرير المتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان خلال الحرب على اليمن تحت إشراف فريق كبار الخبراء والمقدّم إلى مجلس حقوق الإنسان

التابع للأمم المتحدة في جنيف[١]. إضافة إلى تكرار التحذيرات من خطر المجاعة الجماعية التي باتت تلقى صدى مدوياً غير مسبوق[٢].

لقد حان الوقت فعلاً لأن يقوم المواطنون والبرلمانيون والمنظمات المدنية بكل ما في وسعهم لإنهاء هذا النزاع المستمر في عامه الرابع. وفي السادس من سبتمبر أعلن المبعوث الجديد للأمم المتحدة عن بدء المفاوضات بين طرفي الحرب اليمنيين الأساسيين (حكومة اليمن المعترف بها دولياً بقيادة عبد ربه منصور هادي، المقيم بين الرياض وعدن، و "حكومة الإنقاذ" التابعة لأنصار الله وحلفائهم والمعروفين دولياً باسم "المتمردين الحوثيين" أو "سلطة الأمر الواقع" ومقرها صنعاء). غير أن قراراً قد اتخذ بتأجيل المحادثات عقب هذا الإعلان بعد أن فشلت الأمم المتحدة في توفير ممر آمن للوفد المفاوض من صنعاء.

أدت الخسائر المتزايدة في صفوف المدنيين والفظائع الأخيرة الناجمة عن القصف الجوي للتحالف إلى إحداث رد فعل إعلامي وسياسي قوي حيال هذه الحرب الطويلة[٣]. وكجزء من الهجوم الذي انطلق في يونيو ٢٠١٨ بهدف السيطرة على مدينة الحديدة، تعرض سوق السمك المركزي والمدخل المؤدي إلى المستشفى الحكومي الرئيسي في المدينة - الذي اعتاد استقبال الجرحى - لقصف جوي في الثاني من شهر أغسطس[٤]. وفي الأسبوع الذي سبق هذا الهجوم، كانت المراكز الصحية ومرافق المياه والصرف

١- نص التقرير متوفر على الرابط:

https://www.ohchr.org/AR/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=23479&LangID=A

2- https://www.theguardian.com/world/2018/sep/24/deadly-yemen-famine-could-strike-at-any-time-warns-un-boss

3- https://reliefweb.int/report/yemen/yemen-unhcr-update-1-14-may-2018

ذكرت وسائل الإعلام أن أغسطس ٢٠١٨ كان الشهر الأكثر دموية حتى الآن بالنسبة للمدنيين.

انظر أيضاً:

https://www.theguardian.com/global-development/2018/sep/26/huge-spike-in-yemen-violence-as-civilian-deaths-rise-by-164-in-four-months-hodeidah

4- https://www.aljazeera.com/news/2018/08/casualties-saudi-led-coalition-air-raids-hit-yemen-hodeidah-180802163441327.html

رد التحالف بإلقاء اللوم على الحوثيين في الهجمات التي قيل إنها هجمات بقذائف الهاون؛ أنظر:

https://www.nytimes.com/2018/08/06/world/middleeast/yemen-port-attack.html?link_id=3&can_id=839f623f4a-19393f237af04296e6d505&source=email-your-weekly-update-from-the-yemen-peace-project-56&email_subject=the-latest-news-from-yemen

الصحي جنوبي مدينة الحديدة قد تعرضت بدورها إلى القصف الجوي أيضاً[١]. أما في التاسع من أغسطس، وتحديداً في مدينة ضحيان بمحافظة صعدة، فقد تعرضت حافلة مدرسية تقل أطفالاً إلى ضربة جوية باستخدام صاروخ موجه أمريكي الصنع[٢]، وأعقب ذلك هجوم آخر في الثالث والعشرين من أغسطس استهدف حافلة للنازحين تقل مجموعة من النساء والأطفال كذلك في جنوب مدينة الحديدة[٣].

توقفت الهجمات لفترة مؤقتة، ثم ما لبثت قوات التحالف منذ بداية شهر سبتمبر أن استأنفت مجدداً محاولاتها الدموية لاستقطاع مدينة الحديدة وإحكام السيطرة عليها[٤]. وفي السادس عشر من سبتمبر، أفرجت قوات التحالف عن ١٨ صياداً من مديرية الخوخة بعد توقيفهم واستجوابهم، لتؤكد التقارير الواردة عقب ذلك عن قيام قوات البحرية الإماراتية باستهداف قارب الصيادين عند مغادرتهم بهجوم صاروخي، ولم ينج منه سوى شخص واحد[٤].

1- https://www.dw.com/en/saudi-airstrikes-in-yemen-hit-facilities-providing-water-to-hundreds-of-thousands-facing-cholera-epidemic/a-44872095?link_id=1&can_id=839f623f4a19393f237af04296e6d505&source=email-your-weekly-update-from-the-yemen-peace-project-56&email_referrer=email_396594___subject_496585&email_subject=the-latest-news-from-yemen

2- https://www.theguardian.com/world/2018/aug/16/yemen-school-bus-bombing-one-of-50-strikes-on-civilian-vehicles-this-year

في هذه المناسبة، قدم الناطقون الرسميون السعوديون روايات مختلفة حول طبيعة الهدف قبل أن يقولوا إنهم سيحرون تحقيقاً. في البداية قالوا إنهم استهدفوا قاذفات صواريخ، ثم قالوا لاحقاً أن الهدف كان بعض القادة الحوثيين؛ أنظر:

https://www.aljazeera.com/news/2018/08/yemen-dozens-children-killed-wounded-school-bus-attack-180809085843444.html

كما أدان وزير الإعلام في حكومة هادي زيارة منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية (ليز غراندي)؛ انظر:

https://vaaju.com/uaeeng/yemeni-information-minister-un-humanitarian-coordinator-depthed-to-houthis/

3- https://reliefweb.int/report/yemen/under-secretary-general-humanitarian-affairs-and-emergency-relief-coordinator-mr-mark-3

٤- من المحتمل أن هذا كان موضوع اجتماع عام غير مسبوق في ٥ سبتمبر في عدن يضم القيادة المركزية الأمريكية مع القادة العسكريين لحكومة هادي والقوات الإماراتية.

انظر: الأميركيون في الخطوط الخلفية معركة الحديدة في انتظار جولات تصعيدية؛ متوفر على الرابط:

https://www.al-akhbar.com/Yemen/257990/

وللاطلاع على الدراسة الاستقصائية للحملة في سبتمبر ٢٠١٨؛ انظر الرابط:

https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/acleddata.com-Nothing%20Quiet%20on%20the%20Western%20Front%20A%20New%20Battle%20Starts%20in%20Hodeidah%20as%20Peace%20Talks%20Fail.pdf

تحظى هذه الأعمال الوحشية باهتمام منسق الشؤون الإنسانية للأمم المتحدة والصحافة الدولية. لكن، وفي ظل الحماية التي يوفرها الحلفاء، لايزال التحالف معفياً من أي تحقيق مستقل لتحديد المسؤولية القانونية، ومن أي حراك دولي مؤثر لوقف الحرب في اليمن[١].

- النمط الأشمل للحرب: مجالات التركيز:

كيف ترتبط الهجمات التي جرى وصفها للتو بالنمط الأوسع نطاقاً للحرب على مرّ السنوات السابقة؟

استهدفت الهجمات المذكورة أهدافاً مدنية في محافظتين يمنيتين، شهدتا على مدار السنوات الأولى الثلاث من الحرب نسباً مرتفعة جداً من قصف الأهداف المدنية مقارنة بالأهداف العسكرية.

وكما يكشف الرسم (١)، فإن محافظة الحديدة قد تعرضت لقصف أقل مما تعرضت له محافظتا صعدة أو صنعاء قبل انطلاق الحملة العسكرية المستمرة على تهامة[٢].

1- https://www.hrw.org/report/2018/08/24/hiding-behind-coalition/failure-credibly-investigate-and-provide-redress-unlawful

٢- بيانات السنوات الثلاث الأولى من الحرب (مارس ٢٠١٥ - مارس ٢٠١٨) مأخوذة من مشروع بيانات اليمن (www.yemendataproject.org). ومشروع بيانات اليمن عبارة عن بيانات يتم جمعها يومياً من وسائل التواصل الاجتماعي والصحافة المحلية لضربات التحالف في جميع أنحاء البلاد؛ انظر الرابط:

https://www.theguardian.com/world/2016/sep/16/third-of-saudi-airstrikes-on-yemen-have-hit-civilian-sites-data-shows

حيث يتصف المشروع (YPD) بكون بياناته تراكمية تم تجميعها من مجموعة من الأكاديميين ومنظمي حقوق الإنسان والناشطين. والبيان الذي يحدد هدفهم من هذا المشروع متاح على الموقع الإلكتروني: "مشروع بيانات اليمن هو مشروع مستقل لجمع البيانات يهدف إلى جمع ونشر البيانات حول إدارة الحرب في اليمن، بهدف زيادة الشفافية وتعزيز مساءلة الجهات الفاعلة والمتورطة. في ظل غياب أي سجلات عسكرية رسمية لدى أي طرف من أطراف النزاع، تم إنشاء مشروع بيانات اليمن YDP في عام ٢٠١٦ بهدف شامل هو المساهمة ببيانات مستقلة ومحايدة لزيادة الشفافية بشأن إدارة الحرب والإبلاغ عن الاستجابة الإنسانية ومناصرة حقوق الإنسان والتغطية الإعلامية ومناقشة السياسات".

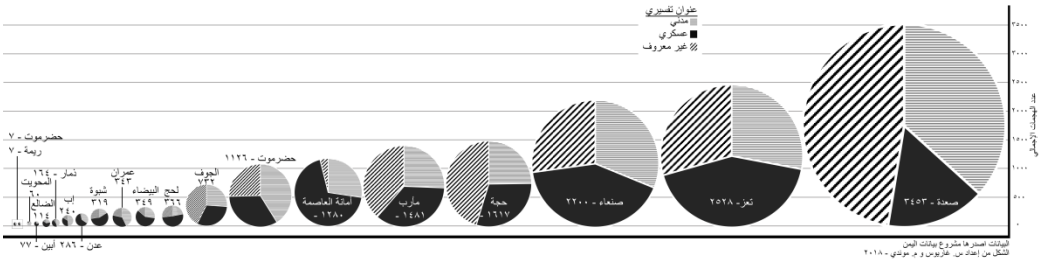

الرسم (١): نسبة الأهداف المدنية والعسكرية وغير المعروفة في محافظات اليمن (وفقاً لبيانات مشروع YDP للفترة من مارس ٢٠١٥ إلى مارس ٢٠١٨)

مع ذلك، فإن نسبة المواقع ذات الطابع المدني التي تعرضت للقصف تضاهي تلك التي في محافظة صعدة[1]. (لم يتضمن كل من الرسم (١) والخريطة (١) أي معلومات حول القصف الجوي المتزايد في المناطق الوسطى من تهامة في أعقاب حملة السيطرة على مدينة الحديدة منذ يونيو ٢٠١٨). كما لا تحتوي محافظة الحديدة مرافق النقل البري والبحري عبر مينائها فحسب، لكنها تحوي أيضاً العديد من المنشآت الصناعية الخفيفة (في قطاع البلاستيك وتجهيز الأغذية، وتعبئة المياه)، علاوة على البنية التحتية لصيد الأسماك ومساحة كبيرة من الأراضي الزراعية في اليمن. كما تشكّل محافظة صعدة، المتسمة بطابعها الريفي المهيمن والمتاخمة للحدود مع السعودية، الموطن التاريخي لحركة الحوثيين. ومن باب الاختصار، تمثّل الحياة في محافظة الحديدة، بالنسبة إلى العقول المدبّرة في التحالف، هدفاً اقتصادياً في المقام الأول في حين أن محافظة صعدة تعدّ هدفاً سياسياً وثقافياً؛ علاوة على أن الإنتاج الزراعي سمة مشتركة بين المحافظتين، فإذا ما أضيفت مدينة ومحافظة صنعاء معاً ضمن أكثر المناطق التي تعرضت للقصف، تكون هذه المحافظات الثلاث قد جمعت بين كل أنواع الأهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية التي يستهدفها التحالف.

١- تُظهر الثلاث المحافظات ذات العدد الإجمالي الأقل من الضربات، وهي: عمران وإب وذمار، نسبة أعلى في الأهداف المدنية. تجدر الإشارة إلى أن نسبة الأهداف "غير المعروفة" هي أقل بكثير هناك، حيث من المنطقي أن نسبة عالية من الأهداف المدرجة على أنها "غير معروفة" - والتي في بيانات المشروع تعني أهدافاً معروف موقعها وتاريخ استهدافها ولكن طبيعة الهدف ذاته غير معروفة - في صعدة على وجه الخصوص هي أيضاً أهداف مدنية بطبيعتها.

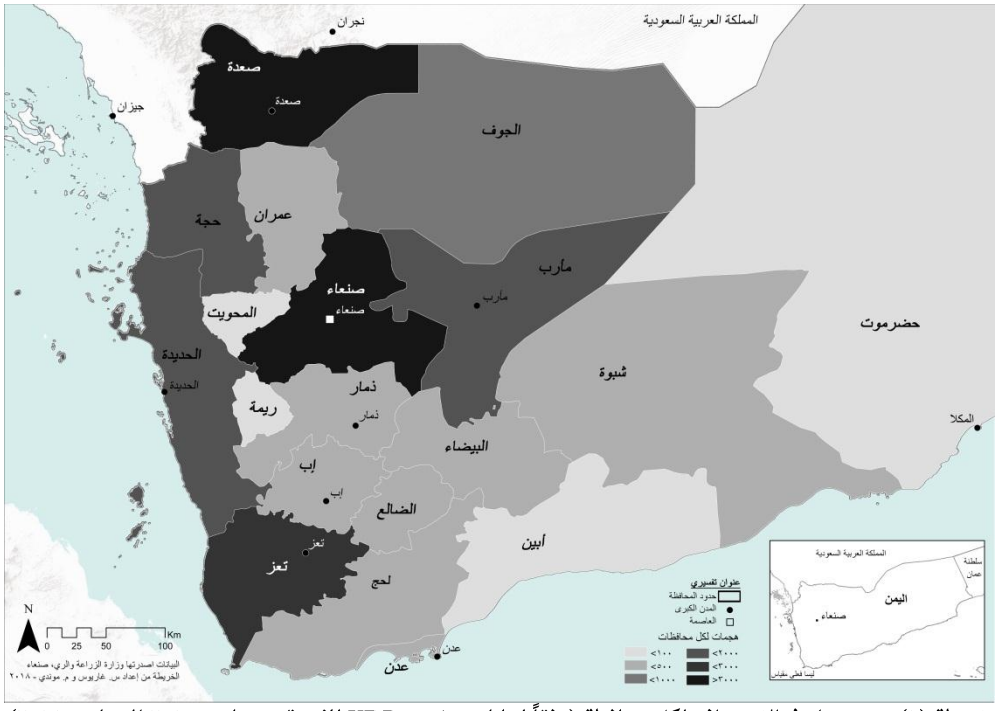

خريطة (١): عدد حوادث الاستهداف لكل محافظة (وفقاً لبيانات مشروع YDP للفترة من مارس ٢٠١٥ إلى مارس ٢٠١٨)

تمرّ الحدود بين المحافظات، ولعله بالصورة الأوضح في سهل تهامة الساحلي، عبر المناطق الجغرافية والاجتماعية الطبيعية[١]. حيث ينقسم سهل تهامة إدارياً بين ثلاث محافظات هي حجة في الشمال، الحديدة في الوسط ومحافظة تعز من جهة الجنوب. وتوضح الخريطة (٢) حوادث الاستهداف في المحافظات المختلفة الواقعة على الشريط الساحلي لتهامة.

١- إن رسم الحدود الإدارية هو حتماً وظيفة جغرافية وتخطيط سياسي، ولكن في حالة اليمن، فإن مقترح إعادة ترسيم الحدود الإدارية إلى ٦ مناطق (أقاليم) – مع حرمان منطقة صعدة / حجة من الوصول إلى منفذ بحري – مع تعزيز اللامركزية السياسية، كان أحد شرارات اندلاع الصراع.

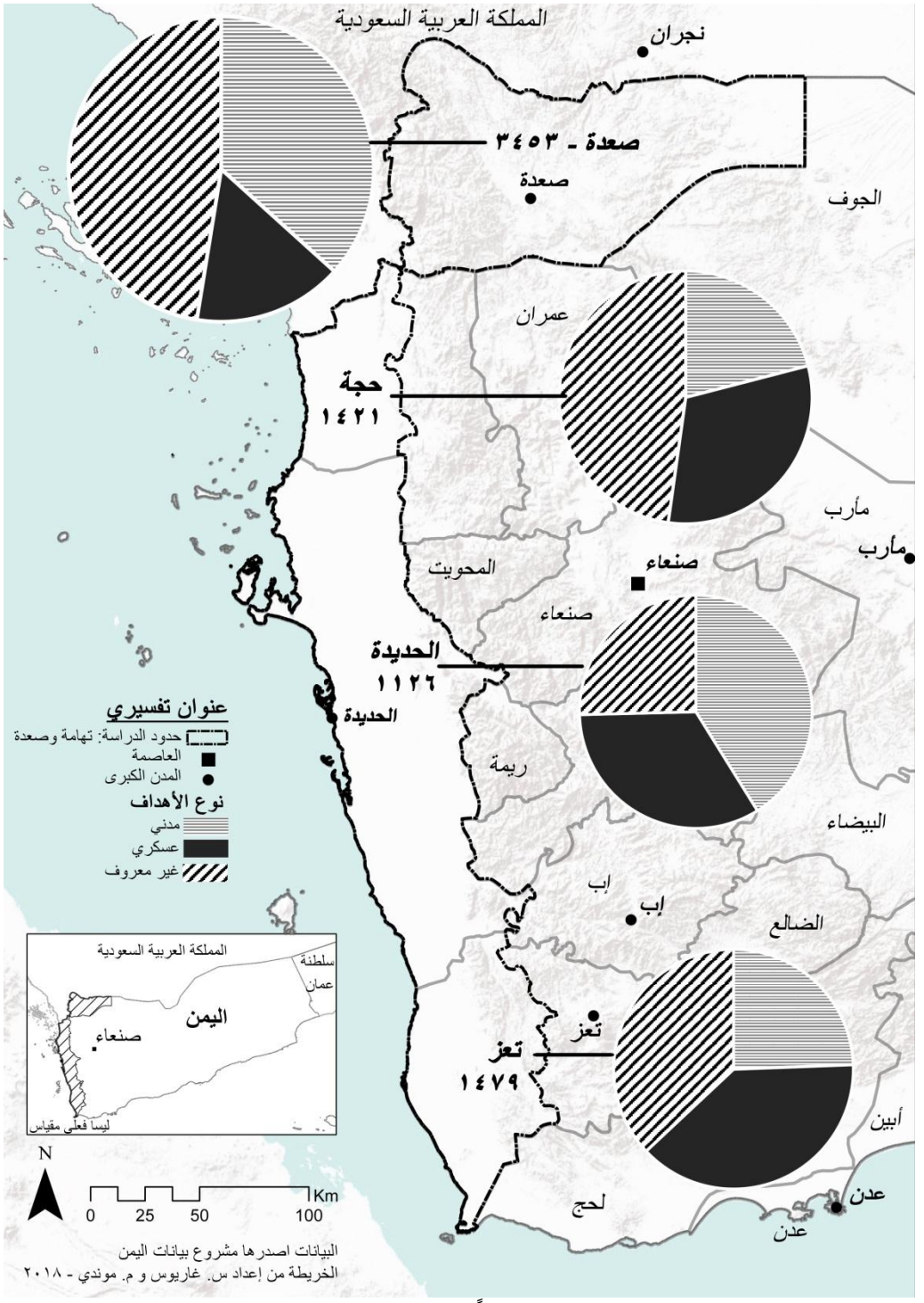

خريطة (٢): حوادث استهداف محافظة صعدة وتهامة (وفقاً لبيانات مشروع YDP للفترة من مارس ٢٠١٥ إلى مارس ٢٠١٨)

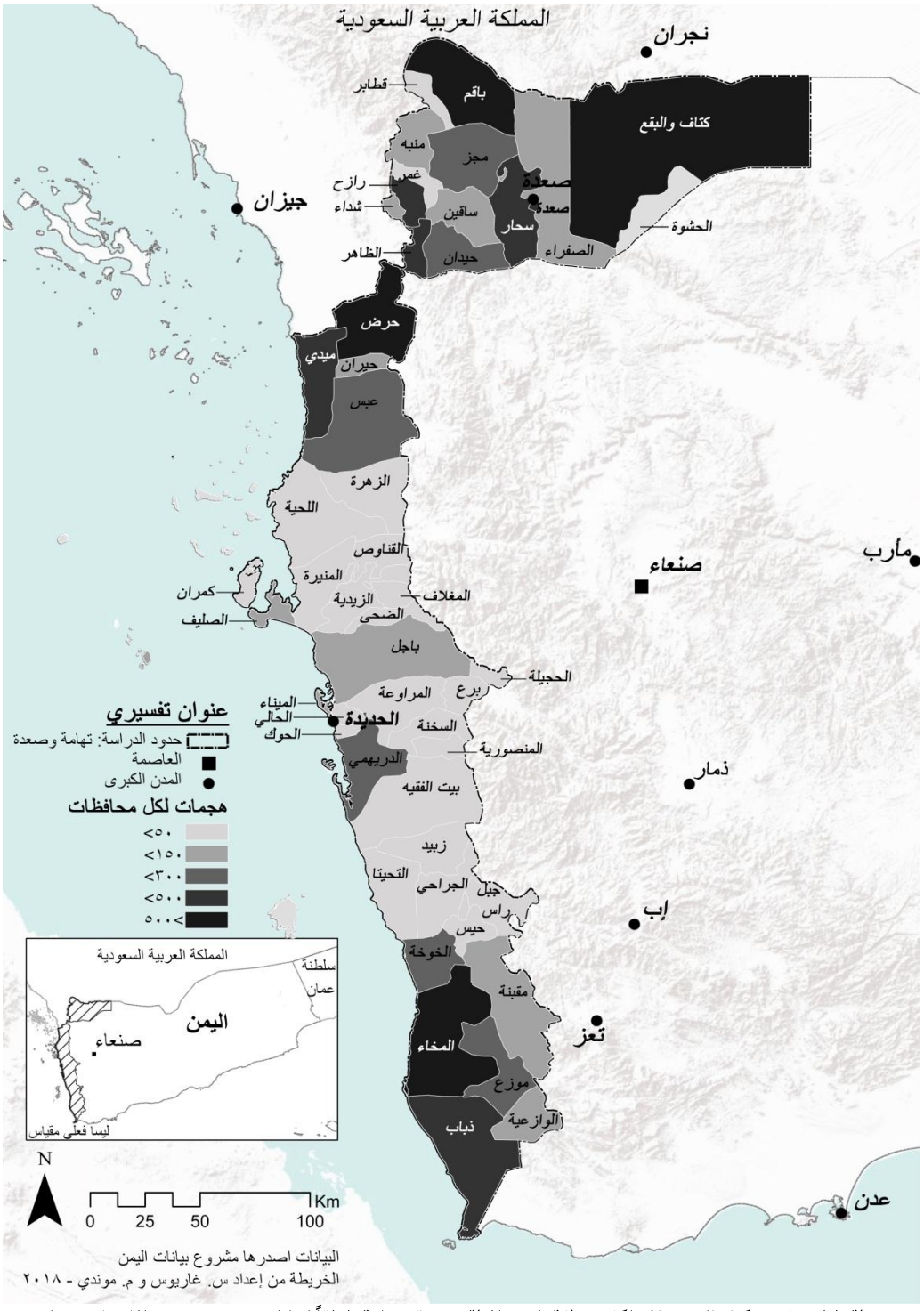

خريطة (٣): تواتر وتكرار الاستهداف لكل منطقة في محافظة صعدة وتهامة (وفقاً لبيانات مشروع YDP للفترة من مارس ٢٠١٥ إلى مارس ٢٠١٨)

تتسم منطقة تهامة بارتفاع درجات الحرارة والرطوبة الشديدة، وفي حين أنها منطقة قاحلة إلا أنها أكثر المناطق الزراعية أهمية في البلاد بفضل تدفق المياه إليها من الأراضي المرتفعة عبر سلسلة من الوديان الكبرى (انظر الخريطة ٩ أدناه). ومن أجل فهم تأثير الحرب في تهامة، فإن التحليل الوارد في هذا التقرير سيتعامل معها من منطلق تميزها الجغرافي.

- المراحل والاستراتيجيات:

مرّت هذه الحرب الطويلة حتى الآن في عدة مراحل وتعددت جبهاتها الإقليمية وتكتيكاتها الخاصة مع الوقت. بالتالي، يتطلب رصد التحولات الجغرافية الرئيسية في السنوات الثلاث الأولى من الحرب الاستعانة بالرسوم البيانية التفاعلية لتوزع الأهداف على المحافظات والذي نشرته شبكة الجزيرة[1]. إذ تسمح قراءة الخرائط التي نشرتها الجزيرة جنباً إلى جنب مع الرسم البياني الذي أعددناه من مشروع بيانات اليمن (YDP) بفهم توزع الأهداف بين العسكرية، والمدنية، وغير المعروفة. وبحسب توصيف بيانات المشروع، فإن الأهداف "غير المعروفة" هي تلك الأهداف التي تم تحديد موقعها وتاريخ استهدافها، لكن طبيعة الهدف فيها غير واضحة. ولا تؤثّر النسبة المرتفعة من الضربات "غير المعروفة" على التوجهات الإجمالية البارزة في البيانات نظراً إلى عدم وجود سبب يدعو إلى افتراض أنها كانت ضربات ضد أهداف عسكرية لا مدنية.

من خلال الاطلاع على المصدرين معاً، يمكن تحديد المراحل الرئيسية في الحرب، حيث كانت الأهداف عسكرية في مجملها خلال الأشهر الأولى من الحرب. وقد بدأ القصف الجوي للتحالف في أعقاب تقدم قوات الحوثيين (اللجان الشعبية) ووحدات الجيش الموالية لصالح أثناء تحركها جنوباً نحو مدينة عدن بعد أن أعلنها هادي عاصمة مؤقتة للبلاد. ومع حلول شهر أغسطس، توقف ذلك مع انسحاب الحوثيين وحلفائهم من عدن ولحج. بينما أصبح المركز الثقافي والاقتصادي لليمن، المتمثّل في مدينة تعز، موقعاً لمواجهات الميليشيات بين القوات الموالية لصنعاء وتلك المرتبطة بحكومة هادي والإصلاح، وما لبثت هذه الأخيرة أن انقسمت لاحقاً إلى ميليشيات إضافية.

1- https://interactive.aljazeera.com/aje/2018/Saudi-Arabia-air-raids-on-Yemen/index.html

انظر أدناه مشروع بيانات اليمن.

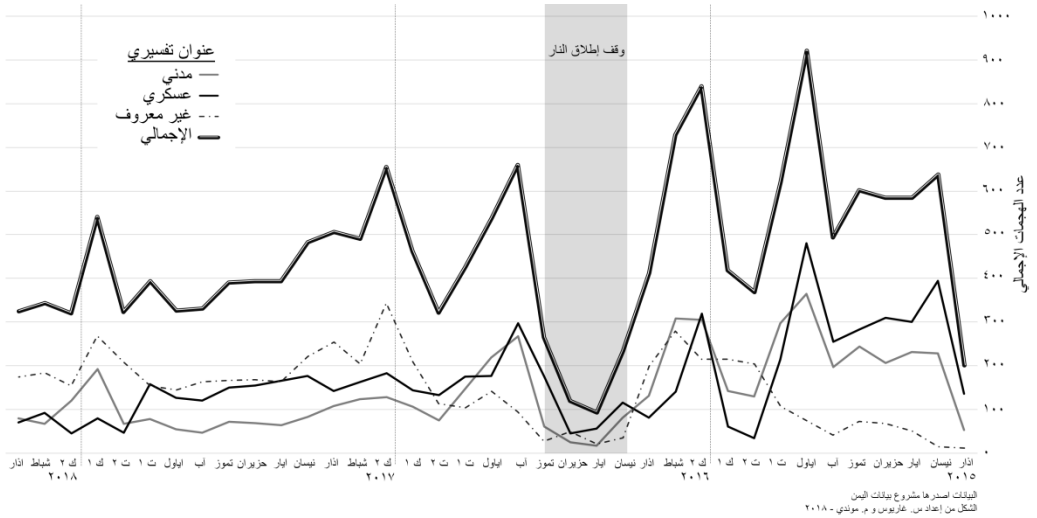

الرسم (٢): الجدول الزمني للضربات (وفقا لبيانات مشروع YDP)

أما في حالة صنعاء تحديداً، فقد بدا أن استراتيجية التحالف في الأشهر الأولى من الحرب كانت تجمع بين الهجمات الضخمة على المنشآت العسكرية والحكومية بواسطة قنابل مهولة تسبب انهياراً داخلياً كنوع من استعراض لتكتيك "الصدمة والترويع"[١]، إذ كان من المفترض أن يفضي هذا التكتيك إلى استسلام أولئك الذين يحكمون صنعاء؛ لكن ذلك لم يحدث.

منذ أغسطس ٢٠١٥، برز تحوّل من الأهداف العسكرية والحكومية إلى أهداف مدنية واقتصادية شملت البنية التحتية للمياه والنقل، ومرافق إنتاج المواد الغذائية وتوزيعها، والطرق والنقل، والمدارس، والمعالم الثقافية، والعيادات والمستشفيات، والمنازل والمزارع وقطعان الماشية.

ومع ذلك، لم يؤد تدمير الحياة في المناطق الخاضعة لسيطرة صنعاء إلى الاستسلام المحدد في قرار مجلس الأمن رقم (٢٢١٦) الذي طالب الحوثيين وحدهم بتسليم أسلحتهم قبل المفاوضات السياسية[٢]؛ لذا لم يكن مستغرباً أن المفاوضات التي جرت في الخريف لم تثمر[٣].

١- راجع الصورة على الرابط:
https://www.nytimes.com/2015/04/21/world/middleeast/sana-yemen-explosion.html

٢- انظر:
https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/the-unfolding-un-failure-in-the-yemen-war

٣- انظر الجدول الزمني في هذه المقالة:

على المستوى الجغرافي، تركزت الجبهة المتحركة في الحرب منذ أغسطس في محافظة مأرب التي تعد واحدة من المنطقتين المنتجتين للنفط في اليمن. وقد تم إخراج قوات صنعاء منها بحلول نهاية عام ٢٠١٥. ومنذ أوائل عام ٢٠١٦، يحكم مأرب - التي امتلكت بنكها الخاص - محافظ محلي مرتبط بعناصر في حزب الإصلاح والتحالف الذي تقوده السعودية. وبالنظر إلى عائداتها النفطية (التي لا يذهب أي جزء منها إلى صنعاء)، فإنها تمثل اليوم منطقة ازدهار نسبي[١].

في خريف عام ٢٠١٦، تم تدشين مرحلة أخرى في الحرب وهي الحرب الاقتصادية وعزل البلاد[٢]، حيث تم إغلاق مطار صنعاء أمام جميع الرحلات التجارية، وبالتالي أمام كل من يحتاج العلاج الطبي في الخارج[٣]، وتم فرض الحصار المتقطع على ميناء الحديدة. لكن الأهم من كل ذلك كان نقل البنك المركزي اليمني إلى عدن ما جعل التحويلات المالية إلى البنوك اليمنية أكثر صعوبة وحصر مسألة إصدار الريال اليمني في يد حكومة هادي، ما مكنها من التوقف عن دفع رواتب جميع موظفي الحكومة في المناطق الخاضعة لسيطرة صنعاء. فكانت الحكومة المستخدم الأكبر في البلاد، حيث طالت الوظائف المتأثرة قطاعات عدة بين العاملين في القطاع الصحي مروراً بالعسكريين، ووصولاً إلى المعلمين والإداريين، فضلاً عن التوقف عن صرف المعاشات التقاعدية وغيرها من النفقات الاجتماعية الأخرى.

توصف الحال في اليمن - اليوم - على أنها أكبر أزمة إنسانية في العالم، حيث يحتاج ٨٠٪ من السكان مساعدات غذائية في ظل تفشي وباء الكوليرا الذي أصاب أكثر من مليون شخص[٤]. والأسباب التي أدت إلى هذا الوضع لا تعود إلى آثار القصف على جودة وكمية

---

https://www.reuters.com/article/us-un-yemen-factbox/u-nsponsored-peace-talks-for-yemen-idUSKCN1J31M9

١- في الوقت الحالي، أصبحت المناطق المنتجة للنفط في اليمن خارج سيطرة "حكومة الإنقاذ" في صنعاء. ومن الغريب إلى حد ما الترويج لهذه اللامركزية الهيكلية كنموذج للمناطق الأخرى في اليمن التي لن تتمتع بمثل هذه الموارد المالية؛ انظر:
https://www.ecfr.eu/publications/summary/the_marib_paradox_how_one_province_succeeds_in_the_midst_of_yemens_war

٢- وصف بن هوبارد وزملاؤه آثار هذا بحلول شهر نوفمبر من ذلك العام؛ انظر:
https://www.nytimes.com/2016/11/14/world/middleeast/yemen-saudi-bombing-houthis-hunger.html?_r=0

٣- قبل الإغلاق، كانت السعودية تطلب من جميع الرحلات الجوية (من وإلى صنعاء) الهبوط في جنوب المملكة العربية السعودية، حيث تم تفتيش جميع الركاب والحقائب والبضائع.

٤- للاطلاع على الوضع في منتصف سبتمبر ٢٠١٨؛ انظر:

الغذاء والماء المتاحين فحسب (وهو ما سنعود إليه في الفقرات اللاحقة)، بل إنها تعود قبل كل شيء إلى آثار الحرب الاقتصادية المستعرة منذ أواخر عام ٢٠١٦[١].

عند الحديث عن حرب اليمن، غالباً ما يجري التطرق إلى التواطؤ الحاصل بين أكبر ثلاثة باعة للأسلحة (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا) في جرائم الحرب الناجمة عن حملة القصف[٢]. ليس هذا فقط، بل يتم الإشارة أيضاً إلى دور هذه الدول في حماية الشركاء في التحالف على الصعيد الدبلوماسي. ومع ذلك، من النادر أن يتم الاعتراف بدعم هذه الدول للحرب الاقتصادية التي تشكّل السبب الرئيسي للمجاعة[٣]. ولعل الإقرار بهذا الدعم الضروري لتمكين السعودية من اعتراض السفن المصرح لها بالمرور من خلال آلية التحقق والتفتيش التي تطبقها الأمم المتحدة، يجعل كل المناشدات التي توجه إلى تلك القوى لتقديم المساعدة الإنسانية جَلَبِيّةٌ في زيفها. وفي تلك المرحلتين الحرجتين المتمثلتين في نقل البنك المركزي إلى عدن والهجوم على ميناء الحديدة، كان دعم السفراء الأمريكيين السابقين والحاليين في اليمن حاضراً[٤]، لأنه غني عن القول إن حكومة هادي لا تستطيع وحدها تغيير السياسة المصرفية الدولية. كما أن القوات المدعومة من الإمارات والتي استولت على مدينة المخا في أوائل عام ٢٠١٧، لم تكن لتتحرك شمالاً في يونيو ٢٠١٨ دون ضوء أخضر ضمني من القوى الرئيسية التي تبيعها الأسلحة[٥].

---

https://www.savethechildren.net/article/yemen-military-action-near-hodeidah-city-threatens-food-supplies-millions-children

وكذلك؛ انظر:

https://www.bbc.com/news/world-middle-east-45568669

١- انظر:

https://www.newyorker.com/news/news-desk/is-yemen-intentional-starvation-the-future-of-war

٢- لآخر المستجدات فيما يتعلق بالهجوم على الحديدة؛ انظر:

https://www.wsj.com/articles/u-s-deepens-role-in-yemen-fight-offers-gulf-allies-airstrike-target-assistance-1528830371

٣- على النقيض من ذلك؛ انظر:

https://www.nytimes.com/2018/06/14/opinion/yemen-al-hudaydah-famine-houthis.html

و:

https://www.newyorker.com/news/news-desk/is-yemen-intentional-starvation-the-future-of-war

٤- انظر:

https://theintercept.com/2017/12/13/yemen-war-peace-talks-matthew-tueller/

٥- حول موقف الولايات المتحدة؛ انظر:

وفي الوقت الذي تدعم فيه الولايات المتحدة والمملكة المتحدة حلفاءهما في التحالف - بلا هوادة - في تحقيق أهدافهم السياسية والاستراتيجية الأوسع، تختلف الأولويات الاقتصادية المرسومة لهذه الحرب بالنسبة للسعودية والإمارات، الطرفان العربيان الرئيسيان في التحالف. إذ تتمثل الأولوية بالنسبة إلى السعودية في السيطرة على الثروة النفطية ومنع اليمن الموحد من استخدام عائداته النفطية الخاصة، فضلاً عن رغبتها في تطوير خط أنابيب جديد يصل إلى المحيط الهندي عبر اليمن[1]. أما بالنسبة إلى الإمارات فتكمن أولوياتها الاقتصادية في السيطرة على الموانئ البحرية والتجارة والسياحة والثروة السمكية. ويهدف الهجوم على الحديدة صراحة إلى استكمال الحرب الاقتصادية عسكرياً. إلا أن المعاناة الهائلة التي حلت بالشعب اليمني لا تفيد في تعزيز مصداقية التكتيك القاضي بالسماح بمزيد من التجويع وتفشي الأمراض لمجرد أن أولئك الموجودين في صنعاء لم يستسلموا بعد. ومع ذلك، وكما قالها دبلوماسي سعودي رفيع المستوى في إحدى المناسبات رداً على سؤال حول تهديد المجاعة - بشكل غير رسمي: "سنطعمهم ما أن نسيطر عليهم"[2].

- الريف اليمني وإنتاج الغذاء في الحرب:

دخلت اليمن في الحرب وهي تعتمد اعتماداً كبيراً على استيراد الغذاء[3]. وكان هذا

---

https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2018/06/us-yellow-light-attack-yemen-port-uae-saudi-arabia-hodeidah.html

كما تصرح المملكة المتحدة أنها تقف إلى جانب حلفائها؛ انظر:

https://www.bbc.co.uk/news/av/uk-45265871/foreign-secretary-defends-uk-saudi-ties-after-yemen-bus-deaths

1- http://web.archive.org/web/20150701113930/http:/www.jokeburinga.com/divide-and-rule-saudi-arabia-oil-and-yemen-3/

يبدو أن التنبؤات تتحقق؛ انظر:

https://www.middleeastmonitor.com/20180903-saudi-arabia-prepares-to-extend-oil-pipeline-through-yemen-to-arabian-sea/

٢- الاقتباس دقيق، غير أنه لا يمكن الإفصاح عن المتحدث لأنه أدلى بهذه الملاحظة بشكل غير رسمي.

قارن بين التسامح العالمي الممنوح للجيش السعودي:

https://www.thenational.ae/world/gcc/saudi-arabia-s-king-pardons-soldiers-fighting-in-yemen-1.749094

وبين الملاحظات الأخرى المسربة:

https://www.middleeastmonitor.com/20180827-bin-salman-threatens-to-target-women-and-children-in-yemen-despite-international-criticism/

3-World Food Program (WFP), "The State of Food Security and Nutrition in Yemen: Comprehensive Food Security Survey," 2012, 18.

الانعدام في الأمن الغذائي نتيجة لاندماج البلاد في الاقتصاد النفطي الإقليمي الأوسع منذ عام ١٩٦٨، فضلاً عن التبني التدريج للسياسات الاقتصادية والاجتماعية التي انتقصت من قيمة الإنتاج المحلي من الحبوب وشجعت العمالة الريفية من الذكور على النزوح من الأرياف، كما همشت حقوق المرأة والتنظيم الأسري[١].

كانت هذه السياسات النيوليبرالية سارية في الشمال (الجمهورية العربية اليمنية سابقاً) منذ عام ١٩٧٨ وفي الجنوب (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سابقاً) منذ الوحدة الوطنية عام ١٩٩٠ والتي شكلت الجمهورية اليمنية. وخلال الفترة الممتدة بين ١٩٧٨ و ٢٠١١، حكم البلاد الرئيس الراحل علي عبد الله صالح، الذي كان عقيد في الجيش مع تحصيل علمي محدود في بداية هذه الفترة، فلم يكن المسؤول عن تصميم هذه السياسات التي كانت الوصفة الجاهزة المعتمدة على مستوى المجمع الدولي للتنمية الذي تهيمن عليه واشنطن[٢]. ففي فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، عُلِّقت الآمال في

See also:

Figures 1 and 2 of the International Food Policy Research Institute (IFPRI) and Ministry of Planning and International Cooperation، Yemen، "Yemen National Food Security Strategy: 1 Overview and Action Plan،" 2011. (This is a policy paper for estimates of food insecurity in 2009، showing large areas of the country with 40 percent severe food insecurity and 60 percent or more stunting in children، pp. 2-3).

And:

A. J. Clements، "Yemen: Fragile Lives in Hungry Times"، Oxfam Briefing Paper، No. 152، September 2011.

And:

World Food Program (WFP)، The State of Food Security and Nutrition in Yemen: Comprehensive Food Security Survey، 2012.

1- M. Mundy، A. al-Hakimi، F. Pelat، 'Neither security nor sovereignty: the political economy of food in Yemen'، in: Z. Babar and S. Mirgani (eds.)، Food Security in the Arab World، London، Hurst and New York، Oxford University Press، 2014، pp. 137-159.

And:

M. Mundy and F. Pelat، "The political economy of agriculture and agricultural policy in Yemen"، in: N. Brehony & S. AlSarhan (eds.)، Rebuilding Yemen: Political، Economic and Social Challenges، Berlin، Gerlach Press، 2015، pp. 98-122.

وكلاهما متاح باللغة العربية على الرابطين:

https://www.athimar.org/Article-73

https://www.athimar.org/Article-74

٢- للاطلاع على تحليل عالمي؛ انظر:

فيض القمح المدعوم المستورد من الولايات المتحدة الأميركية وتصدير اليد العاملة اليمنية إلى السعودية ومنطقة الخليج، بعد أن كانت التنمية الزراعية والمعارف الأصلية وحقوق المرأة من المشاريع المعلنة لتحرير جنوب المعمورة من هيمنة الشمال.

على الرغم من ذلك، وقبل أن تبدأ الحرب في مارس ٢٠١٥، كان ثلثا سكان البلاد يعيشون في قرى متفرقة وبلدات صغيرة[١]، واعتمد أكثر من نصف السكان، بصورة جزئية أو كلية، على الزراعة وتربية الحيوانات. ونظراً إلى طبيعة اليمن الجبلية وهطول الأمطار المتفرقة والغزيرة أحياناً خلال فصل الصيف، فقد ترتب نشاط البشر وإنتاج الغذاء على مرّ القرون على عمل الإنسان (وتسخير الحيوان) لاستصلاح الأراضي وجعلها قابلة للحياة[٢]. وقد شكّل فرض "قيمة سوقية" دولية على القطاع الزراعي اليمني بمعزل عن هذا الواقع ضرباً من السخافة، حيث استجابت البلاد من خلال التوسع في زراعة محصول زراعي واحد هو القات علماً أنه غير مرتبط بالسوق الدولية. سبب ذلك استنزافاً لطبقات المياه الجوفية خدمة لهذه الزراعة وغيرها من المحاصيل السوقية سريعة التلف، فضلاً عن تزايد انعدام المساواة في حقوق التصرف بالأراضي. ومن المسَلم به أن القرى التي شكلت مواقع إنتاج المحاصيل الغذائية تلقى تغطية إعلامية أقل من المراكز الحضرية. إلا أنه وبناء على نتائج مسح أجرته منظمة العمل الدولية والجهاز المركزي للإحصاء بعد مرور سبعة أشهر على بداية الحرب، يأتي ثلثا المهجرين داخلياً من المناطق الريفية، ما أدى إلى خسارة ما يقرب من ٥٠٪ من القوى العاملة في القطاع الزراعي[٣]. فلطالما كانت القرى الواقعة في المناطق الجبلية ملاذاً للكثيرين. وهذا مؤشر على مدى

U. Patnaik and S. Moyo، The Agrarian Question in the Neo-liberal Era: Primitive accumulation and the peasantry، Cape Town، Pambazuka Press، 2011.

١- بيان منظمة الفاو حددت نسبة ٦٥٪ من السكان؛ انظر:

https://www.fao.org/faostat/en/?#country/249

وفي أوائل السبعينات كان يعيش حوالي ٨٥٪ من السكان في المناطق الريفية.

٢- هذا ما يصفه فان دير بلوج بالإسهام المشترك للزراعة والطبيعة في المناظر الطبيعية؛ انظر:

J. D. van der Ploeg، Peasants and the Art of Farming: A Chaanovian Manifesto، Halifax، Fernwood، 2013، 48–49

3 -https://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/---arabstates/---ro-beirut/documents/publication/wcms_501929.pdf

الهشاشة التي بلغها الريف اليمني حيث اضطر القرويون ولأول مرة في تاريخ اليمن إلى اللجوء إلى ضواحي المدن والتخلي عن الريف.

شكلت منظمة العمل الدولية استثناءً بين المنظمات الدولية حيث واصلت أنشطتها خلال السنة الأولى من الحرب. وفي السنوات التي سبقت الحرب، لم يقتصر الدور البارز لوكالات المعونة الدولية على صنع السياسات الاقتصادية فحسب، بل طال كذلك إنتاج البيانات المتعلقة باليمن[١]. ولكن عندما أغلقت السفارات الغربية في صنعاء أبوابها في منتصف شهر فبراير ٢٠١٥ في طور الاستعداد للحرب، أوقفت الوكالات الدولية، بما فيها منظمة الأغذية والزراعة، دعمها للوزارات اليمنية في صنعاء (فيما وصفه رئيس المكتب الإقليمي في القاهرة التابع لمنظمة الأغذية والزراعة بأنه: "قرار سياسي")[٢]. بالتالي، لم تنشر المنظمات المتخصصة سوى القليل عن الأضرار التي تسبب التحالف بها[٣]، ولم يُسمح لـ "وكالات التنمية" الرئيسية باستئناف العمل إلا خلال عام ٢٠١٦ شريطة أن يكون مجال نشاطها إنسانياً في المقام الأول.

بناءً على ذلك، كان لا بد لنا من اللجوء إلى البيانات الصادرة عن مصادر يمنية لمحاولة فهم تأثير قصف التحالف على القرى الصغيرة وعلى الإنتاج الريفي. وكانت أنواع هذه البيانات ثلاثة؛ أولها هي البيانات التي جمعها مسؤولو الإرشاد الزراعي في وزارة الزراعة والري (MAI)؛ وثانيها هي البيانات التي جمعها نشطاء محليون في سياق مشروع بيانات اليمن (YDP)؛ أما ثالثها فهي البيانات المتعلقة بالأضرار التي لحقت بمصائد الأسماك في

1 -M. Mundy، A. al-Hakimi، F. Pelat، 'Neither security nor sovereignty: the political economy of food in Yemen' Ibid.

٢- طرحت السؤال على الممثل الإقليمي لمنظمة الأغذية والزراعة خلال اجتماع عقد في بيروت في أواخر سبتمبر ٢٠١٦.

٣- هناك وحدات متخصصة لتجميع هذه البيانات. كما أعلن المرفق العالمي للحد من الكوارث والإنعاش في البنك الدولي عن إغلاق عمله داخل اليمن. وشكلت الوكالات الرئيسية (UN / WB / EU / IslBD) - تملك السعودية ٤٠٪ من هذه الأخيرة - شراكة فيما بينها لأغراض تقييم الأضرار والاحتياجات لليمن. وفي أواخر أبريل ٢٠١٦، سُئل المسؤولون عن سبب تركيز عملهم في بلد مثل اليمن على أربع مدن، فأجابوا بأنه في غضون شهور ستبدأ المرحلة الثانية في تغطية المناطق الريفية وبرروا تركيزهم على المدن الحضرية لأسباب تتعلق بالتكاليف؛ انظر:

https://journal.georgetown.edu/assessing-structural-damage-in-yemen-five-minutes-with-andrea-zanon-and-philip-petermann-2

وفي ٦ مايو ٢٠١٦، تم تقديم إحاطة حول التقرير الأولي من هذه الشراكة، لكن لم يتم إصدار التقرير الكلي للعلن. وقد نشر معهد الأمم المتحدة للتدريب والبحوث (يونوسات) في ابريل - مايو ٢٠١٥ تحليلاً للصور الجوية لأضرار القنابل التي لحقت بالمواقع الحضرية في مدن صعدة وصنعاء وتعز، وكذا خرائط للضوء المرئي في الليل (لمعرفة مدى انقطاع التيار الكهربائي).

البحر الأحمر والتي جمعت برعاية من وزارة الثروة السمكية (MFW) في صنعاء. وتغطي بيانات وزارة الزراعة والري الفترة الممتدة من مارس ٢٠١٥ وبدايات أغسطس ٢٠١٦، بينما تغطي بيانات مشروع YDP السنوات الثلاث الأولى من الحرب (مارس ٢٠١٥ – مارس ٢٠١٨)، في حين تغطي بيانات وزارة الثروة السمكية الفترة الممتدة بين مارس ٢٠١٥ ونهاية ديسمبر ٢٠١٧. ونتبع في سياق النقاش المدرج أدناه التسلسل الفعلي لصدور هذه البيانات، حيث توفرت بيانات وزارة الزراعة والري اعتباراً من أبريل ٢٠١٦، وتم تحديثها حتى أوائل أغسطس من العام نفسه[١]. أما بيانات مشروع YDP فقد نشرت لأول مرّة في سبتمبر ٢٠١٦ ويجري تحديثها باستمرار منذ ذلك الحين (البيانات المنشورة حالياً على الموقع الإلكتروني للمشروع متوفرة حتى مارس ٢٠١٨)، أما ما يتعلق ببيانات وزارة الثروة السمكية فقد صدرت في يناير ٢٠١٨. وفي حين أن هذا البحث يسلط الضوء على إنتاج الغذاء والمجتمع الريفي، ألا أن الأضرار قد طالت ما هو أكثر من ذلك بكثير خلال الفترة نفسها، مثل المتاحف والمباني التاريخية والمساجد والأضرحة والمدارس والكليات التقنية والجامعات والمباني الحكومية والبيوت التاريخية والعيادات الصحية والمستشفيات.

- الأضرار التي لحقت بالقطاع الريفي بحسب تقرير المرشدين الزراعيين في وزارة الزراعة والري:

تؤكد البيانات الواردة في تقرير وزارة الزراعة والري على الأنماط الموصوفة أعلاه، وفقاً للإطار الزمني المحدد لهذه البيانات. إذ ركّز التحالف في الفترة الممتدة بين مارس ومايو ٢٠١٥ على أهداف عسكرية لا على القدرة الإنتاجية.

ثم بدءاً من شهر يونيو شَرَع في استهداف ريف صعدة قبل أي مناطق زراعية أخرى في البلاد. وما لبثت هذه الهجمات تتوسع لتطال مناطق أخرى في شهري يوليو وأغسطس. وفي شهري سبتمبر – أكتوبر ٢٠١٥، بدأ التحالف بتطبيق استراتيجيته

١- بيانات وزارة الزراعة هي عن الأهداف وليست تقديراً للأضرار في حد ذاتها، أما التقارير عن تقييم الأضرار التي أصدرتها الوزارة فمتوفرة على موقعها الإلكتروني من خلال الرابط:

https://agricultureyemen.com/page.php?id=488

كما تتوفر المواد التي تعتمد عليها الخرائط هنا باللغتين العربية والإنجليزية على الرابط:

https://yemenspring2015.wordpress.com/2016/02/

ويحتوي تقرير مارس ٢٠١٧ على العديد من صور الأضرار التي لحقت بالقطاع الزراعي؛ متوفر على الرابط:

https://drive.google.com/file/d/0BxtsfVUCMuLgVU9ZVEdpUFpack0/view

لضرب موارد الحياة الريفية بشكل حثيث في مناطق واسعة. والخرائط الآتية: رقم (٤، ٥، ٦، ٧)، تظهر التسلسل المتبع في ضرب الأهداف المحددة.

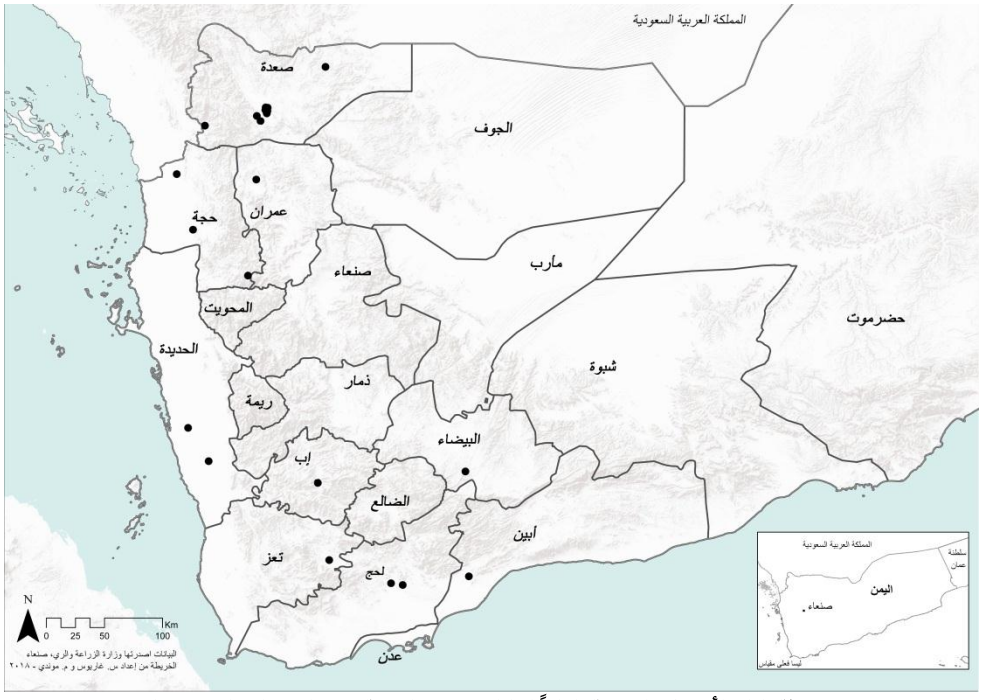

خريطة (٤): الأهداف الزراعية (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة من مارس إلى مايو ٢٠١٥)

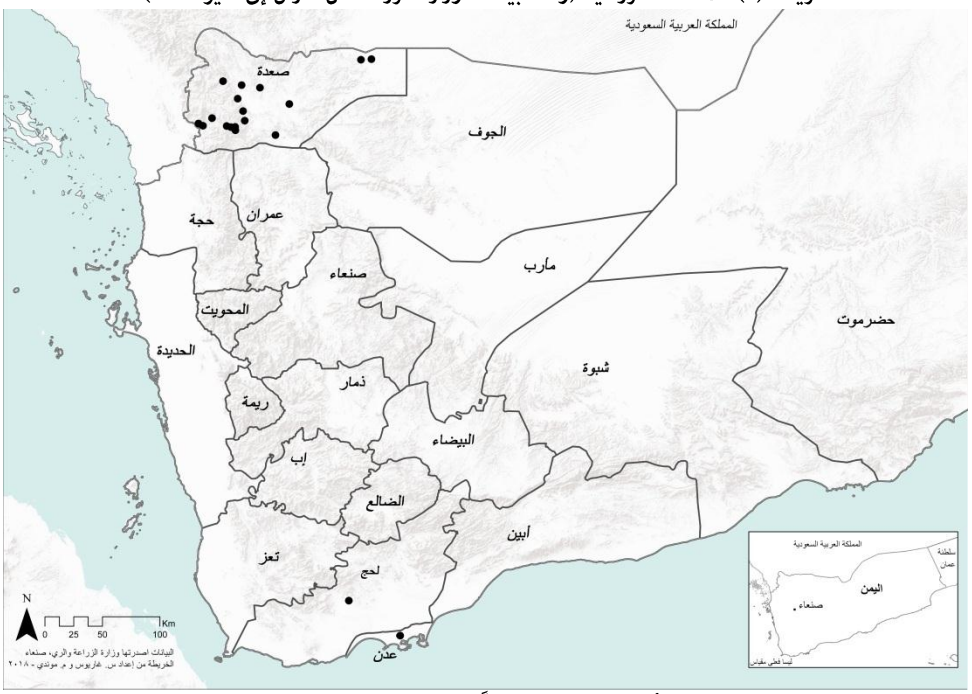

خريطة (٥): الأهداف الزراعية (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة يونيو ٢٠١٥)

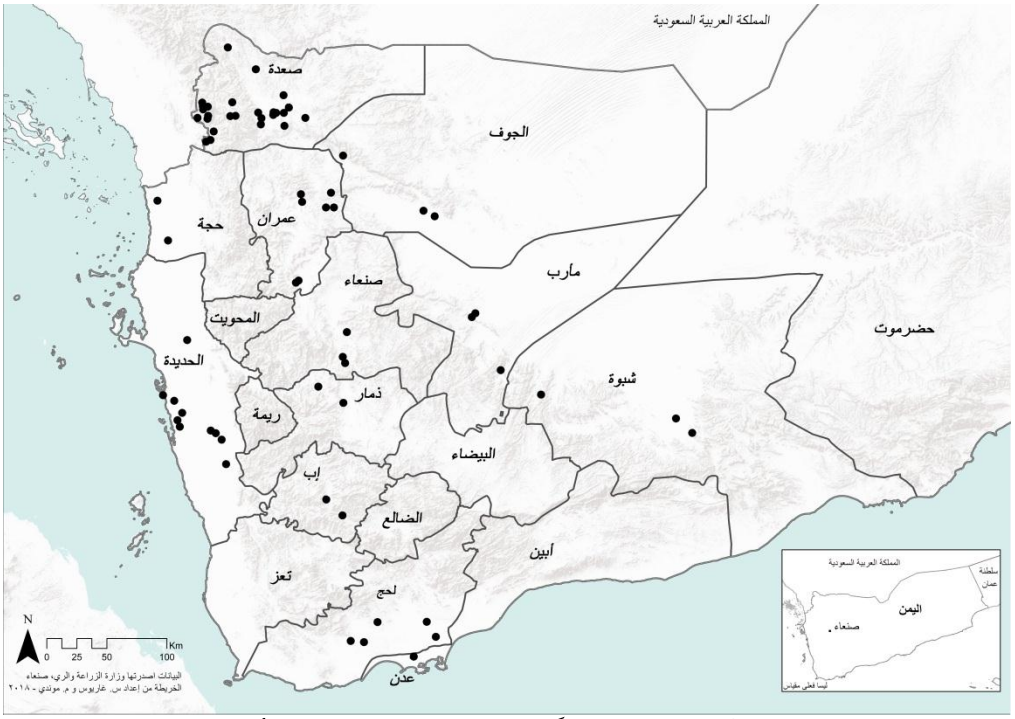

خريطة (٦): الأهداف الزراعية (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة من يوليو إلى أغسطس ٢٠١٥)

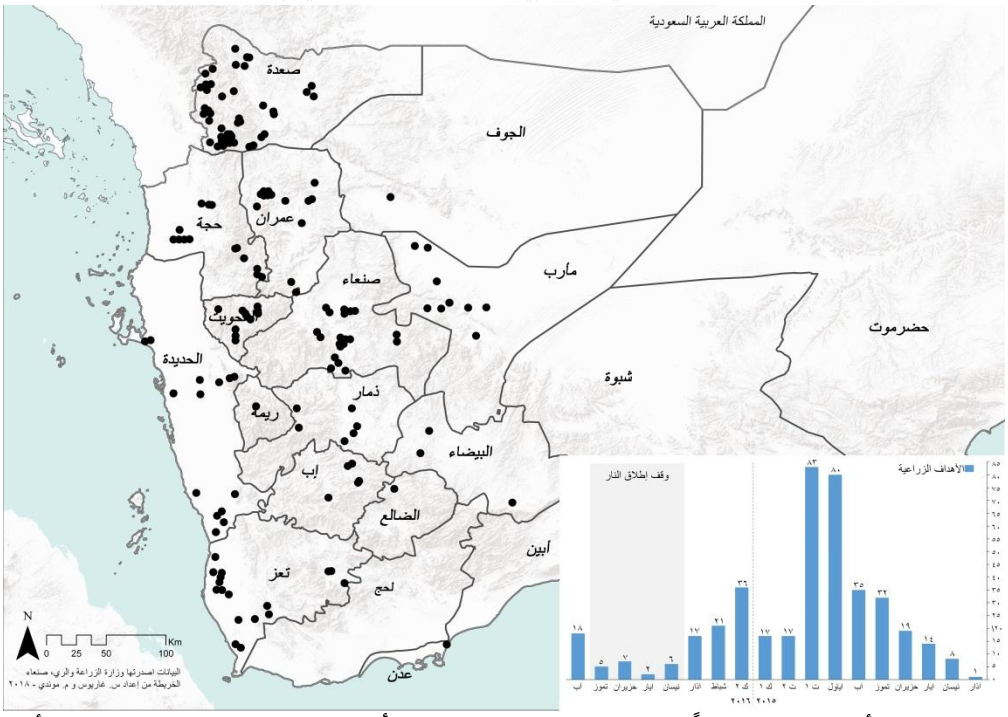

خريطة (٧): الأهداف الزراعية (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة من سبتمبر إلى أكتوبر ٢٠١٥)، ومرفق شكل بياني لجميع الأهداف

ما هي الأهداف التي استهدفها التحالف بحسب التقارير الصادرة عن المرشدين الزراعيين؟

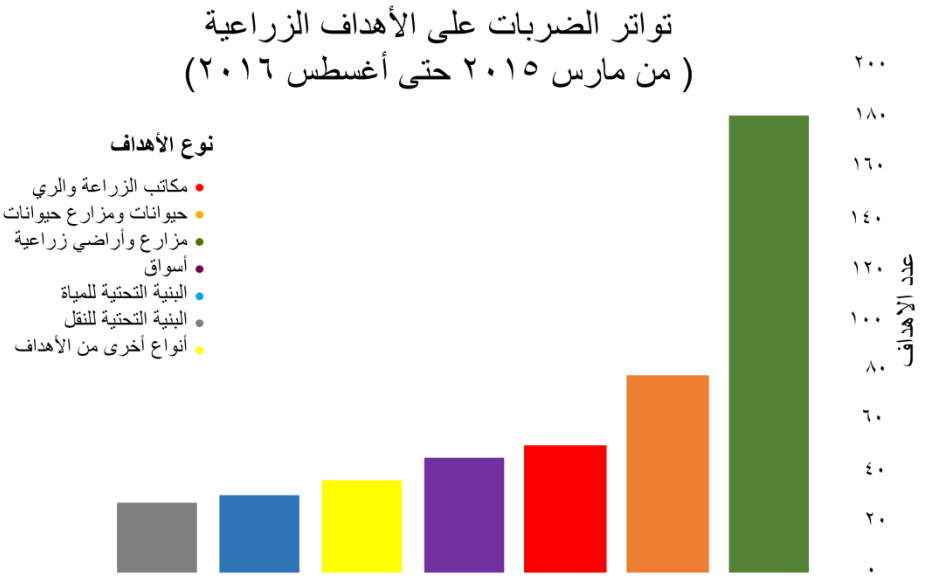

البيانات اصدرتها وزارة الزراعة والري، صنعاء
الشكل من إعداد س. غاريوس وم. موندي - ٢٠١٦

الرسم (٣): نوع الأهداف الزراعية (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة من مارس ٢٠١٥ إلى أغسطس ٢٠١٦)

لقد كانت الأرض الزراعية هي الهدف الأول للقصف وإلى جانبها جميع المكونات الأخرى للحياة الريفية. ووفقاً لتقديرات سابقة مُدرجة في قاعدة البيانات الإحصائية الموضوعية في منظمة الأغذية والزراعة العالمية، غطى القطاع الزراعي أقل من ٣٪ من إجمالي مساحة الأراضي في اليمن، مقابل ١٪ للغابات وأقل من ٤٢٪ بقليل للمراعي (انظر الرسم ٤ أدناه). في حين أن التقديرات الأحدث المدرجة في قاعدة البيانات المذكورة لا تنطلق من المساحة الإجمالية للأراضي بل من مساحة "المناطق الزراعية" التي انقسمت إلى: ٥٪ من الأراضي الصالحة للزراعة و ١٪ من الأراضي المخصصة للمحاصيل الدائمة و ٩٤٪ من المروج والمراعي الدائمة[١]. باختصار، لا شك في أن استهداف الزراعة في اليمن يتطلب دقة معينة في التصويب.

١- انظر:

https://www.fao.org/faostat/en/?#country/249

وكذا:

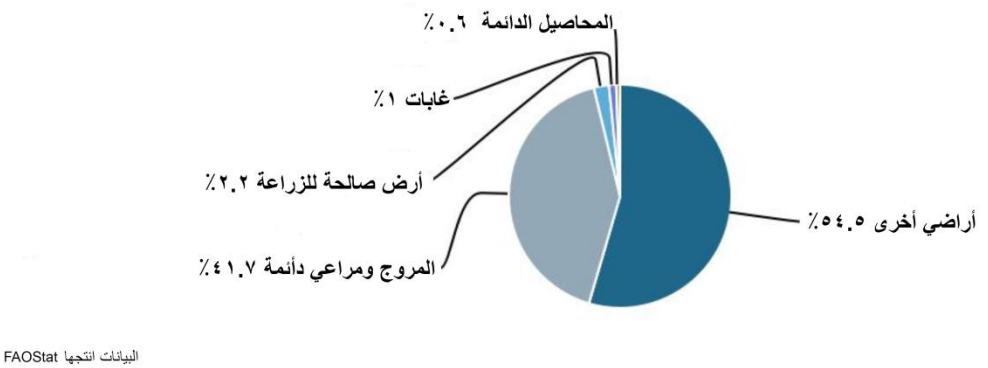

الرسم (٤): استخدام الأراضي في اليمن (وفقاً لبيانات منظمة الفاو، أغسطس ٢٠١٦)

وتظهر الخريطة رقم (٨) توزُّع مواقع الأهداف الإجمالية على خارطة اليمن على النحو الآتي:

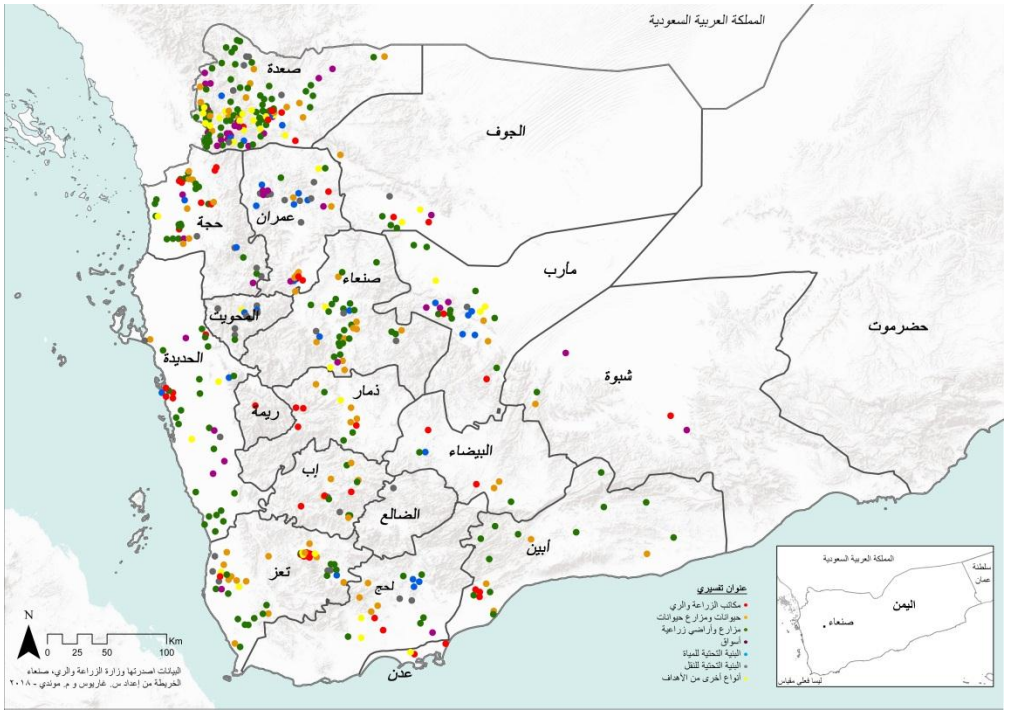

خريطة (٨): جميع الأهداف الزراعية (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة من مارس ٢٠١٥ إلى أغسطس ٢٠١٦)

https://www.fao.org/countryprofiles/maps/map/en/?iso3=YEM&mapID=609

كما يظهر بوضوح مما سبق، لقد جرى استهداف محافظة صعدة بصورة مركّزة وخاصة، لا سيما وقد أعلن العسيري (الناطق باسم الجيش السعودي) أن المحافظة بأسرها تُعد هدفاً عسكرياً بعد مرور ستة أسابيع على بداية الحرب[1].

ووفقاً لما هو مبين في الرسم (٥)، تكشف بيانات وزارة الزراعة والري أن استهداف المكونات التي لا غنى عنها لصمود سكان الريف في محافظة صعدة يستمر بصورة منهجية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه البيانات لا تغطي سوى الفترة الممتدة حتى أوائل أغسطس ٢٠١٦. مع ذلك، شكلت هذه البيانات المنشورة أول دليل منظَّم على سياسة إلحاق الأضرار بمنظومة إنتاج الغذاء وتوزيعه. ولهذا السبب نعرض الأنماط الواردة فيها في هذا التقرير.

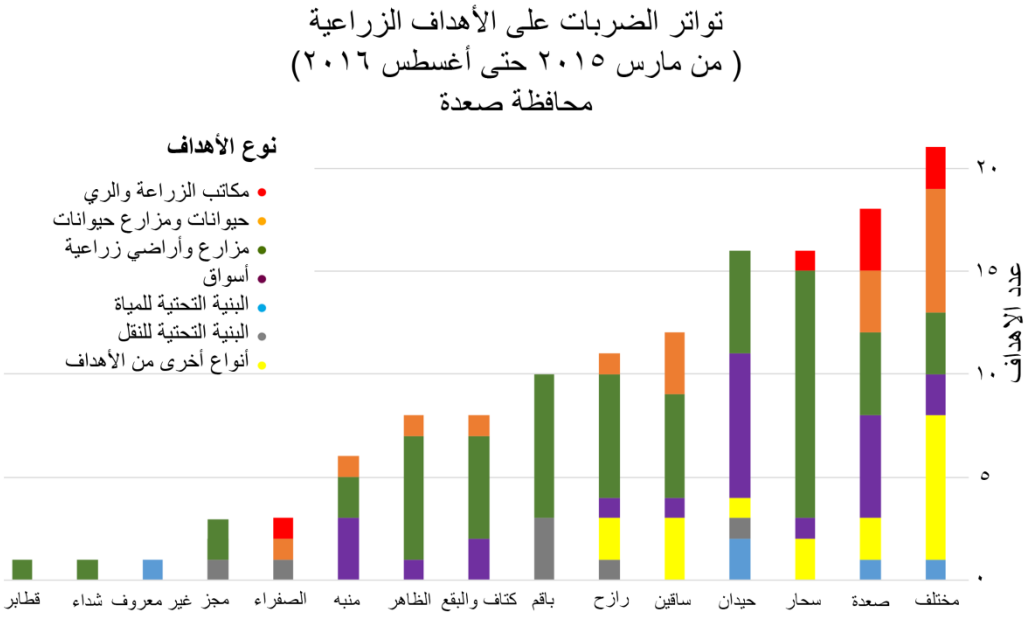

البيانات اصدرتها وزارة الزراعة والري، صنعاء
الشكل من إعداد س. غاريوس وم. موندي - ٢٠١٦

الرسم (٥): الأهداف الزراعية بحسب المديرية في محافظة صعدة المديرية في محافظة صعدة (وفقاً لبيانات وزارة الزراعة والري من مارس٢٠١٥ وحتى أغسطس ٢٠١٦)

1 -https://www.aljazeera.com/news/2015/05/yemenis-ordered-leave-saada-province-150508145754277.html

- اغتيال الزراعة: دراسة حالة في تهامة

ليس من الضروري في الواقع قصف الأراضي الزراعية وقطعان المواشي لإلحاق الضرر بالزراعة على نحو خطير. وكما ذُكر أعلاه، ركزت السياسة الزراعية خلال العقود الماضية على المحاصيل المطلوبة في السوق أكثر من التركيز على محاصيل الكفاف وقضت بتحويل أنظمة الري خدمة لهذا الغرض. بالتالي، استثمر المزارعون في أجزاء كبرى من البلاد في أجهزة ضخ المياه التي تعمل بالوقود[١]. ويواجه المزارعون منذ عام ٢٠١١ نقصاً في تموينات الوقود وزيوت المحركات وقطع الغيار وارتفاعاً في أسعارها، وما كان من الحرب إلا أن أدت إلى تفاقم هذا الوضع سوءاً أكثر من أي وقت مضى. كما تسببت هذه الظروف في زيادة تكلفة نقل المنتجات إلى الأسواق بشكل كبير.

على هذا النحو، انتشرت ظاهرة ضخ المياه الجوفية بالمضخات التي تعمل بالوقود في جميع أنحاء تهامة، خاصة في المناطق المنحدرة من الوديان الرئيسية، رغم أن تقنية الري السائدة تاريخياً في تلك الوديان تمثلت بتحويل مجرى الفيضانات بواسطة السدود والحواجز التي شيدها المزارعون.

منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين ووكالات التنمية الدولية بقيادة البنك الدولي تضغط من أجل إنشاء هياكل هندسية عملية دائمة لتحويل المياه. ولهذا الغرض، تعاونت مع وكالة إقليمية خاصة تأسست عام ١٩٧٣، هي الهيئة العامة لتطوير تهامة (TDA)[٢]. وقد أسهمت الأعمال الهندسية الناتجة من هذا التعاون في تعزيز قدرة ملاك الأراضي على مستوى "مصادر المياه" على تطوير مزارع الفاكهة المراعية لحاجات السوق (السوق السعودي وأسواق المدن اليمنية)، لكنها ولدت مع الوقت مشاكل متزايدة في الصيانة[٣]. وظلت مسؤولية إدارة الهياكل والمنشآت الرئيسية منوطة بهيئة تطوير تهامة.

١- شكل انخفاض منسوب المياه وعدم استقرار هذا التوسع على المدى الطويل مصدر قلق كبير في السنوات الأخيرة. ولم يكن هناك أي تنظيم قانوني حكومي ناهيك عن التقيد في مسألة ضخ المياه لعدة عقود قبل عام ٢٠١٥.

٢- انظر الاتفاقية المبكرة بين البنك الدولي للإنشاء والتعمير والحكومة اليمنية ممثلة للهيئة العامة لتطوير تهامة؛ متوفرة على الرابط:
https://documents.worldbank.org/curated/en/237371468328825300/pdf/Credit-0880-Yemen-Third-Tihama-Development-Project-Project-Agreement.pdf

٣- للاطلاع على النقاشات والقضايا المطروحة في مسألة الري بالغمر بالمياه، والمشاكل التي تطرحها تكنولوجيا الهياكل التحويلية المستوردة باهظة الثمن كهذه؛ انظر: https://www.fao.org/3/i1680e/i1680e.pdf

وكذا:

قصفت طائرات التحالف بشكل متكرر المجمع المركزي للهيئة العامة لتطوير تهامة على المشارف الجنوبية لمدينة الحديدة، في ١٨ أغسطس (أربع غارات) وفي ٢٤ أغسطس ٢٠١٥، ومن جديد في ٢٥ سبتمبر (إحدى عشرة غارة). كما جرى استهداف منشآت الري في مجمع الهيئة في وادي سهام بثلاث غارات جوية[١] في ٤ أكتوبر ٢٠١٥، ومجمع الهيئة العامة لتطوير تهامة في الوادي المذكور في ٦ أكتوبر بثلاث غارات[٢].

'Neither security nor sovereignty: the political economy of food in ، F. Pelat، A. al-Hakimi،M. Mundy Yemen' Ibid.

١- وثّق مشروع بيانات اليمن الضربات الجوية الثلاث (٢٨٤٣، ٢٩٥١، ٣٨٥٥). وتندرج الضربة الأولى ضمن قائمة وزارة الزراعة (٨) في الحديدة بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٥. ويلاحظ التالي: العديد من الهجمات على مبنى هيئة تطوير تهامة والوحدات الخدمية والسكن ومراكز البحوث ووحدات التدريب الإقليمية الزراعية، فضلاً عن تدمير المخازن، وتدمير ١٦ مبنى، وأضرار لـ٦١ منشأة؛ أما الضربة الثالثة فتتوافق مع (١٤) في قائمة الحديدة بتاريخ ٤ أكتوبر ٢٠١٥.

٢- وثّق مشروع بيانات اليمن الضربات الجوية: ٤١٢٣ و ٤١٧٠ (الهيئة في وادي سهام في ٦ أكتوبر ٢٠١٥). ويشير البند (١٩) في تقرير الوزارة بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠١٥ إلى عدة هجمات على مجمع مشروع وادي سهام دمرت ٦ مبانٍ.

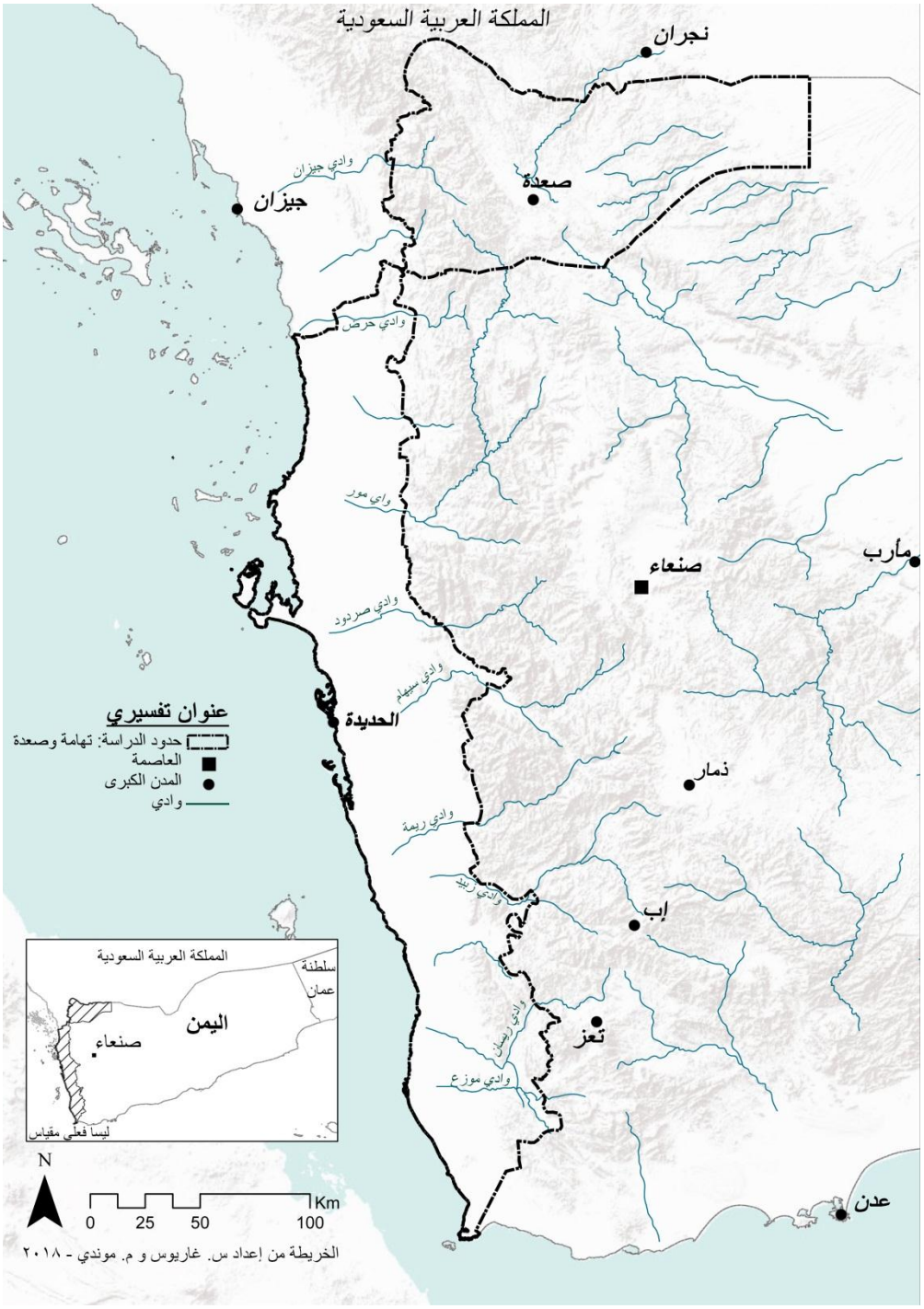

خريطة (٩): الوديان الرئيسية في تهامة

لا تبدو الهجمات على المنشآت في هيئة تطوير تهامة عشوائية. فقد وثق مشروع YDP أن هذه الهجمات استمرت بالفعل إلى ما بعد عام ٢٠١٥ مع وقوع حادثتين في أواخر عام ٢٠١٦ وثلاث في أوائل عام ٢٠١٧، بما في ذلك استهداف مكتب الهيئة في وادي زبيد[١].

وفي دراسة استثنائية لمنظمة "سبل العيش القائمة على الفيضانات" (FBLN)، قدمت المنظمة في تقرير تقييمي لها حول تأثير الحرب على الأمن الغذائي في منطقة تهامة: دراسة حالة وادي زبيد ووادي سهام (نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧)، توثيقاً لتأثير الحرب على المزارعين في الواديين الرئيسيين[٢]. وقد اعتمد التقرير على دراسات استقصائية أجريت في يونيو ٢٠١٧، أي بعد أكثر من عامين من بدء الحرب. ويركز الفصل الثالث من التقرير على الإنتاج الزراعي حيث يبدأ بوصف الانخفاض في الدخل الشهري للأسر، وهو انخفاض يتراوح بشكل عام بين ٧٣٪ و ٤٧٪ اعتماداً على ما إذا كانت الأسرة الزراعية تتلقى تحويلات مالية من أحد أفرادها العاملين خارج المزرعة[٣]. كما سُئل المزارعون عن العوامل التي ساهمت في انخفاض الدخل، وقد وردت إجابات الأسر التي تعيش على الزراعة في الجدول (٢-٣) من التقرير وتم استنساخها هنا[٤].

١- وفق بيانات الغارات الجوية بحسب مشروع بيانات اليمن (YDP): الغارة الجوية (٩٨٩٤) في ١٤ نوفمبر ٢٠١٦، و(١٠٤٧٩) في ٢٩ ديسمبر ٢٠١٦، و(١١٠١٢) في ٢٣ يناير ٢٠١٧، و(١١٤١٧) في زبيد (٤ ضربات) في ١٢ فبراير ٢٠١٧، و(١٢٠٩٥) في٢٤ مارس ٢٠١٧.

٢- تعاون مركز المياه والبيئة التابع لجامعة صنعاء ومركز ميتاميتا للبحوث في هذا البحث. ويتوفر موجزان إعلاميان على الإنترنت؛ الأول عن الزراعة:https://spate-irrigation.org/wp-content/uploads/2018/02/Briefing-Note-2---Food-Security-Copy.pdf والآخر عن الأمن الغذائي:
https://spate-irrigation.org/wp-content/uploads/2018/02/Briefing-Note-1---Food-Security.pdf

٣- **المرجع السابق**، ص ٣٤. كان النطاق أكبر عند تقسيمه حسب الوادي (زبيد أو سهام) والمنطقة (من أعلى إلى أسفل، وسط، أسفل المجرى)، من ٨٠٪ إلى ٤١٪.

٤- لسهولة القراءة، قمت بتقريب النسب المئوية كما هو موضح في الجدول (٣.٢) ص ٣٨ من التقرير.

آثار الحرب (الضرر الزراعي)	وادي زبيد	وادي سهام
النقص في المياه نتيجة تدمير المنشآت المائية (السدود والآبار والخزانات)	٥٪	٣٥٪
القصور في أداء المنشآت المائية بسبب نقص الصيانة	٣٢٪	٣٦٪
انخفاض المحاصيل نتيجة لارتفاع أسعار الوقود المستخدم في تشغيل مضخات المياه	٥٠٪	٥٨٪
نقص الدعم المالي وغيره من خدمات الإرشاد التي تقدمها الحكومة	٣٨٪	٣٧٪
زيادة أسعار المدخلات الزراعية الناجمة عن الحصار الاقتصادي	٤٠٪	٦٩٪
مشاكل في تسويق المنتجات الزراعية والحرفية	٢٢٪	٣٠٪
تدهور الإنتاج الحيواني	٤٨٪	٧٥٪

تقع على الهيئة العامة لتطوير تهامة مسؤولية تركيب منشآت الري وصيانتها (وهما المشكلتان ١ و ٢ اللتان ذكرتهما الأسر الزراعية)، والدعم والإرشاد الزراعي (المشكلة ٤)، وعلى الأرجح أيضاً مسؤولية الإنتاج الحيواني (المشكلة ٧ المتعلقة بالانهيار في الخدمات البيطرية خلال الحرب). من غير المعقول إذاً أن المستشارين العسكريين الأمريكيين والبريطانيين الذين يقدمون معلومات استخباراتية بشأن الأهداف إلى التحالف، لم يكونوا يعرفون مواقع الهيئة العامة لتطوير تهامة أو طبيعة أعمالها.

ونتيجة لهذه المشاكل، حدث انخفاض جذري في المناطق المزروعة وفي الغلة الناتجة من المحصول. وبشكل عام، انخفضت المساحة المزروعة إلى أكثر من النصف بقليل في الواديين. وانخفضت المحاصيل - بشكل عام - بنسبة ٤٢٪ بين المزارعين في وادي زبيد و٤٦٪ في وادي سهام بسبب نقص مياه الري في المقام الأول، وأيضاً لعدم وجود مدخلات أخرى. كما تعرضت المحاصيل ذات المردود النقدي إلى الدمار، لاسيما الفاكهة (المانجو والموز) في المناطق العليا، والسمسم والقطن والتبغ بكميات أقل، والخضروات (المعتمدة على تقنية ضخ المياه في الري) خاصة في المناطق المنحدرة، وهو ما يؤدي غالباً إلى التخلي عن مزارع الفاكهة. وقد ازداد التنافس داخل أنظمة الواديين على المياه الجوفية نظراً لاستخدام تقنية ضخ المياه (من أعماق ضحلة نسبياً) في المناطق الواقعة أعلى المجرى المائي للتعويض عن مشاكل الوصول إلى الري السطحي، وهو ما أدى إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية في المناطق الواقعة أسفل المجرى المائي. كما تم تدمير الإنتاج الحيواني حيث قامت الأسر المحتاجة ببيع الحيوانات وكذلك وجدت صعوبة متزايدة في النفاذ إلى الأسواق. وسعت معظم الأسر إلى زراعة مزيج من المحاصيل للحفاظ على التنوع ولكن في حيازات أصغر بكثير من السابق. وكانت الآثار

المترتبة عن ذلك بالنسبة إلى المحاصيل الأخرى (سلة الغذاء في اليمن) وإلى الأسر الزراعية نفسها مفجعة في عام ٢٠١٧ وذلك حتى قبل الهجوم على الحديدة في العام ٢٠١٨.

تشير مديحة كمال في إحاطتها الإعلامية عن الدراسة التي نشرت في ديسمبر ٢٠١٧[١] إلى أن الوضع في منطقة تهامة، التي اعتبرت يوماً مصدر القوت الأساسي في اليمن، كان على النحو التالي:

- ٤٣٪ من الناس يعانون الجوع كل ليلة.
- سبل المواجهة: طعام أقل بنسبة (٨٩٪) وبجودة منخفضة بنسبة (٧٢٪)؛ حرمان (٦١٪) من الأطفال من التعليم؛ استنفاد المدخرات الكاملة للفرد ومخزونه من الطعام (في ٥٠٪ من الحالات).
- انخفضت الأراضي المزروعة بنسبة ٥١٪
- انخفضت غلال المحاصيل لكل هكتار بين ٢٠٪ - ٦١٪
- تم القضاء على إنتاج الفاكهة والخضروات أسوة بالقضاء على الثروة الحيوانية (الماشية).

تبدو الظروف الحالية بالنسبة إلى مزارعي تهامة أسوأ بكثير مما كانت عليه في يونيو ٢٠١٧ وقت إجراء الدراسة. وليست هذه الظروف مجرد نتيجة ثانوية للحرب، بل إنها تشكل جزءاً من الحرب نفسها.

- الصيد الحرفي على ساحل البحر الأحمر:

لطالما كانت الركيزة الأخرى لإنتاج الغذاء في تهامة، صيد الأسماك. وبفضل تقرير صادر عن الهيئة العامة لصيد الأسماك في البحر الأحمر، تحت إشراف وزارة الثروة السمكية في صنعاء، وتقرير يستند إلى بحث ميداني أعده عمّار الفرِح، من الممكن استعراض صورة أكثر منهجية للأضرار التي لحقت بالقطاع مما استطاع الصحفيون أن يعرضوه إلى الآن[٢]. وبما أن تقرير الفرح سيصدر قريباً[١]، سأقتصر في ملاحظاتي على

1- https://spate-irrigation.org/yemens-burnt-granary/#more-6422

٢- للاطلاع على التقرير الصحفي المصور؛ انظر:

https://news.trust.org/slideshow/?id=e9672555-6f07-4f41-b510-ddb618548d4b

الإحصائيات المستخدمة هنا مأخوذة من: "تقرير عن القطاع السمكي في البحر الأحمر بعد ألف يوم من العدوان"، الهيئة العامة للمصايد السمكية في البحر الأحمر، يناير ٢٠١٨.

بعض الإحصاءات الواردة في تقرير الهيئة العامة لصيد الأسماك في البحر الأحمر مع تقديم خرائط تصف بعض عناصر البيانات. واستناداً إلى مجموعة متنوعة من المصادر (الصيادون والمصادر الحكومية والتجار)؛ يوثق الفرح الأثر الاقتصادي للحرب على كل من سبل عيش الصيادين وعلى سلة الغذاء في اليمن، حيث انخفضت حصيلة صيد الأسماك ومبيعاتها بما لا يقل عن ٥٠٪.

يغطي تقرير الهيئة العامة لصيد الأسماك في البحر الأحمر الأضرار المسجلة منذ بداية الحرب وحتى ديسمبر ٢٠١٧. كما يدرج قائمة بأسماء مائة وستة وأربعين صياداً قضوا في غارات جوية قادها التحالف مع ذكر مكان الولادة ومكان الوفاة في حالة كل شخص[٢].

وتوضح الخريطة (١٠) هذه البيانات الواردة في الدراسة المنشورة عام ٢٠١٧ (حيث تمثل النقاط الخضراء مكان الولادة، بينما تمثل المربعات الحمراء مكان الوفاة). وفقاً لما يظهر في الخريطة، تمتد الحوادث عبر الساحل والجزر.

ويقدم التقرير، وفقاً للأسلوب نفسه، جردة بالأضرار التي لحقت بمنشآت صيد الأسماك مع تقدير التكلفة للأضرار (غير مفصلة هنا)[٣]. وإذا ما قمنا برسم المواقع المدرجة في التقرير على أنها متضررة، يظهر جلياً أن كل منفذ لتفريغ الأسماك على طول الساحل قد جرى استهدافه. (انظر الخريطة ١١).

كما ويقدّم التقرير أيضاً تفاصيل حول نوع القارب وقيمته وموقع التدمير واسم المالك وعنوانه في حالة القوارب المائتين والعشرين التي جرى تدميرها[٤]. وفي الخريطة (١٢)، قمنا بدمج مواقع تدمير قوارب الصيد مع البيانات عن مكان وتاريخ الولادة والوفاة للصيادين.

إن الدمار المبيّن في الخارطة ها هنا دمار منهجي في طبيعته ونطاقه.

١- عمار محمد الفرح، تأثير الحرب المستمرة منذ مارس ٢٠١٥ على قطاع صيد الأسماك الحرفي في اليمن: دراسة حالة للمناطق الساحلية للبحر الأحمر، صنعاء، سبتمبر ٢٠١٨.

انظر:

https://eprints.lse.ac.uk/91022/1/Al-Fareh_The-impact-of-war_Author.pdf

٢- تقرير عن القطاع السمكي في البحر الأحمر بعد ألف يوم من العدوان، **مرجع سابق**، ص ١٣ - ١٨.

٣- **المرجع السابق**، ص ١٩ - ٢٠.

٤- **المرجع نفسه**، ص ٢١ - ٤٣.

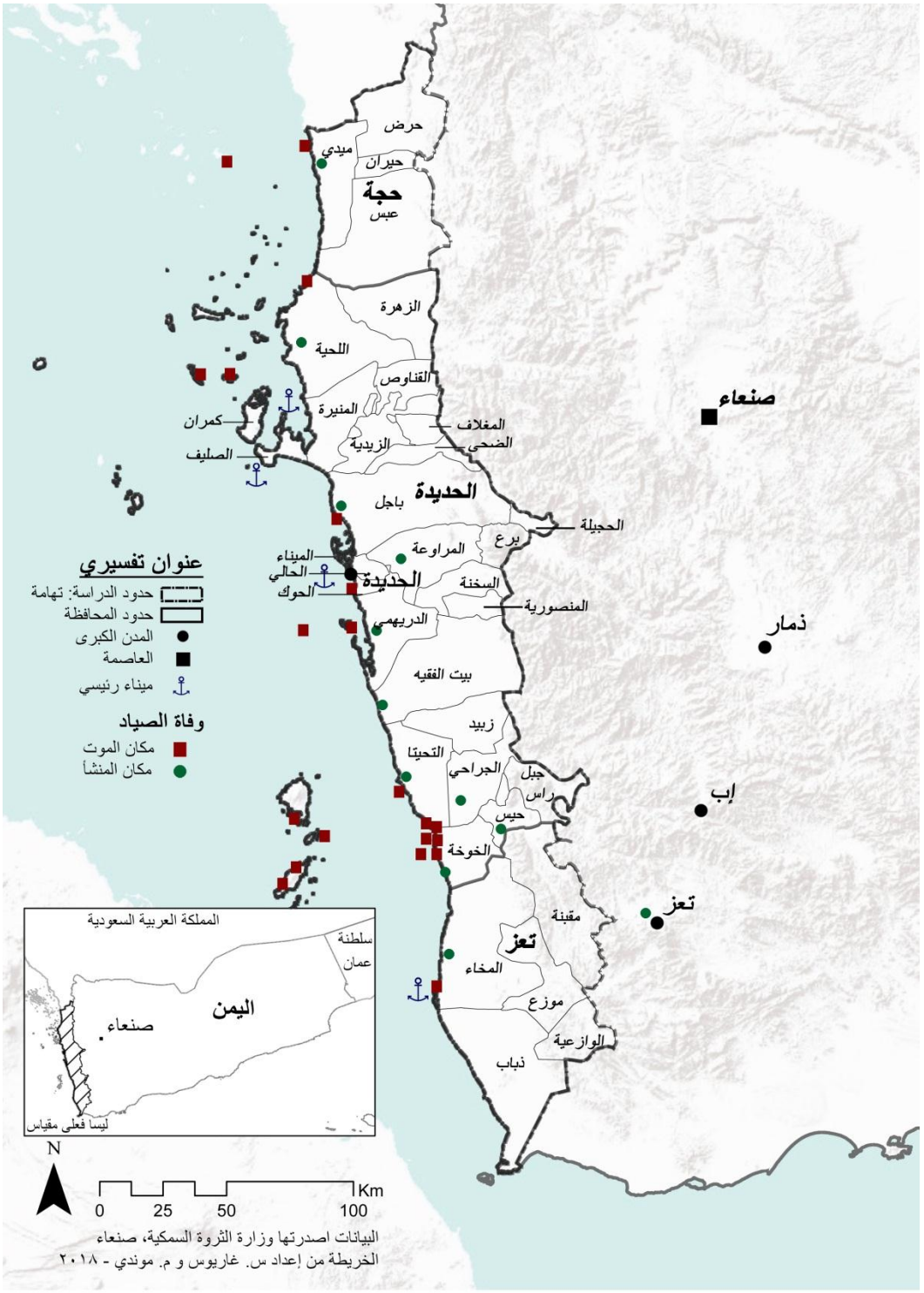

خريطة (١٠): أماكن الولادة والوفاة للصيادين (وفقاً لبيانات وزارة الثروة السمكية من مارس ٢٠١٥ إلى ديسمبر ٢٠١٧)

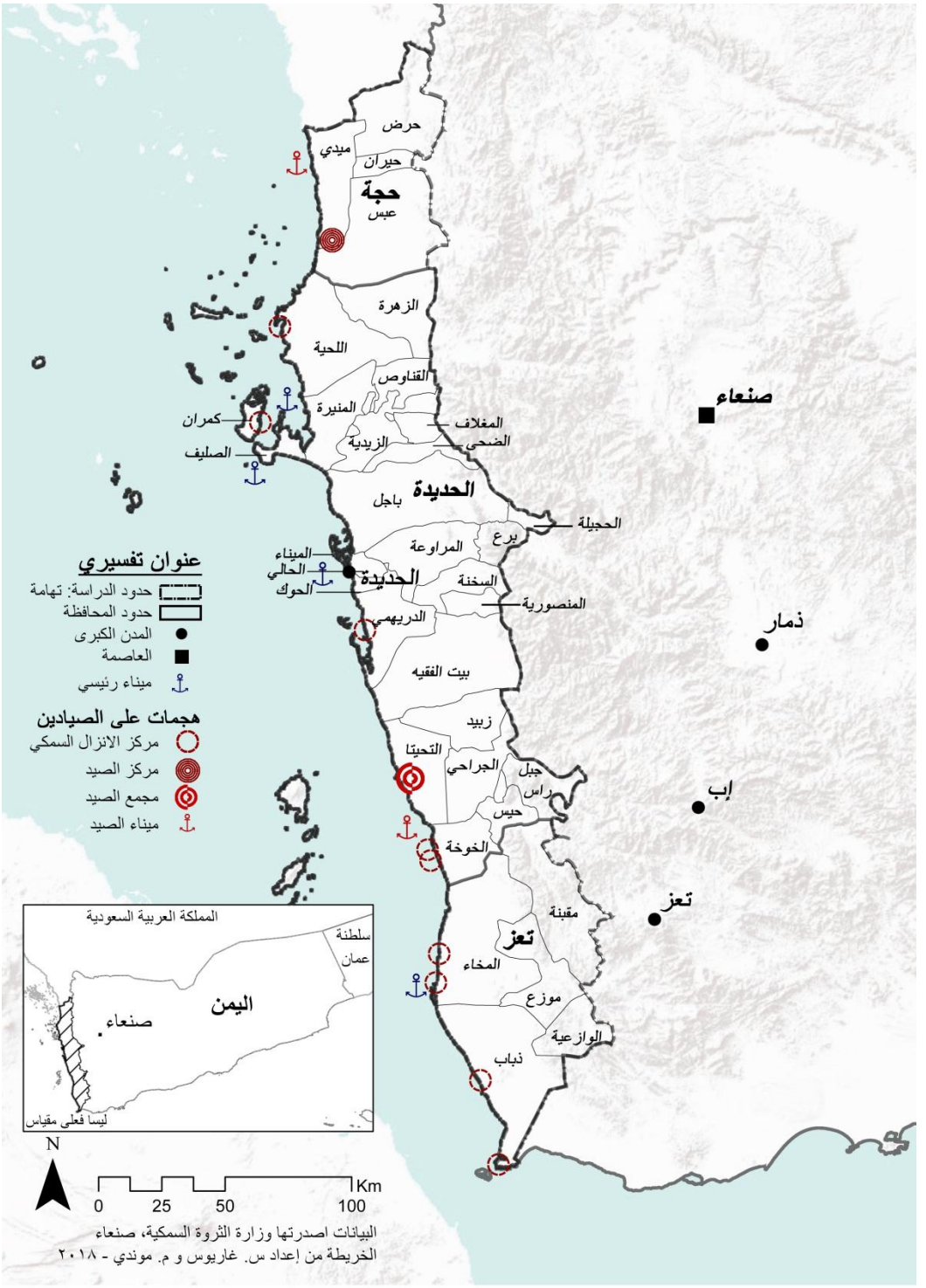

خريطة (١١): البنية التحتية لصيد الأسماك التي تم استهدافها (وفقاً لبيانات وزارة الثروة السمكية من مارس ٢٠١٥ إلى ديسمبر٢٠١٧)

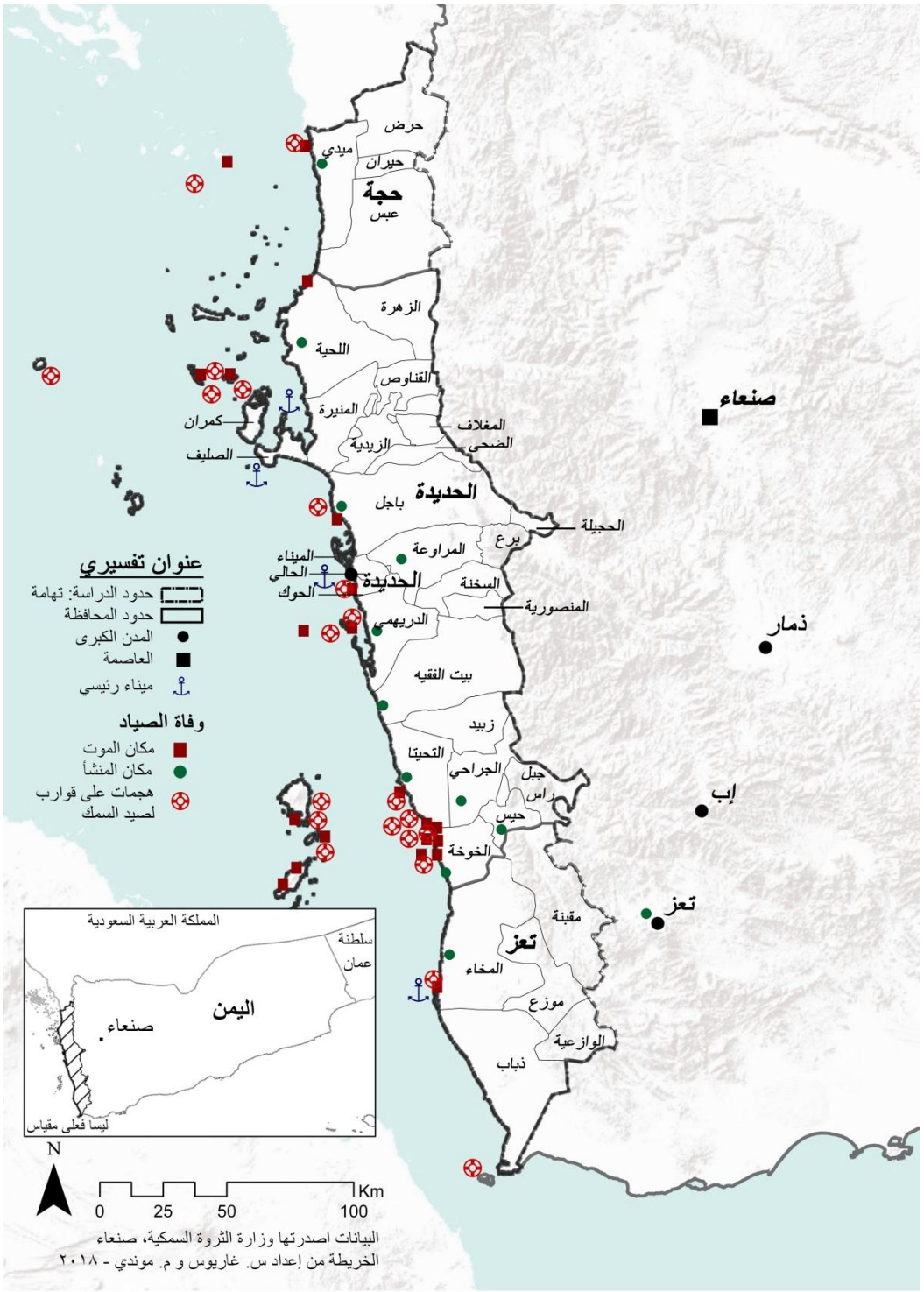

خريطة (١٢): الصيادون والقوارب المستهدفة (وفقاً لبيانات وزارة الثروة السمكية من مارس ٢٠١٥ إلى ديسمبر ٢٠١٧)

- الخاتمة:

إذا ما أضفنا الضرر الذي لحق بموارد منتجي الغذاء (المزارعون والرعاة والصيادون) إلى استهداف منظومة تجهيز الغذاء وتخزينه ونقله في المناطق الحضرية، وكذلك الحرب الاقتصادية الأوسع نطاقاً، فسنتوصل إلى دليل قوي على أن استراتيجية التحالف هدفت إلى تدمير إنتاج الغذاء وتوزيعه في المناطق الخاضعة لسيطرة صنعاء. وكما هو موضح أعلاه، أدت الحرب الاقتصادية، منذ خريف عام ٢٠١٦، إلى تفاقم الدمار المادي بهدف إحداث عجز شامل وجماعي في السبل الأساسية للعيش.

يعد التدمير المتعمد للزراعة الأسرية والصيد الحرفي جريمة حرب. كما أن اليمن والسعودية والإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا دول موقعة على البروتوكول الإضافي الأول لعام ١٩٧٧ الملحق باتفاقيات جنيف، والذي يقدم الحكم الأوفى في القانون الدولي الإنساني بشأن حماية الأشياء التي لا غنى عنها لصمود السكان المدنيين[١].

تنص المادة (٥٤) من البروتوكول الأول الملحق باتفاقيات جنيف على ما يلي:

١. يحظر تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب.

٢. يحظر مهاجمة أو تدمير أو نقل أو تعطيل الأعيان والمواد التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين ومثالها المواد الغذائية والمناطق الزراعية التي تنتجها والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وشبكاتها وأشغال الري، إذا تحدد القصد من ذلك في منعها عن السكان المدنيين أو الخصم لقيمتها الحيوية مهما كان الباعث سواء كان بقصد تجويع المدنيين أم لحملهم على النزوح أم لأي باعث آخر.

إذا لم تكن حرب التحالف في اليمن علامة على شطب المرجعية القانونية في الحرب، فسوف يتعين على القوى والمؤسسات الأخرى أن تشكك في غطاء "الشرعية" الذي يتدثر به التحالف حتى الآن بدعم ومباركة أعلى هيئة قانونية في العالم، وهي مجلس الأمن الدولي. وإذا كان لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤١٧ (٢٤ مايو ٢٠١٨)[٢]، الذي يدين تجويع المدنيين في وقت الحرب، من تأثير متوخّى، فمن الضروري أن يضع مجلس الأمن ودول

١- الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ليستا من الدول الموقعة على البروتوكول.

2- https://www.un.org/press/en/2018/sc13354.doc.htm

الأعضاء حداً لمثل هذه الجرائم في اليمن والتحقيق فيها والدعوة إلى محاسبة المسؤولين عن ارتكابها.

* مارثا موندي، أستاذ فخري في الأنثروبولوجيا في كلية لندن للاقتصاد وعضو مؤسس لجمعية الثمار البحثية (www.athimar.org). أجرت مارثا أبحاثاً ميدانية وأرشيفية في اليمن والأردن وسوريا ولبنان، وكتبت حول قضايا في أنثروبولوجيا القانون وعلم الاجتماع المقارن للنظم الزراعية وأنثروبولوجيا القرابة والأسرة.

** مؤسسة السلام العالمي، هي مؤسسة عاملة تابعة لمدرسة فليتشر بجامعة تافتس. تهدف المؤسسة إلى توفير القيادة الفكرية في قضايا السلام والعدالة والأمن. وتؤمن المؤسسة بأن البحث المبتكر والتعليم لازمتان ضروريتان لتحديات صنع السلام في جميع أنحاء العالم، ويجب أن يسيرا جنباً إلى جنب في مناصرة أصعب القضايا ومعالجتها.

تعز: رهينة الإرهاب وفشل قوى اليسار

إدريس الشرجبي
كاتب وباحث سياسي - عضو الهيئة الاستشارية للمجلة

مقدمة:

ما الذي حدث ويحدث في محافظة تعز؟ وما هي حقيقة الصورة؟ من هي القوى المتصارعة في هذه المحافظة؟ وكيف تمكنت هذه القوى من السيطرة على مدينة تعز؟

قبل الإجابة على هذه التساؤلات، سنلقي الضوء على بعض الملامح المتعلقة بالشخصية الجغرافية والحضارية لمدينة تعز، حيث تشكل تعز بحق الخاصرة الاستراتيجية للجغرافيا اليمنية؛ إذ تمثل حلقة ربط جغرافية استراتيجية بين المحافظات الشمالية والمحافظات الجنوبية، كما تربط الساحل التهامي بالهضبة والجبل في العمق اليمني. ولذلك، وعبر مراحل مهمة من تاريخ اليمن، لم يكن اختيار تعز كعاصمة لليمن اعتباطاً، فقد كانت عاصمة لليمن لأكثر من (٣٠٩) أعوام منذ عهد الدولة الصليحية وفي ظل الدولة الرسولية (١٢٢٩م - ١٤٢٤م).

كما أن الموقع المتميز لمدينة تعز وقربها من السواحل جعلها على الدوام في قلب الخيارات الجيوستراتيجية الصعبة، وهو ما يمكن إدراكه من خلال قراءة الوقائع التاريخية التي تؤكد أنه في أغلب الأحوال التي كانت تسقط فيها تهامة وتخضع عنوةً للغزاة، كان ذلك يعني أن مدينة تعز ستكون عرضة للهجمات العسكرية بما لذلك من انعكاسات بالغة السلبية على مسار نمو وتطور المدينة عبر التاريخ، فقد لحقت وحاقت بها عوامل التدمير والتخريب جراء الحروب التي خاضها فيها وحولها فرقاء الصراع الحربي والسياسي الخارجيين والداخليين في مراحل تاريخية مختلفة. وقد تحولت تعز إلى مدينة ثانوية حتى نهاية الوجود الاستعماري العثماني الثاني عام ١٩١٨م، حيث تعرضت

طوال هذه المراحل لانحسار وظيفي حاد، الأمر الذي يفسر تناقص عدد المساكن بها إلى حوالي (٨٣٠) مسكناً في عام ١٩١٨م. لكن تلك الحالة تغيرت لاحقاً ببدء مرحلة جديدة من تاريخ اليمن المعاصر، حيث كانت نقطة البداية في العام ١٩٤٨م حين عادت تعز لتحتل مكانتها المركزية كعاصمةٍ لليمن حتى العام ١٩٦٢م إبان حكم الإمام أحمد يحيى حميد الدين. وخلال هذه المرحلة شهدت المدينة انتعاشاً جزئياً تبدت ملامحه في خروجها من سورها ومرحلتها التكوينية لتصبح مساحتها في هذه المرحلة (٣٥٠) هكتاراً بدلاً عن مساحة (٨١) هكتاراً التي كانت عليها عام ١٤٥٤م.

خلال الفترة (١٩٦٣م - ١٩٩١م) توسعت مدينة تعز لتصل مساحتها نهاية عام ١٩٩١م إلى حوالي (٢٥٧٥) هكتاراً، ومن ثمّ إلى مساحة بلغت حوالي (٣٢٠٠) هكتار في العام ٢٠٠٠م، وإلى حوالي (٤٠٠٠) هكتار في أوائل عام ٢٠٠٥م. لقد خرجت مدينة تعز عن وصاية الجبل الأبوية والأسوار العتية، وانساحت لتمثل نطاقاً يقارب (١٢ – ١٤) كيلو متراً في الاتجاه الشمالي والغربي، بما في ذلك النمو في اتجاه طريق الحديدة إلى الغرب، وطريق التربة جهة جنوب غرب، وطريق صنعاء إلى الشمال الشرقي، وطريق صالة في الجنوب الشرقي، و (٨ – ١٠) كيلو متر باتجاه شمال جنوب، والنمو كذلك باتجاه طريق العدين الواقعة إلى الشمال، وجنوباً في جبل صبر وحتى المجلية التي تعد جزءاً من المدينة، بالإضافة لاتجاه النمو جنوب مطار تعز[1].

خلال هذه المرحلة ظلت تعز "الحالمة" عاصمة للثقافة، وتلعب دوراً رئيسياً في تشكل الوعي الثقافي والوطني. كما احتضنت تعز العديد من القيادات التاريخية للتنظيمات والأحزاب السياسية الوطنية والقومية، وشكلت الساحة الرئيسية لمعسكرات التدريب والإمداد لمواجهة الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن، وشهدت العديد من الأحداث والفعاليات الوطنية خلال تاريخنا المعاصر.

أما عن المشهد اليوم في مدينة تعز المتزامن مع العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي، فيمكن وصفه بأنه مشهدٌ كارثيٌ مدمر فاق في آثاره وتداعياته كل ما لحق بهذه المدينة من خراب ودمار خلال الحروب التي دارت فيها منذ الاستعمار العثماني الأول لليمن، ولما يقارب فترة مائتي عام بعد انسحاب ذلك الاستعمار. ومن بين ثنايا هذا

١- اقتباس بتصرف من:

فيصل سعيد فارع، **فرادة المكان وعظمة التاريخ**، تعز، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، ٢٠١٢م.

المشهد الراهن في مدينة تعز، سنحاول في النقاط الآتية تقديم الإجابة عن التساؤلات الواردة آنفاً.

١- ما الذي حدث في تعز؟

إجمالاً، يمكن القول إن ما حدث في تعز يعد انقلاباً على كل القيم الثقافية والحضارية لهذه المدينة. فكيف سقطت عاصمة الثقافة والوعي بيد قوى العمالة والخيانة؟ لعله أمرٌ من الصعب فهمه، إذ كيف يمكن أن نفهم تلك الأصوات التي ترددت في الحالمة تعز لترحب بالعدوان الصهيو - أمريكي السعودي الإماراتي؟! وبمشاركة قيادات تنتمي لأحزاب وطنية وقومية ويسارية. كان جل تاريخهم النضالي في صف مواجهة هذه القوى الاستعمارية والرجعية! كيف أمكن لكل أولئك نسيان اغتيال الشهيد الحمدي واغتيال مشروعه الوطني! وعلى وجه الخصوص كيف أمكن للقيادات الناصرية نسيان ذلك وكيف تناسوا شهداء حركة ١٥ أكتوبر التي كانت تهدف لتخليص البلاد من الهيمنة السعودية وتحقيق حرية واستقلال القرار الوطني؟!

إن ما حدث في تعز كان نتيجة مخطط رُسم بخبث ونفذته قوى إجرامية حاقدة وظفت كل الأحقاد التي صنعها وأحدثها نظام علي صالح ابان حكمه، حيث تم مخطط السيطرة على مدينة تعز من خلال إخضاع المدينة وسكانها بالإرهاب والقتل وإثارة الفتنة الطائفية وتجريف الهوية اليمنية، واغتيال رمزية المكان والتاريخ النضالي المواجه للاستعمار والرجعية.

لم تشهد هذه المحافظة في كل تاريخها التعصب المذهبي، فقد كانت عاصمة لكل اليمنين على مدى أكثر من (٣٢٧) عاماً، فقد كانت عاصمة صليحية ورسولية وزيدية، عاصمة احتضنت أبناء اليمن بكل مذاهبهم الدينية، شُيدت فيها المدارس والمساجد في وقت مبكر، وانفتح أبناؤها على كل المعارف والمذاهب التي دُرست في تلك المدارس باختلافها، فكانت المدرسة السيفية في تعز والتي تعتبر أول مدرسة نظامية في اليمن أنشأها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، والمدرسة الأتابكية، والمدرسة الأشرفية، والمدرسة الرشيدية والمدرسة الأحمدية، وكان هناك جامع الجند وجامع الأشرفية وجامع المظفر، وظل أبناء تعز منفتحين على كل المذاهب، يتعاطون معها بكل احترام، ولا أغالي إذا ما قلت إن معظم سكان تعز الذين يسكنون الأرياف لا ينسبون أنفسهم إلى مذهب وإن كانوا يصنفون كشوافع، إلا إن غالبيتهم يعتدُّون بإسلامهم دون تحيز لهذا

المذهب أو ذاك، خصوصاً أن الفروقات بين المذهب الزيدي والشافعي ضئيلة، ولا تظهر أي فروقات بشكل واضح إلا لدى أهل الاختصاص أو المتعلمين، وما عداها من فروقات فهي شكلية لا تتعدى الإرسال والجهر بآمين و حي على خير العمل.

من هذه المدينة أمكن لبعض من سكنها - وسكنته هي - من كافة أرجاء الوطن اليمني، أن يكون حاضراً وفاعلاً في الحراك السياسي الذي قاد إلى دخول اليمن برمتها إلى عتبات العصر الحديث إثر ثورتي السادس والعشرين من سبتمبر والرابع عشر من أكتوبر المجيدتين.

لقد كانت تعز بمثابة الحضن والحصن لكافة الحركات والقوى السياسية الوطنية والقومية، فكيف لهذه المحافظة بكل تاريخها القائم على التسامح والتعايش وتاريخها النضالي في مواجهة الامبريالية والرجعية أن تقع رهينة بيد قوى تكفيرية وارهابية؟!

في واقع الحال، لقد قام العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي الحاقد باستخدام أدواته من حزب الاصلاح "حزب الإخوان المسلمين في اليمن"، وجنّد في سبيل ذلك قيادات ناصرية ويسارية لاغتيال رمزية المكان لمدينة تعز والتاريخ النضالي للقوى السياسية الوطنية والقومية. نعم، لقد أراد العدوان أن ينتقم من كل قادة حركات التحرر القومية واليسارية، وكأنه يقول لهم: هنا في تعز نشأت تنظيماتكم الثورية، وهنا سوف أدفن ماضيكم الثوري التحرري الوطني والقومي، وسوف أحول مدينتكم الحالمة عاصمة الثقافة إلى مدينة للقتل والسحل والإرهاب.

لقد كان يوم الأحد، السابع عشر من أغسطس ٢٠١٥م، هو الموعد الذي اختاره مرتزقة العدوان لإطلاق مارد الإرهاب لإخضاع تعز وأبنائها وترهيبهم، وقرر أولئك المرتزقة أن يكون وسط مدينة تعز القديمة هو المسرح لهذا المشهد، أمام مئات المدنيين البسطاء من أبناء الحالمة تعز، حيث بدأ المشهد كما أراد مخرج هوليوود الداعشي أن يكون:

- الناس تقترب من بعضها في حالة من الذهول، تلتصق أجساد المحتشدين ببعضها حول حلقة في وسط الساحة.

- هناك في المنتصف.. "مشهد مروع مقزز تنخلع له الأفئدة"، المشهد مروعٌ يزرع الرعب في القلوب.

- الشيطان كان هناك يلعب الدور الرئيسي في المشهد، كانت رائحته المقززة والكريهة في كل أرجاء المكان.. كانت جثث ملطخة بالدماء ومقطعة ومُمَثلٌ بها ومعلقة، أيادي مقطعة وجثث عارية تم سحلها في شوارع المدينة....

- من هؤلاء..؟!

- وما ذنبهم..؟!

- كان الجواب من أحد التكفيريين الذي كان يحمل سكيناً ملطخاً بالدم، قائلاً: هؤلاء هم الحوفاش "الحويثة" وكل من تسول له نفسه الوقوف معهم سيكون ذلك مصيره!!

في المشهد المقابل، كان الغضب العارم يسود الشارع اليمني الذي يحاول مغادرة حالة الذهول والصدمة التي ضربت جذوره القيمية والعقدية والتاريخية والإنسانية إثر الجريمة المروعة التي ارتكبها مرتزقة السعودية من عناصر داعش والقاعدة بقيادة العميل الخائن لوطنه حمود المخلافي، والتي استهدفت المدنيين والأسرى بإحراقهم أحياء والتعزير بجثثهم وسحلها في الشوارع وتعليق جثثهم لتكون نهباً لسكاكين إجرامية تقطع أعضاءهم وأطرافهم.

أكثر من (١٦) مدنياً وأسيراً من أبناء محافظة تعز قامت عناصر داعش والقاعدة الموالية للعدوان السعودي بذبحهم والتنكيل بهم والتمثيل بجثامينهم وتعليقها في الشارع العام في جريمة اهتزت لها مشاعر وضمائر الشارع اليمني بمختلف فئاته لما مثلته من انحلال قيمي وأخلاقي وسقوط لمرتكبيها من بشريتهم إلى مستنقع الحيوانية المطلقة التي لا تحترم هوية شعب اليمن ولا تضع معياراً لأخلاق الحروب ومبادئ التعامل مع الأسرى.

لقد تجمع مئات المواطنين من أبناء تعز في ذلك اليوم المشؤوم أمام مشهد وحشي لعدد من المدنيين من بيت الرميمة والشامي وعائلات أخرى وبعض الجنود الأسرى الذين كانوا يضطلعون بمهمة حماية مؤسسات الدولة في مدينة تعز، حيث تم سحلهم خلف دراجات نارية، إضافة إلى تعليق جثمان أحد هؤلاء الأسرى (ضيف الله الشامي) في منصة عامة بالشارع، وانهالت عليه أيادٍ بربرية لا تحمل ذرة من إنسانية لتقطيع بعض أطرافه وتشريح جسده، إضافة كذلك إلى إحراق أجساد بعض هؤلاء الأسرى وتركها في الشارع العام تتفحم أمام المارة جميعاً.

هذه الجرائم التي نفذتها عناصر القاعدة وداعش في مدينة تعز لم تقتصر على استهداف ما تعتبره خصماً عسكرياً، بل امتدت سكاكينها القذرة إلى رقاب المدنيين في عملية إبادة جماعية وقتل بالهوية لأكثر من (٢٤) مواطناً من بيت الرميمة في قرية (حدنان) وأسر أكثر من ٣٠ آخرين، ولم تستثنِ هذه الجرائم الأطفال والنساء والمسنين.[١]

سواءٌ كانت عناصر داعش قد جاءت من خارج محافظة تعز - وفقاً لشهادة قيادات فيما يسمى "المجلس العسكري لمقاومة تعز" ومنها ما تحدث به قائد اللواء ٣٥ (العميد عادل الحمادي) - أم كانت عناصر من أبناء تعز تم دعشنتها، فهي في نهاية المطاف صنيعة العدوان وأدواته الارهابية المحلية من حزب الإصلاح المدعوم من السعودية وجماعة "أبو العباس" السلفية المدعوم من الإمارات.

بصفةٍ عامة، هل يمكن لكل الأحزاب السياسية التي أيدت العدوان وشاركت في إسقاط مدينة تعز أن تجيب على الأسئلة المحيرة التي أثارها الدكتور عبدالعزيز الرميمة، أحد الناجين من سكين داعش، وهو رجل سياسة ذو عقل وفكر ووجاهة وعضو في الحزب الاشتراكي وقف ضد العدوان وناضل ضد التكفيرين؛ إذ ورد على لسانه قوله: "كنت محاصراً في قريتي وأنا أتابع التلفاز .. رأيت الدواعش يتفاخرون بتفجير منازل في حدنان بمن فيها من نساء وأطفال ورجال.. تمعنت قليلاً لأجد هذه المنازل.. منازل في أطراف قريتي.. وهذا التفجيري ابن عزلتي.. كان هذا التفجيري يتغنى في موت أسرتي قائلاً: فجرنا بيت العفاشي الحوثي عبد العزيز.. أطبقت الدنيا نكبتها على صدري.. ذلكم كانوا أبنائي وزملائي.. كان أبي معلماً واخواني معلمين للمديرية، وكنت معلماً لهم ورفيقاً وأباً.. وأولادي كانوا أصدقاءهم.. ما الذي حدث؟"

٢- الإخوان في مواجهة محافظ تعز (شوقي هائل):

عقب الاستفتاء الشعبي في ٢١ فبراير ٢٠١٢م على الرئيس التوافقي (عبدربه منصور هادي) لمدة عامين، أصدر هادي في إبريل ٢٠١٢م حزمة من القرارات الرئاسية التي قضت بتغييرات وتعيينات جديدة شملت المؤسسة العسكرية ومحافظي محافظات وعدد من المناصب الهامة. وقد أحدثت تلك القرارات ردود أفعال داخلية متباينة وتوتر سياسي عاصف بوصفها قرارات أحادية ولم تخضع للتوافق وصبت في صالح قوى الانشقاق داخل

١- إبادة جماعية لأسرة آل الرميمة وسحل جثث المدنيين في شوارع تعز، موقع يمانيون؛ متوفر على الرابط:
https://www.yamanyoon.com/?p=11736

الجيش اليمني بقيادة الجنرال "الإخواني" على محسن الأحمر وكذا أحزاب اللقاء المشترك وفي مقدمتها "حزب الإخوان في اليمن" حزب الإصلاح. حيث تم في الصدد ذاته تعيين سلطان مبخوت العرادة القيادي في حزب الإصلاح محافظاً لمحافظة مأرب وعلي بن علي القيسي القيادي "الإخواني والمقرب من علي محسن الأحمر" محافظاً لمحافظة حجة. وكان حزب الإصلاح يطمع أيضاً في الاستحواذ على محافظة تعز، ولذلك سارعت بعض قياداته إلى تقديم شكوى إلى الرئاسة ضد محافظ تعز شوقي هائل، وعندما رفضت تلك الشكوى، صعد حزب الإصلاح من الحرب الرسمية و الاعلامية ضد المحافظ، خاصةً بعد إصداره عام ٢٠١٣م لقرار قضى بتكليف الدكتور توفيق حسن سعيد القرشي مديراً عاماً لمكتب الصحة والسكان بالمحافظة، وقرار آخر قضى بتكليف عبدالعزيز سعيد عبده قاسم المخلافي مديراً عاماً لمكتب التربية والتعليم بالمحافظة، وذلك بناءً على النتائج النهائية للمفاضلة المعلن عنها في الصحف الرسمية، ووفقاً للآلية التي تم اعتمادها بشأن إخضاع الوظائف القيادية بالمحافظة لمعايير الكفاءة والمنافسة بعيداً عن المحاصصة والتقاسم الحزبي[١].

لقد واصل حزب الإصلاح التصعيد بتنظيم مسيرات مسيئة للمحافظ شوقي أحمد هائل سعيد، حيث ردد المشاركون في تلك المسيرات عبارات بذيئة وخارجة عن الذوق العام ولا تتناسب مع ادعاء حزب الاصلاح للفضيلة والقيم والأخلاق. وقد لاقت تلك المسيرات التي لم يتجاوز عدد المشاركين فيها الـ ٤٠٠ مشارك استهجان واستياء أبناء محافظة تعز. كما ذكر مصدر في اللقاء المشترك أن بقية أحزاب اللقاء المشترك رفضت رفضاً قطعياً توجه حزب الإصلاح نحو إثارة الفوضى في المحافظة، وأشار المصدر إلى تصريح أمين سر التنظيم الناصري (رشاد الأكحلي) الذي نفى فيه صحة الأخبار التي نشرتها وسائل إعلام الإصلاح، والتي قالت فيها إن أحزاب المشترك قررت إسقاط محافظ تعز، وأضاف المصدر أن اللقاء الذي عقد بديوان عام المحافظة بين اللقاء المشترك والمحافظ كان ايجابياً بالنسبة لبقية أحزاب المشترك، إلا أن حزب الإصلاح له مطالب

١- **واصل تنظيم مسيرات مسيئة لمحافظ تعز.. حزب الاصلاح يواصل العبث بالسلم الاجتماعي**، موقع مركز معلومات محافظة تعز؛ متوفر على الرابط:

https://www.taizgov.com/new/2014-04-14-08-56-05/14-sample-data-articles/964-2013-01-17-08-43-53.html

ومطامع تتعلق بالاستيلاء على المكاتب الحكومية وهو مالم يمكنه شوقي هائل، مؤكداً على أن الإصلاح أصبح يلعب بأوراق العسكريين والشهداء[١].

مع نهاية عام ٢٠١٤م كان حزب الإصلاح مستمراً في التصعيد واثارة الفوضى بالمدينة إلى الحد الذي شكل خطراً على السلم الاجتماعي بالمدينة، ووصل الأمر حد قيام عناصر حزب الإصلاح بقطع الطرقات وارتكاب جريمة اختطاف ابن أخ المحافظ. وقد ظهر محافظ تعز شوقي هائل معلقاً على حادثة الاختطاف تلك في حديث متلفز قال فيه: "لن أخضع للابتزازات، وحادثة اختطاف ابن أخي زادتني عزيمة". كما أكد أنه لن ينصاع لمطالب حزب الإصلاح[٢]. وفي نهاية عام ٢٠١٤م أيضاً رفض محافظ تعز شوقي هائل السماح لمسلحي أنصار الله بدخول المحافظة أو تشكيل "اللجان الشعبية". وأشار هائل في كلمة له خلال اجتماع موسع للقيادات الحكومية والحزبية والاجتماعية بالمحافظة، إلى تدهور الأوضاع الأمنية في العاصمة صنعاء وإلى الهجمات والتفجيرات التي حصلت في ظل سيطرة أنصار الله "الحوثيين" على العاصمة وتوليهم مسؤولية الأمن فيها. وفي الاجتماع ذاته، حمل قيادي في جماعة أنصار الله السلطات المحلية والأمنية في محافظة تعز مسؤولية حماية أنصار جماعته، وهدد بتدخل جماعته في حال حصول أي فراغ أمني في المحافظة. إلا أن محافظ تعز كان قد أدرك متأخراً بأن تعز باتت رهينة للإرهاب وأنه لم يعد أمامه من خيار إلا أن ينجو بجلده، ففي ١٥نوفمبر ٢٠١٥م أعلن استقالته النهائية من منصبه، حيث جاء فيها: "نظراً لظروفي الصحية والأسرية واضطراري للانتقال والاقامة خارج الوطن، وارتباطاتي مع مجموعة هائل سعيد أنعم وشركاه، فإنني أضع استقالتي النهائية بين يدي فخامتكم مرة آخرى، آملاً التكرم بقبولها واعفائي من منصبي فوراً"[٣].

١- **حزب الإصلاح يصعد من حربه ضد محافظ تعز ويستعين بوزرائه في حكومة الوفاق**، موقع يمنات الاخباري؛ متوفر على الرابط:
https://www.facebook.com/yemenat/posts

٢- **تقرير لقناة اليمن اليوم**؛ متوفر على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=c6i77-yWaVc

٣- **محافظ تعز شوقي هائل يقدم استقالته النهائية للرئيس هادي (نص الاستقالة)**، موقع يمن برس؛ متوفر على الرابط:

٣- أنصار الله يعرضون الانسحاب من تعز والإصلاح يرفض:

قبل أن يشن العدوان غاراته وتحديداً في ٢٠ مارس ٢٠١٥م صدر عن اللجنة الأمنية بمحافظة تعز بيان وصف بأنه هام، حيث قالت اللجنة الأمنية في ذلك البيان أن: "أي تعزيزات عسكرية ستصل إلى المحافظة من أي جهة قد يقابله تصرف مماثل من الجهة الأخرى، وهو ما سيجعل المحافظة ساحة للاقتتال وتصفية الحسابات والزج بها في أتون فوضى لن تخدم أحداً". ولذلك أقرت اللجنة الأمنية بالمحافظة في اجتماعها الاستثنائي منع دخول أي تعزيزات عسكرية أو أمنية أو مدنية إلى المحافظة من أي جهة، ووجهت جميع الوحدات الأمنية والعسكرية باتخاذ الاجراءات الأمنية لتنفيذ ذلك القرار حفاظاً على حالة الأمن والاستقرار والهدوء الذي تعيشه المحافظة، وحملت اللجنة الجهة التي سترسل أي تعزيزات إلى المحافظة كامل المسؤولية.

لكن في واقع الحال، ذلك الموقف المحايد لم يتحقق، فقد أعلن حزب الاصلاح وقوفه مع العدوان بشكل واضح من خلال البيان الصادر عن الأمانة العامة للتجمع اليمني للإصلاح في ٢ أبريل ٢٠١٥م، وقد مثل ذلك البيان تدشيناً لاختطاف حزب الإصلاح لمدينة تعز. وفي ١٧ أبريل قصفت الغارات الجوية مواقع عسكرية لقوات الحرس الجمهوري وأنصار الله داخل مدينة تعز وحولها، وتصاعدت بذلك وتيرة المواجهات. وفي سبيل تجنيب المدينة الخراب وفي سبيل حقن الدماء قدمت العديد من المبادرات، ففي كلمة لعضو اللجنة الثورية (طلال عقلان) كشف بأن أنصار الله تقدموا بمبادرة قام حزب الإصلاح بإجراء تعديلات متعاقبة عليها، وفي كل مرة كانت قيادة أنصار الله توافق على تلك التعديلات، وفي آخر تعديل طلب حزب الإصلاح مغادرة عناصر أنصار الله من أبناء تعز محافظة تعز! وتمت الموافقة على ذلك في سبيل تجنيب تعز، ثم طالبوا بتعديل آخر وهو ضرورة انسحاب كتيبة القوات الخاصة التي كانت قد نزلت من صنعاء إلى تعز، وتم القبول بذلك أيضاً لتجنيب تعز الحرب والاقتتال، وعندما أبدى أنصار الله استعدادهم التوقيع على المبادرة أبلغوا برفض حزب الإصلاح للمبادرة، وعند الاستفسار عن الأسباب التي جعلتهم يتراجعون عن التوقيع على المبادرة قالوا إن هناك اتفاق مع السعودية وأنهم لا يمكن أن ينقضوا هذا الاتفاق. وقد اعترف حمود المخلافي في مقابلة أجرتها معه قناة (الجزيرة) بأن أنصار الله وافقوا على الانسحاب وطلبوا أن يوقع حزب الإصلاح على

https://yemen-press.com/news61654.html

المبادرة إلا أن حزب الإصلاح رفض، كما كرر تلك الاعترافات في مقابلة أخرى مع مجلة (القدس العربي)[١].

في ٣٠ أبريل ٢٠١٥م باشرت مليشيات الإصلاح التحرك داخل مدينة تعز، واندلعت المواجهات في أحياء المدينة تحت مسمى "المقاومة الشعبية" بقيادة (حمود سعيد المخلافي) أحد عناصر حزب الإصلاح في مواجهة قوات الجيش واللجان الشعبية، وظهرت عناصر إرهابية من تنظيم القاعدة تقاتل إلى جانب حزب الإصلاح وبتغطية وقصف جوي من قبل طائرات تحالف العدوان. ومنذ منتصف يونيو ٢٠١٥م ارتفعت وتيرة التحشيد من قبل مرتزقة العدوان على قرية الصراري والقرى المجاورة لها، وانتشرت الجرائم ولم تتوقف وعم الانفلات الأمني مدينة تعز. وقد أعلن تنظيم القاعدة - حينها - عن مشاركته الفاعلة في القتال بجبهة تعز ضمن (١١) جبهة في اليمن. ونشرت العديد من المواقع الإخبارية معلومات متطابقة مع معلومات نشرت على صفحات حسابات الجماعات المسلحة وناشطيها بخصوص تصفية أفراد من بيت الرميمة[٢]. وبعد أن اشتعلت الحرائق وعم الخراب محافظة تعز تمكن قائد "مقاولة تعز" حمود المخلافي من استلام قيمة مقاولته وغادر البلاد إلى اسطنبول ليلحق بأعضاء حزب الإصلاح ويفتتح مطعماً هناك كمشروع استثماري خاص به.

٤- شوقي هائل يغادر تعز:[٣]

إن وصف شوقي أحمد هائل لما حدث في تعز يعد شهادةً مهمة باعتبار الرجل كان محافظاً سابقاً لمحافظة تعز وفي موقع المسؤولية ومطلعاً على ما حدث، وقد نشر موقع (تعز نت) في ١٣ يونيو ٢٠١٥م خبراً تحت هذا العنوان: "شوقي هائل: غادرت تعز بعد أن تأكدت من أني مستهدف وهذا ما حدث في تعز"، وفيما يأتي ما كتبه الرجل بكل مشاعر المرارة والحزن:

١- **مقابلة تليفزيونية مع حمود المخلافي**؛ متوفر على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=iT1mtwmMxWA

٢- **مصرع ٤٠ من مسلحي ما يسمي (المقاومة) بتعز بينهم قيادي بـ(القاعدة)، وقيادة بحزب الاصلاح تكشف عن عمليات ذبح أسرى**؛ متوفر على الرابط:

https://sahafah24.net/show223313.html

٣- موقع تعز نت؛ متوفر على الرابط:

https://www.taiznet.net/2015/06/blog-post_13.html

"أقسى ما عرفته بعد مغادرتي لتعز أن يقال عني خائن وهارب أو أن أصنف كداعم لطرف سياسي ضد طرف. أعتقد أن من حقي أمام هكذا اتهامات أن أشرح بإيجاز شديد الظروف التي مررت بها في فترة عملي كمحافظ لمحافظة تعز. وأظن أن من الواجب في البداية أن يعرف كل من يتهمني بالخيانة أن قبولي لوظيفة محافظ لم يضف لي شيئاً سوى أني وجدت متسع لخدمة أبناء تعز كمسؤول وصاحب قرار، ويشهد الله أني بذلت منذ أول يوم مارست فيه عملي جهوداً تصب معظمها في اتجاه تعويض تعز مما حرمت منه، وقد حققت والحمد لله نجاحات في مشاريع وتعثرت في مشاريع، وهنا أتوقف لأقول إن تعثري في إنجاز بعض المشاريع لم يكن ناتج عن تقصير أو إهمال وإنما لظروف كان يمر بها الوطن على فترات عصيبة".

وأضاف أيضاً: "حاولت شخصياً مع بداية الأحداث أن أمنع انفجار الوضع في تعز على النحو الذي باتت عليه اليوم، كنت حريصاً وأنا أعقد لقاءات يومية بأعضاء اللجنة الأمنية أن تبقى محافظتنا خارج حدود الاشتعال غير أن الوضع بعد أن رفض من كنت أعول عليهم التعاون معي الانصياع لتوجيهاتي، خرج الأمر برمته عن السيطرة ووجدنا أنفسنا أمام موجة عنف ما كان لها أن تصبح أسرع من اشتعال النار في الهشيم لو أننا احتكمنا لمنطق العقل وعالجنا قضايانا الصغيرة والكبيرة بحكمة".

وقال: "لقد بذلت في بداية المواجهات المسلحة جهوداً مضاعفة لاحتواء الموقف وحاولت عبر اللقاءات المباشرة والاتصالات المكثفة أن أمنع إراقة قطرة دم واحدة، إلا أني لم أجد آذاناً صاغية فأعلنت استقالتي كي لا أتحمل مسؤولية إزهاق روحاً بريئة، وركزت بعد الاستقالة اهتماماتي بالجوانب الإنسانية حيث سخرت وقتي وإمكاناتي في معالجة كثير من القضايا التي تتعلق بهموم الناس اليومية ابتداءً بضمان مواصلة عمل المستشفيات الحكومية ومروراً بتوفير المواد الغذائية الأساسية وأيضاً توفير المشتقات النفطية للمؤسسات الخدمية وعلى رأسها مؤسسة المياه ومكتب التحسين والنظافة وأيضاً محطة المخا البخارية. هل بعد كل ذلك يمكن أن يقال عني خائن وبالأخص بعد أن اخترقت قذيفة مبنى بيت الدولة (الاستراحة التي كنت أعقد فيها لقاءاتي بعد الظهر) وكأنها رسالة تهديد يُراد بها إحباط جهودي بشكل نهائي. أنا لست خائن طالما فكرت في الخروج من حالة الحصار التي فرضتها الظروف والانتقال إلى مكان يسمح لي بخدمة أبناء محافظتي بشكل أفضل. وللعلم ماكنت لأغادر منزلي إلا بعد أن تأكدت من أني

مستهدف، وقد قيل لي أني سأواجه أشخاصاً سيتنافسون على من يقتلني ليلصقون التهمة بخصومهم، لم يكن من المقبول أن أقف مع طرف على حساب تعز. أنا لست مسعر حرب، ولا يناسبني أن أحرض على سفك الدماء، لقد حاولت مراراً وتكراراً أن أوقف حمام الدم قبل وبعد سقوط أول ضحايا العنف غير أن الوضع آنذاك كان قد خرج عن السيطرة".

"أنا باختصار رجل مدني وأعبر في كل خطواتي العملية عن هوية تعز المدنية، والذين اتهموني بالخيانة عليهم أن يسألوا أنفسهم هل كانوا معي في خندق واحد يوم كان البعض يمارس ضدي أقسى أنواع الابتزاز مالم أعلن عن دعمي لهم فرفضت وقررت إعلان الحياد لتعز وبذلت جهوداً مضنية كمواطن ينشد السلام ويرفض منطق القتل في حل المشكلات. كانت المؤامرة أقوى من أن أتصدى لها بمعزل عن دعم ابناء تعز ككتلة واحدة. ويكفي أن أختتم هذه الرسالة بالقول بأني يوم قلت للمعنيين بالمواجهات أن التمترس بالمدنيين كارثة وحاولت أن أمنع ذلك لم يستجب لي أحد، ورغم ذلك ظللت أكرر الطلب دون جدوى. كانوا يريدونني أن أصمت وأنا أشاهد أبناء مدينتي يغرقون بدمائهم، لقد غيرت موقع إقامتي لغرض البحث عن وسائل أكثر تأثيراً وفاعلية أساعد من خلالها على إيجاد واقع ينسجم مع طموحاتي كمواطن تعزي ينشد السلام للجميع ويمقت لغة العنف تحت أي مبرر".

٥- الصراع بين المرتزقة يتمدد إلى مديريات محافظة تعز:

منذ انطلاق العدوان على اليمن، كانت أدوات العدوان المحلية مرتبطة بأجندات خارجية مختلفة، وظهرت مؤشرات الصراع بين أقطاب تلك الأجندات (الإماراتية – السعودية) في عدد من المناطق الخاضعة لسيطرة ما يسمى بـ"الشرعية" و"التحالف"، وفي تعز على وجه الخصوص، فما هي الأطراف المسلحة والمتصارعة في محافظة تعز؟ وكيف تشكلت؟

تشكلت ما تسمى بـ"مقاومة تعز" في أول الأمر من الفصائل المسلحة لحزب الإصلاح "الاخوان المسلمين في اليمن" المدعومة من السعودية ومن قطر إلى جانب الفصائل السلفية بقيادة أبو العباس (عادل عبدالباري الذبحاني) المدعوم من الإمارات والمدرج في قوائم وزارة الخزانة الأمريكية للإرهاب، بالإضافة إلى عناصر من تنظيم القاعدة تم استقدامها من خارج المحافظة وخاصة من محافظتي أبين والبيضاء، بالإضافة إلى مجاميع من قطاع الطرق والمجرمين الذين تم إخراجهم من السجون في محافظة تعز.

ثم تم بعد ذلك دمج هذه الفصائل والمجاميع ضمن الألوية العسكرية الموالية للتحالف في محور تعز وهي أربعة ألوية (اللواء ٣٥ مدرع، اللواء ١٧ مشاة، اللواء ١٧٠ دفاع جوي، اللواء ٢٢ ميكا)، حيث تم ضم فصائل أبو العباس إلى اللواء ٣٥، ولواء الصعاليك ضمن اللواء ١٧، ومجاميع حزب الاصلاح ضمن اللواء ٢٢ واللواء ١٧[١].

يوماً بعد آخر، تعمق الشرخ وتبلور بين مكونات فصائل العدوان المحلية المتعددة في محافظة تعز، والتي تحولت بفعل تقاطع أجندات بعض دول العدوان إلى ساحة للصراع اليومي بين عناصر تلك الفصائل المتعددة الذين يتقاتلون لتحقيق مصالح تلك الأجندات. وقد بدأ الصراع يطفو على السطح بشكل واضح في المواجهات المسلحة والعنيفة وبمختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة بين أقطاب الأجندات الخارجية في تعز، والمتمثلة بكتائب جماعة أبو العباس السلفية والمدعومة إماراتياً، وقوات اللواء ٢٢ ميكا التابعة لحزب الإصلاح (الجناح الموالي للسعودية).

في ٢٥ أغطس ٢٠١٨م أعلن قائد كتائب أبو العباس (العقيد عادل فارع) مغادرته وجماعته مدينة تعز بشكل نهائي، ثم تراجع عن ذلك القرار استجابة لطلب قائد المنطقة الرابعة وحسب توجيهات الرئيس المنتهية ولايته (عبد ربه منصور هادي). وعقب ذلك صدرت العديد من التحليلات والتوقعات لتفسير قرار المغادرة وأيضاً مبررات التراجع عن المغادرة، فقد أكد مصدر عسكري مقرب من قيادة التحالف في عدن خلال حديث لـ(العربي) أن: "خروج جماعة أبو العباس من تعز لم يكن وليد اللحظة أو قراراً ارتجالياً، بل كان قراراً مخططاً له ومدروساً من قبل دولة الإمارات، الهدف منه إفشال المخطط (القطري - التركي) الذي يتم التنسيق له عبر دولة عمان"، مضيفاً أن: "خروج أبو العباس من وسط المدينة لا يعني خروج أبو العباس من المشهد التعزي، بل سيكون له دور أكثر فعالية بعد خروجه"، ومشيراً إلى أن: "الإصلاح اتخذ جماعة أبو العباس داخل المدينة شماعة يعلق عليها كل إخفاقاته الأمنية والعسكرية، لكنه سيكون هو المتضرر الأول والأخير من مغادرة كتائب أبو العباس السلفية مدينة تعز"، لافتاً إلى أن: "حزب الإصلاح سيكون أمام مواجهة حقيقة مع جماعة الحوثي، إما أن يخوض خلالها المعركة

١- **العميد الحمادي يكشف عن موقف دول في التحالف السعودي من معركة تعز**، موقع يمنات؛ متوفر على الرابط:
https://yemenat.net/2018/03/320873

بجد وهنا سيكون الثمن باهظاً بالنسبة له، أو يصبح محل سخط من المجتمع والحاضنة الشعبية".

في السياق ذاته، كشف مصدر قيادي في حزب التجمع اليمني للإصلاح لـ(العربي) أن: "جماعة أبو العباس تلقت عرضاً مغرياً من قبل الإمارات بالانتقال إلى جبهة كرش أو جبهة البرح، كون الإمارات لا تراهن على مناطق المدينة بقدر ما يهمها المناطق الساحلية لتعز، والتي هي بالأصل تحت قبضتها، وخروج أبو العباس إلى ريف تعز هو خطة مدروسة من قبل الإمارات لإحاطة تعز كما يحاط السوار بالمعصم".

بعد تراجع أبو العباس عن قرار مغادرة تعز أفادت مصادر قيادية مقربة من كتائب أبو العباس في حديث لـ(العربي) بأن: "قرار التراجع عن مغادرة تعز جاء بعد الرفض من قبل قيادة تحالف العدوان بعدن والرئيس المنتهية ولايته منصور هادي وقيادة المنطقة العسكرية الرابعة وقيادات سياسية وعسكرية في حزب الإصلاح"، كاشفةً أن: "قيادة التحالف العربي والرئاسة والمنطقة العسكرية الرابعة شكلت لجنة من عدد من القيادات العسكرية والسياسية للجلوس مع قائد الكتائب العميد عادل عبده فارع". وأكدت تلك المصادر بأن: "الاجتماع خرج باتفاق حول عدد من النقاط، منها: تسليم العناصر التي اقتحمت منازل كتائب أبو العباس في الجحملية والمجلية، وتحول الكتائب إلى لواء عسكري يتبع المنطقة العسكرية الرابعة أطلق عليه مسمى لواء الإسناد، يكون مقره المقر الحالي للواء ٣٥ مدرع في المطار القديم غرب تعز، على أن يصدر هادي قراراً جمهورياً بتشكيله". ولفتت المصادر إلى أن: "اللجنة والمكونة من قيادات عسكرية وسياسية محلية لا تزال تعمل حتى الآن على إيجاد مصفوفة لتنفيذ الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين أبو العباس وقيادات حزب الإصلاح والسلطة المحلية بتعز". وتشير معلومات مؤكدة إلى أن: "قرار مغادرة أبو العباس والتراجع عنه كان مخططاً له مسبقاً، ومدروساً بعناية، الغرض منه تحول كتائب أبو العباس من جماعات مسلحة تعمل خارج نطاق الجيش إلى لواء عسكري داخل مصفوفة الجيش، ستوكل إليه تنفيذ مهام الحزام الأمني في تعز بعد تسليمه قيادة الجبهة الغربية بالكامل".

٦- انفجار الوضع في تعز مجدداً وبدء اتساع المواجهة:

بعد ٢٤ ساعة من تراجع أبو العباس عن قرار مغادرة تعز انفجرت المواجهات مجدداً بين قوات كتائب جماعة أبو العباس السلفية المدعومة إماراتياً ومسلحي اللواء ٢٢ ميكا

وقوات النجدة المحسوبة على الإصلاح في مدينة تعز، وذلك وسط تبادل الاتهامات بين الجانبين. وأفادت مصادر محلية لـ(العربي) بأن: "المواجهات توسعت وبشكل كبير جداً لتصل إلى محيط الأمن السياسي والبحث الجنائي، وسط حالة من الرعب والهلع لدى سكان الأحياء القريبة من المواجهات". لافتةً إلى أن: "المواجهات أسفرت عن سقوط قتلى وجرحى من الجانبين، بينهم القيادي في كتائب أبو العباس وابن أخت القيادي عادل العزي (أيمن جمال شرهان) وجندي من أفراد شرطة النجدة يدعي وازع سعيد صالح".

في السياق ذاته، قال بلاغ صادر عن كتائب أبو العباس، نشر على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) إن: "ثمانية أطقم عسكرية من اللواء ٢٢ ميكا التابع لمليشيات الإصلاح قامت بالاعتداء والضرب العشوائي على عناصرها جوار فندق تاج شمسان، ما أدى إلى سقوط قتلى وجرحى"، مؤكداً أن: "عناصر الكتائب المتواجدة في محيط فندق شمسان تعرضت لعمليات قنص من قبل قناصين يتمركزون داخل الفندق الذي تسيطر عليه ما يسمى باللجنة الرئاسية". وفي المقابل، قال بيان صادر عن شرطة الدوريات وحماية الطرق بمحافظة تعز إن: "عصابات خارجة عن القانون قامت بالهجوم المسلح على المواقع التي تم تسليمها لشرطة الدوريات وأمن الطرق في مناطق باب موسى والباب الكبير وفندق تاج شمسان، ما أدى إلى مقتل جندي من شرطة الدوريات وجرح أربعة آخرين"، متهماً نائب قائد كتائب أبو العباس (عادل العزي) بـ: "محاولة اغتيال قائد شرطة النجدة محمد مهيوب، عندما أطلق مسلحوه النار على الرجل في محيط فندق شمسان، ما أدى إلى مقتل مرافقه الشخصي وإصابة أربعة آخرين، كما تم إحراق إحدى سيارات النجدة وإعطاب أخرى". ودعا البيان محافظ تعز واللجنة الرئاسية واللجنة الأمنية إلى الاضطلاع بدورها تجاه ما تعرض له أفراد النجدة، مطالبة بتسليم القتلة فوراً[1].

في أكتوبر ٢٠١٨م تجدد الاختلاف والاحتكاك بين اللواء ٣٥ المدعوم من الإمارات واللواء الرابع مشاة جبلي التابع لحزب الاصلاح المدعوم من السعودية، وكان العميد عادل الحمادي (قائد اللواء ٣٥) قد أشار إلى هذا الاختلاف في كلمة له في مارس ٢٠١٨م عند اجتماعه بمشائخ وأعيان مديرية المسراخ، قائلاً: "واجهنا ألف مشكلة واستهداف فيما

١- تعز: بين أبو العباس والإصلاح.. من يسقط أولاً؟ موقع يمنات؛ متوفر على الرابط:
https://yemenat.net/2018/09/332790

يخص المرتبات واسقاط الأفراد وسحب الأرقام وأشياء كثيرة، كان آخرها استهداف مناطق تعسكره، واصدار قرارات وأوامر تتجاوز التسلل القيادي والعسكري". كما أكد الحمادي على أن قيادات اللواء قامت بالرفع بالمشاكل التي تواجه اللواء وتدخلات اللواء الرابع مشاه، وكذا استحداث معسكر في يفرس، إلى قيادة المحور وقيادة المنطقة الرابعة. وأضاف: "اجتمعنا مع قيادة المنطقة الرابعة نحن وأركان حرب المحور وقائد اللواء الرابع، وأقر خلال الاجتماع أن يتم سحب اللواء الرابع من (الأصابح) ولا داعي للمشاكل، كما أقر الاجتماع بقاء جبهة الأحكوم وهيجة العبد في إطار انتشار اللواء ٣٥ مدرع"[١].

وقد أصدر اللواء فضل حسن الأمر العملياتي رقم ٧ بتاريخ ٣ اكتوبر ٢٠١٨م جاء فيه: "أنه نظراً إلى التداخلات في المهام التي حصلت بين اللواء ٣٥مدرع واللواء الرابع مشاه جبلي في قطاعات المسؤولية، ولأن معهد الأصابح التربة ونقطة هيجة العبد وجبهة الأحكوم هي قطاع مسؤولية اللواء ٣٥مدرع، فضلاً عن أنها ضمن المناطق التي حررها اللواء ولا يزال يتواجد فيها، ولإنهاء أي احتكاكات بين اللوائيين، أمر أفراد اللواء الرابع مشاة المتواجدين في معهد الأصابح باستكمال دورتهم خلال عشرين يوماً وبعدها يتم عودتهم إلى منطقة المقاطرة وتبقى التربة ومعهد الأصابح حسب السابق ضمن قطاع اللواء ٣٥ مدرع وكذلك نقطة هيجة العبد تبقى كما كانت سابقاً تحت سلطة اللواء ٣٥ مدرع".

لم تحدث أي بوادر تشير إلى وجود ترتيبات لانسحابه تنفيذاً لأمر قائد المنطقة العسكرية الرابعة، بل على العكس، ما يبدوا واضحاً وفق رؤية المصادر، هو أن اللواء الرابع يتحرك للبقاء في المنطقة، إذ يحشد اللواء الذي تقول المصادر إنه محسوب على حزب الإصلاح موالين له للتظاهر في مديريات الريف الجنوبي للمدينة للرد برفض التوجيه العسكري، ومحاولة إظهار أنه يتمتع بحاضنة شعبية كبيرة في تلك المناطق. وقد اتهم محافظ المحافظة رئيس اللجنة الأمنية (الدكتور أمين محمود) في برقية قائد المحور اللواء الركن خالد فاضل بالوقوف وراءها، وقالت البرقية أن المحور يحاول إذكاء الصراع في الداخل المحرر، وحملت الأخير مسؤولية أي مواجهات قد تنشب في المدينة، وطالبته بسحب اللواء الرابع وإرساله إلى مسرح عملياته في جبهة حيفان، لكن

١- العميد الحمادي يكشف عن موقف دول في التحالف السعودي من معركة تعز، **مرجع سابق**.

ذلك لم يحدث. وأكد هذا التحرك وجود مهمة لتحييد اللواء٣٥مدرع في المدينة، بحيث يتم انتزاع مدينة التربة منه وجميع المواقع الاستراتيجية في هيجة العبد وجبهة الأحكوم، وبالتالي، تجريده من المواقع المهمة بعد ضرب تماسكه بسحب أكثر من (١٨٠٠) من أفراده إلى الألوية الأخرى الغير معتمدة بقرارات عليا.

هذه التطورات والمستجدات المتسارعة أثارت الكثير من التكهنات والتحليلات، والتي تشير في مجملها وبحسب مراقبين، إلى أن: "مدينة تعز ستشهد تحولات خطيرة"، مؤكدين على أن: "تعز دخلت فصلاً جديداً من الصراع بين أطراف مرتزقة العدوان، قد تتغير فيه قواعد اللعبة واللاعبين، الأمر الذي قد يساهم بتوسيع أزمات تعز الأكثر تأثراً بالحرب في اليمن"

الموقف من الماضي وبروز الحس النقدي عند السيد حسين الحوثي

د.عرفات الرميمة
باحث في الفكر العربي الإسلامي

مقدمة:

من أهم العوائق التي وقفت في طريق المشاريع النهضوية العربية والإسلامية هي حضور الماضي بأفكاره وشخوصه في الحاضر، من خلال تقليد السلف شكلاً ومضموناً. فالتقليد هو الموت - ولكن على الطريقة السلفية - وهو موت مادي ومعنوي في الوقت نفسه، وكم كان العلامة ابن خلدون محقاً عندما قال إن : إتباع التقاليد لا يعني أن الأموات أحياء بل أن الأحياء أموات، و ذلك لأن الفطرة السليمة تنفر من التقليد الأعمى، لأنه يتنافى مع سنن الله في الكون القائلة بالتغيير والاختلاف، من أجل ذلك جاءت الرسالات النبوية لمحاربة التقليد والآبائية لأنه يحول الإنسان إلى حيوان يتبع القطيع دون علم أو مناقشة، فلماذا يجب علينا أن نقلّد السابقين في كل شيء؟ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلنا معهم! أليس الإسلام أتى ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد!

شكلت نزعة التقليد بالنسبة للمشاريع النهضوية العربية أنقاضاً فكرية واجتماعية وسياسية طمرت العقل العربي بفعل العادات والتقاليد التي تكومت نتيجة للكم المعرفي النقلي النصي الذي قاده الحنابلة بعد الانقلاب على العقل المعتزلي. وقد تراكمت تلك الأنقاض وكونت جُدراً يصعب التخلص منها والتفكير معها، فعملت على تكبيل العقل وتقييده، فلم يعد يستطع التفكير بشكل سليم يمكنه من النهوض، فأصيب بالشلل الفكري وجلس على كرسي ذوي الاحتياجات الخاصة يقوده التقليديون حتى الآن.

من المعلوم أن جميع النهضات التي نعرف عنها بعض التفاصيل "قد عبّرت أيديولوجياً عن بداية انطلاقها بالدعوة إلى الانتظام في تراث، وبالضبط العودة إلى (الأصول) ولكن لا بوصفها كانت أساس نهضة مضت يجب بعثها كما كانت، بل من أجل الارتكاز عليها

في نقد الحاضر ونقد الماضي القريب الملتصق به، المنتج له، المسؤول عنه، والقفز إلى المستقبل"[١].

إذاً، الموقف من الماضي، التراث، التاريخ، يحدد ملامح أي مشروع فكري يُراد له أن يكون نهضوياً. ومن هنا نستطيع القول إن "ثقافة الإنسان هي التي تحدد طبيعة موقفه من التاريخ، فإذا كانت ثقافته خرافية أسطورية، فإنه سينظر إلى التاريخ باعتباره مجموعة من الأساطير والمعجزات. أما إذا كانت ثقافته خاضعة إلى قوانين الاجتماع الإنساني والناموس الكوني، فإنه سينظر إلى التاريخ باعتباره وعاءً لحراك اجتماعي متعدد الصور والأبعاد، والإنسان فيه خاضع لظروف الزمان والمكان"[٢].

سوف نحاول في هذه الدراسة أن نتعرف على موقف السيد حسين بدر الدين الحوثي (١٩٦٠م - ٢٠٠٤م) من التراث وبروز الحس النقدي لديه، فكما هو معلوم لدى جميع الدارسين أنه قد اتخذ من القرآن قاعدة ومنطلقاً لمشروعه النهضوي. كما تحاول الدراسة أن تضع إطاراً يستطيع الدارسون والمهتمون من خلاله التعرّف على ملمح من ملامح مشروعه الفكري، ونعني به الملمح النقدي - كما صاغه السيد حسين الحوثي وليس كما قدمه أعداؤه أو محبوه - وليس من مهام هذه الدراسة أن تغوص في مضمون المشروع الفكري القرآني للسيد حسين أو المسيرة القرآنية كما يطلق عليها أنصارها، لأن ذلك مشروع ضخم دونه فريق متخصص من الدارسين، لكن الهدف الرئيس الذي تتوخاه هذه الدراسة هو إعطاء صورة واضحة للملمح النقدي في مشروع السيد حسين القرآني والتعرف على أبرز سماته وخصائصه.

- نظرة السيد حسين الحوثي للتراث:

لقد أدرك السيد حسين الحوثي الأهمية التي يكتسبها التراث في الواقع العربي والإسلامي عموماً. وبخاصة الدور الذي يكتسبه في تشكيل هوية المجتمع التي غيبت وعي الناس في الحاضر ونشرت الثقافة التي تقدس الماضي وتحاول العودة إليه شكلاً ومضموناً، ليس كمحطة عبور للمستقبل وإنما كنموذج للعيش. وتقّدس شخصيات الماضي وتعود إليها لا لتأخذ مشورتها فقط ولكن لتفكر لها وتنظر بعيونها، وبالتالي كان التراث عاملاً من

١- محمد عابد الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٠م. ص ٢١.

٢ - محمد محفوظ، "نظريات التخلف في الفكر العربي المعاصر"، **مجلة الكلمة**، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث السنة الثالثة، العدد (١١) ص ٥٩.

عوامل تخاذل الأمة وقعودها عن القيام بواجبها في النهوض الحضاري وتلك قضية واضحة بالنسبة للسيد حسين، فمن "يعود إلى تراثنا، تراثنا نحن فئة أهل الحق التي نقول دائما: هم أهل الحق، سيكون هذا التراث بالشكل الذي يقعدك، وما الذي معك عندما تقرأ؟ معك أصول فقه، علم كلام، كتب ترغيب وترهيب، تفسير آخرين، أشياء من هذه تقعدك، ورأيناها أقعدت من؟ أقعدت من حملوها، وأقعدت من اتبعوها، أليست هذه القضية واضحة"[1].

من العوامل التي أدت بالأمة إلى القعود وعدم القدرة على النهوض حتى الآن، تلك النظرة التقديسية لشخصيات الماضي، مما جعلها لدى البعض شخصيات أسطورية فوق واقعية، تحولت مع مرور الزمن إلى أصنام - إذا جاز لنا التشبيه - تضر ولا تنفع، لكن الأسطرة التي حيكت حولها طوقتها بسياج منيع وجعلت من الأشياء غير الطبيعية تبدو وكأنها طبيعية بفعل التعوّد، ومن الصعب أن نكسر تلك النظرة بشكل مباشر، إنما نحتاج أسلوباً حكيماً كي يدرك المجتمع أن ما يعتقدون أنه طبيعي بفعل التعود، ليس كذلك على الإطلاق، فتلك الحالة تشبه حالة قريش عندما تعودت على عبادة الأصنام، وكما قال السيد حسين: "من واجب الناس أن يتفهموا (...) الناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم كانوا مجتمعاً أغلبيته مشركين، يعبدون الأصنام، وهذه الأصنام محاطة بأساطير، لا تعتقد بأن هناك شيء لا يكون محاطاً بهالة من الأساطير تجعله وكأنه حق، وكأنه صحيح، إضافة إلى أنه يصبح حالة سائدة في المجتمع، ومسلّمة في المجتمع، تبدو وكأنها طبيعية، وكأنها قضية تسالم عليها الناس، وكأنها لم يعد فيها أي إشكال بأنها صواب! هنا النقلة إلى أن يكفروا بها، إلى أن يتخلوا عنها، تعتبر نقلة كبيرة هذه، تحتاج إلى تصرفات حكيمة، كذلك الناس، مثلاً عندما نقول: نحن في عصر كهذا، يوجد ثقافة سائدة نعتبرها مليئة بالأخطاء، مليئة بالأغلاط، يجب أن تكون عباراتنا حكيمة، بالنسبة لمن هم على هذا "[2].

كل ذلك يعني أن كتب التراث قدمت - ولا تزال - بعض الشخصيات التراثية وبشكل مقصود باعتبارها رموزاً يجب أن يُقتدى بها ويُقتفى أثرها وتم إحاطتها بهالة من التبجيل والتقديس المتعمد لتكون كذلك ويتم الاستغناء بها عن الصراط المستقيم.

---

١ - السيد حسين الحوثي، **سورة المائدة**، الدرس الثاني والعشرون، ص ٢٧.

٢ - السيد حسين الحوثي، **الدرس السادس والعشرون**، ص ٣.

- الأسطرة والترميز في كتب التراث:

مكمن الخطورة - كما يرى السيد حسين - في الوقت الراهن أن يجعل المجتمع من العودة للماضي غاية بحد ذاتها، ويجعل من السلف الصالح قدوة ومنهجاً يحتذى في الحاضر - كأنهم الصراط المستقيم - وفي تلك الحالة يتخلى الناس عن القرآن لأنهم وجدوا ضالتهم في غيره، وهذا هو السبب الرئيس لما آلت إليه أمور المسلمين، لم يطلبوا الصراط المستقيم من القرآن وإنما من سيرة السلف، مع أن القرآن يقول أنهم بشر يخطئون ويُصيبون وليس جلهم صالحاً كما صورتهم كتب التراث، وكما قال السيد جسين أيضاً: "عندما نرجع إلى ما كان عليه السلف الصالح، الذين قد سميناهم، وقُدموا لنا أنهم سلف صالح، وأنت تراهم اختلفوا فيما بينهم، وتقاتلوا فيما بينهم، هل يمكن أن تحكم بأن أولئك كلهم كانوا سلفاً صالحاً؟ أبداً، لا يمكن أن تحكم لمختلفين، متناحرين، متقاتلين، بأنهم كلهم سلف صالح، فيهم ناس صالحين، قد لا تكون تدري بالتحديد من هم، إذا أنت تدري فغيرك لا يدري، إذا أنت قدم لك من هو فعلاً سلف صالح على أنه سلف صالح، وهو في واقعه سلف صالح، هناك آخرون سيقدم لهم آخرون ضالون على أنهم سلف صالح"[١].

هنا مكمن القضية بالنسبة للسيد حسين، أن يُقدم الضال والمفسد باعتباره سلفاً صالحاً بعد أن جعلوا منهم رموزاً وأساطير مقدسة كنموذج يقتدى من خلال كتب التراث المؤدلجة، دون اعتبار لنظرة القرآن التي تجعل الصراط المستقيم واضحاً بيناً - كما في سورة الفاتحة - فالملك الضال الظالم يجب ألّا يكون ضمن السلف الصالح ويجب ألّا يُقدم كنموذج على الإطلاق، فنحن في صلاتنا "عندما نقول: اهدنا الصراط المستقيم نعود إلى القرآن، لا نقول: اهدنا الصراط المستقيم، ثم نقول: نحن على سيرة السلف الصالح، مثلما يقول الآخرون، أليسوا يقولون هكذا؛ لأن المسألة قد قدم لك ناس هم ممن خالفوا، رُمِّزوا حتى أصبحوا عظماء في هذه الأمة، وقد أصبحت تراهم أنت سلفاً صالحاً"[٢].

الأسطرة والترميز التي أعطتها كتب التراث لبعض شخصيات السلف هي التي خلقت التقديس الذي جعل من حال المسلمين شبيهاً بحال اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا

١ - السيد حسين الحوثي، **الدرس التاسع والعشرون**، ص ٨.

٢ - **المرجع السابق**، ص ٨.

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) [التوبة: ٣١]. أي: جعلوا منهم رموزاً وقلدوهم في كل شي دون تفكير، وجعلوا من تقليدهم ثقافة سائدة على الرغم من تعاقب الأجيال وبعد الزمن، وكان هذا سبباً في عذاب الله لهم إلى يوم القيامة. وهذا ما حصل للمسلمين الآن بالنسبة لتقديس علماء السلف، حولهم البعض إلى أحبار، ألم يقل الشافعي عنهم: "هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب يُنال به علم أو يدرك به هوى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا".

هذا الامتداد - التقديسي والترميزي - من الماضي إلى الحاضر لا يشمل صلة الدم ولكن لدوام الثقافة المغلوطة للأجيال السابقة في الأجيال التالية، فأن تكون "الأجيال الموجودة من بعد امتداداً لأولئك في روحيتهم، في نظرتهم، امتداداً يبرر لهم - تقريباً - ما هم عليه، ما هو الشيء الذي يجعل القضية على هذا النحو، يجعل الجيل المتأخر امتداداً للأول، ما هي؟ ليست فقط موضوع الولادة، الثقافة، أخطر شيء على الناس هي الثقافة الخاطئة (....) وأنت تمشي على ثقافة هي امتداد لثقافتهم هم، امتداد لافتراءاتهم، امتداد لتبريراتهم، امتداد لأهوائهم التي تتحول في الأخير إلى ثقافة، معنى هذا ماذا؟ ستبقى القضية، وكأنك هم، وكأنك في موقعهم[1]".

هذا الفهم لموضوع امتداد الثقافة المغلوطة للأجيال السابقة في الأجيال التي تليها استقاه السيد حسين من فهمه لقوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأعراف: ١٦٧).

وكما قال: "أليس معناه الأجيال التي لها صلة بهم، وحالها حالهم؟ ليس المعنى مجرد كونهم أبناءهم، من ناحية الولادة، حالها حالهم، ونظرتها نظرتهم، ما الذي يجعل حال الأجيال المتأخرة، حال الجيل الأول إلا ماذا؟ ثقافتهم، ثقافة الجيل الأول تبقى ممتدة، هذه حالة خطيرة جداً، وهنا تضيع فوارق مئات السنين بينك وبين الجيل الأول، ولو بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة، ستكون امتداداً له، وتعتبر منهم، وحكمك حكمهم، ومصيرك مصيرهم"[2].

لخطورة امتداد الثقافة المغلوطة عبر الأجيال - خصوصاً عندما تصبغ بصبغة دينية - التي تصنع رموزاً ونماذج يجلعون من تقليده عادة تتحول مع مرور الأيام إلى عبادة، فقد

١ - المرجع السابق، ص ٧.

٢ - المرجع نفسه، ص ٧.

حذر الله سبحانه وتعالى المسلمين الأوائل من تقليد من ثبُت ضلاله من خلال القرآن، فقد بيّن الله: "في آية أخرى بأن ما كان لدى ذلك الجيل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مجموعة أهواء ممن ضلوا من قبل، ألم يقل: {وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} (المائدة: ٧٧)؟ لما كانوا متبعين لما قدّمه لهم الأولون، وهو في الواقع أهواء وضلال، اعتبروا امتداداً لهم، بيّن لك بأن ما لديهم هو ما كان لدى أولئك، والذي على أساسه عوقب أولئك، عوقب الجيل الأول، والخطورة في هذه القضية أن المسألة تصل أحيانا في داخل الأمة المتدينة، يعني الأمة ذات الدين، أن الأهواء المخالفة لأوامر الله تتحول إلى ماذا؟ تقدم إلى الناس مصبوغة بصبغة دينية، ويرمَّز أصحابها، يعتبرون عظماء في تلك الملة، عظماء في ذلك الدين، يرمَّزون، يعتبرون رموزاً، لا تدري وإذا الأمة في وضعية متشبثة بشيء هو خطير جداً عليها، وفي نفس الوقت بعيدة عن أن تخرج منه؛ لأنه قدم لها بشكل دين، ومن صنعوا هذه الأهواء، وعملوا هذا الضلال قُدِموا رموزاً في الملة، رموزاً في الأمة، حالة رهيبة هذه جداً"[١].

هنا مكمن الخطورة التي لم ينتبه لها دعاة العودة للتراث، فمن يقول أن طريق النهضة بالأمة العربية الإسلامية للحاق بركب الحضارة العالمية يتم العثور عليه بالعودة إلى الماضي، إلى السلف الصالح، هو مفكر لا يفكر أصلاً وإنما يدع السلف يفكرون أصالة عن أنفسهم ونيابة عنه، أي إن المفكر الحي الحاضر يدع الموتى يفكرون بمشاكله نيابة عنه، فالغائب هنا هو من يعلم الحاضر وليس العكس فهل هذا تفكير منطقي؟ والأشد خطورة ألّا يلتفت دعاة تقديس السلف لنقد القرآن لمن قلّدوا رموز الماضي وجعلوا ثقافة اليوم امتداداً لثقافة الأمس، فضلوا وأضلوا .

كي يأخذوا العبرة مما عرضه القرآن من حال المقلدين، أوليس الإسلام من خلال القرآن قد نهى عن التقليد وإتباع الإباء دون بصيرة أو برهان كما قال تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ] {البقرة:١٧٠}، [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ] {المائدة:١٠٤}.

هنا تكمن خطورة الوضع، عندما لا نجعل ثقافة القرآن هي التي تحكم كل تصرفاتنا في الواقع وكما قال السيد حسين: " القضية خطيرة جداً، عندما ننطلق لنقيم ثقافتنا على

١ - المرجع السابق، ص ٧.

أساس القرآن؛ لأنه ما أخذ به من قبلنا بمئات السنين، ما حصل من أخطاء قبل مئات السنين ستضربنا، وسنكون امتداداً لأولئك ممن ضلوا ولو كان بيننا وبينهم آلاف السنين"[1].

- كتب التراث وتقديس الحكام:

على سبيل المثال فإن النظرة التقديسية للملوك والحكام في الماضي التي أضفاها عليهم بعض وعاظ السلاطين - كما سماهم علي الوردي في كتابه الذي يحمل الاسم نفسه - قد انتقلت إلى الحاضر وشكلت عائقاً أبستمولوجيا في سبيل النهوض المنشود، وعملت على تدجين الشعوب وشلّت حركتها عن مقاومة ظلم الحكام وتغيير الواقع واعتبرت الخروج عليهم خروجاً عن الدين، والسبب في ذلك هم علماء السوء، وإذا كان الحكام خاضعين لأمريكا وإسرائيل والشعوب خاضعة للحكام فمن الطبيعي أن تخضع الشعوب لأمريكا وإسرائيل كي تُرضي حكامها وتغضب خالقها الذي أمر بعدم مولاتهم وإعلان العداوة لهم.

لقد تجلّت هنا حقيقة - كما قال السيد حسين - واضحة و: "خطيرة جداً، جديرة بأن نلعن كل صوت رفع في تاريخ الإسلام أو خُطَّ بأقلام علماء السوء، أو مؤرخي السوء الذين عملوا على تدجين الأمة لكل حكام الجور على طول تاريخ الإسلام، نقول لهم: انظروا ماذا جنت أيديكم في هذا العصر، انظروا ما تركت أقلامكم، انظروا ما تركت أصواتكم، يوم كنتم تقولون: يجب طاعة الظالم، لا يجوز الخروج على الظالم، يجب طاعته لا يجوز الخروج عليه، سيحصل شق لعصى المسلمين، وعبارات من هذه. أنتم يا من دَجَّنْتُم الأمة الإسلامية للحكام، انظروا كيف دَجَّنَها الحكام لليهود، انظروا كيف أصبحوا يتحركون كجنود لأمريكا وإسرائيل"[2].

على اعتبار أن الظالم - وخصوصاً الحكام - قد لعنه الله في القرآن يأتي بعض علماء السوء ويستخرجون من التراث أدلة توجب طاعتهم وتقرنها بالدين، على سبيل المثال: إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. يأتي محمد بن عبدالوهاب ليقول: "إن عذاب الجحيم

١ - **المرجع نفسه**، ص ٨.

٢ - السيد حسين الحوثي، **الصرخة في وجه المستكبرين**، ص ٥.

من نصيب كل متمرد على الملوك". أليس هذا تدجيناً للشعوب مارسه - ولا يزال - بعض علماء السوء من وعاظ السلاطين؟

إن ترويج بعض علماء السوء لأحاديث تتناقض شكلاً ومضموناً مع ما ورد في القرآن الكريم هو عمل يضر الإسلام وينفع أعداءه فقط، ويتساءل السيد حسين كعادته هل: "يصلح لك حديث [لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول؟ قال: اسمع وأطع الأمير وإن قصم ظهرك، وأخذ مالك] هذه هي الحرية التي يقول البعض: انفتاح على هؤلاء، وحرية مع هؤلاء. أليست هذه هي العبودية؟ أليست هذه هي الحيوانية والبهيمية؟ (....) هنا القهر للإنسان، هنا العبودية للإنسان، هنا الإذلال، هنا ما يتنافى مع كرامة الإنسان، هنا ما يتنافى مع جلال الله وعظمته، أن ينسبوا هذا إلى دينه؛ طاعة الطواغيت، طاعة الظلمة، ويجعلونها من دين الله[1]".

ويتساءل مرة أخرى: بما أن الله الذي "لعن الظالمين، هل يمكن أن يوجب عليّ طاعتهم؟! لا. فمن يأتي ليقول إن الحاكم الفلاني هو خليفة المسلمين يجب طاعته لأنه أصبح ولي الأمر فتجب طاعته، فهو يحدثني بكلمة (تجب طاعته) يضفي على المسألة امتداداً تشريعياً، أي أن الله أوجب عليّ طاعة هذا أليس كذلك؟ أي: أن من شريعة الله، من دين الله أن أطيع هذا. هذا لا يمكن أبداً أن يكون من دين الله، لا يمكن أبداً أن يكون مما يرضى به الله سبحانه وتعالى[2]" لأن تلك الأوامر ليست صادرة عن الله سبحانه وتعالى الذي لا يرضى بالظلم ولا يقِّره، بل هي صادرة من بلاط الحاكم الظالم الذي زينت له بطانة السوء تلك الفتاوى التي تضمن له السمع والطاعة حتى فيما يغضب الله وينتقص من إنسانية الإنسان وكرامته.

- نقد الأيديولوجيا:

أن النقد الذي وجهه السيد حسين لبعض كتب التراث، ليس نقداً لها في ذاتها ولا يهدف من وراء نقده لها مجرد النقد، وإنما كان نقده موجهاً إلى الأيديولوجيا التي سيرّت ووجهت تلك الكتب وجعلت منها بديلاً عن القرآن بقصد أو بغير قصد، كما جعلت منها بديلاً عن صورة النبي التي رسمها القرآن، وليست تلك الصور التي رسمتها كتب التفسير والسيرة وكتب الحديث.

---

١ - السيد حسين الحوثي، **الإسلام وثقافة الاتباع**، ص ١٩.

٢ - السيد حسين الحوثي، **معنى التسبيح**، ص ٤.

الأهم مما سبق أن بعضاً من تلك الكتب قد ساهم في ترسيخ وتكريس الوضع الراهن الذي سعى الكثير من المفكرين ودعاة الإصلاح المسلمين - ومنهم السيد حسين الحوثي - إلى تغييره بكل وسيلة، وكان من ضمن وسائله في التغيير نقد الكتب التراثية التي لا يزال البعض يعيشون داخلها ويفكرون من خلالها، وكما قال : "عندما ننقد فنوناً معينة من تراثنا، أو كتباً معينة من تراثنا ومن تراث هذه الأمة بصورة عامة، هو لأن الوضعية هذه أصبحت وضعية خطيرة، لم يعد مقبولاً أن تجامل أحداً فيها"[1].

على سبيل المثال، يرى السيد حسين أن كتب السيرة التي تناولت سيرة النبي جعلت منه قائداً عسكرياً يستخدم الوسائل العسكرية التي تؤدي إلى الغايات حتى وإن كانت تتنافى مع الصورة القرآنية التي جعلت من رسالته رحمة للعالمين ووصفته بأنه على خُلق عظيم، وكتّاب السيّر "لم يفهموه حتى كقائد عسكري محنك وقدير وحكيم، لم يفهموه بهذا الشكل، جردوه من شخصيته وحولوه إلى مجموعة كتب ملئت بالكذب عليه"[2].

كتب السيرة التي تناولت حياة النبي ركزت في حديثها عنه على الشكل وأهملت المضمون - وهو الأهم - ذكرت التواريخ وعدد الجنود في الغزوات ولم تذكر شيء عن شخصية النبي وتعامله مع الخصوم في تلك الغزوات، بما يُعزز المعنى القرآني الذي يؤكد أن الله قد بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى آله) رحمةً للعالمين وأنه كان على خُلق عظيم في كل المواقف خصوصاً مع أعدائه، وكما قال: "متى ما جئنا إلى السّير التي تحمل عنوان سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم نأتي فيتحدثون عن مولده ونبذة بسيطة من الإرهاصات التي حصلت عند مولده، ثم يبدأ المؤلف: غزوة بدر بعدها غزوة أحد بعدها غزوات.. غزوات، يتحدث عن الغزوة كم عدد المسلمين، كم كان عدد الكافرين، ما الذي حدث أخيراً، متى كانت ومتى انتهت، ثم ينتقل إلى غزوة أخرى، فنخرج من كتب السيرة ولدينا معرفة بتواريخ أحداث، غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة حنين، غزوة كذا إلى آخره، ولكن أين هي شخصية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) التي تعرفنا عليها من بين ذلك الركام من كتب السيرة؟"[3].

---

١ - السيد حسين الحوثي، **الوحدة الإيمانية**، ص ٣.

٢ - السيد حسين الحوثي، **يوم القدس العالمي**، ص ١٢.

٣ - السيد حسين الحوثي، **الهوية الإيمانية**، ص ٥.

ذلك يعني أن كتب السيرة اهتمت بأحداث التاريخ وأهملت العبرة والدروس التي يجب أن تؤخذ من أحداثه، و السيد حسين يرى أن الغرض من دراسة غزوات الرسول في كتب السير هو أخذ العبر والمواعظ والاستفادة منها في المستقبل، خصوصًا في مواجهة العدو الإسرائيلي، عملاً بقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) [فاطر: ٤٤]

لكن من كتبوا سيّر الغزوات - خصوصاً غزوة تبوك - لم يبرزوا الدور المحوري للرسول في تلك الغزوة من أجل الاستفادة في مواجهة أعداء اليوم، لكنهم ركزوا على دور عثمان بن عفان وجعلوا قصة عطائه هي محور تلك الغزوة. وكما قال السيد حسين: "لو يرجع المسلمون في مواجهتهم للغرب ولليهود إلى غزوة تبوك وحدها في السيرة وإلى سورة التوبة التي توجهت نحو هذه الغزوة لكانت وحدها كافية لأن يأخذ المسلمون منها دروساً كافية في معرفة مواجهة اليهود ودول الغرب بكلها، لكنهم متى ما تحدثوا عن غزوة تبوك منشغلين بأن عثمان أعطى مبلغاً كبيراً لتمويل هذه الغزوة! هذا هو المهم عندما يعرضوه في المناهج الدراسية، (....) ولكن كل من يتعرض لسيرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أهل السنة - وهم القطاع الأكبر في هذه الأمة - يكون همه ما عمله عثمان من تمويل لهذه الغزوة!. بدل أن يأخذ البعض العبرة والعظة من كتب التاريخ والسيّر من أجل الاستفادة منها في الحاضر، في تجنب السلبيات والبناء على الايجابيات، نرى البعض يأخذ ما يناسب أيدولوجياتهم ومصالحهم من كتب السيرة من أجل أن يبرروا أفعالهم، كما فعل الرئيس أنور السادات عندما زار القدس عام ١٩٧٧م لتوقيع اتفاقية السلام مع الكيان الإسرائيلي الغاصب، فعندما اتجه السادات إلى القدس ليستسلم أمام إسرائيل ينطلق علماء مصر ليقولوا بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد صالح اليهود أول ما وصل المدينة صالح اليهود، فنحن إنما نصالحهم كما صالحهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع الفارق الكبير من كل الوجوه فيما بين ما وقع عندما وصل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى المدينة وبين ما وقع من السادات عندما اتجه إلى القدس"[١].

١ - المرجع السابق، ص ١٣.

كل ذلك يعني بالنسبة للسيد حسين أن هناك خللاً فيما قدمته كتب السيرة عن شخصية النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وعن مواقفه، انعكست آثاره سلبياً على نظرة الأمة لنبيها وتم تكريس تلك النظرة في واقعها في الوقت الراهن.

- كتب الحديث:

ينتقد السيد حسين كذلك كتب الحديث التي كتبها أشخاص عاشوا بعد موت النبي بقرنين تقريباً، وهي التي عرّفت بالرسول ونّظّرت لحياته ومواقفه وجعلت جميع مواقفه مأخوذة منها وعنها وأصبح لها سلطة معرفيه جعلت ما فيها مقدساً حتى إذا كان يناقض القرآن وينتقص من شخصية الرسول وعظمته لدى المسلمين، المهم ألّا يُكذَّب راوي الحديث، والأدهى من كل ذلك أنها أصبحت لدى البعض بديلاً عن القرآن. وكان ذلك أحد الأسباب التي أودت بالأمة إلى مهاوي الذلة والتخلف وسببّت الابتعاد عن منهج القرآن، وهو يرى أن "من الأخطاء الكبرى التي ارتكبت لإبعاد الناس عن القرآن اتخاذ أصل آخر منفصل تماماً عن القرآن وجعله ديناً عاماً كالقرآن وهو السنة، فعكفوا عليها ونسوا كتاب ربهم. ولا يعني ذلك بحال من الأحوال إنكار سنة رسول الله ولكننا ننكر أن تكون أصلاً منفصلاً عن القرآن، وننكر أن تكون خارج إطار حركة الرسول العملية في إطار القرآن"[1]. ويكفي أن نعلم أن بعض أصحاب الحديث قد قرنوا بين السنة وبين الإسلام وجعلوا منهما شيئاً واحداً، ومع مرور الزمن أصبح هناك إسلامان: إسلام قرآن خاص بالعرب وإسلام حديث خاص بالفرس - كما رأى أحد المفكرين العرب - الذي قال إن "الإسلام الذي حُمل إلى أعاجم البلدان المفتوحة - في مقدمتهم الفرس - كان إسلام قرآني لا يد لهم فيه وما أنزل أصلاً برسمهم. وبالمقابل إن الإسلام الذي أعادوا تصديره إلى فاتحيهم كان إسلام سنّة كانت لهم اليد الطولى في إنتاجه وهو الإنتاج الذي استطاعوا أن يؤسسوا أنفسهم من خلال إتقان صناعته في طبقة متفقّهه عاتية النفوذ حبت نفسها عن طريق التطوير المتضافر للمدونة الحديثية وللمدونة الفقهية، وبالتالي للمؤسسة الإفتائية بسلطة تشريعية لم يقر بها القرآن للرسول نفسه"[2].

لم يتعد الأمر مجرد المساواة بين حُجيّة القرآن وحُجية السنّة في التشريع. كما قال الإمام أبو الحسن البربهاري في كتابه شرح السنة: "اعلم أن الإسلام هو السنّة والسنّة هي

١ - أحمد الصفي، **بداية الطريق**، صنعاء، مؤسسة الإمام الهادي الثقافية، ٢٠١٥م، ص ١٨٩.

٢ - جورج طرابيشي، **من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث**، بيروت، دار الساقي، ٢٠١٠م، ص ١٠٣.

الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر ". والأدهى من ذلك أن بعض المحدثين جعل من السنّة قاضية على القرآن وليس العكس كما روى السيوطي عن الأوزاعي في كتابه مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنّة بأنه قال: "السنّة جاءت قاضية على الكتاب ولم يجئ الكتاب قاضياً على السنة"[1].

تلك المساواة بين السنّة (كتب الحديث) وبين القرآن لدى من يسمون أنفسهم أهل السنّة كانت ولا تزال - من وجهة نظر السيد حسين السيد حسين - سبباً من أسباب الحالة البائسة التي تعيشها الأمة الإسلامية، لأن كتب الحديث التي تتحدث عن الرسول تحولت إلى بديل عن الرسول ذاته، وكما قال: "وتصبح المسألة في الأخير مجموعة كتب حديث، تطْلع في الأخير أصحابها هم الحاكمون عليها، هم المقدَّسون لدى الأمة، تصبح هي البديل عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)! ألم يحصل في هذه الكتب أحاديث نحن نقول وعلماؤنا يقولون بأنه لا يمكن أن تصدر من رسول الله؟ ما الذي حصل؟ أنها جُعلت بديلاً عنه، ولم يلحظ جانبه، لم يلحظ مسألة العلاقة به، ولم يلحظ جانب التعرف عليه هو (صلوات الله عليه وعلى آله)، لم يلحظ جانب أن تترسخ له عظمة في نفوسنا، وإجلال واحترام وتقدير، الأمر الذي سيصل بنا إلى أن ننزهه من مثل هذا الحديث أو هذه العقيدة أن تكون صدرت منه"[2].

لقد حاول اليهود والحاقدون على الإسلام من الزنادقة وغيرهم النفاذ إلى جوهر العقيدة الإسلامية لتحريفها من الداخل وبث سموم أفكارهم حقداً وحسداً من عند أنفسهم، فحاولوا تحريف القرآن لكنهم فشلوا لأن من أنزله قد تعهد بحفظه كما قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩)، فيئسوا بعدما تأكدوا ألّا جدوى من تحريف القرآن، لكنهم توجهوا إلى التفسير ووجدوا ضالتهم كذلك في تدوين الأحاديث التي نهى الرسول والخلفاء الراشدون من بعده بتدوينها، مستغلين عامل البعد الزمني الكفيل بمحو الكثير مما في الذاكرة واستبداله بما يناسب أهواءهم وأهواء سلاطين ذلك العصر، فكثرت الأحاديث الموضوعة التي حاولت النيل من الإسلام من داخل الإسلام وعلى يد البعض ممن انتحل الإسلام - شكلاً وليس مضموناً - تنتصر لمذهب سياسي أو تهدم بناءً فكرياً تختلف معه، هذا من ناحية، وتروج لبعض المهن والسلع وبعض المأكولات

١ - ينظر: **المرجع السابق**، ص ٧.

٢ - السيد حسين الحوثي، **سورة آل عمران**، الدرس الثاني، ص ٣.

دون بعض من الناحية الأخرى، استهواءً للعامة من جهة وبقصد التكسب والارتزاق من الجهة الأخرى. وقد أسهم القصاصون بنصيب وافر في وضع الأحاديث بغرض الكسب المادي والنفع المعنوي من الجاه والشهرة "فقد استهووا العامة واستمالوهم بالأحاديث المناكير والغرائب والأباطيل وأدخلوا على الإسلام الإسرائيليات الكثير من القصص والخرافات"[١].

لقد جردت كتب الحديث الرسول من شخصيته العظيمة التي رسمها القرآن واستطاع من أسلم من بعض اليهود النفاذ إليها ونقل تراثهم، فالمحدثون جردوا الرسول "من شخصيته وحولوه إلى مجموعة كتب ملئت بالكذب عليه؛ فرسول الله يعني سنته، سنته تعني المجاميع الحديثية المعينة التي جمعها فلان وفلان وفلان، هذا هو النبي! تعال إلى النبي تراه هنا يقول: حدثوا عن اليهود ولا حرج (....) فكانوا يحدثون عن اليهود فملئوا كتب التفسير بالإسرائيليات، بالقصص الغريبة، ملئوا كتب الحديث بالأحاديث الدخيلة التي صنعها يهود تمظهروا بالإسلام، واندسوا في أوساط المسلمين، ثم أصبحت هي من معتقدات المسلمين، ثم أصبحت هي تصنع رؤية المسلمين وتوجههم، لأنهم لم يرتبطوا بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) شخصياً، ولم يدرسوا حياته، ويتفهموا حياته كإنسان حكيم وقدير وإنسان كامل"[٢].

مع أن القرآن يقول للرسول أن يستقيم في حياته وفي كل توجهاته على القرآن فقط، لأن فيه الكفاية التي لا يحتاج بعدها شيء، وخطاب الله في القرآن لرسوله هو خطاب لأمته أيضاً، وهذا يعني أن في القرآن كفاية عن غيره من كتب السيّر والحديث. وفي ذلك قال السيد حسين: "{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} هذه من التوكيدات المتكررة في القرآن الكريم، والموجهة إلى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، عليه أن يستقيم في كل حركاته، في كل توجيهاته، في كل مواقفه مع الآخرين، على أساس ما يوحى إليه من الله، يعني هذا أن ما يوحى إليه من جهة الله سبحانه وتعالى فيه الكفاية وفوق الكفاية، هو ليس بحاجة إلى أشياء أخرى"[٣]. وهو يرى أن المسألة أكبر من قدرة الرسول على

١ – حسن محمد الأهدل، **مصطلح الحديث ورجاله**، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط ٨، ٢٠٠٢م، ص ١٧٦.

٢ – السيد حسين الحوثي، **يوم القدس العالمي**، ص ١٢.

٣ – السيد حسين الحوثي، **سورة الأنعام**، الدرس السادس والعشرون، ص ١.

التشريع باعتباره مبلغاً عن ربه من خلال القرآن وليس مُشرّعاً كما صورته كتب السنّة وكما قال الله سبحانه وتعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) [المائدة: ٦٧]. بالتالي، إذا كانت المسألة أكبر من قدرة الرسول - وهو من هو - فهي كذلك مستحيلة على أصحاب كتب الحديث الذين ليسوا أندادا له في العلم ولم يكونوا حوله كي يفهموا ما فهم. هذا ما فهمه السيد حسين من قوله تعالى وأشار إليه بقوله: "{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (الأنعام: ١٠٦)، يعني ما تُركت القضية لشخصه هو، أن يمشي على مزاجه وعلى ما رآه؛ لأن المهمة كبيرة جداً، وأدق من أن يحيط بها فهمك كإنسان. إذاً فكيف يمكن أن تخضع المسألة لاقتراحات الآخرين، ورؤى الآخرين الذين ليسوا في علمك، وليسوا حولك"[١].

هو يرى - أيضاً - أننا إذا أردنا أن نتعرف على الرسول معرفة حقيقية فيجب علينا أن نتعرف عليه من خلال القرآن الكريم كي يترسخ حبه وعظمته واحترامه، لأن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ومواقف هي تنفيذ لتوجيهات قرآنية، وعندما تفعل ذلك فإن الرسول "يكون له مقام عظيم عندك، تعرفه هو، تعرف حياته، تعرف مواقفه، وتنظر إليه كرجل قرآني، تنظر إليه كرجل يدور مع القرآن {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأنعام: ٥٠)، {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الأنعام: ١٠٦)، ألم يقل هكذا الله عنه: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الزخرف: ٤٣)، أليست هذه آيات صريحة؟"[٢].

هكذا يتضح لنا أن السيد حسين الحوثي قد انتقد النظرة التقديسية للتراث التي أسطَرت البعض وجعلت منهم رموزاً ونماذج تُقتدى في الواقع، ولم يكن غرضه من النقد مجرد النقد وإنما كان نقده في إطار مشروعه الفكري القرآني الذي يجعل من القرآن محوراً ومركزا ومتناً هاماً في الحياة ولها أيضاً، ففيه كل ما يحتاجه الناس في الواقع. والمهم لديه أن نجعل القرآن مقياساً للماضي لنعرف من هم السلف الصالح "نرجع إلى القرآن، وأن هذه هي السنة الإلهية في الهداية، لا ترجع إلى موضوع أجيال، ارجع إلى القرآن، وسترى عندما ترجع إلى الأجيال بعد ما قد رجعت إلى القرآن، تستطيع وفق الرؤية التي

١ - **المرجع السابق**، ص ٧.

٢ - السيد حسين الحوثي، **سورة آل عمران**، الدرس الثاني، ص ٣.

يعطيها القرآن أن تعرف الذي كان يمثل هدى والذي كان يمثل ضلالاً من داخل السلف الصالح؛ عندنا أو عند الآخرين"[1].

كل ما عدا ذلك - بحسب وجهة نظر السيد حسين - يجب ألّا نلتفت له ولا نعيره أدنى اهتمام، والأهم لديه من كل ذلك أن القرآن هو الوحيد القادر على كشف الباطل الذي قد يُخلط ويتزّن بالحق أو قد يُقدم للناس بشكل جذاب وبراق كما تفعل وسائل الإعلام الآن، أو حتى بالنسبة لله أو لرسوله، وكما قال إن: "الإنسان المؤمن إذا لم يُرّبِ نفسه من خلال تلاوة القرآن الكريم أن يتأمل كتاب الله ويتدبر الأحداث في هذه الدنيا فهو من سينطلي عليه الباطل، سواء باطل قُدِّم ونُسِب إلى الله أو قُدِّم ونُسِب إلى رسوله أو قُدِّم بشكل براق"[2].

يتعمد السيد حسين تبرير نقده لمنظومة علم الحديث بأدلة تستند على القرآن، فهو يرى أن بعض الأحاديث - خصوصاً أحاديث الآحاد - هي أحاديث ظنية لا تفيد العلم اليقيني الذي جاء به القرآن الذي يرتبط بالهدى، وإنما تؤدي إلى الضلال. وهذا برأيه يتناقض مع نهي القرآن عن اتباع الظن، ورواة الأحاديث لا يمتلكون سوى الظن غالباً، فكما قال: "ترجع إلى السنة نفس الشيء، ما طريقها؟ الأخبار. والأخبار متواتر، وآحادي. الآحادي ظني، والمتواتر يجري عليه ما جرى على النص القرآني، إذا كانت المفردة الواحدة لا تحتمل إلا معنى واحداً كان نصاً قطعياً، ما عداه فظني، وإن كان السند متواتراً ودلالة المفردة تحتمل أكثر من معنى فهي ظنية. ما هو طلع لنا أكثر ما بين أيدينا ظن؟. {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ}. فكيف يُستنكر الظن ونحن لا نملك إلا الظن؟ ما هي هكذا؟ أين الهدى الذي قال: {وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى}. ما هو شيء في مقابل {الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ}؟ أين هو؟ هل يوجد شيء؟ موجود لكن على غير قواعد أصول الفقه"[3].

قد يفهم البعض - للأسف وبسوء نية - أن السيد حسين أراد من خلال مشروعه القرآني أن يُفرق بين القرآن والسنة، هذا الفهم ليس جديداً على الإطلاق لأن في القرآن ما يدعم ذلك ويدعو إليه "هذه التفرقة بين الدين والسنة، أو بالأحرى بين الدين والتراث، لم تدم طويلاً، فالنص نفسه (القرآن) يؤسس ذاته ديناً وتراثاً في الوقت نفسه، لأنه جعل من

١ - السيد حسين الحوثي، **الدرس التاسع والعشرون**، ص ١٧.

٢ - السيد حسين الحوثي، **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى**، ص ٥.

٣ - السيد حسين الحوثي، **فإما يأتينكم مني هُدى**، ص ١٧.

الإسلام (الدين) الشريعة وطريقة الحياة الوحيد المقبول من الله، وإذا كان القرآن قد أمر المسلمين بطاعة الرسول فقد فهم المسلمون الأوائل (جيل الصحابة) أن الطاعة مرتبطة فقط بما يبلغه الرسول عن الله من الوحي فقط"[١].

قد يعتقد البعض - أيضاً - أن السيد حسين يستبعد الأحاديث النبوية نهائياً من مشروعه القرآني، وهذا غير صحيح على الإطلاق، لكنه يستبعد الأحاديث التي تتناقض مع ما ورد في القرآن ويعتمد قاعدة عرض الأحاديث على القرآن، فما وافقه أخذنا به وما تناقض معه تركناه، فكما قال: "ما كان مخالف للقرآن فليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ما كان مخالف للقرآن فليس منه، حديث العرض عندنا قاعدة ومقياس، ليس فقط أقول هذا صحيح أو ما هو صحيح، قاعدة ومقياس (....) إذا كان الحديث مخالف للقرآن الكريم فليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا شيء نقطع به؛ لأنه ما يمكن أن يأتي هو بشيء مخالف وهو يفهم القرآن"[٢].

تلك القاعدة - قاعدة العرض على القرآن - هي مقياس قبول الأحاديث بالنسبة للسيد حسين، وليس صحة السند وشهرة راوي الحديث كما يعتقد البعض، فهو يركز على مضمون الحديث ومدى توافقه مع ما جاء في القرآن، فكما قال: "فكيف تستطيع أنت أن تعرف أن هذا الشيء من عند الله أو أنه ليس من عند الله؟ مثلاً في القرآن الكريم - وهي قاعدة ثابتة عند أهل البيت - أنه كتاب يجب أن يعرض عليه أي شيء ينسب إلى الله، سواء كان حديثاً قدسياً أو ينسب إلى رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله). من يتدبر القرآن الكريم، من يتأمله - لأن القرآن حقائق - هو من يكتشف أن ذلك الذي نسب إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وإن قال المحدث الفلاني أن سنده صحيح وأنه رواه الثقة عن الثقة ستقطع بأنه ليس من عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله وسلم)"[٣].

هكذا يتضح لنا أن نظرة السيد حسين الحوثي للتراث كانت نظرة مسؤولة، بعيدة عن التقديس المفرط له أو الرفض الكامل لما جاء فيه، فقد تعامل معه في إطار مشروعه الفكري، ونظر له من خلال المنظور القرآني الذي يحذّر من التقليد المبني على العادة والتعود والاجتهاد المؤدي إلى تفرق الأمة. وكان يرى أنهما يقفان حجر عثرة ضد

---

١ - نصر حامد ابو زيد، **النص.. السلطة الحقيقة**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ٥، ٢٠٠٦م، ص ١٦.

٢- السيد حسين الحوثي، **الشعار سلاح وموقف**، ص ٢٢.

٣- السيد حسين الحوثي، **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى**، ص ٥.

القرآن الذي يأمر بالاتباع والتسليم لما جاء به الله فيه فقط. فالقضية لديه "ليست قضية اجتهاد ولا المسألة مسألة تقليد. المسألة مسألة اتباع. وتجدوا هذا هو منطق القرآن المتكرر وهو يخاطب النبي ويخاطب الناس"[1]. ويرى - كذلك - أن في القرآن ما نستطيع أن نُقيّم به التراث ونغربله لنحصل على الحقيقة في الواقع. وتلك هي لب المسألة بالنسبة لرؤيته الفكرية. فكل ما هو داخل في الاجتهاد البشري ويفرق الأمة الإسلامية ويبعدها عن القرآن فهو مرفوض لديه وإن رأى الآخرون خلاف ذلك .

- نقده لعلم الكلام وعلم أصول الفقه:

يوجه السيد حسين سهام النقد صوب علم الكلام وعلم أصول الفقه للأسباب ذاتها التي تتعلق برؤيته القرآنية. وذلك لأن تلك العلوم قُدمت بديلاً عن القرآن وكانت سبباً رئيساً في تفرُّق الأمة الإسلامية واختلافها في كل زمان ومكان بسبب اختلاف الآراء التي يصل إليها المجتهدون في علم أصول الفقه. وهذا - بحسب رأيه - يتنافى مع التوجه القرآني الذي يدعو إلى التوحد والاعتصام بالقرآن باعتباره حبل الله المتين الذي لا ينقطع. حيث قال في ذلك: "أنا شخصياً أعتقد أن من أسوأ ما ضربنا وأبعدنا عن كتاب الله وأبعدنا عن دين الله وعن النظرة الصحيحة للحياة وللدين، وأبعدنا عن الله سبحانه وتعالى هو علم أصول الفقه. بصراحة أقولها أن فن أصول الفقه هو من أسوأ الفنون، وأن علم الكلام الذي جاء به المعتزلة هو من أسوأ الأسباب التي أدت بنا إلى هذا الواقع السيئ، أبعدتنا عن الله، أبعدتنا عن رسوله، عن أنبيائه "[2].

فطريقة علم أصول الفقه وعلم الكلام تؤدي بالنتيجة الحتمية إلى الاختلاف وهناك أبواب فيهما تبحث عن الاختلاف وتجعله أصلاً من أصولهما. لكن الطامة الكبرى أن تشرعن تلك العلوم للاختلاف وتجعل منه رحمة. وهذا السبب هو الذي جعل السيد حسين يتساءل ويجيب - في الوقت نفسه: "ماذا عمل فقهاء هذه الأمة؟ جعلوا الاختلاف مشروعاً، وجعلوا الاختلاف داخل هذه الأمة رحمة. ألم يقولوا: اختلاف أمتي رحمة!"[3].

هو يرى أن إضفاء الشرعية على الاختلاف هي الطامة الكبرى التي لا تقل خطراً عنه. فطريقة علماء أصول الفقه وعلم الكلام و المناهج التي تقدمها "تؤدي حتماً إلى

١- السيد حسين الحوثي، **الإسلام وثقافة الاتباع**، ص ١٤.

٢- السيد حسين الحوثي، **مسئولية طلاب العلوم الدينية**، ص ١٢.

٣- السيد حسين الحوثي، **يوم القدس العالمي**، ص ٢٢.

الاختلاف، وجربت وأدت إلى الاختلاف، وأصبح الاختلاف باباً من الأبواب التي تبحث فيها، أعني من المباحث التي أصبحت تتناوله كتب علم الكلام وكتب أصول الفقه الاختلاف نفسه، وقدّموا المسألة ضرورية؛ يعني لازم اختلاف، ثم انطلقوا يحاولون كيف يجعلون الاختلاف مشروعاً، أليست هذه طامّة ثانية؟ أي كان المفروض أنهم إذا عرفوا بأنهم عندما ساروا على منهجية معينة أدت بالسائرين عليها إلى الاختلاف، أن يحصل تقييم يقولون: إذاً هذه طريقة غلط نحاول ننظر إذا كان هناك طريقة إذا سرنا عليها لا نختلف. بدل هذه اتجهوا إلى ماذا؟ إلى أن يحاولوا أن يضفوا على الاختلاف شرعية! أليست هذه تعتبر طامّة ثانية؟"[1].

من أجل ذلك، وجه السيد حسين الكثير من النقد في محاضراته لعلم الكلام عموماً وللمعتزلة على وجه الخصوص، متهماً إياه بأنه كان سبباً في انصراف الأمة - خصوصاً الزيدية - عن القرآن وانشغالهم بما فيه بمسائل جدلية بعيدة عن الواقع ولا تنفع المسلمين لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهناك بعض القضايا التي شغلت علم الكلام ودارت حولها المناظرات الكثيرة، من تلك المسائل على سبيل المثال (معرفة الله)، مع أن القرآن أعتبرها أشياء فطرية وغريزية لدى كل الناس. وهو يرى أن "ما يسمى بفن علم الكلام، الكثير منكم لا يعرف العبارة هذه، هو ما يسمى بفن أصول الدين، الفن الذي خصصوه لمعرفة الله، والذي لا يوصلك إلى معرفة الله، بل يصدك عن معرفة الله"[2].

كما قلنا أن السيد حسين انتقد علم الكلام لأنه قُدّم بديلاً عن القرآن في قضية أساسية هي معرفة الله، وهامة تبنى عليها كل المنظومة العقدّية والعملية في الإسلام، وبالتالي فإن معرفة الله يجب أن تكون عبر كلامه في القرآن فقط وليس عبر كلام علماء الكلام "فنحن نقول إن أهم مصدر لمعرفة الله لمن يريد أن يعرف الله وأشرف العلوم الذي يجب أن تهتم به في مجال معرفة الله بالذات هو القرآن الكريم، اعرف الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم، كتب علم الكلام لا تستطيع أبداً أن تصنع لك معرفة تربطك بالله بالشكل الذي يصنعه القرآن الكريم لا يمكن أبداً"[3].

١- السيد حسين الحوثي، **سورة آل عمران**، الدرس الرابع عشر، ص ١٦.

٢- السيد حسين الحوثي، **الوحدة الإيمانية**، ص ٣.

٣- السيد حسين الحوثي، **مسؤولية طلاب العلوم الدينية**، ص ٤.

فإذا كان علم الكلام قد حصر معرفة الله من خلال الطرق والدلائل الكلامية التي يتقنها المتكلمون فقط، وجعلوا من أنفسهم نخباً، فإن القرآن يخبرنا بأن معرفة الله فطرية وغريزية لدى كل الناس كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} (الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣). ونستفيد من تلك الآية أنه فيما يتعلق "بمعرفة الله سبحانه وتعالى أنها قضية أساسية لدرجة أن الله يجعلها فطرة في الناس (....) هم يعرفون بأن هناك إله اسمه الله بل يعرفون الله أنه ربهم، فطرة لديهم فطروا عليها، غريزة الله أعلم متى أودعها الله (....) الناس مفطورون ومودع فيهم، مغروز فيهم الإقرار من جهة أنفسهم، ومسيطر على نفوسهم إقرار بأن الله هو ربهم"[١].

فإذا كانت معرفة الله فطرية، فإن علم الكلام يصبح علماً زائداً عن حاجة الناس، وقضاياه عقيمة لا تأتي بجديد، وهو يصرف الناس عن القرآن. وبالتالي، نحن لا نحتاج لعلم الكلام لأن "الله قد أشهد بني آدم سواء أردت أن تسميها ضرورية أو تسميها معرفة استدلالية أو تسميها غريزة، لم يبق حاجة لعلم الكلام نهائياً، قضية مودعة في النفوس بأي طريقة تسميها أنت هي موجودة هنا: {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا}"[٢].

من المآخذ التي يجدها السيد حسين على علماء الكلام أنهم قدموا أسماء الله الحسنى بطريقة جدليه كي تدعم ما يريدون من معانى حتى وإن كانت تلك المعاني تُفقد تلك الأسماء الآثار التي أرادها الله أن تصل للناس، مما قد يترتب عليه الإلحاد - والعياذ بالله - فكما قال: "يأتي الإلحاد في أسماء الله بشكل أيضاً يفقد الإنسان ما كان يمكن أن يحصل في نفسه من أثر وجداني لمعنى اسم من أسماء الله، مثلاً: داخلنا (سميع، بصير)، كيف يقدمونها؟ دائماً بمعنى عليم، أليست دائماً بمعنى عليم؟ هناك فرق في الأثر الوجداني بالنسبة لك أنت، أن تستشعر أن الله يراك، ويسمعك أكثر من مسألة يعلم، أكثر من فهمك أن المسألة تعني يعلم، لها أثر في النفس كبير (استحضار شهادة الله، رقابته)، فيأتي أحياناً إلحاد في أسمائه، أي ميل عن الصواب فيها، فيترك آثاراً سيئة في النفس"[٣].

١- السيد حسين الحوثي، **سورة الأعراف**، الدرس التاسع والعشرون، ص ١٥.

٢- **المرجع السابق**، ص ١٦.

٣- السيد حسين الحوثي، **سورة الأعراف**، الدرس التاسع والعشرون، ص ٢١.

الخطأ الآخر الذي وقع فيه علماء الكلام فيما يتعلق بأسماء الله الحُسنى أنهم فسروا بعض الأسماء بالمعنى نفسه فمثلاً : فسروا (شهيد) في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: ٥٣) بمعنى: عليم! كما فسروا (سميع) بمعنى عليم، و(بصير) بمعنى عليم. تلك التفسيرات أفقدت معاني الأسماء دلالاتها الحقيقية، والأدهى من ذلك أنهم تعاملوا مع الأسماء باعتبارها صفاتاً - مع أن القرآن يُسميها أسماءً وليست صفاتً - مما أفرغها من معناها القرآني. وما فعله المتكلمون يخالف توجيهات الله - كما قال السيد حسين - فالله: "يوجه الناس أن يدعوه بأسمائه، فهي أسماء حسنى، هي حسنى من أصلها لا تحتاج إلى تأويلات أخرى، هو سمّى بها نفسه، لا تحتاج إلى (تشطيبات) من عندك، هو سميع بصير، لا تقول: لا، هي بمعنى كذا، هي بمعنى كذا؛ حصل داخل المعتزلة وداخل الأشعرية، داخل العدلية وداخل المجبرة. لأن أي إلحاد في اسم من أسماء الله يفقد في الأخير الأثر بالنسبة له، بالنسبة للإنسان في نفسه (....) لا تسمى صفات، من الأخطاء الكبيرة أنها قدمت تحت عنوان صفات الله، حتى ترسخت في الذهنية وإذا الصفات أشياء لها استقلالية، والصفات متغايرة فيما بينها، وطلع إشكاليات كبيرة جداً عند المعتزلة، لا يوجد كلمة صفات، تسمى أسماء: هو حكيم، هو عليم، هو سميع بصير. هذه كلها أسماء له، سمى سبحانه وتعالى بها نفسه"[1].

عند النظر في مظاهر الكون المختلفة كما قال تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} (الأعراف: ١٨٥)، تلك النظرة الهامة التي تجعل الإنسان يقرأ كتاب الكون، لينطلق من وراء القراءة إلى أن يبدع في هذا الكون نفسه ويخترع و يطور ويصنّع أشياء كثيرة؛ عمل علماء الكلام على مسخ تلك النظرة التي تؤدي إلى فتح الآفاق، وحصروا معناها في أنها تعني الاستدلال على وجود صانع، وهذا المعنى هو مسخ لمعناها القرآني الحقيقي - كما يقول السيد حسين الحوثي - و ذلك يشكل جناية كبيرة على مفهوم النظر القرآني وترجمته من المتكلمين، وهذا هو ما فعله المعتزلة، فقد "مسخوا النظر عند الإنسان فلم يعد بالشكل الذي وُجِّه إليه في القرآن، ينظر في ملكوت السماوات والأرض، النظر الذي ينتهي في الأخير إلى دراسة لمظاهر هذا الكون، ينتهي إلى إبداع، إلى اختراع، إلى تصنيع (....) هم يأتون يأخذون الآيات التي فيها النظر كلها هنا، وفي أي مكان ثم يقولون: فدل على وجوب النظر، أي

١- المرجع السابق، ص ٢١.

وجوب النظر لتعرف أن هناك صانع! لا يتوصلون إلى الله، إنما هكذا، إنما في الأخير يشغِّلون ما لديهم من معرفة من طريق أخرى، أن هناك صانع"[1].

الأدهى من كل ما سبق أن القارئ المتعمق في كتب الكلام وفي أساليب المتكلمين في الإقناع الجدلي، قد يرى أن أسلوب الأنبياء في إقناع أقوامهم لم يكن منطقياً. فكتب الكلام - على حد وصفه - تعلمنا "الأساليب التي توجهنا إلى كيف نعمل ونحن نستدل، ونحن نحتج، ونحن نناقش، ونحن نبحث، ونحن نجادل الآخرين، وحتى ونحن ندعو الآخرين؛ وإذا بنا نرى أنفسنا بعيدين عن شخصيات الأنبياء، وعن أساليبهم بما فيهم سيدنا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله). بل سترى أخيرا أن منطق الأنبياء ليس منطقيًا وهم يتحدثون مع أممهم، وكأنهم لم يجيدوا ترتيب ونظم المقدمات المنطقية لإقناع أممهم! هكذا علمنا المعتزلة، وهكذا علمنا الأشعرية، هكذا علمتنا الثقافة الخاطئة، كيف لا نعتمد على كتاب الله، ولا نستلهم - ونحن في ميدان العمل - شيئاً من حياة أنبياء الله ورسله.. هذه هي الخسارة "[2].

بالنسبة لعلم أصول الفقه يرى السيد حسين أنه قد جعل من اختلاف آراء الفقهاء في الوصول إلى اجتهادات متباينة سبباً في ضياع الفرد بين تلك الآراء ومُبرراً لتشتت الأمة الإسلامية بين المذاهب المختلفة، لا تبني الفرد ولا تساهم في توحيد الأمة. وهو يتساءل كعادته: هل الوصل إلى آراء مختلفة تبني الفرد والأمة "هل تعريف أصول الفقه أنه يوصل إلى حكم واحد؟ الذي أنت تشتغل به، وأنا أشتغل به، وهذا يشتغل به؟ كل واحد يطلِّع له حكم يختلف عن الآخر، في الأخير ما هو يفرقنا... هل هذا هو يبني أمة؟ هذا لا يبني أمة. طيب هل هو يبني الفرد؟ ولا حتى يبني الفرد؛ لأنه يصرفه عن القرآن فعلاً، يصرفه عن الاهتمام بالقرآن"[3].

لكن السيد حسين لا يرى مانعاً من دراسة علم الكلام أو علم أصول الدين كما يُسميه البعض وعلم أصول الفقه، إذا كانا يبحثان في الأمور البينة الواضحة التي لا تؤدي إلى الاختلاف المذموم كما فهم ذلك من قوله تعالى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (آل عمران: ١٠٥). وذلك هو عين ما قصده السيد حسين بقوله:

١- **المرجع نفسه**، ص ٢٤.

٢- السيد حسين الحوثي، **الهوية الإيمانية**، ص ٥.

٣- السيد حسين الحوثي، **فإما يأتينّكم مني هدى**، ص ١٧.

"قلنا نحن بحاجة إلى أصول دين، أصول فقه، تهتم بالبحث عن البينات هذه، هذا أصول الفقه الصدق، أصول الدين الصدق، أن يكون هناك أصول فقه وأصول دين يبحث هذه البينات التي إذا سار الناس عليها لا يختلفون ولا يتفرقون"[١].

هكذا يتبين لنا أن كل علم يُفرق الأمة ولا يجمعها ويصدها عن القرآن في الوقت نفسه هو محل نقد ورفض من جانب السيد حسين الحوثي، لأنه يتعارض مع فحوى مشروعه القرآني الذي يُراد له أن يكون جامعاً للأمة ومانعاً لها من التشرذم والتفرّق.

- عندما يتحوّل الاجتهاد إلى تقليد:

لقد وجه السيد حسين الحوثي سهام نقده للاجتهاد الذي تباهى به المذهب الزيدي موضحاً أنهم اجتهدوا في مسائل فقهية فرعية ثانوية - كالوضوء والطهارة والحيض والنفاس - لا تفيد الأمة ولا تنفعها في الواقع الراهن، ويرى أن ذلك الاجتهاد كالخمر مضارة للمجتمع أكثر من منافعه، وأصبح "كل من يقرأ يريد أن يجتهد ويعمل بأصول الفقه يرجع إلى تفاصيل الصلاة والصيام والوضوء والأشياء هذه. لأنها سهلة.. اجتهد هنا"[٢].

عندما تجذر مفهوم الاجتهاد توسعت دائرة المجتهدين وتخلّقت في الواقع آراء متعددة مختلفة تفرّق الناس ولا تجمعهم، فكلما اتسعت "دائرة المجتهدين، كلما كثرت الأقوال وكثر الاختلاف، فصعد كل شخص لحاله، وتحرك بمفرده، وانطلق كل منهم يدعو إلى ما توصل إليه... اختلاف شديد، اختلاف رهيب، تعدد أقوال، وكل منها تنسب إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا يخطِّئ هذا، وهذا يخالف هذا، وتفرُّق فلا تجتمع لهم كلمة في أغلب الأحوال"[٣]. والمجتهد وإن ادعى أنه يهرب من التقليد إلا أنه في نهاية المطاف يتحوّل إلى مُقلِّد لطريقة من سبقوه من المجتهدين، سواء فهم المجتهد ذلك أو أنكره، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، قد يقع في خطأ التعبد بما يقوده إليه اجتهاده، واحتمال الخطأ وغلبة الظن في الاجتهاد واردة وتبقى المسألة متروكة لحظ المجتهد، كما قال السيد حسين إن المجتهد "لا يجوز له أن يقلد أحداً، لماذا؟ لأنه هو يجب أن

١- السيد حسين الحوثي، **سورة آل عمران**، الدرس الرابع عشر، ص ١٩.

٢- السيد حسين الحوثي، **خطورة المرحلة**، ص ١٩.

٣- السيد حسين الحوثي، **معنى التسبيح**، ص ٩.

يتعبد بما غلب في ظنه؛ لأنه قد يكون ذاك مخطي، وقد يكون ذاك مخطي، تطبق أنت بنفسك، وامش وأنت وحظك"[1].

من الآراء التي ساقها دعاة الاجتهاد، أن لكل مجتهدٍ أجران إذا أصاب وأجُر إذا أخطأ. والأدهى من ذلك أنهم جعلوا مراد الله تابعاً لمراد المجتهد، ذلك المنطق هو الذي عمل على تمزيق المجتمع وتفريق الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة، فقد "قالوا: إن كل مجتهد مصيب. وقالوا: إن مراد الله تابع لمراد المجتهد، عليه أن يقبل ما أدت إليه أنظارهم. هذا المنطق هو الذي سيفرق الأسرة الواحدة، خلي عنك القبيلة الواحدة. لو ينشأ الطلاب في قبيلة واحدة على هذا النحو لما بقي لا دين ولا حتى قبيَلة"[2].

أي إنهم جعلوا مقام المجتهد في المنزلة العليا التي جعلت مراد الله تابعاً لمراد المجتهد وليس العكس، وذلك ملمح فيه من الخطورة والجرأة على الله الكثير، بل أنه يشبه ما حكاه القرآن عن بعض اليهود ممن اتبعوا أهواءهم وتركوا شرع الله، فكما قال: "هذا حصل عند اليهود، قد عندهم فكرة أنهم قد صاروا يسيّرون الباري، ويمشي هو على ما طلع في أنفسهم، وهو معهم، ومن ضمنهم، ونزلت أيضاً في داخل المسلمين: أن مراد الله تابع لمراد المجتهد، وليس مراد المجتهد تابع لمراد الله، المجتهد ينظر وما غلب في ظنه فهو مراد الله، فمراد الله تابع لمراد المجتهد! عبارة من أسوأ العبارات، هذه من أسوأ العبارات"[3].

إذا تُركت المسألة لاجتهاد المجتهدين في المسائل المتعلقة بشرع الله في الأخير سوف يحدث اختلاف بين اجتهاداتهم المختلفة وفكرهم البشري النسبي القاصر، سينعكس سلباً على شرع الله المطلق، لأن كل مجتهد يظن - وظنه كله أثم - أن مراد الله تابع لمراده وليس هناك فرق بينهما، وتظهر شرائع مختلفة باختلاف اجتهادات أصحابها، وكلما اتسعت دائرة المجتهدين "كلما كثرت الأقوال وكثر الاختلاف، فصعد كل شخص لحاله، وتحرك بمفرده، وانطلق كل منهم يدعو إلى ما توصل إليه.. اختلاف شديد، اختلاف رهيب، تتعدد الأقوال، وكل منها تنسب إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا يخطئ

١- السيد حسين الحوثي، **فإما يأتينّكم مني هُدى**، ص ١١.

٢- السيد حسين السيد حسين الحوثي، **الإسلام وثقافة الاتباع**، ص ١١.

٣- السيد حسين الحوثي، **سورة الأعراف**، الدرس التاسع والعشرون، ص ١٩.

هذا، وهذا يخالف هذا، ويتفرقون فلا تجتمع لهم كلمة في أغلب الأحوال"[1]. وهذا ينافي ما ذكره الله في القرآن من ضرورة الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتشرذم المذموم كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: ١٠٣)، وقال سبحانه: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (آل عمران: ١٠٥).

من هنا يحصل التناقض الذي لا يقره الشرع ولا يرضاه العقل أيضاً. ويوجه السيد حسين الحوثي سؤالاً لمن يشجعون الاجتهاد قائلاً لهم: إذا كانت تلك الآيات "تنهى هنا عن الاختلاف والتفرق، وتهدد بالعذاب العظيم عليه، وتأمر بالاعتصام الموحد الجماعي بحبل واحد، ثم أنت في نفس الوقت تشرّع ما هو منبع من منابع الاختلاف والتفرق؟ حيث أجزت لكل واحد منا، أو أردت من كل واحد منا أن ينطلق هو بمفرده فيعتمد على ما أداه إليه نظره وترجيحه، ونحن نرى أن الأنظار تختلف، والنتائج تختلف.. ألم يختلف شرع الله هنا؟ ألم يؤد إلى اختلاف؟"[2].

إذا كان علم أصول الفقه قد فتح باب تعدد الآراء بتعدد الاجتهادات المؤدية إلى الاختلاف، فإن القرآن قد بيّن لنا أن مهمة الرسل والكتب السماوية هي أن تحسم موضوع الاختلاف وتوحد الناس كما قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ} (البقرة: ٢١٣). وهنا يصل السيد حسين الحوثي إلى السبب الذي من أجله انتقد الاجتهاد بشده، وذلك لأنه طريق مؤدي إلى الفرقة والاختلاف المنهي عنه في القرآن، على أساس أن "مهمة الرسل والكتب السماوية هي أن تحسم موضوع الاختلاف؛ {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ}. من أجل ماذا؟ لأجل أن يحسم موضوع الاختلاف فلا يختلفون، يقولون في تفسيرها أن معناها: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين، أي كانوا على دين واحد، على طريقة واحدة من بعد آدم فترة معينة من الزمن لا يختلفون، حتى بدأ الاختلاف يدب فيما بينهم، فجاءت الكتب السماوية وجاء الرسل من أجل أن يحسم موضوع الاختلاف"[3].

١- السيد حسين الحوثي، **معنى التسبيح**، ص ٩.

٢- **المرجع السابق**، ص ١٠.

٣- السيد حسين الحوثي، **الإسلام وثقافة الاتباع**، ص ٢١ - ٢٢.

تناغماً واتساقاً مع مشروع السيد حسين الحوثي الفكري القرآني الذي يجعل من القرآن قاعدة انطلاق - وسيلة وغاية في الوقت نفسه - فقد رفض الاجتهاد الذي "تباهى به المذهب الزيدي"، لأنه يؤدي إلى الاختلاف والتفرق المنهي عنه. فهو قد يبرز إمكانيات الفرد لكنه بالمقابل يعطل بناء الأمة "بسبب فردية الاجتهاد تعذر تشكيل أمة أو كتلة تاريخية تتحمل مشروع النهضة، وبسبب النظرة الفردية للدين تعطلت أهم وظائفه وهي بناء أمة "[1]. ولأن القرآن كذلك يأمرنا أن نتمسك به باعتباره الطريق المستقيم وحبل الله المتين، وكل ما عداه من سُبل ومن ضمنها الاجتهاد تفرق ولا تجمع كما قال تعالى: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الانعام: ١٥٣).

مجمل القضية لدى السيد حسين هي أن التصور القرآني لا يعتبر قضية تثقيف الأمة شأناً بشرياً يخضع للتقليد تارة وللاجتهاد تارة أخرى، وإنما رسم لهم الطريق المستقيم المؤدي إلى الهدى، وبدونه لن يصلوا أبداً. ويجب النظر من تلك الزاوية كي نفهم النقد الموجه للتقليد وللاجتهاد اذا أردنا أن نفهم، فكل ما يفرق الأمة الإسلامية ويبعدها عن الطريق المستقيم مرفوض لديه جملة وتفصيلاً، فالمسألة لديه هي: "مسألة إتباع... ليست اجتهادات، ولا تقليدات، المسألة مسألة إتباع، فهو الذي يرسم الطريق، وطريق بيّن، فيتبع الناس كلهم، ليس هناك حاجة لأحد يأتي يستنبط، ويحتاج يطلّع أشياء من عنده أبداً. {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}. هناك سبل أخرى تقدم من الآخرين، أي سبيل تسيرون عليها ستبعدكم عن سبيله، هي طريق تمشّيك كذاك، كلما مشيت عليها، كلما ابتعدت عن الطريق الذي رسمه الله، الصراط المستقيم"[2].

قد يعتقد البعض أن نقد السيد حسين الحوثي للاجتهاد يُعد اجتهاداً بحد ذاته، أو يمكن أن يصنف باعتباره باباً من أبوابه، وذلك على أساس أن ما قاله يُعتبر تجديداً كون الاجتهاد قد تحوّل في إطار المذهب الزيدي إلى تقليد؛ لكنه قطع عليهم الطريق قائلاً: "أنا شخصياً لا أجتهد، تعرفوا، لا أمارس عملية الاجتهاد إطلاقاً، تفهموا هذا؟ ودائماً أقول كلما نقدمه للناس ليس بجديد، كلما نقدمه للناس من صريح القرآن الكريم، ومن

١- عبدالملك العجري، "جماعة أنصار الله: الخطاب والحركة"، **مقاربات سياسية**، مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني، العدد (٢)، السنة الثانية، ٢٠١٧م، ص ٢٤ - ٢٥.

٢- السيد حسين، **سورة الأنعام**، الدرس السادس والعشرون، ص ٥٢.

صريح أقوال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن صريح أقوال أئمة أهل البيت القدامى، ومن صريح الواقع الذي كشف لنا خطأ كثير من القواعد التي ينشغل بها الآخرون. الواقع.. الأحداث، هي مما يكشف الأخطاء، مما يساعد على كشف الأخطاء"[١].

السيد حسين الحوثي لا يرفض الاجتهاد لذاته - جملة وتفصيلاً - وإنما رفضه لأنه اجتهاد فيما لا يُفيد ولنتائجه العقيمة التي لا تتفق ومشروعه الفكري، الذي يؤسس للعودة إلى القرآن ليكون "فوق كل ثقافة وفكر ورمز، وعملياً نقَد الأشياء الكثيرة حتى على مستوى المذهب الذي ينتمي إليه، أي شيء يُخالف القرآن أسّس لأن يكون محل نقد"[٢].

أما اذا كان الاجتهاد في إطار مشروعه الفكري القرآني الذي يجعل منه اجتهاداً وتنفيذاً لأوامر الله في القرآن، وليس في إطار البحث عن الفروع في أصول الفقه، فهو مرحب به وخاصة إذا كان يوحد الأمة ويجعلها تقف صفاً واحداً في مواجهة أعدائها، فكما قال: "قل لمن يقولون يريدون أن يجتهدوا: حياكم الله، تعالوا نجتهد جميعاً في هذا الظرف كيف نواجه أعداء الله، هذا هو مكان الاجتهاد (...) لماذا لا يجتهد من يتعصبون لأصول الفقه، فيشتغلوا في: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} (الصف: ١٤)، أليست هذه آية واضحة؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ} (المائدة: ٣٥)، اجتهد في الميدان هذا، هذا هو مكان الاجتهاد الحقيقي" [٣].

الاجتهاد الحقيقي لدى السيد حسين هو الذي ينطلق من الواقع - نظراً وتنظيراً وجهداً واجتهاداً - من أجل تغييره، كي يصل المجتهد في نهاية المطاف إلى أنفع الوسائل التي تتيح للمجتمع محاربة الأعداء. هنا والآن، في هذه النقطة بالذات، يحق للمجتهد أن يبذل جهده الفكري والعملي "ولك حق أن تجتهد، فتبذل جهدك، وتبحث، تشحذ همتك، وتفكر، وتنظِّر، وتَنظُر؛ لتصل إلى أحسن الوسائل لمحاربة أعداء الله"[٤]. لأن الاستعداد لمحاربة العدو المتربص هو المحل الحقيقي الذي يجب أن يشتغل عليه المجتمع. فقه الواقع المعاصر هو مجال الاجتهاد الحقيقي وخصوصاً الجهاد لمواجهة العدو القرآني.

١- السيد حسين الحوثي، **الإسلام وثقافة الاتباع**، ص ١٨.

٢ - **المشروع القرآني انطلاقته ومعالمه**، ص ٢٥.

٣ - السيد حسين الحوثي، **الإسلام وثقافة الاتباع**، ص ١٨.

٤ - السيد حسين الحوثي، **خطورة المرحلة**، ص ١٩.

يجب على المجتهد أن يحذف (تاء) الاجتهاد ويبقي باب الجهاد مفتوحاً على مصراعيه ما دام الجذر اللغوي واحداً بين الجهاد والاجتهاد، وكل فهم للاجتهاد لا يجعل منه جهاداً للعدو فهو فهم خاطئ ومرفوض، على اعتبار أن الجهاد اليوم "هو الاجتهاد الحقيقي، ومنه سمي الجهاد جهاداً، لكننا نبحث عن الاجتهاد نشغِّله في غير مواضعه، ومتى ما حذفت التاء ألغينا الكل، الجهاد، جهاد واجتهاد أليس جذرها واحد؟ مادة واحدة جذرها واحد، الاجتهاد نشتغل به في غير موضعه، لكن متى ما حذفت التاء، وأصبح جهاداً أغمضنا أعيننا، وقلنا: لا، الجهاد جهاد النفس! متى ما رجعنا قلنا: جهاد النفس هو الجهاد الأكبر"[1].

- الخاتمة:

هكذا يتضح لنا أن هناك رؤية واضحة لدى السيد حسين الحوثي فيما يتعلق بمشروعه الفكري القرآني، رفض على أساسها جوانب في كتب التراث ووجه لها سهام نقده وخصوصًا تلك التي قدمت نظرة تقديسيه لشخصيات الماضي، مما جعلها لدى البعض شخصيات أسطورية - فوق واقعية - تحوّلت مع مرور الزمن إلى أصنام - إذا جاز لنا التشبيه - تضر ولا تنفع، وقدمت باعتبارها القدوة التي تؤدي إلى الصراط المستقيم، وهذا قد يصرف المسلمين عن القرآن الذي يهديهم إلى الصراط المستقيم الذي أراده الله ودل عليه وليس الصراط الذي أراده البشر.

لقد توصلنا إلى أن النقد الذي وجهه السيد حسين لكتب التراث ليس نقداً لها في ذاتها ولا يهدف من وراء نقده لها مجرد النقد، وإنما كان نقده موجهاً إلى الأيديولوجيا التي سيرّت ووجهت تلك الكتب وجعلت منها بديلاً عن القرآن - بقصد أو بغير قصد، وجعلت منها بديلاً عن صورة النبي التي رسمها القرآن، وليست تلك الصور التي رسمتها كتب التفسير والسيرة وكتب الحديث. فكتب السيرة التي تناولت حياة النبي (صلى الله عليه وعلى آله) ركزت في حديثها عنه على الشكل وأهملت المضمون - وهو الأهم - ذكرت التواريخ وعدد الجنود في الغزوات ولم تذكر شيء عن شخصية النبي وتعامله مع الخصوم في تلك الغزوات، بما يُعزز المعنى القرآني الذي يؤكد أن الله قد بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى آله) رحمة للعالمين، وأنه كان على خُلق عظيم في كل المواقف وخصوصاً مع أعدائه.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٩ - ٢٠.

كتب الحديث - كذلك - جردت الرسول عن شخصيته العظيمة التي رسمها القرآن، واستطاع من أسلم من بعض اليهود النفاذ اليها ونقل تراثهم، فالمحدثون جردوا الرسول من شخصيته وحولوه إلى مجموعة كتب ملئت بالكذب عنه والافتراء عليه.

هو يرى أننا إذا أردنا أن نتعرف على الرسول معرفة حقيقية فيجب علينا أن نتعرف عليه من خلال القرآن الكريم، كي يترسخ حبه وعظمته واحترامه لأن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ومواقف هي تنفيذ لتوجيهات قرآنيه.

لقد انتقد كذلك النظرة التقديسية للملوك والحكام في كتب التراث التي أضفاها عليهم بعض وعاظ السلاطين، وقد انتقلت إلى الحاضر وشكلت عائقاً أبستمولوجيا في سبيل النهوض المنشود، وعملت على تدجين الشعوب، وشلّت حركتها عن مقاومة ظلم الحكام وتغيير الواقع واعتبرت الخروج عليهم خروجاً عن الدين.

كما انتقد أيضاً كلاً من علم الكلام وعلم أصول الفقه ومبدأ الاجتهاد، باعتبار أن تلك العلوم حجبت الناس ومنعتهم من التمسك بالقرآن ومن إحياء الثقافة القرآنية في نفوسهم أولاً وفي الواقع كذلك.

وقد اتضح لنا أن السيد حسين الحوثي لا يرفض الاجتهاد لذاته - جملة وتفصيلاً - وإنما رفضه لأنه اجتهاد فيما لا يُفيد ولنتائجه العقيمة التي لا تتفق ومشروعه الفكري، أما اذا كان الاجتهاد في إطار مشروعه الفكري القرآني الذي يجعل منه اجتهاداً وتنفيذاً لأوامر الله في القرآن، وليس في إطار البحث عن الفروع في أصول الفقه، فهو مرحب به وخاصة إذا كان يوحّد الأمة ويجعلها تقف صفاً واحداً في مواجهة أعدائها، فكما قال: يجب على المجتهد أن يحذف (تاء) الاجتهاد ويبقي باب الجهاد مفتوحاً على مصراعيه ما دام الجذر اللغوي واحداً بين الجهاد والاجتهاد، وكل فهم للاجتهاد لا يجعل منه جهاداً للعدو فهو فهم خاطئ ومرفوض على اعتبار أن الجهاد اليوم هو الاجتهاد الحقيقي، ومنه سمي الجهاد جهاداً.

الوهابية وفلسطين: هوامش على فقه الخيانة

د. رفعت سيد أحمد
مفكر عربي وباحث في قضايا الفكر العربي والصراع العربي الصهيوني،
رئيس مركز يافا للدراسات والأبحاث – القاهرة

الوهابية كدعوة - بتاريخها ومواقفها وفتاويها - إنما تمثل خطفاً للإسلام وتوظيفاً له في مشاريع ضد رسالته وجوهره الأصيل باعتباره دين عدل ودعوة حق وجهاد. إن المتأمل لخلاصة مواقف وسياسات الدعوة التي حملتها الوهابية للعالم وتولت ترجمتها على أرض الواقع ثلاث ممالك ودول سعودية متتالية في أرض الجزيرة العربية، سيكتشف وبشكل موثق وحاسم أن الوهابية كانت - وستظل - أداة في أيدي القوى الاستعمارية لتفكيك الإسلام وتشويه مقاصده واحتلال أرضه؛ إذ هكذا تقول لنا دروس تاريخ الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥م - ١٨١٨م) والثانية (١٨٢٤م - ١٨٩١م) ومن ثمّ الثالثة التي نعايشها ونعاني من سياساتها منذ العام ١٩٣٢م وحتى الوقت الراهن.

في السطور التالية، سوف نسلط الضوء على علاقة الوهابية والدولة السعودية الحاملة للوائها بالمشروع الصهيوني في فلسطين، وكيف قامت - ولا تزال - بخدمة هذا المشروع، وضخت في شرايينه ما يخدم بقاء إسرائيل، وذلك عبر الفتاوي الجاهلة والمعادية للجهاد والمقاومة، ومن خلال سياسات العمالة الدائمة لواشنطن وتل أبيب. وكل ذلك - لا ريب - قد أضر بالقضية الفلسطينية وبالحق العربي والإسلامي، وخدم - ولايزال - أعداء هذا الحق. ولعل المواقف والتصريحات الأخيرة لولي العهد السعودي (محمد بن سلمان) الداعية للتطبيع والسلام مع المحتل الإسرائيلي، فضلاً عن لقاءاته المتكررة والعلنية مع قادة أجهزة المخابرات والأمن الإسرائيليين، تؤكد جميعها حقيقة التوظيف الواسع للوهابية لخدمة المشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة.

لبيان الحقائق التاريخية والراهنة المتعلقة بالفكرة المركزية سالفة الذكر؛ سيتمحور الحديث في مقالنا التحليلي هذا حول النقاط الآتية:

- أساس ممالأة الكيان الصهيوني في فكر الدعوة الوهابية:

إن الوهابية - عبر حقبها التاريخية الثلاث مع الدولة السعودية - لا ترى في إسرائيل عدواً أو غاصباً للأرض ومهدداً للعقيدة والمقدسات الإسلامية في فلسطين وخارجها؛ فأغلب فتاوى ومؤلفات الجيل الوهابي من المشايخ السعوديين الذين عاصروا إنشاء الكيان الصهيوني (١٩٤٨م) لا تتضمن أي إشارة إلى حقيقة الاحتلال الإسرائيلي وتهديداته للوجود العربي والمقدسات الإسلامية في فلسطين، بل على العكس تماماً، هناك دعوات للتصالح والسلام والتعايش مع الكيان الصهيوني، مثلهم في ذلك مثل (آل سعود) الممثلين للقيادة السياسية للدعوة الوهابية، وخاصةً في الدولة السعودية الثالثة (الراهنة) التي نشأت عام ١٩٣٢م علي غرار نشأة إسرائيل، معتمدةً على إراقة الدماء والعنصرية ضد الآخر من أبناء المذاهب الإسلامية، مع العمالة الكاملة للغرب.

إجمالاً، قامت فتاوي شيوخ الوهابية المعاصرين لنشأة (إسرائيل) على اعتقاد مفاده أن إسرائيل ليست عدواً، ومن ثم يجوز التصالح والتطبيع وإقامة العلاقات معها ومن ثمَّ إيقاف الجهاد. ولايزال الموقع الالكتروني لابن باز (مفتي السعودية الأسبق) يحتفظ بنص الفتوى التي تبيح التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي؛ إذ سبق وسُئل بن باز: "هل يجوز بناء على الهدنة مع العدو اليهودي تمكينه - بما يسمى بمعاهدات التطبيع - من الاستفادة من الدول الإسلامية اقتصادياً وغير ذلك من المجالات، بما يعود عليه بالمنافع ويزيد من قوته وتفوقه وتمكينه، وهل على المسلمين أن يفتحوا أسواقهم لبيع بضائعه، وتأسيس مؤسسات اقتصادية كالبنوك والشركات يشترك اليهود فيها مع المسلمين، و أن يشتركوا كذلك في مصادر المياه كالنيل والفرات وإن لم يكن جارياً في أرض فلسطين؟". فكان رد بن باز على ذلك السؤال بالقول: "يلزم من الصلح بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين اليهود ما ذكره السائل بالنسبة إلى بقية الدول، بل كل دولة تنظر في مصلحتها، فإذا رأت أن من المصلحة للمسلمين في بلادها الصلح مع اليهود في تبادل السفراء والبيع والشراء وغير ذلك من المعاملات التي يجيزها شرع الله المطهر، فلا بأس في ذلك. وإن رأت أن المصلحة لها ولشعبها مقاطعة اليهود فعلت ما تقتضيه المصلحة الشرعية، وهكذا بقية الدول الكافرة حكمها حكم اليهود في ذلك. والواجب على

كل من تولى أمر المسلمين، سواء كان ملكاً أو أميراً أو رئيس جمهورية، أن ينظر في مصالح شعبه، فيسمح بما ينفعهم ويكون في مصلحتهم من الأمور التي لا يمنع منها شرع الله المطهر، ويمنع ما سوى ذلك مع أي دولة من دول الكفر"[1].

بموجب رد بن باز - الوارد آنفاً - فإنه قد أجاز الصلح والتطبيع مع إسرائيل دون اعتبار للحقوق والمقدسات المغتصبة في فلسطين، وأناط الأمر برمته لولي الأمر (الحاكم)، وذلك بالرغم من علمه أن أغلب أولياء أمور المسلمين والعرب وخاصة في السعودية ليسوا سوى دمى وأدوات في أيدي الغرب، وأنهم جاءوا إلى السلطة بالقوة وبغير الرضا الشعبي أو حتى أبسط قواعد الديمقراطية! هي إذاً دعوة صريحة وتأسيسية؛ لأنها صدرت منذ سنوات طوال مضت حين كان التطبيع لايزال في بداياته بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية، فهي بمثابة دعوة تأسيسية للصلح مع الكيان الصهيوني المغتصب للحقوق، وبالمخالفة صريحة لكل فتاوى العلماء الثقات - خاصة علماء الأزهر الشريف - التي كانت قد حسمت أمر الجهاد ضد الكيان الصهيوني منذ سنين طوال. لكن، ولأن للوهابية مآرب أخرى بعيدة عن صحيح الدين، فقد شرعنت الاحتلال والمصالحة والتطبيع مع الكيان الصهيوني. وهو النهج الذي سار عليه فعلياً - كما سنرى لاحقاً - كل حكام الأسرة السعودية منذ العام ١٩٤٨م وحتى الوقت الراهن (٢٠١٨م).

- تصدي المفكرين والعلماء العرب لكشف فكر التطبيع الوهابي:

تأكيداً لوجود أساس فكري وهابي يبيح التصالح والتطبيع مع الكيان الصهيوني، تصدى العديد من العلماء والمفكرين العرب لكشف الستار عن تلك الحقيقة، ومن أولئك العلامة اللبناني المعروف في النصف الأول من القرن الماضي العلامة السيد محسن الأمين الذي عمل في كتابه الأكثر شهرة (كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب) على كشف العلاقة القديمة بين اليهود الصهاينة الأوائل وبين آل سعود. وذلك الكشف يعد في واقع الحال (قديماً - جديداً)، لكنه يكتسب أهمية خاصة في ظل الأوضاع الراهنة التي تمر بها القضية الفلسطينية؛ لذا سننقل من كتابه هذه الحقائق المهمة:

١- في كتاب ألفه إسحاق بن زفي (الرئيس الثاني للدولة اليهودية الإسرائيلية) بعنوان: (الدونمة)، يقول بن زفي - بالحرف - في الصفحة (٢٣٢): "هناك طوائف دينية لا تزال

١- موقع ابن باز؛ متوفر على الرابط:

https://bin baz org.sa

تعتبر نفسها جزءاً من بني إسرائيل، وأعضاء هذه الطوائف - رغم اختلاف أسلوبهم عن مجموعة الشعب اليهودي - استمروا على إقامة شعائر الدين اليهودي، ومن هؤلاء طائفة السامريين الذين يعتنقون صراحة الدين الموسوي، ومنهم طائفة هامة أخرى هي طائفة الوهابية وهي مسلمة في الظاهر إلا أنها تقيم سرّا الشعائر اليهودية".

٢- قال حاييم وايزمان (الرئيس الأول للدولة اليهودية الإسرائيلية) في مذكراته ما نصه: "إن إنشاء الكيان السعودي هو مشروع بريطانيا الأول (....) والمشروع الثاني من بعده إنشاء الكيان الصهيوني بواسطته". ويضيف وايزمان نقلاً عن تشرشل (الرئيس الأسبق للحكومة البريطانية الذي كان له دور أساسي وبارز في قيام الكيانين الوهابي السعودي والعنصري الصهيوني)، قوله: "أريدك أن تعلم يا وايزمان إنني وضعت مشروعاً لكم ينفذ بعد نهاية الحرب [الحرب العالمية الثانية]، يبدأ بأن أرى ابن سعود سيداً على الشرق الأوسط وكبير كبرائه، على شرط أن يتفق معكم أولاً، ومتى قام هذا المشروع عليكم أن تأخذوا منه ما أمكن وسنساعدكم في ذلك (....) وعليك كتمان هذا السر، ولكن انقله إلى روزفلت (....) وليس هناك شيء يستحيل تحقيقه عندما أعمل لأجله أنا وروزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية".

٣- قول القنصل البريطاني ديكسون في كتابه (الكويت وجاراتها)، في الصفحة (٢٧٤) بأن الملك عبد العزيز كان يخاطب بيرسي كوكس كأنه أستاذه ومربيه!، حيث يقول الملك عبد العزيز لبيرسي كوكس بالحرف: "أنت مثل أبي وأمي فقد صنعتني من الصفر وأوصلتني إلى ما وصلت إليه". وحين حصل خلاف بينهما حول مسألة الحدود قال له بيرسي كوكس بلهجة السيد: "أنا الذي أحدّد الحدود. عندها انهار عبد العزيز وقال لبيرسي كوكس: لو أمرتني بالتنازل عن نصف مملكتي لنفّذت أمرك"[١].

- فتاوى وهابية: التطبيع مع إسرائيل في مواجهة "الرافضة"

على المنوال نفسه، صدرت عشرات الفتاوي الأخرى التي تؤكد الرؤية الوهابية المتصالحة - ضمناً أو صراحةً - مع الاحتلال الصهيوني والمعادية لقوي المقاومة العربية والإسلامية خاصة حزب الله في لبنان، مع تلبيسها الأمر بصبغة مذهبية مقيتة معتبرةً "الشيعة" أخطر من الكيان الصهيوني. وفي هذا السياق نورد الفتوي الشهيرة للشيخ الوهابي (ابن جبرين) إبان العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦، والتي حرّم فيها الدعاء

١- السيد محسن الأمين، **كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب**، بيروت، (د. ن)، ١٩٩٠م.

لحزب الله؛ ففي ذروة العدوان الصهيوني على لبنان أفتى الشيخ بن جبرين بأن نصرة حزب الله في حربه المقدسة ضد العدو الصهيوني حرام، وأنه لا يجوز الدعاء له باعتباره "حزب رافضي" خارج عن ملة الإسلام. وحتى لا نكون متجنين على الرجل فلننتقل إلى نص فتواه التي وردت كإجابة على سؤال حول ذلك الأمر: "س: بدأ في الآونة الأخيرة ظهور بعض المنادين بنصرة حزب الله اللبناني. هذا الحزب رافضي موالٍ لإيران؟ وسؤالنا: هل يجوز نصرة حزب الله الرافضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟ الإجابة: لا يجوز نصرة هذا الحزب الرافضي ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرأوا منهم وأن يخذلوا من ينضمون إليهم وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة، فإن الرافضة دائماً يضمرون العداء لأهل السنة ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ).

لكن من فضل الله أن العلماء الثقات وشيوخ الأزهر الشرفاء، قد هبوا - آنذاك - رافضين تلك الفتاوى التكفيرية، ومؤكدين على أن حزب الله يعد حزباً إسلامياً مجاهداً يدافع عن قضية إسلامية عادلة ضد عدو للإسلام وللأمة، وأن تلك الفتاوى تنم عن جهل بالفقه والدين، ولا تخدم سوى العدو الإسرائيلي ذاته الذى أسرع بنشرها على مواقع صحافته وفى كافة أنحاء العالم الإسلامي حتى يزيد من البلبلة وسط جموع المسلمين والعرب[1].

- الوهابية: حضن الإرهاب المستهدف لسوريا

من زاوية أخرى غاية في الأهمية، قامت الوهابية بالمشاركة في الحرب العالمية المفتوحة ضد أهم الدول العربية المقاومة للمشروع الصهيوني وأحد أكبر الداعمين التاريخيين للمقاومة العربية، ألا وهي سوريا؛ فباسم مساندة ما سمي بـ"ثورات الربيع العربي" تبنت الوهابية تقديم الدعم بالفتوى والمال والسلاح للجماعات الوهابية الداعشية في مواجهة الجيش الوطني السوري، وبدون أن تطلق رصاصة واحدة على العدو الصهيوني طيلة السبع سنوات الماضية (٢٠١١م – ٢٠١٨م). كما مولت السعودية وشيوخ الوهابية بالمال والفتوى والسلاح العديد الجماعات الوهابية غير داعش والقاعدة، حيث

١- رفعت سيد أحمد، **الحرب على لبنان**، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ٢٠٠٧م، ص ١٠ – ١٢.

أعلنت تلك الجماعات عن ذلك الدعم في وثائقها. ومن أبرز تلك الجماعات الارهابية: (جبهة فتح الشام، جيش الإسلام، أحرار الشام، درع الفرات، حركة نور الدين الزنكي، فيلق الشام، فيلق الرحمن، جيش الفسطاط، ألوية الفرقان، لواء التوحيد، لواء الفتح، لواء أنصار السنة، كتائب الفاروق، جبهة أنصار الإسلام، لواء أنصار الخلافة، أنصار الشام). وقد قامت تلك الجماعات الوهابية الإرهابية وعشرات أخرى مثلها بدور مساند لإسرائيل من خلال استنزافها لسوريا طيلة سنوات الحرب المفتوحة، بل كان لها مع إسرائيل علاقات تسليحية واستخباراتية مؤكدة[1].

- الوهابية والكيان الصهيونية: قناعات تؤازرها الأفعال

تطبيقاً للفهم الوهابي - سالف الذكر - للتصالح والمهادنة ومن ثم التطبيع مع الكيان الصهيوني، يحدثنا التاريخ أنه قبل إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين بعد حرب ١٩٤٨م، وتحديداً في عام ١٩٣٩م، التقى الأمير فيصل - بطلب من والده عبدالعزيز - وفداً يهودياً صهيونياً، حيث وافق في ذلك اللقاء على وجودهم في فلسطين وإقامة قنوات اتصال سرية فيما بينهم. إن التاريخ يؤكد أن ثمة علاقات خفية جرت مباشرة بين الأسرة السعودية الحاكمة والكيان الصهيوني، وعلاقات أخرى جرت بطريقة غير مباشرة دخلت فيها واشنطن وبعض عواصم الغرب على الخط فزادتها دفئاً وقوة. ولنتأمل في الصدد ذاته بعض صفحات التاريخ المؤيدة لتلك الحقيقة، وذلك على النحو الآتي:

١- يعود تاريخ أول لقاء سعودي - صهيوني إلى عام ١٩٣٩م، وذلك عندما عقد مؤتمر في لندن حول فلسطين بحضور الأمير فيصل الذي كان آنذاك وزيراً للخارجية، إذ اجتمع الأمير السعودي عدة مرات منفرداً بالوفد اليهودي (الصهيوني) في المؤتمر، حيث كان الملك عبدالعزيز يبذل قصارى جهده لتوطيد علاقاته بالأمريكان. وبمرور الوقت، وعندما أصبحت القضية الفلسطينية أكثر التهاباً، أفلح الأمريكان في إقناع الملك عبدالعزيز بالتحايل اللفظي من أجل التخلص من المسؤولية التاريخية، وذلك بإصدار بيان شديد اللهجة ضد اليهود ولكن دون أي تعهد من جانبه بالعمل ضدهم. وقد ظهر ذلك بوضوح في حرب عام ١٩٤٨. ومن ثمّ استمر هذا الموقف ليكون أساساً للسياسة السعودية إزاء القضية الفلسطينية، مجرد بيانات فارغة ومسايرة للرأي العام العربي لكن من دون أي

١- **حين توظف إسرائيل الأزمة السورية**، موقع الميادين؛ متوفر على الرابط:

https://www.almayadeen.net/articles/opinion/٨٣٤٧٢٥

التزام. ومن الطرائف التي يذكرها المناضل الشهيد ناصر السعيد في كتابه (تاريخ آل سعود) أن الملك عبدالعزيز دأب حين كان يلتقي الوفود الفلسطينية وبعضها بقيادة الشهيد عبدالقادر الحسيني أن يشير إلى عينه العوراء ويقول: "فلسطين في عيني، وأصلاً عينه تلك لم تكن موجودة!"[1].

٢- عندما تسلم الملك سعود الحكم وبدأ مغامراته مع النظام المصري بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م بالاقتراب منه مرة والابتعاد عنه مرات أخرى، شعرت إسرائيل بالقلق واستطاع موفدوها - تحت مظلة شركة أرامكو - أن يجدوا طريقهم إلى الملك سعود، ونجحوا في تحريضه ضد عبد الناصر. وفي عام ١٩٥٨م، ومع قيام الوحدة السورية - المصرية تدهورت العلاقات السعودية - المصرية إلى حد بعيد، وأصبح الملك سعود مقتنعاً بأن عبدالناصر - بعد حرب السويس وقيام الوحدة المصرية - السورية وحل حلف بغداد - يطمع في السيطرة على المنطقة العربية كلها. وكانت إسرائيل تعلم بعلاقات الملك سعود بسوريا، ونجحت في إقناعه بضرورة استغلالها لمصلحة العائلة السعودية وإسرائيل لمهاجمة الوحدة والإجهاز عليها؛ فبدأت بالعمل فوراً، حيث تم تشكيل لجنة سرية مؤلفة من موظفين يعملان في شركة أرامكو (الأول ضابط مخابرات إسرائيلي يحمل جواز سفر أمريكي ويعمل في قسم العلاقات العامة بالشركة، والآخر سعودي غير معروف من أصل سوري)، حيث توصلت اللجنة إلى أن عبدالحميد السراج - الرجل القوي الذي يرأس جهاز المخابرات السورية - يمكن أن يكون المفتاح لضرب الوحدة، وذلك على اعتبار أنه شخص فوق الشبهات ويتمتع بثقة عبد الناصر الخالصة، فأمطروه بالصكوك المالية التي تسلمها بدوره ليعلن عنها فيما بعد بهدف فضح المؤامرة الموجهة ضد الوحدة المصرية – السورية، وهي المؤامرة التي تضمنت في تفاصيلها اغتيال عبدالناصر. وحين حملت وكالات الأنباء خبر الكشف عن المؤامرة باء الملك سعود بالخسران، ووجد الأمير فيصل فرصته للانتقام من أخيه الملك واقصائه عن الحكم، حيث سافر إلى القاهرة وقابل جمال عبد الناصر ليتأكد بنفسه من أن المؤامرة قد جرت حقيقة وليست مجرد دعاية معادية، وما أن قُدِّم إليه ملف المؤامرة مع الصكوك المالية وأشرطة التسجيل حتى أعلن براءته منها وحاول استغلالها للمساعدة على إقصاء أخيه سعود عن الحكم.

١- ناصر السعيد، **تاريخ آل سعود**، موقع واي باك مشين؛ متوفر على الرابط:

https://www.wayback.com/

٣- من الحقائق التاريخية أيضاً، أنه في أوائل الخمسينات كان هناك ثلاثة طلاب يدرسون في صف واحد في كلية فيكتوريا في الإسكندرية، والتي كانت في الحقيقة مركزاً لتجنيد وتخريج عملاء الإمبراطورية البريطانية، أولئك الطلاب الثلاثة هم: شخصية عربية تبوأت عرش الملكية في دولة عربية مشرقية (الملك حسين)، كمال أدهم (صهر الملك فيصل) والذي أصبح فيما بعد مديراً للمخابرات السعودية، عدنان خاشقجي الذي أصبح فيما بعد من أهم تجار السلاح في العالم وذا علاقات وثيقة بالمخابرات الأمريكية – الإسرائيلية). وقد استطاعت المخابرات الأمريكية - آنذاك - تجنيد الثلاثة وغيرهم لتحمل المسؤوليات الموكلة إليهم؛ إذ أصبح الأول ملكاً، وكمال أدهم مستشاراً لفيصل ومسؤولاً عن المخابرات، بينما اختار عدنان خاشقجي حقل الاتجار بالأسلحة والعلاقات السياسية العامة - وهذه هي الطريقة المهذبة لتجنيد العملاء. وعندما تبلورت شخصية عبدالناصر السياسية بعد انتصاره في تأميم قناة السويس وفشل نظرية "ملء الفراغ" الأمريكية التي عرفت فيما بعد بـ"مشروع إيزنهاور"، أدركت أميركا أن رهانها على عبدالناصر كان خاسراً، وتوصلت المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية إلى وجوب تحجيم عبد الناصر وتخريب علاقاته بالحكام العرب، وذلك لأن شعبيته الواسعة يمكن أن تشكل خطراً شديداً على مصالح أمريكا وإسرائيل في المنطقة.

لقد كان ذلك الوقت ملائماً لـ "مجموعة فكتوريا" لكي ينهضوا بمسؤولياتهم؛ فبدأ الملك حسين بإرسال تقارير إلى العربية السعودية ضد عبدالناصر محذراً من طموحاته في المنطقة، وأخذ كمال أدهم يحشو رأس الملك فيصل بالمعلومات الخاطئة التي عززها بالمعلومات التي استطاع الحصول عليها مباشرة من الأمريكان أو عن طريق خاشقجي. وعندما نجحت هذه المجموعة في مهمتها تدخلت (أرامكو) للمرة الأولى، فأرسلت للملك سعود تقريراً مفصلاً لما أسمته "تحركات عبدالناصر"، وكانت المؤامرة التي أنهت - حينها - الوحدة المصرية - السورية عام ١٩٦١م بمثابة ذروة النجاح لتلك الجهود، وكان التمويل والتعاون بالطائرات والأسلحة والمؤامرات السياسية بين السعودية وإسرائيل في حرب اليمن لاستنزاف عبدالناصر في اليمن[١].

١- رفعت سيد أحمد، "أولاد العم المطبعون: التاريخ السري لعلاقة آل سعود بالإسرائيليين من الملك عبدالعزيز (١٩٣٩) إلى أنور عشقي (٢٠١٦)"، بيروت، **جريدة البناء**، ٢٠١٦/٨/٢٣م.

- السعودية ونهج التطبيع الجديد - القديم:

إذا ما عدنا مع التاريخ قليلاً إلى سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي سنجد أن عدداً من الشخصيات السعودية الرئيسية كان لها دور تاريخي في التطبيع مع العدو الصهيوني، ومن بين تلك الشخصيات كمال أدهم وعدنان خاشقجي.

لقد كان خاشقجي صديقاً وشريكاً في تجارة السلاح مع ديفيد كيمحى (رئيس الموساد في أوروبا آنذاك) وآل شويمر (المدير السابق لمصانع الطائرات الإسرائيلية وتاجر السلاح)، ومن خلالهما تعرف على العديد من المسؤولين الإسرائيليين (بيجن، بيريز، شارون.. وآخرين)، وقام - بموافقة من الملك الراحل فهد وتحت إشراف بندر بن سلطان سفير السعودية في واشنطن وقتها – بإجراء العديد من اللقاءات مع العديد من الحكام والسياسيين العرب والإسرائيليين، وتقديم تقارير للمخابرات الأمريكية، ومنها - على سبيل المثال - التقرير الذي كتبه في (٤٧ صفحة) وسلمه لروبرت ماكفرلين (مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي) في ١٧ مايو ١٩٨٣م، وزعم فيه أن: "جميع الدول تعترف ضمنا بأن القدس ستبقى في أيدى إسرائيل عند إبرام تسوية"، وذلك بحسب ما نقله الصحفي الإسرائيلي (صموئيل سينان) في كتابه: (العلاقات الإسرائيلية السعودية).

بصفة عامة، لم يكن سلوك أعضاء خلية فيكتوريا بعيداً عن سياسات دولهم في ارتباطها المباشر بالمصالح الغربية المعادية لمصالح شعوبهم. وكانت أبرز الأمثلة على ذلك ما تم بشأن الوحدة المصرية - السورية وما حدث بعدها في اليمن. لكن الأجدر بالملاحظة هنا هو الدور الذي لعبته المملكة السعودية في تلك الحملات التي لم تنقطع يوماً ضد أي تحرك شعبي يحمل شبهة العداء للاستعمار والقوى الغربية في المنطقة؛ فقد كان حكام السعودية وملوك آخرون أمريكيين أكثر من الأمريكان أنفسهم.

في واقع الحال، لا يحتاج دور السعودية في الوقت الراهن (٢٠١٨) للنقاش، فهو دور فاضح لنفسه من غير مواربة، وشديد الوضوح في خدمة المشروع الأمريكي والصهيوني إلى حد لم يعد يحتاج إلى بيان. لكن مع ذلك، دعونا نرجع إلى الماضي القريب للمزيد من الشواهد على ذلك الدور وفقاً للآتي:

- عندما تنشر صحيفة الجارديان اللندنية في ١٥ مارس ١٩٩٥م أن: "إسرائيل ساعدت الملك الحسن الثاني ملك المغرب على هزيمة مقاتلي جبهة البوليساريو في الصحراء المغربية الغنية بالفوسفات ببناء حاجز ترابي هائل يمنع هجمات مقاتلي الجبهة عن الجيش

المغربي". فإننا نتفهم ذلك الأمر لأن دور إسرائيل في المنطقة معروف؛ لكن عندما يصرح السفير الأمريكي في المغرب للتليفزيون البريطاني (i.tv.) بأن: "الحاجز المذكور تكلف مليار دولار دفعتها السعودية". فإننا لا ريب نوقن بأن دور السعودية في مواجهة الشعوب وحركات التحرر قد أصبح دوراً إقليمياً ولم يقتصر على محيطها الجغرافي المباشر.

- يتكشف دور السعودية ويتضح أكثر من خلال قيامها بشراء كميات هائلة من الأسلحة الإسرائيلية في بداية الثمانينات. وقد أشار إلى ذلك الأمر ضابط المخابرات الإسرائيلي (فيكتور أوستروفسكي) في كتابة الشهير الذي نشره في كندا، وفشل إسحق شامير (رئيس وزراء إسرائيل آنذاك) في منع نشره عن طريق القضاء حرصاً على إخفاء أسرار العلاقات الإسرائيلية السعودية بعيدة عن أسماع الشعوب العربية. يقول أوستروفسكي في كتابه إن: "المملكة السعودية تشتري كميات كبيرة من الأسلحة المصنوعة في إسرائيل، وقد علمت من القسم المسؤول عن السعودية في الموساد أن إسرائيل تبيع - عبر دولة وسيطة - خزانات وقود للطائرات السعودية المقاتلة (F 15) لتمكينها من الحصول على مزيد من الوقود لإطالة الرحلة إذا ما دعت الحاجة لذلك". وقد أكدت ذلك الخبر مجلة (جينز) العسكرية في ٢١ يوليو ١٩٨٤م[١].

- يعطي الصحفي الإسرائيلي (ستيف رودان) في الجيروزاليم بوست في ١٧ سبتمبر ١٩٩٤م تفصيلاً أدق للمسألة حول المسألة سالفة الذكر، وذلك عندما يقول: "إن حرب الخليج عام ١٩٩١ قد شكلت منعطفاً هاماً بالنسبة لصناعات إسرائيل العسكرية لأنها مكنتها من بيع الأسلحة الإسرائيلية على نطاق واسع للولايات المتحدة وحلفائها العرب، فمثلاً اشترت السعودية منها منصات إطلاق صواريخ توماهوك، وقذائف مضادة للدروع، وطائرات استطلاع بدون طيار، وأجهزة ملاحة، فضلاً عن ١٤ جسر عسكري صنعتها شركة تاس الإسرائيلية سعر الجسر الواحد مليون دولار". وحول الموضوع ذاته، يضيف الخبيران الأمنيان (ميليمان ورافيف): "إسرائيل شحنت للسعودية مناظير للرؤية الليلية ومعدات

١- رفعت سيد أحمد، "أولاد العم المطبعون: التاريخ السري لعلاقة آل سعود بالإسرائيليين من الملك عبدالعزيز (١٩٣٩) إلى أنور عشقي (٢٠١٦)"، **مرجع سابق**.

لزرع الألغام وقد أمر الجنرال شوارتزكوف قائد قوات التحالف الغربي ضد العراق بإزالة جميع الكتابات العبرية المنقوشة على الأسلحة حتى لا يكتشف أحد منشأها"[١].

- أما عن عمليات التبادل التجاري بين السعودية وإسرائيل فقد كتب ألكسندر بلاي في (جيروزاليم كوارتلي) يقول: "إن النفط يغادر الموانئ السعودية وما أن يصل إلى عرض البحر حتى يتم تغيير مسار القافلة وتفريغ حمولتها في عرض البحر وتزييف أوراقها وتحويل الحمولة إلى الموانئ الإسرائيلية".[٢]

- كما أشارت مجلة (الإيكونوميست) البريطانية إلى أن: "إسرائيل تقوم بحماية النفط السعودي الذي يضخ من ميناء ينبع على البحر الأحمر، وعملاً باتفاق سرى إسرائيلي سعودي مصري فإن إسرائيل تقوم بموجبه بحماية القطاع الشمالي من البحر الأحمر بينما تقوم مصر بحماية القطاع الجنوبي والغربي مقابل حصولهم على مساعدات مالية سعودية". ونعتقد هنا أن هذه الترتيبات السرية والأمنية في مجال النفط التي ذكرتها الإيكونوميست لاتزال سارية حتى الوقت الراهن (٢٠١٨م).

- لا يقتصر الأمر على علاقات سرية بهذا الاتساع والعمق في تجارة السلاح والنفط بل تجاوزها إلى مجالات أخرى متعددة منها قيام الشركات والحكومة السعودية باستيراد أجهزة كمبيوتر إسرائيلية ماركة (ياردين) لري حدائق الأمراء والحدائق العامة – بحسب صحيفة يديعوت أحرونوت (١٦ ديسمبر ١٩٩٣م)، ومنها أيضاً عقد اتفاقيات رسمية لتصدير الحمضيات الإسرائيلية عبر الأردن – بحسب صحيفة معاريف (٤ يناير ١٩٩٥م)، وبحسب الصحيفة ذاتها (٢٩ أكتوبر ١٩٩٣م) فإن شركة سعودية اتصلت بمكتب المجلس المحلي لمستوطنة (كرنى شمرون) وأبدت استعدادها لشراء شقق سكنية بالمستوطنة[٣].

إن التاريخ يحدثنا بأن الملك الراحل فهد هو الذي دفع عدنان خاشقجي (رجله في مجال الاستثمار والمال) إلى القيام بنقل يهود الفلاشا إلى إسرائيل، والملك الراحل عبد الله هو الذي دفع بندر بن سلطان (السفير السعودي السابق في أمريكا ومسؤول الأمن القومي الحالي) لإقامة علاقات وزيارات وطيدة مع رجال الموساد إبان الحرب على لبنان (٢٠٠٦).

١- صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية، ١٩٩٤/٩/١٧م.

٢- موقع جريدة الراية القطرية؛ متوفر على الرابط:

https://www.raya.com/news/pages/8dd8105f-db7c-43fb-a01f-52cfb1515fe

٣- تناولت أشهر الصحف الاسرائيلية تفاصيل أسرار هذه العلاقات الاسرائيلية السعودية المبكرة في الثمانينات والتسعينات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ١٩٩٣/١٢/١٦، وصحيفة معاريف بتاريخ ١٩٩٣/١٠/٢٩.

والمعروف أيضاً أن عدد الشركات الإسرائيلية التي تعمل في الرياض منذ ثمانينيات القرن الماضي وحتى اليوم قد وصل إلى (١٩) شركة، وهي تحمل أسماء أمريكية حتى لا يغضب الرأي العام ويكتشف ازدواجية آل سعود التاريخية في ادعاء الإسلامية والعروبة في الوقت الذي يمارسون فيه التطبيع الاقتصادي مع عدو العروبة والإسلام.

بماذا نسمي العلاقات النفطية والاقتصادية وصفقات شراء السلاح السنوية مع دول الغرب وتصب عوائدها في جيوب الصهاينة، أليس هذا تطبيعاً ودعماً غير مباشر لإسرائيل في الوقت الذي يبخلون فيه على أهل غزة وفلسطين بما قيمته (١%) من هذه الصفقات "الحرام". ويتركون أهلها يموتون جوعاً وحصاراً! وبماذا نسمي حوار الأديان الذي عُقِد في ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨م مع شيمون بيريز، والعشاء الفاخر لخادم الحرمين الراحل (الملك عبدالله) معه! وبماذا نسمي أيضاً مبادرة السلام التي روج لها ودفع الملايين من الدولارات للإعلان عنها، ولايزال السعوديون يروجون لها حتى اليوم (٢٠١٨) رغم إسقاطها حق العودة واحتوائها على بنود تفرض رفع العلم الإسرائيلي فوق العواصم العربية كلها بما في ذلك مكة المكرمة بعد قبول إسرائيل بعودة (شكلية) لحدود ١٩٦٧!

السؤال هنا: أليس كل ذلك تطبيعاً مجانياً مع عدو الأمة ومغتصب مقدساتها؟!

- محمد بن سلمان وسفور التطبيع:

لقد واصل محمد بن سلمان (ولي العهد السعودي والملك المرتقب) ومعه من استقطبهم من شيوخ الدعوة الوهابية سياسة التعاون والتطبيع مع إسرائيل وخاصة في هذا العام (٢٠١٨) وذلك حين التقي كبار قادتهم سراً وكبار ممثليهم في أمريكا علناً. وفي مقابلة مع مجلة (ذا أتلانتيك) الأميركية (٢ أبريل ٢٠١٨م)، قال ولي العهد السعودي إنه يعتقد أن: "من حق الفلسطينيين والإسرائيليين العيش على أراضيهم".

كما أشار بن سلمان إلى أنه: "علينا التوصل إلى اتفاق سلام لضمان الاستقرار للجميع، ولإقامة علاقات طبيعية"، واصفاً الاقتصاد الإسرائيلي بـ"القوي مقارنة بحجمها"، وأنه: "في حال تحقيق السلام سيكون هناك الكثير من المصالح بين إسرائيل ودول مجلس التعاون الخليجي ودول مثل مصر والأردن". كما قال بن سلمان في تلك المقابلة إن: "لدينا مخاوف دينية بشأن مصير المسجد الأقصى في القدس وبشأن حقوق الشعب الفلسطيني. هذا ما لدينا. ليس لدينا أي اعتراض على أي شعب آخر".

في موازاة ذلك أكدت الصحافة الإسرائيلية خلال الفترة الماضية على معلومات استخباراتية مهمة تفيد بأن خطة الرئيس الأميركي (دونالد ترامب) لـ"التسوية في الشرق الأوسط"، والمعروفة بـ"صفقة القرن"، قد استحوذت على جزء كبير من المباحثات التي أجراها ولي العهد السعودي مع أركان الإدارة الأميركية في واشنطن خلال زيارته الأخيرة. وأفادت كذلك بأن كل من جاريد كوشنير (مستشار البيت الأبيض وصهر ترامب) وبن سلمان (وهما أصدقاء في "البزنس" والسياسة) قد أمضيا قبل أسبوع ساعات طويلة وعلى مدى ليلتين في بحث مستقبل الخطة. وإذا ما أضفنا لهذه المعلومات أخباراً أخرى تتحدث عن لقاءات سرية تمت بين رئيس الأركان الإسرائيلي وبين بن سلمان للتنسيق الأمني المشترك ضد إيران، وأنها تمت قبل زيارة بن سلمان لواشنطن، وأنه قد صاحبها اتصالات أخرى بين مسؤولين سعوديين وإسرائيليين في أماكن عدة من العالم بما فيها تل أبيب، إذا علمنا كل ذلك، فإن القول بتنامي العلاقات وتصاعد وتيرتها بين الدولتين (السعودية وإسرائيل) يصبح قولاً صحيحاً ومؤكداً[1].

خلاصة القول، إن الوهابية كدعوة يقدم فيها الشيوخ الفتاوى، وكسياسة يقوم فيها حكام الأسرة السعودية بإصدار وتبني السياسات والمواقف؛ ظلت عبر تاريخها الطويل - خاصة في الدولة السعودية الراهنة - نموذجاً للمهادنة وشرعنة الاحتلال للأراضي العربية في فلسطين، ونموذجاً لتضييع الحقوق المقدسة في بلاد احتوت بين جنباتها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. إن الوهابية التي أطلقت على الأمة الإسلامية عبر التمويل والفتوى جيوش الانتحاريين من تنظيمي القاعدة وداعش وأخواتهما، لم تطلق بالمقابل ولو فرداً أو طلقة واحدة ضد الكيان الصهيوني ومن أجل فلسطين. وفي ذلك كله تأكيد على أننا كنا - ولا نزال - أمام جماعة ودعوة ذات صبغة "وظيفية"، تعمل من أجل المشروع الاستعماري الغربي، وتوظَّف اليوم وبإخلاص نادر من أجل المشروع الصهيوني، ليتوسع ويكبر مبتلعاً ليس القدس فحسب؛ بل ربما (مكة) أيضاً.

١- مجلة ذا أتلانتيك (The Atlantic)، ٢/٤/٢٠١٨م.

ملخص كتاب:

"عاصفة الحزم" في "تويتر" .. دراسة تحليلية

تأليف: د. بتول السيد مصطفى (مملكة البحرين)
الطبعة الأولى: ٢٠١٩م
عدد الصفحات: ٣٠٨
الناشر: دار الابتكار للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)

- مقدمة:

أفرزت الثورة التكنولوجية وسائل إعلام جديدة ومواقع إعلام تفاعلي يتعاظم دورها ويزداد الإقبال عليها باستمرار، حتى باتت ضرورة من ضرورات عصر العولمة اللامحدود، حيث اختصار الزمن وتقريب المسافة وتجاوز أي عوائق مكانية أو زمانية. وقد وضعت هذه المواقع الجمهور في قلب الأحداث والوقائع الحية، كما منحته دوراً في صناعتها وبثها وإبداء رأيه حولها سلباً أو إيجاباً، باعتباره جمهوراً نشطاً وفاعلاً، وليس خاملاً أو جامداً يكتفي بتلقي أو استقبال المعلومة فحسب.

لقد أصبحت مواقع الإعلام التفاعلي اليوم في متناول سواد أعظم من المستخدمين، ولم تعد مجرد وسائل اتصال وتواصل بقدر ما غدت مصدراً هاماً للحصول على المعلومات، ومجالاً عاماً افتراضياً يطرح الآراء وقضايا الشأن العام ويتبادل وجهات النظر حولها. ومع التطور المذهل وغير المسبوق الذي يشهده الإعلام تحولت هذه المواقع إلى أدوات إعلامية لها دور كبير في التغيير والتأثير، فضلاً عن قدرتها على إنتاج اتجاهات جديدة ضمن الرأي العام افتراضياً في مجالها العام وواقعياً في الميدان.

ما ساهم في تعزيز ذلك الدور هي القيمة المضافة للإعلام التفاعلي الذي جمع بين كافة خصائص وسائل الإعلام التقليدية من إذاعة وتلفزة وصحافة وغيرها، لاسيما خاصية التفاعلية بين كافة أطراف العملية الاتصالية من مرسل ومستقبل ورسالة ووسيلة، ناهيك عمّا تتيحه من إطار واسع يضمن حرية التعبير والمناقشة وإبداء الرأي من دون رقابة أو قيود كتلك التي تفرضها منافذ الإعلام الرسمي، هذا إلى جانب سهولة استخدامه ومجانيته، حيث يتطلب وسائط باتت في متناول الغالبية كأجهزة الحواسيب المحمولة والهواتف الذكية.

تركز هذه الدراسة على تحليل المضمون "الرسالة" والتي تتمثل هنا في عينة من تغريدات واردة في موقع الإعلام التفاعلي "تويتر"، حيث تنبع أهمية دراسات تحليل المضمون من أهمية الرسالة نفسها، فهي المنتج الرئيس في العملية الاتصالية. والجدير بالذكر أن للبيئة الإلكترونية في عصر الإعلام التفاعلي الجديد تداعيات كبيرة على الرسالة الإعلامية، ما أثر على بنية نظام الإعلام وأفرز نماذج حديثة في الحقول الإعلامية لدرجة باتت فيها "الرسالة هي الوسيلة".

لقد أفضت التكنولوجيا الحديثة إلى تطور هائل في شكل الرسالة ومضمونها، وكذلك في تأثيراتها سواء كانت معرفية أو وجدانية أو سلوكية، والتي عادة ما تكون درجتها رهن متغيرات عدة كالمضمون وخصائص الوسيلة التي يُبث فيها. ومن جهة أخرى، يرتبط الإعلام بالنظام السياسي القائم، إذ يُعد من أدواته في تحقيق الأهداف التي يسعى إليها. كما أن الإعلام يؤثر بدوره على مجريات العملية السياسية في أي مجتمع، وفي النظام الإعلامي الجديد غدا الطرف الأقوى هو من يمتلك الوسائل والإمكانيات للسيطرة على الإعلام وتوجيهه الوجهة التي يريد، وفي المنطقة العربية تعقيدات تفرضها طبيعة أنظمتها الإعلامية، كما لها خصوصيات.

وعليه، ليس من الغريب أن تتحوّل أي مواجهة سياسية إلى مواجهة إعلامية بين القوى المتصارعة أو أطراف الصراع، وذلك من خلال الفعل ورد الفعل. وبالتالي، يكون الإعلام قد اتخذ وظيفة جديدة مهمة، حيث أصبح له وظيفة قتالية تنم عن صراع شديد بالأفكار عوضاً عن الأسلحة، فالإعلام عادة ما يطور أدواته حينما يسعى إلى الاحتواء الناعم للعقول. وفي هذه الحالة تبرز مواجهة بالسلاح في أرض المعركة، ومواجهة أخرى بالكلمة في الإعلام ممثلاً بالفضاء الافتراضي، ونظراً لاتساع رقعة تأثير وانتشار الإعلام التفاعلي بوسائطه وأدواته التي أضحت في متناول النخبة والعامة معاً، فاق تأثيرها ودورها الجيوش والعتاد، فالكلمة سلاح.

إلى ذلك، فإنه من المتعارف عليه زيادة اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام في أوقات الأزمات والصراعات السياسية، حيث تزيد حالة عدم الاستقرار من الرغبة في استقاء المعلومات والتعطش للحصول على أكبر قدر منها، وكسر احتكارها، وهنا قد يظهر "المواطن الصحفي" أو ما يُعرف بـ "الإعلام الشعبي". وهو مصطلح حديث فرضته

الثورة التكنولوجية والمعلوماتية وما نتج عنها من مواقع إعلام تفاعلي ساهمت في تبادل الأدوار بين أطراف العملية الاتصالية، حيث غدا المستقبل مرسِلاً وبالعكس.

بناء على ما تقدم، فإن هذه الدراسة تهدف إلى رصد تأطير أحد أبرز مواقع الإعلام التفاعلي "تويتر" لإحدى حالات الصراع السياسي في المنطقة العربية وهي عملية "عاصفة الحزم" التي شنتها عدة دول بقيادة المملكة العربية السعودية على الجمهورية اليمنية، وذلك في الفترة الزمنية من ٢٦ مارس ٢٠١٥ حتى ٢١ أبريل من العام نفسه (فترة الرصد)، حيث سُميت العملية بعد إعلان انتهائها عملية "إعادة الأمل"، رغم تبعاتها وتداعياتها المستمرة محلياً وإقليمياً حتى زمن إعداد هذه الدراسة.

من ساحة الصراع الواقعية إلى ساحة الصراع الافتراضية تم تحليل عينة من التغريدات الملحقة بوسم اسم العملية "عاصفة الحزم"، باعتباره الوسم الأول عربياً والثاني عالمياً حينذاك، وذلك من خلال عدة فئات للتحليل (شكلاً ومضموناً)، شملت أطراف العملية الاتصالية ممثلة في القائم بالاتصال أو المرسل "المغرد"، المستقبل "المتابع للمغرد"، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية تبادل الأدوار بينهما، إضافة إلى الرسالة "التغريدة"، والوسيلة "تويتر".

ورغم الجدلية الدائرة والمستمرة حول حقيقة دور ومدى تأثير مواقع الإعلام التفاعلي بشكل عام، أصبح من الأهمية بمكان دراسة دورها في تأطير الأحداث، لكونها أداة جديدة تسهم بشكل أو بآخر في تحديد مسارها وتعبئة الرأي العام بشأنها وفق رؤى ومواقف معينة، ناهيك عن كونها قناة حرة لتدفق المعلومات وبث المواد الإعلامية، ووسيلة لنقل الحراك السياسي من أرض الواقع، وأداة للتحشيد الجماهيري، فضلاً عن كونها منصة حرة لعرض وتبادل الآراء، ومنبراً يسهم في إيصال مختلف الأصوات.

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب رئيسة تضم عدة فصول ومباحث؛ حيث يتناول الباب الأول الإطار المنهجي للدراسة، وذلك عبر فصلين، الفصل الأول: الإجراءات المنهجية للدراسة، والفصل الثاني: مصطلحات الدراسة والدراسات السابقة. ويتناول الباب الثاني الإطار النظري للدراسة، وذلك عبر فصلين، الفصل الأول: الجمهورية اليمنية و"عاصفة الحزم"، والذي ينطوي على مبحثين، الأول: تعريف عام بالجمهورية اليمنية، والثاني: انطلاقة "عاصفة الحزم" وتداعياتها. أما الفصل الثاني: الإعلام التفاعلي في "عاصفة الحزم"، فيتضمن مبحثين، الأول: "تويتر" كنموذج للإعلام التفاعلي، والثاني: دور

"تويتر" في "عاصفة الحزم". ويتناول الباب الثالث الإطار التطبيقي للدراسة، وذلك عبر فصلين، الفصل الأول: نتائج الدراسة التحليلية، وتتضمن النتائج الوصفية لمضمون التغريدات، والنتائج الاستدلالية للتحقق من الفرضيات. أما الفصل الثاني فيستعرض النتائج العامة للدراسة وأبرز توصياتها.

- موضوع الدراسة:

لقد مثلت مواقع الإعلام الجديد أو التفاعلي منذ نشأتها ظاهرة اتصالية غير مسبوقة، إذ تميزت بعناصر جاذبة للجمهور تتناسب مع زمن العولمة والثورة التكنولوجية والطفرة الرقمية، حيث لا حدود مكانية وزمانية في ظل تنامي الحاجة إلى مصادر تدفق حرة وسريعة للمعلومات، سهلة الاستخدام والانتشار. فضلاً عن الخاصية التفاعلية بين كافة أطراف العملية الاتصالية، والتي ترسخ مفهوم "الجمهور النشط" الذي لا يكتفي بتلقيه للمعلومة، بل يشارك في صنعها، كما يؤثر ويتأثر بها.

في أوقات الصراع والأزمات يزداد اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام، وذلك نظراً للرغبة في إشباع الحاجة المتعلقة بالمعرفة والحصول على المعلومات وفهم الواقع. وهذا ما يزيد في الوقت ذاته من أهمية الدور الذي تضطلع به تلك الوسائل في بث المعلومات ونشرها، حتى تدرك النظم السياسية على اختلافها مدى تأثيرها في العملية السياسية، وفي تشكيل الرأي العام واتجاهاته، وفي بلورة وعي الجمهور، وتطويعها لخدمة أهداف أو أجندات معينة.

وعليه، فإنه مع الإعلام الجديد بكافة مواقعه ومنها "تويتر" - الموقع محل الدراسة - بات الجمهور مشاركاً فاعلاً في العملية السياسية، سواء من خلال التعبير عن آرائه تجاه القضايا المطروحة أو مناقشتها أو اتخاذ مواقف محددة منها. كما صار الإعلام مؤثراً على مجريات العملية السياسية وما يتصل بها من عمليات اتخاذ للقرارات أو تشكيل للاتجاهات والسلوكيات، إذ إنه وبطبيعة الحال فإن ما يطرحه الإعلام يعكس الظروف السياسية للمجتمع، والذي يرتكز على علاقة اعتماد متبادل مع الأنظمة.

بشكل عام، فإنه مع التطور التكنولوجي المستمر للإعلام تزداد أهمية الوسائل في نقل المعلومات باعتبارها مصدراً رئيساً لتزويد الجمهور بكل ما يتعلق بالأحداث ومستجداتها، وفي ذلك تكمن قوة وسائل الإعلام كنظام معلوماتي. ولكون "تويتر" موقعاً يرتكز على علاقة اندماج وتفاعل مع الجمهور كمرسل ومتلقٍ في آن معاً، يبرز دوره في تأطير

الأحداث والصراعات لاسيما السياسية منها، حيث غدا الموقع في السنوات الأخيرة محطة تواصل سياسي أكثر منه اجتماعي. وذلك ما يؤثر على المضمون المقدم للجمهور، والذي يحكمه أيضاً اختلاف المستوى المعرفي للأفراد، الأمر الذي يرجع إلى التفاعل بين المتغيرات المرتبطة بماهية الموقع وسمات الجمهور وخصائصه المختلفة.

إن التأطير بحسب المفهوم الذي تتبناه هذه الدراسة يعني عملية تفاعل بين أطراف ومكونات عملية الاتصال الجماهيري يحكمها سياق ثقافي معين، تبدأ بانتقاء القائم بالاتصال والوسيلة الإعلامية لبعض جوانب الواقع والتركيز عليها ببروزها في نصوصها المختلفة باستخدام آليات وأدوات معينة. وعليه، فإنه مع الأخذ في الاعتبار كل تلك المعطيات ونظراً لأهمية الحدث السياسي المتمثل في عملية "عاصفة الحزم" التي قادتها المملكة العربية السعودية بمعية عدد من الدول المتحالفة معها في اليمن (٢٦ مارس - ٢١ أبريل ٢٠١٥م) بات من المهم بحث كيفية تأطير موقع "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم" وذلك عبر تغريدات الجمهور عنها، وهو الذي يمثل مختلف أطراف الصراع، وهذا ما يمثل موضوع الدراسة بشكل رئيس.

- لماذا "تويتر"؟

لقد تم اختيار "تويتر" كنموذج لمواقع الإعلام التفاعلي انطلاقاً من عدة أسباب تؤكد أهميته، أبرزها الآتي:

- عدم وجود دراسات عربية سابقة تتناول موقع "تويتر" تحديداً ودوره أو تأثيره في الحالة اليمنية، وذلك في حدود اطلاع الباحثة، وإن وجدت فهي تركز على مواقع الإعلام الجديد أو التفاعلي في سياق عام وشامل.

- إن وسم عملية (#عاصفة _ الحزم) قد احتل المركز الأول عربياً والثاني عالمياً في بدايات انطلاقتها، وقد بلغ عدد المشاركات فيه وفق موقع "توبسي" نحو مليون ونصف المليون تغريدة، شارك بها جمهور من مختلف الدول العربية[1].

١- زهير أندراوس، **الحرب على "تويتر" تستعر بين مؤيدي العملية العسكرية ومعارضيها على اليمن**، شبكة ميديا نيوز، ٣٠ مارس ٢٠١٥م؛ متوفر على الرابط:

https://medianewschannel.net/91759(تاريخ الاطلاع: ١٦ أبريل ٢٠١٨م)

- حظيت عملية "عاصفة الحزم" بتفاعل في موقع "تويتر" عُدّ الأكبر والأول من نوعه عربياً، وأحد أعظمها عالمياً، برصيد تجاوز ١٧ مليون تغريدة خلال أقل من شهر (٢٧ يوماً)، أي بمعدل نحو ٦٣٠ ألف تغريدة يومياً[١].

- إشكالية الدراسة:

جاء الإعلام الجديد كوليد للثورة التكنولوجية والمعلوماتية حاملاً معه مضموناً تفاعلياً بين كافة الأطراف المشاركة في العملية الاتصالية، وعلى رأسها الجمهور الذي تحول من مجرد متلقٍ سلبي إلى فاعل ونشط. وعلى الرغم من أنه يمثل فضاءً افتراضياً يتجاوز حدود المكان والزمان إلا أن له تأثيره في الواقع الحقيقي الملموس، حيث انعكس دوره على الوظائف والأدوار، ما أدى إلى تداخلها لدرجة صعوبة الفصل بينها، فالجمهور غدا مؤثراً وصانعاً للمعلومة ومؤطراً لها ومتحكماً في سياقها، وبالتالي فيما تحدثه من تأثيرات.

الإيجاز، السرعة، الحرية، سهولة النشر والاستخدام كلها عوامل أثرت على المضمون المقدم عبر الإعلام التفاعلي بمواقعه المختلفة، لاسيما "تويتر" وهو الموقع محل الدراسة، حيث مساحة النشر فيه محكومة ببضعة أحرف لا تتجاوز في بدايتها الـ ١٤٠ حرفاً، قبل أن تتضاعف لاحقاً إلى ٢٨٠ حرفاً مع نهاية العام ٢٠١٧م. وهذا ما يجعل الموقع يستقطب أعداداً متزايدة من الجمهور، إضافة إلى ميزة التفاعلية التي يتيحها وبعده عن "حراس البوابة"، ما يعطيه أفقاً أوسع من الحريات البعيدة عن رقابة السلطات.

وعليه، لم تعد الرسالة الإعلامية عبر هذا الموقع تقليدية أو موجهة، بل صار مضمونها عرضة للتغيير، حيث غدا الجمهور مشاركاً فاعلاً في إنتاج المضمون بما يعزز دوره في صناعة الأحداث، وذلك بما يعبر عن رؤاه وتوجهاته وأهدافه وخلفيته المعرفية، والتي ينتج عنها في نهاية المطاف تأطير للأحداث في سياقات مختلفة تغذي رغبات وحاجات مختلفة للجمهور وقد تخدم أجندات بعينها وفق أولويات محددة. وعليه، لم يعد السؤال الأبرز عن تأثير وسائل الإعلام على الجمهور، بقدر السؤال عما يفعله الجمهور في تعاطيه معها.

١- أحمد أبو الخير، **أشهر ثلاثة وسوم شغلت المغردين الخليجيين عام ٢٠١٥**، الخليج أونلاين، ٣ يناير ٢٠١٦م؛ متوفر على الرابط: https://klj.onl/1zSC3b (تاريخ الاطلاع: ١٦ أبريل ٢٠١٨م)

لقد فتحت الأحداث السياسية البارزة في العالم العربي في السنوات الأخيرة الباب واسعاً أمام دخول عامة الجمهور إلى عالم السياسة عبر مواقع الإعلام التفاعلي، وذلك بغية تحقيق عدة غايات أبرزها التعبير عن آرائهم تعزيزاً للمشاركة في عملية صنع القرار، ولخلق مضامين تتناسب مع تطلعاتهم وأهدافهم. وقد ساعدت المنافذ الجديدة للإعلام على تحقيقهم لذلك انطلاقاً من علاقة الاعتماد المتبادل بين النظام السياسي والاجتماعي، وفي إطار ليس ببعيد عن النظام الإعلامي، حيث يؤثر كل منهم في الآخر.

إن حدثاً سياسياً - عسكرياً بارزاً كعملية "عاصفة الحزم" التي شنها تحالف دولي على اليمن كان جديراً بالوقوف عنده ودراسة كيفية إسهام مواقع الإعلام التفاعلي ممثلة بـ "تويتر" في تأطيره، وذلك عبر البحث في المضمون المقدم عنها في إطار ما يُسمى "التغريدات"، وذلك باعتبارها رسائل أو وسائل إعلامية تشكل مصدراً مهماً للمعلومات لاسيما في أوقات الصراع، ويلعب الجمهور فيها دور القائم بالاتصال والمتلقي في الوقت ذاته، أخذاً في الاعتبار التداخل في المهام والأدوار لكافة الأطراف المشاركة في العملية الاتصالية، وهو ما ينطوي عليه مفهوم التفاعلية بشكل رئيس. وعليه، ووفقاً لتلك المعطيات تتمثل إشكالية الدراسة في رصد كيفية تأطير موقع "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم" من خلال التغريدات التي يبثها الجمهور عنها.

- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في عدة نقاط أبرزها الآتي:

- تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها - في حدود علم الباحثة - من حيث الموضوع الذي تتناوله وهو تأطير أحد أبرز مواقع الإعلام التفاعلي "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم" في اليمن خلال العام ٢٠١٥، وهو الحدث السياسي الذي ألقى بظلاله على اليمن وعدد من الدول المشاركة فيه من ناحية التداعيات الإعلامية والسياسية بشكل خاص.

- يُتوقع أن تشكل هذه الدراسة إضافة علمية، نظراً لقلة الدراسات العربية والأجنبية التي تركز على تحليل تغريدات "تويتر" عن الأحداث بمثل هذا التفصيل والتوسع الذي اتبعته هذه الدراسة، ووفقاً للجداول المستخدمة في تحليل المضمون، حيث إن الغالبية تتجه لمواقع متخصصة في التحليل عوضاً عن الجداول المعتمدة التي من شأنها إتاحة بيانات أكثر دقة وتفصيلاً.

- تقدم هذه الدراسة بيانات ومعلومات جديدة للباحثين والإعلاميين والسياسيين المهتمين والمختصين بمجال الإعلام التفاعلي ودوره في معالجة الأحداث البارزة، تأطيرها، وتأثيرها.

- سعي الدراسة في أحد جوانبها إلى التأريخ لحقبة مهمة في التاريخ اليمني، وذلك انطلاقاً من معالجة إعلامية وإيماناً بالدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلام الجديد والتفاعلي في الواقع السياسي، حيث يزداد اعتماد الجمهور على الإعلام في فترات الصراع والأزمات.

- يمكن لهذه الدراسة أن تفتح آفاقاً للباحثين لإعداد دراسات مستقبلية تتناول تأثيرات تأطير "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم" على الجمهور، حيث إن مضمونها وما ينطوي عليه من شق تحليلي يعد بمثابة نقطة بدء لدراسة التأثيرات، وذلك على اعتبار المسح مكملاً لتحليل المضمون ويمثل إثراءً لنتائجه.

- صعوبات الدراسة:

١- النطاق الضخم للتغريدات الواردة في وسم "عاصفة الحزم" في موقع "تويتر" والمقدرة بالملايين، ما أدى إلى اختيار عينة متعددة المراحل منها عبر موقع بحث متخصص، وذلك بغرض تحليل مضمونها.

٢- قلة المراجع والمصادر التي تتناول موضوع "عاصفة الحزم" من ناحية سياسية وإعلامية على النحو الوارد في هذه الدراسة، لاسيما الكتب والدراسات ذات الصلة، في حين توافرت مواد أخرى عبر وسائط الكترونية في الغالب.

٣- كون موضوع عملية "عاصفة الحزم" حيوياً ونشطاً، حيث لم تُوضع له نهاية حاسمة حتى زمن إعداد الدراسة، ناهيك عن تبعات العملية وتداعياتها المستمرة، ولذلك اتجهت هذه الدراسة إلى تحديد مرحلة زمنية معينة من الصراع تمتد منذ انطلاقة العملية العسكرية وحتى إعلان انتهائها (٢٦ مارس - ٢١ أبريل ٢٠١٥).

- منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ففيما يعتمد الوصف على تجميع الحقائق وتبويبها في إطار أقرب إلى ما هو كائن، ينحو التحليل إلى تعميق الدلالات وتفسيرها وفق النماذج والعلاقات في إطار ما يجب أن يكون، وذلك بهدف الوصول إلى الحقائق العلمية، واختبار مدى صحتها[١]. ويُعد هذا المنهج الأكثر استخداماً لدراسة الظواهر

١- حمد المشوخي، **تقنيات ومناهج البحث العلمي**، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م، ص ١٨١.

المتصلة بالجمهور ومواقفه وآرائه ووجهات نظره في علاقته بالإعلام ووسائله ورسائله[1].

وبالتالي، فإن هذه الدراسة تسعى إلى وصف واقع معين أو ظاهرة ما، وهي هنا تغريدات الجمهور في موقع "تويتر" عن عملية "عاصفة الحزم" في اليمن عبر جمع بيانات ومعلومات عنها من أجل بيان أبرز أبعادها أو جوانبها وملامحها العامة، مع توضيح للعلاقة بين بعض المتغيرات في تلك التغريدات وفقاً للأساليب الإحصائية المتبعة في الإطار التطبيقي للدراسة، وذلك للوصول إلى استنتاجات تفسيرية استناداً إلى الفئات المستخدمة في التحليل والتي تم تصنيف التغريدات فيها كوحدات رئيسة للتحليل، سواء من ناحية الشكل أو المضمون. وذلك بغرض تحقيق الهدف الرئيس للدراسة المتمثل في رصد كيفية تأطير موقع "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم"، واختبار أسئلة وفرضيات الدراسة.

- **أهداف الدراسة:**

الهدف الرئيس للدراسة يتمثل في رصد كيفية تأطير موقع "تويتر" لعملية "عاصفة الحزم" في اليمن، وذلك عبر تحليل مضمون عينة من تغريدات الجمهور عنها. ومنه تنبثق عدة أهداف فرعية على النحو الآتي:

١- معرفة الهوية الأبرز لجمهور المغردين عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٢- معرفة أبرز الدول التي ينتسب إليها جمهور المغردين عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٣- رصد أبرز الموضوعات التي تناولتها تغريدات الجمهور حول "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٤- رصد أبرز مصادر تغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٥- معرفة طبيعة الجمهور المستهدف في التغريدات عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٦- رصد الاتجاه الأبرز لتغريدات الجمهور نحو "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٧- معرفة أبرز أهداف تغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

٨- رصد أبرز أشكال مضمون تغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

١- السيد أحمد مصطفى، **البحث الإعلامي .. مفهومه .. إجراءاته .. ومناهجه**، حَولّي (دولة الكويت)، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط ٣، ٢٠٠٨م، ص ٢١٤.

٩- معرفة المدى الزمني الأبرز لتغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".
١٠- رصد الطبيعة الانفعالية الأبرز في تغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".
١١- معرفة الأسلوب الأبرز لتغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".
١٢- رصد الوسم الأبرز الملحق بتغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".
١٣- معرفة اللغة الأبرز لتغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".
١٤- رصد أبرز الوسائط المتعددة الملحقة بتغريدات الجمهور عن "عاصفة الحزم" في "تويتر".

- أداة الدراسة:

تحليل المضمون، والذي هو عبارة عن أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن استخدامها في مجالات متنوعة، وعلى الأخص في علم الإعلام، وذلك بغرض وصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث وفرضياته الأساسية طبقاً للتصنيفات التي يحددها الباحث. ويمكن استخدام هذه البيانات بعد ذلك إما في وصف المواد الإعلامية أو اكتشاف الخلفية الفكرية، الثقافية، والسياسية التي تنبع منها الرسالة الإعلامية، أو التعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية شكلاً ومضموناً[١].

ولتحليل المضمون استخدامات وأهداف متعددة منها وصف مضمون الاتصال "الرسائل المرسلة"، اختبار فرضيات خصائص الرسائل، حيث تحاول العديد من التحليلات الربط بين خصائص محددة لمصدر مضمون رسالة وخصائص الرسائل التي يتم إنتاجها. إضافة إلى مقارنة مضمون وسائل الإعلام بالواقع الحقيقي أو الوضع الفعلي، تقييم صورة جماعات معينة في المجتمع، وإقامة نقطة بدء لدراسة تأثيرات وسائل الإعلام على الجمهور[٢]. وذلك ما سعت إلى تحقيقه هذه الدراسة عبر التصنيفات المتنوعة

١- إبراهيم خليل، **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، عمّان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ١٩٣.
٢- روجر ويمر وجوزيف دومينيك، **مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي**، (تعريب: صالح أبو إصبع وفاروق منصور)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٣م، ص ٢٨١ - ٢٨٣.

المستخدمة في جداول تحليل المضمون، إذ إن نتائجها تسهم في تحقيق أبرز تلك الأهداف.

يُعد تحليل المضمون أداة طيعة ومرنة بيد الباحث يستخدمها ويُكيّفها حسب طبيعة البحث وأهدافه، ولذلك فهو يتسم بالتنوع. ويلخص "لازويل" تحليل المضمون بأنه "الإجابة عن التساؤلات الآتية: من يقول، ماذا يقول، لمن يقول، وكيف يقول؟ وما الآثار المترتبة على ذلك؟". وفي هذه الدراسة تم تطويع جداول تحليل المضمون لتحقيق أهداف الدراسة وللإجابة على الأسئلة التي تطرحها والفرضيات المصاغة بشأنها، وذلك من المنطلق ذاته المرتكز على التساؤلات التي لخصها "لازويل"، إذ تم التحليل وفق فئات تستند على خصائص المرسل أو القائم بالاتصال "جمهور المغردين"، وخصائص المادة "التغريدات" من ناحية الشكل والمضمون.

- مجتمع الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة في التغريدات الواردة بموقع "تويتر" عن عملية "عاصفة الحزم" في اليمن، وذلك سواء كانت مكتوبة من الجمهور نفسه، أو تلك التي يتم إعادة إرسالها ونشرها نقلاً عن آخرين أو عن كيانات ووسائط أخرى، وأياً كان شكل مضمونها وما يلحق به من روابط مختلفة. و"تويتر" هو أحد أبرز مواقع الإعلام التفاعلي أو كما تُسمى شبكات التواصل الاجتماعي، أما التغريدات فتتضمن رسائل قصيرة تبث عبر الموقع باعتباره أداة أو منصة للتدوين المصغر.

- عينة الدراسة:

عينة متعددة المراحل، وتُعد من العينات الاحتمالية، وقد بلغ مجموع مفرداتها من تغريدات الجمهور في "تويتر" عن عملية "عاصفة الحزم" في اليمن ٢٧٠ تغريدة، تم اختيارها عبر موقع توبسي (www.Topsy.com)، وهو موقع يتيح الوصول إلى تغريدات أو صور أو فيديوهات أو روابط تم التغريد بها على موقع "تويتر" من خلال البحث بالكلمة أو الكلمات الدالة على موضوع محدد، فتظهر كل النتائج مقسمة حسب الزمن، لآخر ساعة وآخر يوم وآخر أسبوع وآخر سنة، حتى الوصول لكل التغريدات منذ العام ٢٠٠٦م.

وتم عبر هذا الموقع اختيار العينة عبر تحديد الفترة الزمنية من تاريخ انطلاق عملية "عاصفة الحزم" في اليمن من قبل المملكة العربية السعودية وعدد من دول التحالف حتى التاريخ المعلن رسمياً لانتهائها (٢٦ مارس ٢٠١٥ حتى ٢١ أبريل ٢٠١٥م)، وذلك عبر

وضع أبرز الكلمات الدالة على موضوع الدراسة وهو وسم "عاصفة الحزم". وعرض الموقع عدداً ضخماً جداً من التغريدات، ولذا تم اختيار أول عشر تغريدات لكل تاريخ (٢٧ يوماً)، بما مجموعه ٢٧٠ تغريدة.

- وحدات التحليل:

تعد التغريدات الواردة في موقع "تويتر" عن عملية "عاصفة الحزم" في اليمن وحدات رئيسة للتحليل في هذه الدراسة، وهي التي يبلغ عددها ٢٧٠ تغريدة اختيرت من خلال موقع "توبسي".

- فئات التحليل:

تم تصنيف تغريدات الجمهور في "تويتر" عن عملية "عاصفة الحزم" في اليمن باعتبارها وحدات التحليل في هذه الدراسة ضمن ١٤ فئة رئيسة، تندرج تحتها عدة فئات فرعية، وذلك على النحو الوارد في تصنيف معتمد لنظام الفئات خاص بالباحثة مع تعريفاتها الإجرائية، وهذا ما يُعرف بالترميز المسبق الذي ينشئ الفئات قبل جمع البيانات، اعتماداً على بعض المبررات النظرية أو المفهومية، وهي التي ترتكز على بعض المشتركات مع هذه الدراسة، إذ تم إجراء بعض التغييرات بما يتناسب مع موضوعها وأهدافها.

أولاً: فئات القائم بالاتصال (من يكتب / يقول؟)

١- فئة هوية المغرد: وتعني التعريف على حقيقة "المغرد" سواء كانت له شخصية حقيقية أو اعتبارية.

٢- فئة دولة المغرد: وتعني الموقع الجغرافي الذي يقيم فيه المغرد، أي موطنه.

ثانياً: فئات المضمون (ماذا كُتب / قيل في التغريدة؟)

٣- فئة الموضوع: تستهدف الإجابة عن سؤال (عمَّ يدور موضوع التغريدة؟)، وتفيد في معرفة مراكز الاهتمام في المضمون بالموضوعات المختلفة.

٤- فئة المصدر: تجيب عن سؤال (إلى من يُنسب مضمون التغريدة؟)، أي إنها تبين المرجع أو المصدر الذي يُنسب إليه مضمون التغريدة سواء كان أقوالاً أو تصريحات أو بيانات أو معلومات أو صور، أو غير ذلك، وقد يكون المصدر شخصاً أو مؤسسة.

٥- فئة الجمهور المستهدف: تعني الفئة المخاطبة، والتي يُوجه إليها مضمون التغريدة، وبالتالي تفيد في معرفة الجمهور الذي يركز عليه المضمون، وذلك في إطار أهداف معينة.

٦- فئة الاتجاه: يتم فيها تصنيف المضمون بناء على مؤشرات ومحددات مختلفة تُستخدم في عرض وجهات النظر والمواقف من القضايا والأحداث، خاصة الجدلية منها.

٧- فئة الأهداف: تجيب عن سؤال (ماذا يهدف المغرد من التغريدة؟)، ومن خلالها تتضح وظيفة وغايات المضمون.

ثالثاً: فئات الشكل (كيف كُتب / قيل؟)

٨- فئة الشكل: تبين ماهية الأشكال أو القوالب الفنية التي يتخذها المضمون الكامل للتغريدة من حيث الصياغة.

٩- فئة المدى الزمني: تكشف عن الشكل الذي يتخذه مضمون التغريدة من حيث تعبيره عن الزمن.

١٠- فئة الانفعالية: تقيس حالة وجدانية معينة، أي مدى الانفعال أو درجة الإثارة التي يوحي بها مضمون التغريدة، وعادة ما ترتبط باستهداف التأثير في الجمهور.

١١- فئة الأسلوب: تعني شكل التعبير الذي صيغت فيه التغريدة.

١٢- فئة الوسم: ترتبط بالوسم وهو أشبه ما يكون بعنوان لموضوع كبير، يسبقه علامة # ومن دون مسافات في نص التغريدة، وتعرض لكل من يتابع المغرد في وقت النشر، وعادة ما يهدف المغرد من وراء الوسم إلى تحقيق انتشار أكبر للتغريدة.

١٣- فئة اللغة: وتعني ملكة الاقتدار على النطق واللفظ أو الكتابة، وبها يتم التعبير، حيث يعبر كل فرد عما يراود نفسه وعقله ووجدانه. واللغة تحدد صيغ النحو والإعراب الذي تعكسه التغريدة، فالمضمون الذي يخاطب فئة ما يختلف باختلاف المقام والجمهور الموجهة إليه.

١٤- فئة الوسائط المتعددة: هي الفئة التي تنطوي على وسائط تكنولوجية تمثل أساساً لدراسة العلاقة بين اللغة وفنون الشكل، وكيفية امتزاج الأنساق الرمزية مع بعضها البعض وتأثيرها في المتلقي.

- نظرية الدراسة:

النظرية التي ترتكز عليها هذه الدراسة هي نظرية التأطير، والتي تُعرف أيضاً بنظرية

تحليل الإطار الإعلامي، والإطار الإعلامي هو "الفكرة المحورية التي تنتظم حولها الأحداث الخاصة بقضية معينة"[١]. ويعود تأسيسها إلى عالم الاجتماع "جوفمان" في العام ١٩٧٤، مفترضاً أن الجمهور عنصر أساسي لما ينتج من تأثيرات لتأطير وسائل الإعلام للقضايا أو الأحداث[٢]. وجاء بعده "إنتمان" والذي يُعتبر المنظر الأبرز لهذه النظرية في العام ١٩٩٣م، حيث أكد أن ثمة عوامل أخرى تؤثر في التأطير إلى جانب الجمهور المتلقي، مثل القائم بالاتصال. وفي العام ٢٠٠٧م رأى أن النظرية تتناسب مع واقع الصراعات السياسية، إذ إنها قد تسهم في تحفيز الجمهور ومنتجي المضمون ومتخذي القرار على التحيز لتوجه أو فكرة ما، وذلك في إطار طبيعة المعالجة للأحداث والأخبار[٣]. وعليه، تبرز موائمة هذه النظرية لموضوع هذه الدراسة الذي يتناول واقع الصراع السياسي في اليمن بين أطراف مختلفة داخلية وخارجية مهدت إلى إطلاق عملية "عاصفة الحزم" فيها.

وتأطير القضايا السياسية عادة ما يكتسب أهمية خاصة، حيث يمكنه أن يجذب اهتمام الجمهور للواقع من خلال إبراز عناصر معينة توجههم نحو ردود فعل مختلفة، أو تسهم في تغيير آرائهم واتجاهاتهم وقناعاتهم[٤].

إلى ذلك، تتعدد التعريفات الخاصة بالتأطير، غير أن هذه الدراسة تتبنى تعريف "أحمد زكريا" بأنه "عملية تفاعل بين أطراف ومكونات عملية الاتصال الجماهيري يحكمها سياق ثقافي معين، تبدأ بانتقاء القائم بالاتصال والوسيلة الإعلامية لبعض جوانب الواقع والتركيز عليها ببروزها في نصوصها المختلفة باستخدام آليات وأدوات أخرى في ضوء معايير ومتغيرات مهنية وأيديولوجية للتأثير في استجابات الجمهور تجاه محتوى هذه

1- Gamson ،W.A., "News as Framing", **American Behavioral Scientist**, SAGE Publications, USA, Vol. 33, No.2, 1989, P.157.

٢- أحمد زكريا، **نظريات الإعلام .. مدخل لاهتمامات وسائل الإعلام وجمهورها**، المنصورة (مصر)، المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٣.

3 – Mohammed Z. Abou Ramadan, **A Framing Analysis of Al Jazeera's Coverage of the Palestinian Fatah–Hamas Conflict**, San Jose State University, USA, 2009, P.23 - 24.

4- Robert M. Entman, "Framing: Toward Clarification of a Fractured Paradigm", **Journal of Communication**, Vol.43, No. 4, Northwestern University, USA, 1993, P.55.

النصوص، إما بتبنيها لهذه الجوانب بدرجات ومستويات مختلفة، أو العمل على إعادة تأطيرها وفقاً لمعايير وعوامل خاصة بأفراده"[1].

ويأتي تبني ذلك التعريف على اعتبار "تويتر"- وهو الموقع محل الدراسة- من مواقع الإعلام الجديد الذي يتيح قدراً من التفاعلية بين أطراف العملية الاتصالية، ممثلة بالمرسل أو القائم بالاتصال (المغرد)، الجمهور المتلقي (متابعي المغرد)، الوسيلة (تويتر)، الرسالة (التغريدات)، حيث إنه يمثل منصة تتفاعل فيها كافة الأطراف لدرجة التداخل في أدوارها أو تبادلها، وذلك يزداد بوضوح كلما تطورت وسائل الإعلام في عصر العولمة وثورة المعلومات والتكنولوجيا الرقمية.

- نتائج تحليل مضمون التغريدات:

١ - هوية المغرد:

اتضح أن الهوية الأبرز لجمهور المغردين عن عملية "عاصفة الحزم" فئة الأفراد من ذوي الهويات الحقيقية، أي الذين يغردون بأسمائهم الصريحة وبياناتهم الشخصية الواقعية، حيث جاءت بنسبة تفوق النصف ٥١.٥ بالمائة، وهذا يدل على عدم وجود أي هواجس خوف أو قلق في تعبير هؤلاء عن آرائهم أو مواقفهم تجاه "عاصفة الحزم" أو ما ينقلونه عنها من مواد إعلامية مختلفة كالأخبار وغيرها.

ويلي ذلك الأفراد أصحاب الهوية الوهمية بنسبة ٣٧ بالمائة، وهذا يعني أنهم يتخفون حول أسماء مستعارة وبيانات غير حقيقية. وفيما يتعلق بالوسائط الإعلامية فقد جاءت الوسائط الأهلية بنسبة تفوق الرسمية بكثير، أي ٨.٥ بالمائة مقابل ٠.٧ بالمائة فقط، فيما جاءت الكيانات السياسية بنسبة بسيطة أيضاً لا تكاد تذكر وهي ٠.٤ بالمائة، وفي فئة "هوية أخرى" بلغت النسبة ١.٩ بالمائة، وكانت في الغالب حسابات لشركات أو مؤسسات تجارية. وبحسب النتائج لم تكن هناك أي تغريدات تتبع حسابات لكيانات حقوقية أو هيئات نظامية، إذ كانت النسبة لكليهما صفر بالمائة.

١- أحمد زكريا، نظريات الإعلام .. مدخل لاهتمامات وسائل الإعلام وجمهورها، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

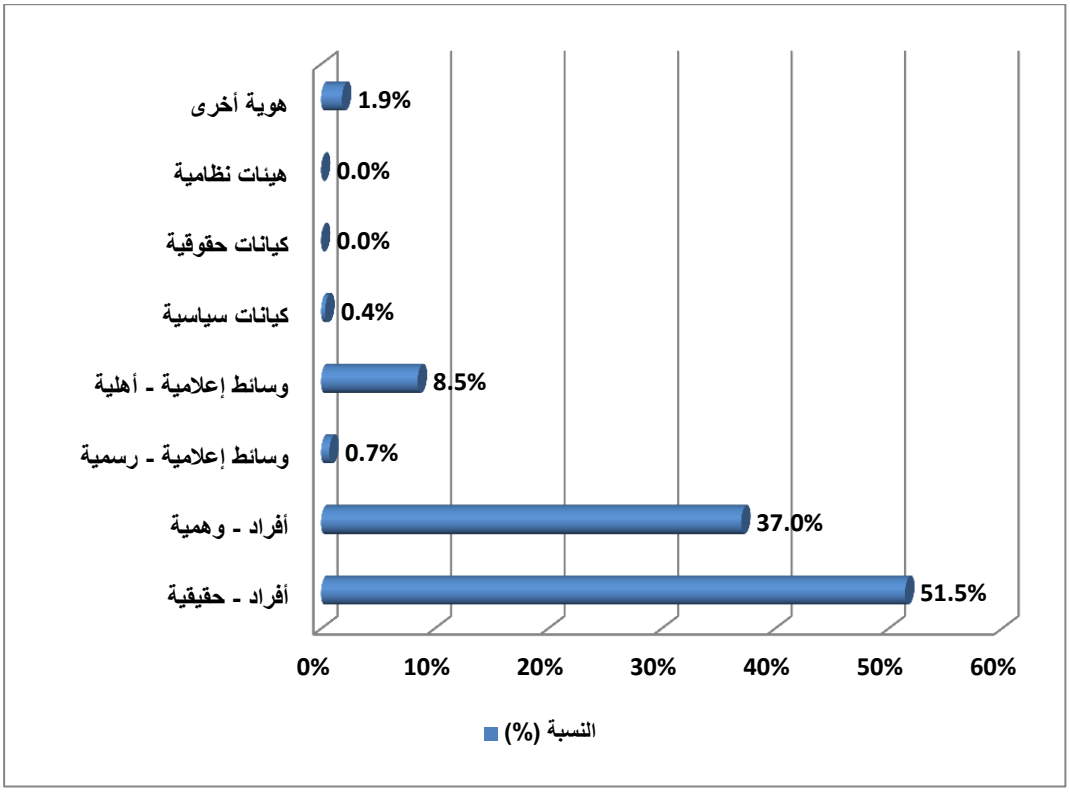

رسم بياني (١): توزيع عينة التغريدات حسب هوية المغرد

٢- دولة المغرد:

تبين أن الغالبية العظمى من جمهور المغردين عن عملية "عاصفة الحزم" هم من المملكة العربية السعودية وذلك بنسبة تفوق النصف وتبلغ ٦٦.٣ بالمائة، وقد يرجع سبب الاهتمام إلى أن المملكة هي التي قادت عمليات "التحالف العربي" في اليمن، وهذا ما يفسر كون غالبية المغردين عنها سعوديون. ويأتي في المرتبة الثانية المغردون اليمنيون بنسبة ١٦.٧ بالمائة، وهم المعنيون بشكل رئيس بعملية العاصفة التي تُشن على أرضهم وشعبهم، وربما تعود قلة النسبة إلى ضعف شبكة الإنترنت في اليمن، ناهيك عن تفوق السعوديين عليهم في معدل استخدامها، بما ذلك موقع "تويتر" الذي ينشطون فيه بشكل كبير، وذلك بحسب العديد من التقارير الإحصائية الموثقة.

ويأتي المغردون الكويتيون بعد السعوديين واليمنيين بنسبة ٤.٤ بالمائة، ثم المصريون بنسبة ٢.٦ بالمائة، فالإماراتيون بنسبة ٢.٢ بالمائة، وبعدهم القطريون بنسبة ١.١ بالمائة، والقاسم المشترك بين هذه الدول أنها كانت مشاركة في عمليات التحالف العربي

ومؤيدة لعملية "عاصفة الحزم"، وإن بدت المواقف تختلف لاحقاً كما هو حال قطر على سبيل المثال.

وبحسب النتائج فإن دولاً أخرى يغرد منها الجمهور بنسبة بسيطة جداً وهي ٧.٠ بالمائة لكل من عُمان، العراق، سوريا، والأردن، وهذه الدول تتفاوت في مواقفها تجاه عملية العاصفة بين رفض وتأييد. وجاءت دول عربية أخرى ودول أجنبية بنسبة ٤.٠ بالمائة، أما الدول غير المبينة فقد حازت على نسبة قدرها ٢.٦ بالمائة، وهي تعني أن المغردين لم يذكروا دولهم في بيانات حسابهم، أو أنها غير واضحة من طبيعة تغريداتهم.

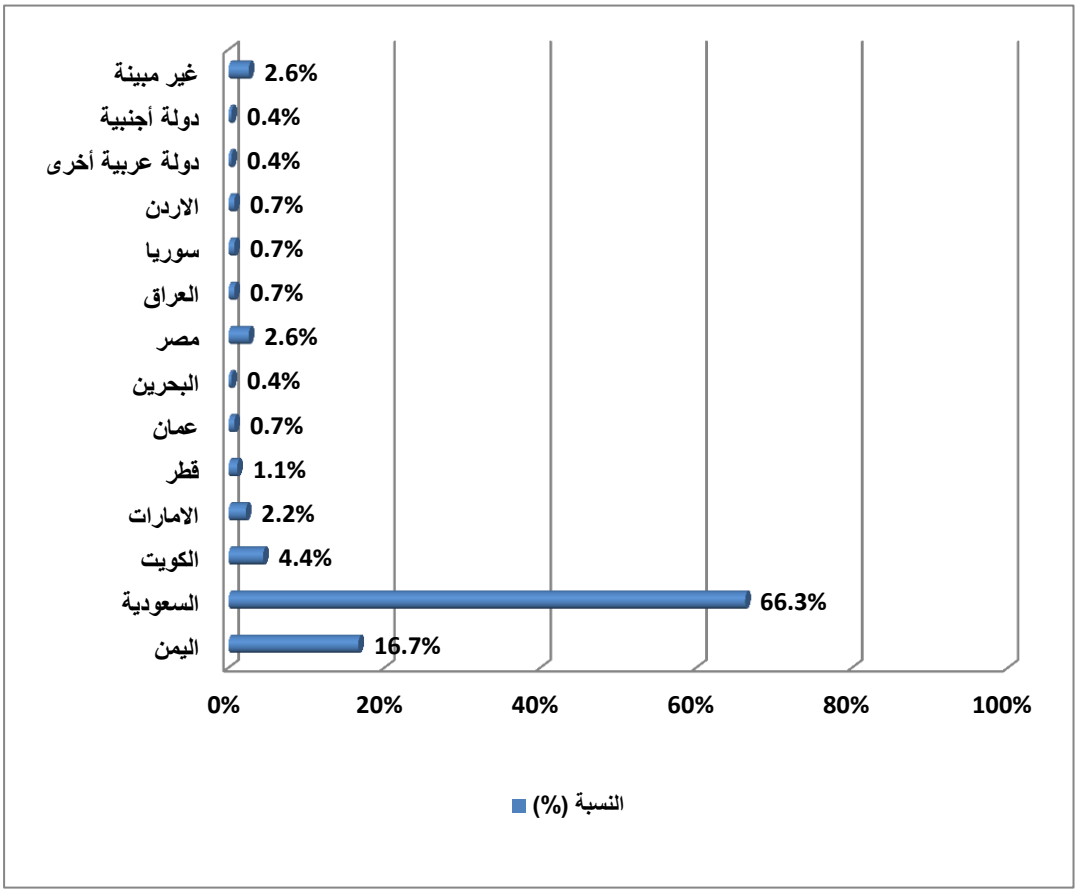

رسم بياني (٢): توزيع عينة التغريدات حسب دولة المغرد

٣ - موضوع التغريدة:

تشير النتائج إلى أن أبرز الموضوعات التي تناولها المغردون في تغريداتهم عن عملية "عاصفة الحزم" هي مواجهة الحوثي وأنصاره بنسبة ١٣.٩ بالمائة، وهذا الموضوع يأتي كمبرر أول ورئيس لشن العملية من دول التحالف بقيادة المملكة العربية السعودية.

وبالتالي ولكون أغلب المغردين عن العملية سعوديون فمن الطبيعي أن يكون هذا الموضوع هو الأبرز.

يلي ذلك سبب آخر لشن العملية وهو الربط بإيران بنسبة ٨.٧ بالمائة، حيث اُتهم الحوثيون بالتبعية لإيران ولذا تم استهدافهم، وبالنسبة ذاتها يأتي تناول عمليات التحالف في التغريدات، يلي ذلك موضوع الضحايا بنسبة ٨.٤ بالمائة، والمقصود بهم ضحايا الأطراف المتصارعة من جرحى وقتلى أو شهداء، وغيرهم.

وبنسب متقاربة تأتي الإشارة إلى جنود التحالف والسياسة السعودية التي تعني غالباً "الحزم" بمقدار ٧.٤ و٧.١ بالمائة على التوالي، ثم "المقاومة الجنوبية" بنسبة ٦.٨ بالمائة، يلي ذلك موضوع المواطنة بنسبة ٤.٦ بالمائة، ومن ثم موضوع الطائفية ومواجهة "صالح" وأتباعه بنسبة متساوية قدرها ٣.٧ بالمائة. وبنسب بسيطة متفرقة ومتقاربة جاءت الموضوعات التالية بالترتيب: الربط بحزب الله في لبنان بنسبة ٢.٨ بالمائة، الربط بسوريا وبدولة أخرى بنسبة ٢.٥ بالمائة لكليهما، الأمن بنسبة ١.٩ بالمائة، مبادرات حل والربط بالعراق بنسبة ١.٥ بالمائة لكليهما، وقد وردت موضوعات أخرى في التغريدات بنسبة ١٣ بالمائة.

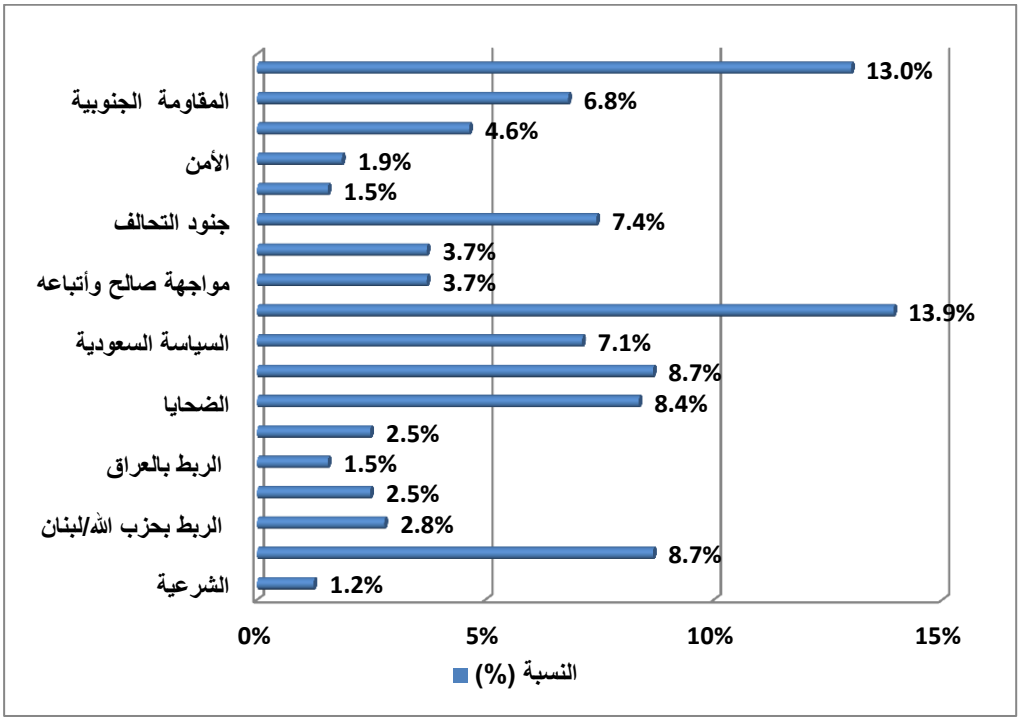

رسم بياني (٣): توزيع عينة التغريدات حسب موضوع التغريدة

٤- مصدر التغريدة:

اتضح أن الغالبية العظمى من تغريدات الجمهور عن عملية "عاصفة الحزم" كانت مباشرة من المغردين أنفسهم أي بصياغتهم وألفاظهم الخاصة، وذلك بنسبة كبيرة مقدارها ٧٤.٨ بالمائة، يلي ذلك التغريدات المنقولة عن وسائط إعلامية مختلفة سواء كانت رسمية أو أهلية بنسبة ١٠.٧ بالمائة، ثم التغريدات المعاد إرسالها من حسابات أخرى "رتويت" بنسبة ٢.٦ بالمائة، بعدها التغريدات المنقولة عن أفراد معينين بنسبة ٢.٢ بالمائة، وهؤلاء الأفراد عادة ما يكونون من النخبة أو قادة الرأي.

وبحسب النتائج لم تكن هناك أي تغريدات منقولة عن هيئات نظامية أو كيانات سياسية وحقوقية، فيما بلغت نسبة المنقولة عن مصادر أخرى ٢.٦ بالمائة، حيث وردت في بعض التغريدات آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السنة النبوية الشريفة. أما التغريدات المختلطة التي تنطوي على قسمين أحدهما مباشر والآخر منقول فقد وردت بنسبة ٧ بالمائة، وهي التي تعني أن المغرد يصيغ تغريدته بنفسه ويضيف إليها مضموناً من مصدر ما ليدعم رأيه مثلاً أو أنه يرد على مغرد آخر أو يعلق على تغريداته.

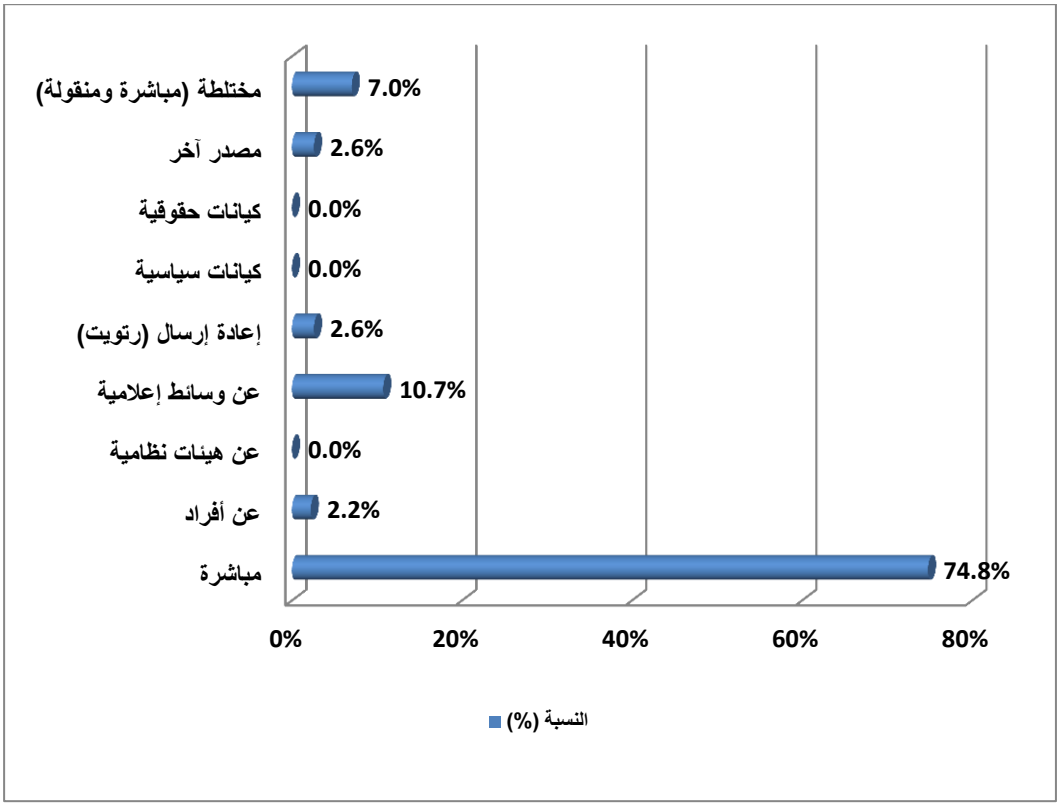

رسم بياني (٤): توزيع عينة التغريدات حسب مصدر التغريدة

٥- الجمهور المستهدف في التغريدة:

تشير النتائج إلى أن غالبية التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" تستهدف جمهوراً عاماً بنسبة كبيرة تبلغ ٧١.٩ بالمائة، وذلك في مقابل ٢٨.١ بالمائة من التغريدات التي تستهدف جمهوراً خاصاً. وهذه النتيجة تبين أن الغرض الرئيس من التغريد بالنسبة للمغردين يتمثل في الوصول إلى أكبر قدر من عموم الجمهور في موقع "تويتر" من دون أن يحددوا جماعة أو فئة أو قطاعاً معيناً على سبيل المثال، وهذا ما يفيد في تحقيق مدى أوسع لانتشار التغريدات وتداولها، وتكوين رأي عام على نحو معين.

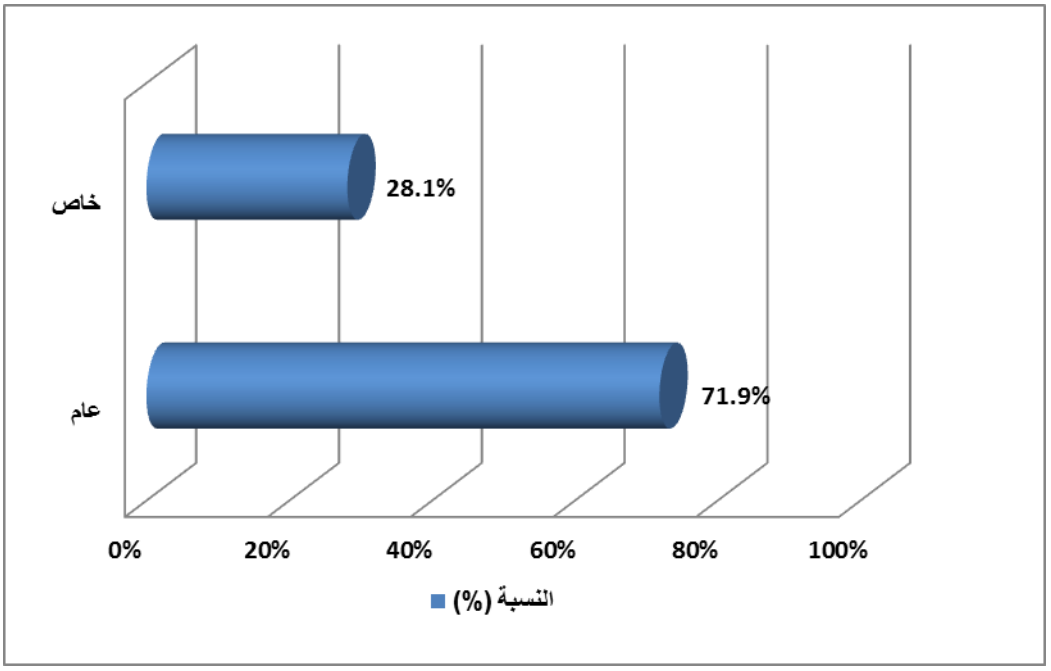

رسم بياني (٥): توزيع عينة التغريدات حسب الجمهور المستهدف

٦ - اتجاه التغريدة نحو "عاصفة الحزم":

بينت النتائج أن غالبية التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" جاءت مؤيدة لها بنسبة تبلغ ٥٧.٤ بالمائة، ما يعني أنها تبرز جوانب إيجابية لها أو تحمل مواقف متوافقة مع أهدافها، ولكون غالبية المغردين بحسب نتيجة سابقة هم سعوديون فهذا يفسر غلبة الموقف المؤيد. أما التغريدات المعارضة للعملية أي التي تشير إلى جوانب سلبية أو تحمل موقفاً مناهضاً لها فمقدارها ٥.٩ بالمائة

فقط، وهي نسبة ضئيلة جداً، وذلك في مقابل ٣٦.٧ بالمائة من التغريدات المحايدة، أي التي لم تكن تحمل موقفاً واضحاً أو محدداً من العملية، أو أنها تشير إلى جانبين سلبي وآخر إيجابي أو تنطوي على رأي متزن حولها.

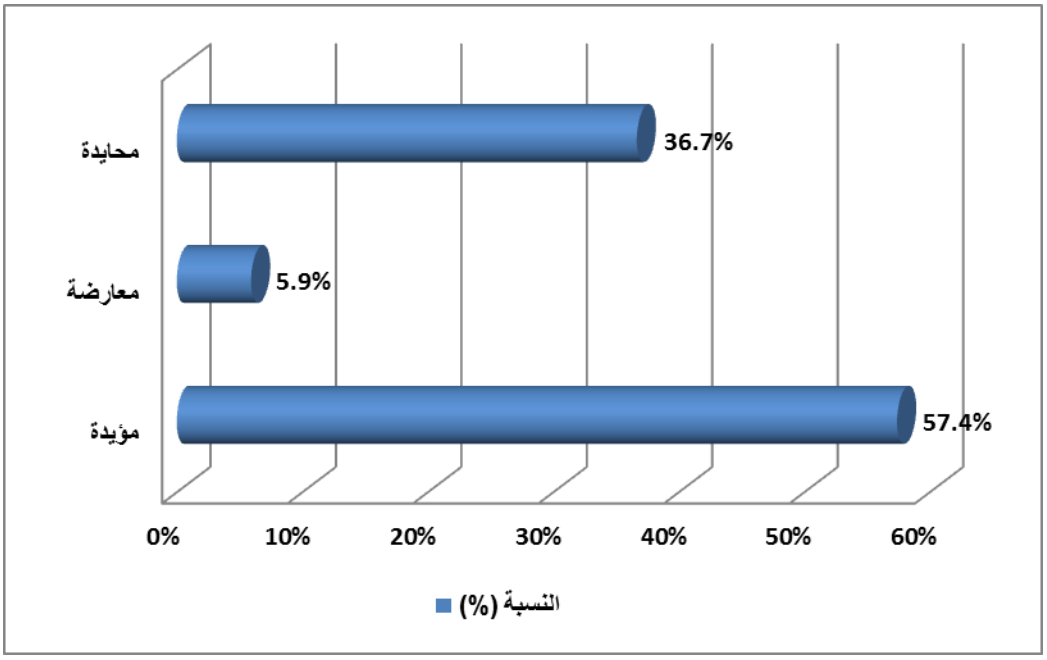

رسم بياني (٦): توزيع عينة التغريدات حسب اتجاه التغريدة نحو "عاصفة الحزم"

٧ - هدف التغريدة:

أوضحت النتائج أن الهدف الأبرز في التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" يتمثل في الإعلام بنسبة ٢٨.٥ بالمائة، وهذا يعني أن الغلبة للتغريدات التي تنطوي على معلومات أو أخبار تقدم للجمهور. والهدف الثاني يتمثل في إبداء الرأي بنسبة ٢٢.٦ بالمائة، وذلك يتناسب مع كون "تويتر" بمثابة منصة لعرض الآراء والمواقف بمساحة حرة. أما الهدف الثالث فهو الدعم بنسبة ٢١.٩ بالمائة وهو الذي يعني التضامن والتشجيع لعمل أو فرد ما على سبيل المثال.

والهدف الرابع هو الشتم بنسبة ١٠.٧ بالمائة، أي السب بألفاظ معينة وذلك إما تجاه فرد أو دولة أو غير ذلك. وجاءت أهداف أخرى بنسب بسيطة متفاوتة وفقاً للترتيب الآتي: التوعية بنسبة ٥.٩ بالمائة، التحشيد بنسبة ٣.٣ بالمائة، التحريض بنسبة ٣ بالمائة، وأخيراً التهديد بنسبة ١.٥ بالمائة فقط، فيما جاءت أهداف أخرى بنسبة ١.٩ بالمائة، مثل الدعوة "عكس الدعاء"، واللعن.

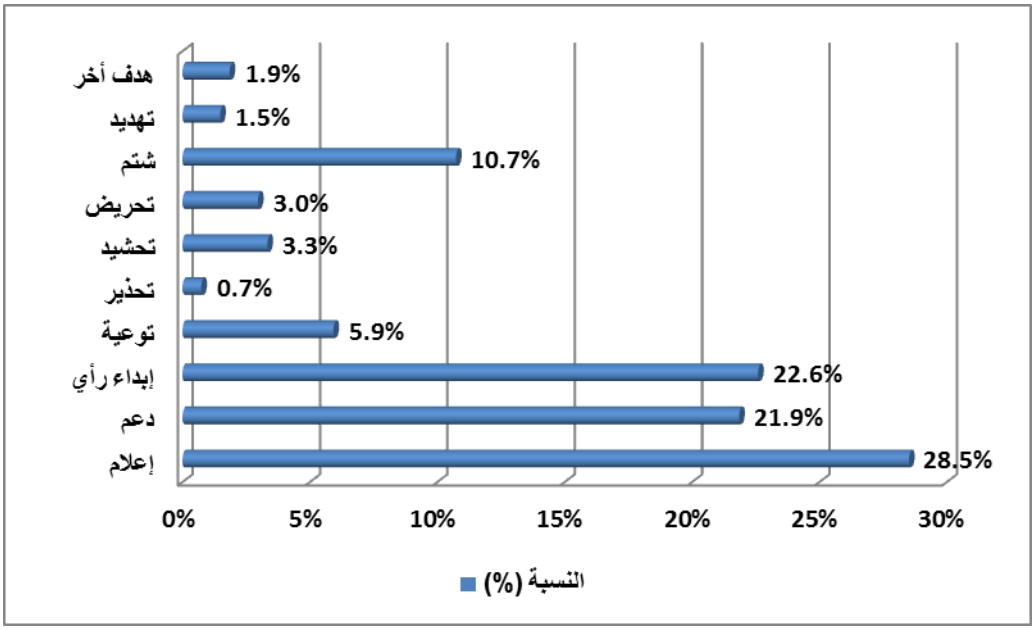

رسم بياني (٧): توزيع عينة التغريدات حسب هدف التغريدة

٨ - شكل مضمون التغريدة:

تشير النتائج إلى أن المضمون الأبرز للتغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" جاء في شكل رأي بنسبة ٣٢.٦ بالمائة، ما يعني أن غالبية المغردين استخدموا "تويتر" للتعبير عن رأيهم وموقفهم تجاه العملية. ويلي ذلك الخبر بنسبة ٢٥.٩ بالمائة ما يعني أن الهدف إعلامي بحت سواء كان منقولاً عن وسائط إعلامية أو معلومة يقدمها المغرد نفسه "إعلام المواطن" أو "المواطن الصحافي". وجاء الدعاء في المرتبة الثالثة بنسبة ١٦.٧ بالمائة وعادة ما كان دعاء بحفظ الجنود أو قيادات الأطراف المتصارعة.

ومن ثم يأتي التحليل بنسبة ٨.١ بالمائة وذلك لتفسير الأحداث وتبريرها في الغالب، ووردت أشكال أخرى بنسب ضئيلة على النحو الآتي: شعر بنسبة ٥.٩ بالمائة، سؤال بنسبة ٣.٧ بالمائة، لقاء بنسبة ١.٩ بالمائة، وأخيراً شعار بنسبة ٠.٤ بالمائة فقط، فيما جاءت أشكال أخرى بنسبة ٢.٢ بالمائة كالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

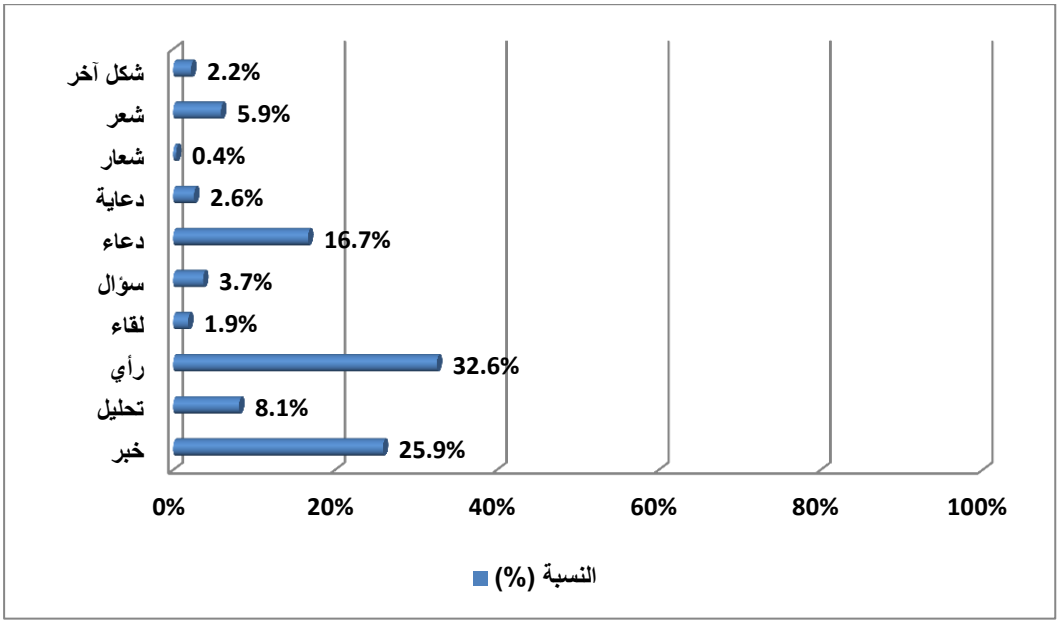

رسم بياني (٨): توزيع عينة التغريدات حسب شكل مضمون التغريدة

٩ - المدى الزمني للتغريدة:

بينت النتائج أن المدى الزمني الأبرز لتغريدات "عاصفة الحزم" هو الحاضر بنسبة ٣٥.٢ بالمائة، وهذا يؤكد الدور المهم لموقع "تويتر" في إتاحة مساحة للمغردين بنقل تغريداتهم بشكل فوري ومباشر في ذات لحظة وقوع الأحداث أولاً بأول، ما يدل على أهمية سمة التفاعلية التي يتميز بها، حيث يزداد معدل التفاعل مع التغريدات الآنية. وجاءت التغريدات التي تنطوي على زمن مستقبلي بنسبة ٢٦.٣ بالمائة وهي إما على هيئة تنبؤات أو حديث عن وقائع سوف تتم في مراحل لاحقة وفقاً لتحليل معين، أما الزمن الماضي فانطوت عليه نسبة ٢٥.٩ بالمائة من التغريدات وهي التي تشير عادة إلى أحداث وأمور انقضت أو انتهت في أمد بعيد أو قريب. ووردت تغريدات بمدى زمني مختلط للماضي والحاضر والمستقبل بنسبة بسيطة قدرها ١٢.٦ بالمائة فقط.

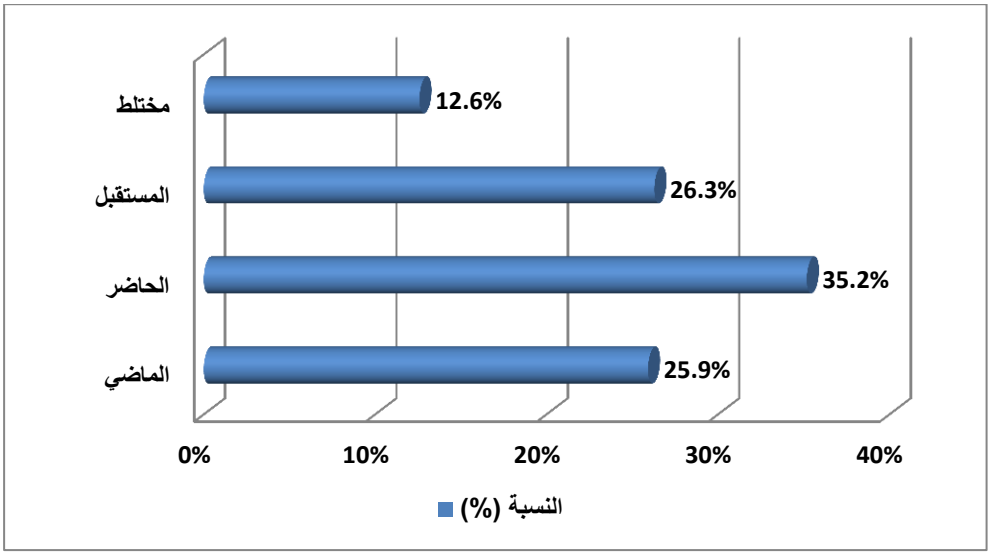

رسم بياني (٩): توزيع عينة التغريدات حسب المدى الزمني للتغريدة

١٠ - انفعالية التغريدة:

تشير النتائج إلى أن غالبية التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" تضمنت انفعالاً يشير إلى الكراهية وذلك بنسبة ٢٢.٢ بالمائة، وهذا ما يعني غلبة المشاعر السلبية، وقد يفسر ذلك بارتباط التغريد بأطراف متصارعة وبينها خلاف واختلاف في الآراء والمواقف والتوجهات بطبيعة الحال. ويلي ذلك التحدي بنسبة ٩.٦ بالمائة، وهذا يعني التغريدات التي تنطوي على موقف قوة لطرف تجاه آخر. ومن ثم المحبة بنسبة ٨.٥ بالمائة وهي تعني التغريدات التي تحمل مشاعر إيجابية، بعدها مشاعر اللوم والرضا بنسبة ٥.٩ بالمائة لكليهما، والتفاؤل بنسبة ٤.٨ بالمائة، والاطمئنان بنسبة ٤.٤ بالمائة.

وجاءت انفعالات ومشاعر أخرى بنسب بسيطة متفاوتة وفقاً للترتيب الآتي: الحزن بنسبة ٣.٧ بالمائة، القلق بنسبة ٢.٦ بالمائة، الفرح والغضب بنسبة ٢.٢ بالمائة لكليهما، وأخيراً التشاؤم والخوف بنسبة ١.١ بالمائة لكليهما. وفي المقابل وردت تغريدات لم تتضمن أي نوع من الانفعالات بنسبة ٢٤.٤ بالمائة، وهي التي عادة ما تكون إعلامية أو منقولة عن وسائط أخرى.

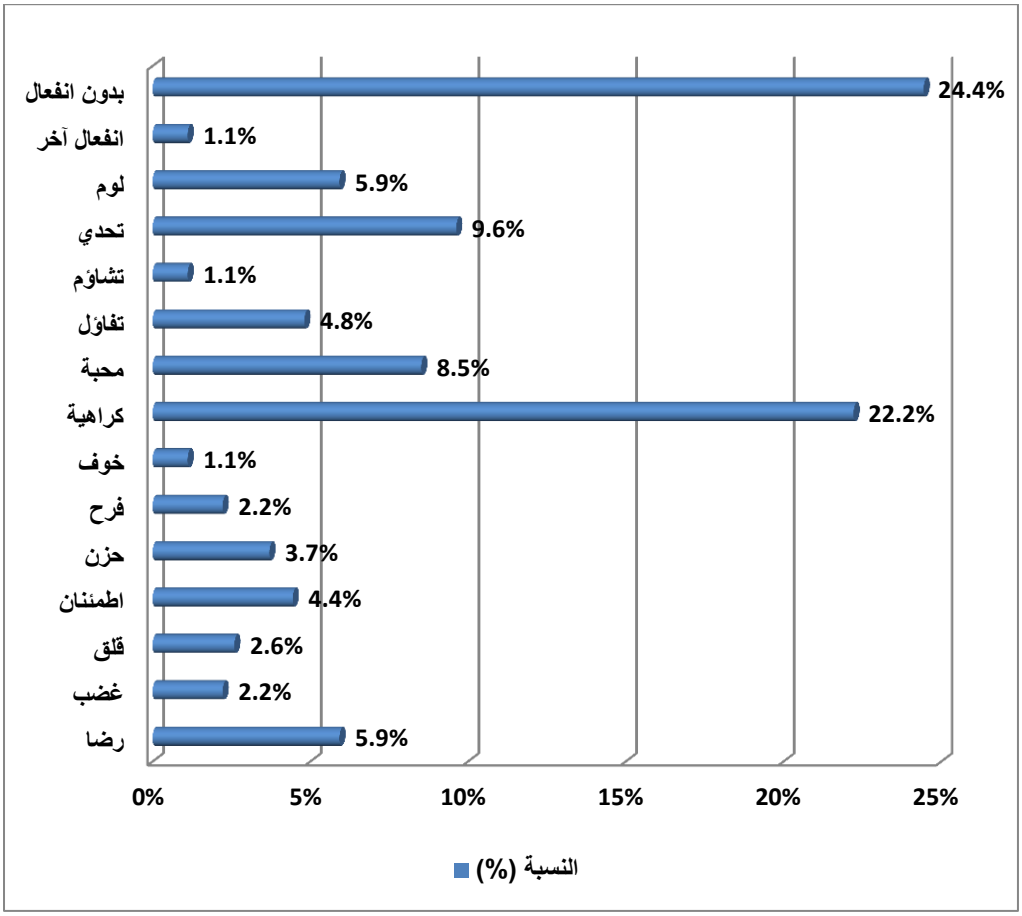

رسم بياني (١٠): توزيع عينة التغريدات حسب الانفعالية في التغريدة

١١ - أسلوب التغريدة:

بينت النتائج أن الغالبية العظمى من التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" تميزت بأسلوب جاد وذلك بنسبة ٧٧.٨ بالمائة، الأمر الذي يشير إلى جدية القضية موضوع التغريد، ويتوافق مع نتيجة سابقة مفادها أن الهدف الرئيس للتغريدات في الغالب كان الإعلام، أي تقديم معلومات ومواد إعلامية مختلفة، وهذه عادة ما تقتضي الجدية بطبيعة الحال. أما التغريدات الهزلية فجاءت بنسبة ١٣ بالمائة فقط، وهي التي تنطوي على فكاهة، وفي الغالب لا يُقصد بها التسلية بقدر ما تهدف للتهكم والسخرية، وهي عادة ما تتعلق بطرح آراء ووجهات نظر. وجاءت التغريدات المختلطة التي تمزج بين الأسلوبين الجاد والهزلي بنسبة ٩.٣ بالمائة فقط.

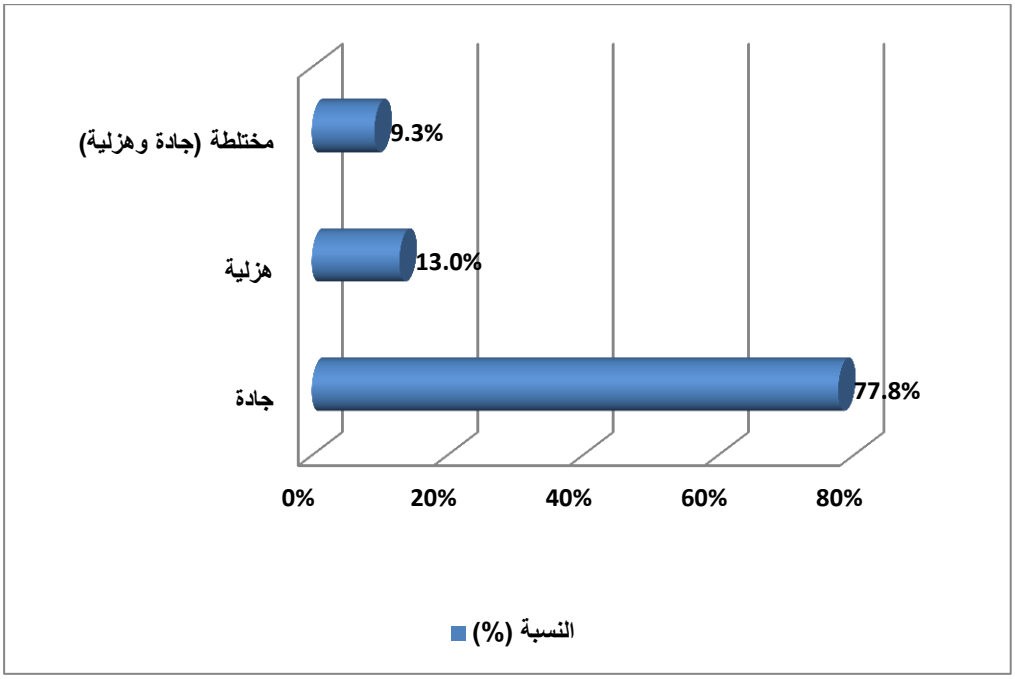

رسم بياني (١١): توزيع عينة التغريدات حسب أسلوب التغريدة

١٢ - وسم التغريدة:

تشير النتائج إلى أن الوسم الأبرز الملحق بالتغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" هو وسم عاصفة الحزم بنسبة ٤٩.٦ بالمائة، وذلك طبيعي باعتبار مسمى العملية، وهو الأمر الذي يُسهل الوصول للتغريدات عند البحث عنها لكون الوسوم بمثابة كلمات مفتاحية للموضوعات. وجاء وسم اليمن في المرتبة الثانية بنسبة ٧.٤ بالمائة، وذلك باعتبارها الدولة التي تشن فيها عملية العاصفة، بعدها يأتي وسم منطقة بنسبة ٤.٦ بالمائة أي موقع عملية ما أو حدث معين، ثم وسم السعودية بنسبة ٤.٣ بالمائة وهي الدولة التي شُنت عمليات التحالف في اليمن بقيادتها.

وجاء وسم حدث للدلالة على واقعة أو عملية معينة بنسبة ٣.٥ بالمائة، يليه شعار بنسبة ٢.٨ بالمائة. وبالنسبة إلى وسوم الدول الأخرى غير اليمن والسعودية جاء وسم دولة عربية وأجنبية بنسبة ١.٣ بالمائة، ووسم دولة خليجية بنسبة ٠.٩ بالمائة فقط. وبشأن وسوم الأفراد جاء الملك سلمان بنسبة ١.٥ بالمائة، الحوثي بنسبة ٠.٦ بالمائة، وعلي صالح بنسبة ٠.٤ بالمائة، فيما وردت وسوم لأفراد آخرين بنسبة ٢.٤ بالمائة كبعض الإعلاميين أو السياسيين المعروفين.

وجاءت وسوم أخرى بنسب بسيطة جداً وهي وسم كيان سياسي ووسم وصف بنسبة ٢.٦ بالمائة لكليهما، وسم وسيط إعلامي بنسبة ١.٧ بالمائة، وسم الحزم بنسبة ١.٣ بالمائة، وسم عاجل ووسم الحرب على الحوثيين بنسبة ١.١ بالمائة لكليهما، وسم السعودية تقصف الحوثي بنسبة ٠.٦ بالمائة، وسم العدوان السعودي على اليمن بنسبة ٠.٤ بالمائة، وأخيراً وسم هيئة نظامية بنسبة ٠.٢ بالمائة فقط. ولم تتضمن أي من التغريدات وسمي كيان حقوقي أو تاريخ معين للدلالة على حدث ما، فيما بلغت نسبة الوسوم الأخرى ٧.٨ بالمائة.

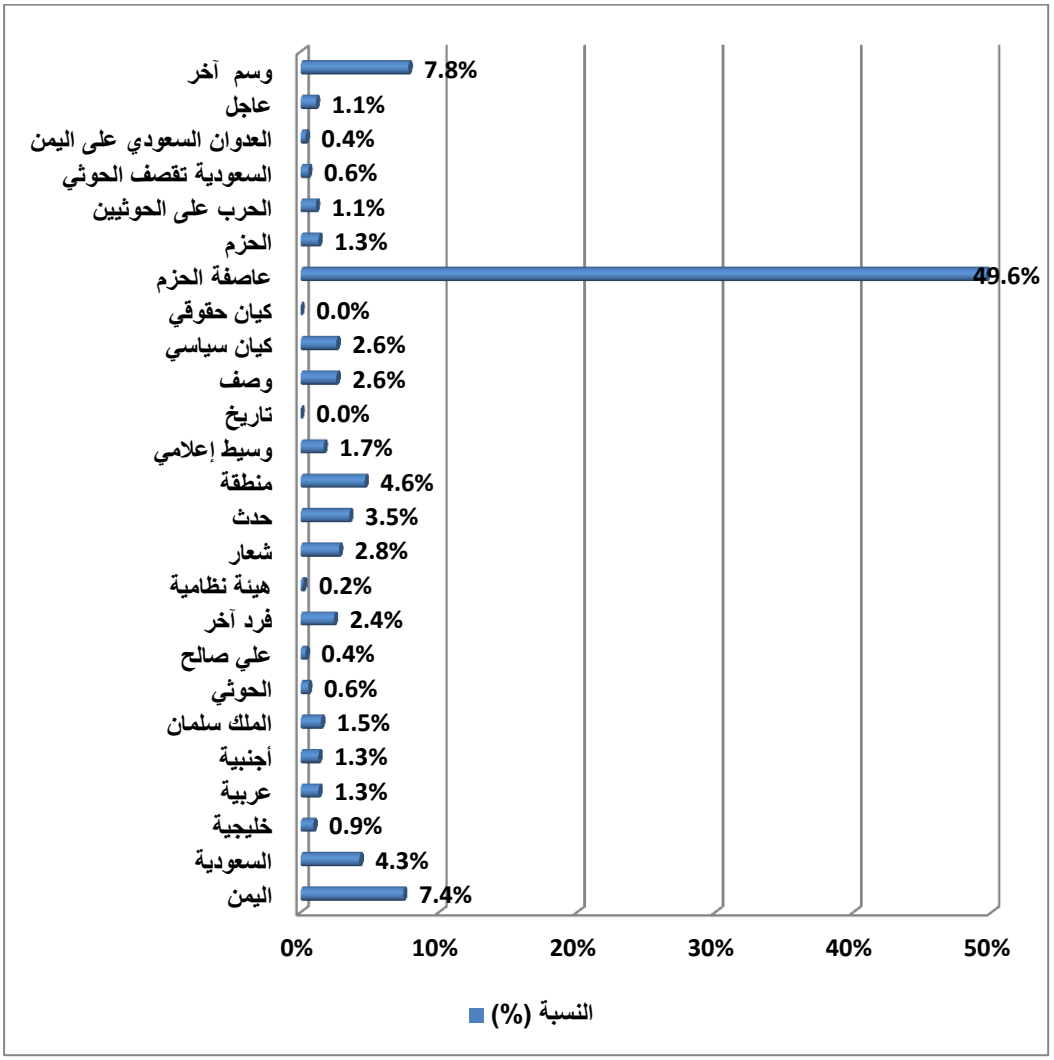

رسم بياني (١٢): توزيع عينة التغريدات حسب وسم التغريدة

١٣ - لغة التغريدة:

أوضحت النتائج أن اللغة الأبرز للغالبية العظمى من التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" هي اللغة العربية الفصحى بنسبة ٨٥.٦ بالمائة، وذلك ما يتيح للتغريدات انتشاراً أوسع في المحيط العربي باعتبارها قضية عربية في المقام الأول، ناهيك عن سهولة فهمها من الجمهور العربي لكونه المستهدف بالدرجة الأولى وفق هذه النتيجة. وجاءت اللهجة العامية التي عادة ما تكون موجهة لجمهور محدد، واللهجة المختلطة التي تمزج بين العربية الفصحى والعامية بنسبة ٧ بالمائة فقط لكليهما، فيما لم تتضمن العينة تغريدات باللغة الإنجليزية أو أي لغة أجنبية أخرى، وذلك في مقابل نسبة لا تكاد تذكر لتغريدات مختلطة مزجت بين اللغتين العربية والأجنبية مقدارها ٠.٤ بالمائة فقط.

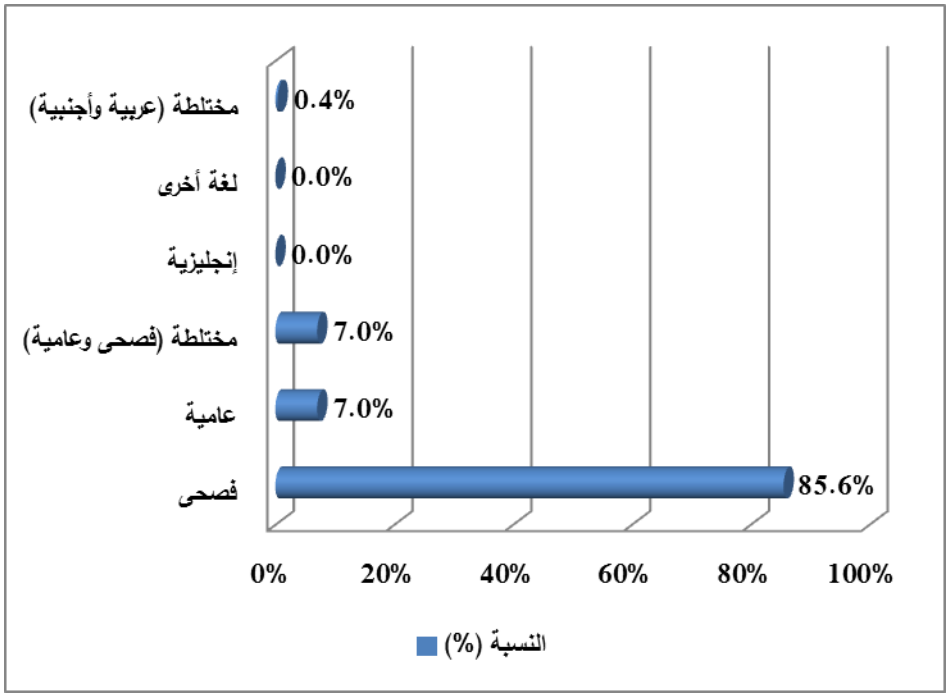

رسم بياني (١٣): توزيع عينة التغريدات حسب لغة التغريدة

١٤ - الوسائط المتعددة في التغريدة:

تشير النتائج إلى أن غالبية التغريدات عن عملية "عاصفة الحزم" لم تتضمن روابط أو وسائط متعددة، وذلك بنسبة ٥٣.٧ بالمائة، أي إنها كانت نصاً فقط. أما التي تضمنت وسائط فكان من أبرزها الصور بنسبة ٢٧ بالمائة، تليها الفيديوهات بنسبة ٨.٩ بالمائة وهي تمنح قدراً أكبر من التفاعل لتميزها بالحيوية عبر توفر الصوت والصورة معاً.

بعدها الملفات المقروءة بنسبة ٧.٨ بالمائة وهي التي تتضمن في الغالب مواد إعلامية مكتوبة، ثم الملفات الصوتية بنسبة بسيطة مقدارها ١.٩ بالمائة وهي عادة مواد مسجلة كالأناشيد على سبيل المثال، وأخيراً الرسوم بنسبة ٠.٧ بالمائة فقط.

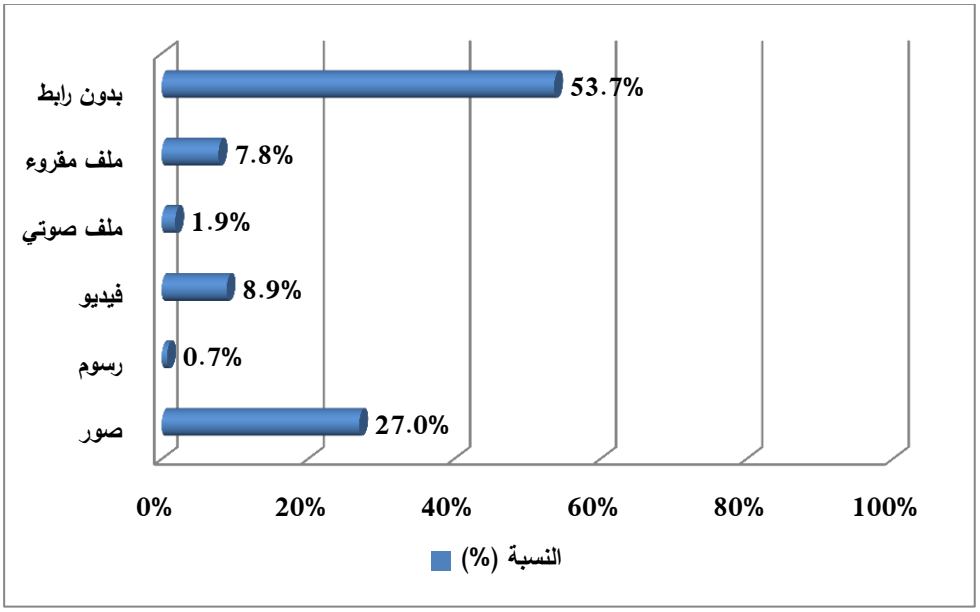

رسم بياني (١٤): توزيع عينة التغريدات حسب الوسائط المتعددة في التغريدة

- خاتمة:

أتاحت مواقع الإعلام التفاعلي - ومنها "تويتر" وهو الموقع محل الدراسة - مساحة كبيرة لنشر المعلومات وعرض الأخبار والأحداث والمستجدات أولاً بأول، كما شكلت منبراً حراً للتعبير عن الآراء وإبداء وجهات النظر والمواقف. ومن جهة أخرى، ساهمت في تعزيز وظائف الإعلام المتمثلة في تحشيد الجمهور، تعبئة الرأي العام وتوجيهه، تدعيم الاتجاهات أو تغييرها، الضبط الجماعي، وغيرها. وهذه الوظائف بطبيعة الحال رهن عدة متغيرات، أبرزها درجة اعتماد الجمهور على تلك المواقع ومعدل ثقته بها، مدى تلبيتها لاحتياجاته ورغباته وتطلعاته، وكذلك مدى توافقها مع اهتماماته وأفكاره وأهدافه "الدوافع والإشباعات".

أما التأثيرات الناتجة عن التعرض لها فهي قد تكون معرفية، تتضمن إزالة الغموض الناتج عن تناقض المعلومات أو نقصها وعدم كفايتها لفهم الأحداث أو تفسيرها، تشكيل الاتجاهات نحو القضايا الجدلية المثارة، ترتيب الأولويات تجاه القضايا البارزة والمشكلات

الملحة، واتساع المعتقدات والقيم كالحرية والمساواة والتسامح. وهناك التأثيرات الوجدانية، كالفتور العاطفي وما يرتبط بالحالات المزاجية المختلفة، الخوف والقلق، الدعم المعنوي والاغتراب الذي يزداد حينما لا يجد الجمهور معلومات معبرة عنه، الشعور الجمعي أو التوحيد والاندماج. وتشمل التأثيرات السلوكية التنشيط، أي القيام بعمل ما مؤيد أو معارض، واتخاذ مواقف سلوكية إيجابية أو سلبية، ويقابل ذلك الخمول الذي يعني عدم النشاط وتجنب القيام بفعل ما، أي اللامبالاة والسلبية.

إلى ذلك، فإنه على الرغم من الإيجابية التي تُناط بهذه المواقع إن من ناحية الأدوار أو التأثيرات، إلا أن ثمة جوانب سلبية ينبغي التنبه لها، وهي في العادة ذات صلة بالمصداقية ودرجة الثقة، والمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية في الاستخدام، وما قد ينتج عن ذلك من حرب نفسية تزدهر في أوقات الصراع وترتكز إما على الدعاية، التضليل والخداع الإعلامي، التسميم السياسي، غسيل الدماغ، انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة، أو التشويش الثقافي والسياسي. وهذه السلبيات كلها تعود في الغالب إلى عدم وجود ضوابط أو تشريعات تحكم الإعلام التفاعلي في البيئة الإلكترونية، ما يفضي إلى التشتت وضياع الرقابة والمحاسبة.

إن استخدام الإعلام التفاعلي ومنه "تويتر" وقياس فاعليته وتأثيره في المنطقة العربية عادة ما يرتبط بجملة معطيات، منها المناخ الاقتصادي ومدى قدرته على إتاحة تكنولوجيا الاتصال ومستلزماتها التقنية، كثافة السكان وخلفياتهم التعليمية والثقافية والأيدلوجية، طبيعة النظام السياسي القائم ودرجة ديمقراطيته من ناحية حرية الرأي والتعبير، وكذلك درجة استقلالية الإعلام في ظله، والنسق الاجتماعي للمجتمع، إضافة إلى الأمية الرقمية وموانع اللغة.

وعليه، فإنه وفقاً لما خلصت إليه هذه الدراسة من نتائج، تجدر الإشارة إلى أن المغردين والذين يُشكل السعوديون النسبة الأكبر منهم وظفوا "تويتر" للتأطير الإيجابي لعملية "عاصفة الحزم" وفق أهدافها من وجهة نظر المملكة العربية السعودية وهي الدولة التي قادت العملية، وكذلك في خلق رأي عام مؤيد لها على مستوى خليجي وعربي بالدرجة الأولى، وتحشيد الجمهور العام للوقوف في صفها، وذلك يعود بشكل رئيس إلى حرص المغردين على استخدم وسم "عاصفة الحزم" في تغريداتهم، باعتباره الوسم الذي تبوأ المركز الأول عربياً والمركز الثاني عالمياً منذ اليوم الأول لانطلاق العملية العسكرية

باليمن في ٢٦ مارس ٢٠١٥م، والتي دامت لمدة ٢٧ يوماً، حيث تم الإعلان عن عملية "إعادة الأمل" في ٢١ أبريل ٢٠١٥م.

كما تؤكد نتائج الدراسة أن السعوديين ألحقوا الوسم بتغريداتهم أكثر من اليمنيين باعتبارهم الطرف الثاني المقابل في الصراع السياسي، وبقية المغردين المناهضين أو المعارضين للعملية، والذين استخدموا وسوماً أخرى مثل وسم "العدوان على اليمن" أو "العدوان السعودي على اليمن" وغيرها. ولعل ذلك يعود إلى كون السعودية من أكثر الدول استخداماً لـ "تويتر" على مستوى العالم وفق إحصاءات وتقارير رسمية، ناهيك عن أسباب ذات علاقة بالبنى التحتية التقنية مثل الانتشار الواسع لشبكة الإنترنت وما يرتبط بها من وسائط كأجهزة الهواتف الذكية والحواسيب المحمولة، وذلك في مقابل ضعف الشبكة وعدد مستخدميها في اليمن "الفجوة بين من يملك ومن لا يملك".

ختاماً، لاشك أن استخدام الجمهور النشط لموقع إعلامي ما يُعبر عن إدراكه لإمكانية إسهامه في تلبية دوافعه ومدى تأثيره على الجمهور المستهدف، وذلك من خلال العناصر المنتقاة في مضمونه والتي يتم التركيز عليها وإهمال بعضها من أجل تأطير حدث أو صراع بما يتوافق مع أهدافه، حيث يتباين الجمهور في إدراكه للرسالة وطبيعة الاستجابة لها بطرق وأساليب واعية ومقصودة لتحقق أهداف محددة مثل الدعم، الإقناع، الاستثارة العاطفية، ولفت الانتباه لقضية ما للاهتمام بها وفق رؤى معينة حسب اتجاه عرضها، وهذا يعني "فلترة" المضمون ليتوافق مع مصالح الجمهور وتطويعه لخدمة هدفه وفكرته، وعادة ما يتبع هذا النهج "قادة الرأي"، حيث إنهم مدركون أكثر من غيرهم للأجندة التي تمثل صدارة اهتمامات المجتمع. وقد ساعدت الخصائص التي يتميز بها "تويتر"، لا سيما سهولة استخدامه والتعرض الانتقائي لمضمونه على تحقيق ذلك.

تعز: العاصمة السياسية والدبلوماسية لليمن

"قراءة تاريخية في وثائق الدبلوماسية الألمانية (١٩٤٨ – ١٩٦٢)"

أ. د. محمود أحمد الشعبي
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة صنعاء

مقدمة[١]:

بصفة عامة، هناك ندرة واضحة في الكتابات المتعلقة بدراسة التاريخ السياسي والدبلوماسي لليمن خلال الفترات الزمنية المعاصرة. وغالباً ما يميل النزر اليسير المتوفر من مثل تلك الكتابات إلى أسلوب سرد التجارب الذاتية لبعض المستشرقين والرحالة والتجار والدبلوماسيين الذين زاروا اليمن أو عملوا فيها خلال تلك الفترات. كما أنه من النادر أن تستند تلك الكتابات إلى مرجعيات توثيقية "رسمية". لذلك، فإن هذه المادة التاريخية التي بين أيدينا يمكن أن تصنّف ضمن ذلك النادر من الكتابات؛ إذ عمد الباحث إلى طرق أغلب موضوعاته مستنداً إلى مرجعية توثيقية رسمية – واستثنائية ايضاً – متمثلة في تقارير ووثائق الدبلوماسية الألمانية.

يتناول الباحث في مادته التاريخية العلمية هذه عدداً من الموضوعات التي يقدمها في قالب تحليلي يحاول من خلاله بيان بعض المسائل النوعية المتعلقة بالتاريخ السياسي والدبلوماسي المعاصر لليمن. كما يسلط الضوء على طبيعة الدور السياسي والدبلوماسي المتميز الذي أنيط بمدينة تعز كعاصمة سياسية ودبلوماسية لليمن خلال فترة زمنية معينة، وتطور وتيرة الوجود الدبلوماسي فيها خلال تلك الفترة.

- تعز في قلب السياسة والدبلوماسية اليمنية (١٩٤٨م – ١٩٦٢م):

كانت تعز عاصمة لليمن طوال فترة حكم الإمام أحمد حميد الدين التي دامت ١٤ عاماً تقريباً، وخلال هذه الفترة زاد عدد البعثات الدبلوماسية في تعز بشكل سريع ليصل إلى

١- [المحرر].

ضعف ما كان عليه إبان حكم الإمام يحيى حميد الدين. وعندما نقارن فترة حكم الإمام أحمد (١٤ عاماً) مع فترة حكم الإمام يحيى التي استمرت ٣٠ عاماً؛ سنلاحظ أن حجم الانفتاح الدبلوماسي في علاقات اليمن مع العالم في عهد الإمام يحيى ظل محدوداً مقارنة بما تم خلال فترة الامام أحمد؛ إذ لم يوقع الإمام يحيى في العاصمة صنعاء إلا القليل جداً من اتفاقيات الصداقة مع عدد محدود من الدول لا يكاد يتجاوز عدد أصابع اليد، ولم ترق علاقات اليمن بتلك الدول إلى حد العلاقات الدبلوماسية الكاملة. لقد ظلت العاصمة صنعاء معزولة وشبه خالية من التمثيل الدبلوماسي الأجنبي والعربي طوال تلك الفترة.

على العكس من ذلك، نجح الإمام أحمد من العاصمة تعز في أقل من نصف مدة حكم والده في أن يعقد الكثير من الاتفاقيات الدولية، وتمكن من إقامة علاقات دبلوماسية واسعة مع عدد كبير من بلدان العالم ذات الوزن الكبير وفي مقدمتها الصين الشعبية والهند وإيطاليا ومصر والسعودية ولبنان والسودان وإمبراطورية الحبشة وألمانيا (الغربية والشرقية) وكوريا (الجنوبية والشمالية) وبولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها من الدول. وكان للكثير من تلك الدول تمثيل دبلوماسي دائم أو مفوضيات في بداية الأمر ثم تحولت فيما بعد إلى سفارات وبها سفراء مفوضون فوق العادة. كما اُفتتحت في المدة ذاتها عدد من القنصليات في صنعاء والحديدة.

هكذا تطورت من العاصمة تعز كثير من علاقات اليمن الخارجية، وأخرجت البلاد من سياسة العزلة والانغلاق التي عاشتها خلال حكم الإمام يحيى، ومنذ ذلك الوقت لم يكتب عن اليمن أنها بلاد ممنوعة كما كانت في عهد الإمام يحيى. ففي حين كان السلك الدبلوماسي في مطلع الخمسينيات لا يزيد عن خمس دول؛ أصبح بعد أقل من ثمان سنوات يزيد عن خمسة أضعاف العدد السابق. ذلك النجاح الكبير - لا شك - خدم العاصمة تعز. وإضافة إلى الكثير من البعثات الدبلوماسية والسفارات والقنصليات والمنظمات الدولية، تواجد في تعز أهم مؤسسات الدولة التي لم تنقل مقراتها إلى صنعاء إلا في نهاية الستينيات وبداية السبعينات من القرن الماضي. الجدير ذكره أن الكثير من الدول المهمة قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اليمن في فترات مختلفة في الستينيات ومن بينها السعودية والأردن وتونس والمغرب ولبنان وألمانيا وأمريكا وفرنسا وبريطانيا. والجداول القادمة توضح نمو السلك الدبلوماسي وتطوره في العاصمة تعز، بحسب ما جاء في التقارير الدبلوماسية خلال الفترة: ١٩٤٨م – ١٩٦٢م، وذلك على النحو الآتي:

الفتـرة الأولى: ١٩٤٨م – ١٩٥٣م[١]

الدولة	نوعية التمثيل	اسم الممثل	تاريخ التمثيل	مكان التمثيل
فرنسا	مفوضية	Georges Guegraude	١٢/ ٤/ ١٩٥٠	جدة/ تعز
إيطاليا	مفوضية	Fasquale Jannelli	١٨/ ٧/ ١٩٥٣	القاهرة/ تعز
أمريكا	مفوضية	George Wadsworth	٦/ ١٠/ ١٩٥٣	جدة/ تعز
المانيا الاتحادية	مفوضية	Dr. Gunther Pawelke	١٩٥٣/١٠/١٥	القاهرة/ تعز
بريطانيا	مفوضية	N. Ralph R. Curzon	_____	تعز
مصر	قائم بأعمال	حسن شعيب	_____	صنعاء

الفتـرة الثانية: ١٩٥٣م – ١٩٥٨م[٢]

الدولة	نوعية التمثيل	اسم الممثل	مكان التمثيل
إيطاليا	قائم بالأعمال "عميد السلك الدبلوماسي"	السيد أمادو جيوليتي	تعز
بريطانيا	قائم بالأعمال	السيد بريو جوردون	تعز
أمريكا	قائم بالأعمال	السيد كراو فورد	تعز
فرنسا	ممثل من الخارجية الفرنسية	السيد ليسكوت	تعز
ألمانيا الاتحادية	قائم بالأعمال مقيم في مصر ثم في جدة	د. بافيلكه/ استيفن	تعز
مصر	قائم بالأعمال	أكثر من شخص	صنعاء
السعودية	قائم بالأعمال يريد الانتقال إلى تعز	_____	صنعاء
السودان	سفارتها في جدة ترعى مصالحها (كانت غير مستقلة)	_____	_____
إثيوبيا	قنصل عام	_____	تعز
باكستان	سفارتها في جدة ترعى مصالحها	_____	_____
الصين الشعبية	يقوم بأعمالها سفارتها في القاهرة	_____	تعز

1- PAAA B.: 12، 1064a

2- PAAA B.: 12، 1064a Steffen ans AA vom 21.07.1958

القائمة الأخيرة أعدتها البعثة البريطانية في تعز، وسلمت نسخة منها إلى بعثة ألمانيا الغربية في ٣٠ أبريل ١٩٦٠، والتي أرسلتها بدورها إلى بون مع مذكرة خاصة بتاريخ ١٩٦٠/٦/٢٥م.

الدولة	نوعية التمثيل	اسم الممثل	مكان التمثيل
الاتحاد السوفيتي	قائم بأعمال وخمسة مساعدين	نيمت شينوف	تعز
ألمانيا الديمقراطية	ملحق تجاري في صنعاء ليس له صفة دبلوماسية	_____	صنعاء
بولندا	قدم سفيرها في القاهرة أوراق اعتماده في تعز وقت كتابة التقرير	_____	تعز
رومانيا	عند كتابة التقرير كانت تستعد لإقامة تمثيل دبلوماسي	_____	تعز
تشيكوسلوفاكيا	يقوم بأعمالها سفارتها في القاهرة	_____	تعز

الفترة الثالثة: ١٩٥٨م – ١٩٦٣م[١]

الدولة	اسم الممثل	مكان التمثيل
البعثة البريطانية	بيري جوردون ومساعد آخر	تعز
البعثة الايطالية	د. أماديو جوليت، مع اثنين مساعدين	تعز
القنصلية الايطالية	سينيور فيوري	الحديدة
البعثة الأمريكية	ويليام اشتولتز فوس ج ر. مع اثنين مساعدين	تعز
البعثة الروسية	فلاديمير لافروف وخمسة مساعدين	تعز
البعثة الصينية	تشنج يوري وأربعة مساعدين أحدهم مسلم	تعز
البعثة الإثيوبية	ولديه جندشو مع مساعد	تعز
البعثة السعودية	إسماعيل المغني	صنعاء
البعثة المصرية	علي الدسوقي "غير مقيم" مع مساعدين اثنين	صنعاء
بعثة ألمانيا الغربية	فيلي جورج استيفن، مفوض غير مقيم	تعز
مفوض أمريكا	ج. فريدريك راينهارد، سفير في القاهرة، وزير مفوض في اليمن	تعز
مفوض السوفييت	واي. ياروفييف، سفير في القاهرة، وزير مفوض في اليمن	تعز
مفوض الصين	شين شي–كانج، سفير في القاهرة، وزير مفوض في اليمن	تعز

1- PAAA B.: 12 ١،064a vom 30.04.1960

الدولة	اسم الممثل	مكان التمثيل
مفوض باكستان	شهاب الدين، سفير في السعودية، وزير مفوض في اليمن	تعز
مفوض المجر	لاجون لافهجارتو، سفير في القاهرة، وزير مفوض في اليمن	تعز
مفوض تشيكوسلوفاكيا	د. فران تيسيك زاخيستال، سفير في القاهرة ومفوض في اليمن	تعز
مفوض يوغوسلافيا	راتو دوجوميك، سفير في القاهرة، وزير مفوض في اليمن	تعز
مفوض لبنان	ميشيل عيسى، قنصل لبنان في عدن، وزير مفوض في اليمن	تعز
مفوض السودان	سفارته في جدة ترعى مصالحه	تعز
مفوض بولندا	الكسندر كرايفسكي، سفير في القاهرة، وزير مفوض في اليمن	تعز
منظمات دولية	افتتحت بعض المنظمات التعاونية والإنسانية مكاتب رسمية لها في تعز، وكان يديرها مجموعة من الخبراء خلال الفترة المذكورة، إضافة إلى فتح مكتب تجاري لألمانيا الشرقية في صنعاء عام ١٩٥٨م حصل على بعض الامتيازات التي لا تصل إلى درجة التمثيل الدبلوماسي، وكان يعمل فيه أربعة موظفين.	_____

اليمن وألمانيا.. بدايات تاريخية استثنائية

أثناء الحرب العالمية الأولى لجأ إلى اليمن مجموعة كبيرة من البحارة الألمان الذين كانوا يعملون على ظهر المدمرة الألمانية (Emden) في جنوب شرق آسيا، حيث نزلوا في الحديدة بعد معارك بحرية كبيرة ومتعددة دارت بين تلك المدمرة الألمانية وبين سفن كثيرة تابعة للبحرية البريطانية والدول المتحالفة معها في مناطق مختلفة من المحيط الهندي. وكانت المدمرة الألمانية (Emden) قد وقعت تحت نيران المدمرة البريطانية (Sydney) الأكبر منها حجماً ومدداً وعدة. وبعد معركة شرسة غرقت (Emden) في المحيط الهندي، لكن قائدها وبعض البحارة نجحوا في خديعة البريطانيين وتمكنوا من العودة إلى بلادهم، إذ أبحروا على متن السفينة الشراعية (عائشة) إلى اندونيسيا، ومن ثم استقلوا باخرة بمساعدة قنصل ألمانيا في اندونيسيا متجهين صوب اليمن، حيث اخترقوا في طريق عودتهم جميع الكمائن ونقاط المراقبة التابعة للبحرية

البريطانية والفرنسية؛ حتى وصلوا إلى ميناء المخاء فالحديدة ومنها سافروا إلى صنعاء حيث استقبلتهم الحامية التركية المتحالفة مع بلادهم بما يليق بهم وذلك في مقر معسكر العرضي في صنعاء، ثم عادوا بعد ذلك إلى سواحل تهامة، وتسللوا براً وبحراً إلى الحجاز وبلاد الشام ومنها إلى القسطنطينية، و بعدها عادوا بالقطار إلى برلين.

عن مغامرات ذلك الفريق وبطولاته ألّف قائد (قبطان) المدمرة الألمانية المذكورة كتاباً احتوى على قصص فريدة من نوعها، وزود كتابه ببعض الصور الوثائقية النادرة من بينها صور عن اليمن[١]. وقبل سنوات قليلة من إعداد الباحث لهذه الدراسة أنتجت إحدى القنوات الألمانية فيلماً وثائقياً باسم (عائشة)؛ وذلك لتوثيق تلك المغامرة البطولية التي تشبه أو ربما تتفوق في أحداثها على قصة الرحالة نيبور ورفاقه الذين زاروا اليمن عام ١٧٦٣م. والجدير ذكره هنا أن ألمانيا كانت حتى ذلك التاريخ تعد اليمن ضمن أملاك الدولة العثمانية؛ لذلك فإن الوثائق الألمانية الخاصة باليمن - كدولة مستقلة - تعود إلى فترة ما بين الحربين، ثم إلى مرحلة الحرب الباردة. وأغلب وثائق الفترة الأولى كشفت عن محاولات الدولتين عقد اتفاقية صداقة وتعاون، كما تضمنت تلك الوثائق صوراً من التعاون الثنائي بين الدولتين في الشؤون التجارية والاقتصادية والاتصالات البريدية والقطاع الفني. وفي تلك الفترة عمل في اليمن بعض وكلاء الشركات التجارية لمدينة هامبورج، ومنهم: (السيد هانزن، السيد رات ينز)، كما زارها تاجر السلاح الألماني (السوري الأصل) زكي كرام، والذي ارتبط اسمه باسم بندقية (الموزر) التي يطلق عليها اليمنيون اسم (زكي كرام). وقد استوردت اليمن - آنذاك - من ألمانيا كميات من الأسلحة الخفيفة والذخائر وغيرها من الآلات والمنتجات الصناعية عن طريق وسطاء وتجار من مختلف الجنسيات[٢].

١- التفاصيل في كتاب قبطان المدمرة المذكورة التالي:

Mücke، Helmut: Ayesha, Berlin, 1915.

٢- لم يتم عقد تلك الاتفاقية إلا في بداية خمسينات القرن الماضي.

للمزيد انظر:

أحمد الصايدي، **العلاقات اليمنية الألمانية** ١٩٢٧ - ١٩٤٠، صنعاء، ١٩٩٢م؛

وكذلك:

محمود قاسم الشعبي، "السياسة الألمانية في المشرق العربي ١٩٢٢-١٩٤٥"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.

في العام ١٩٢٧م زار اليمن السفير الألماني في أديس أبابا (السيد فايس) وزوجته (زونن بورج) التي ألّفت كتاباً باللغة الألمانية عن رحلتها إلى صنعاء بعنوان: (قُدُمًا نحو صنعاء المدينة الممنوعة)[١]. وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين زار اليمن الكثير من الرحالة والباحثين والمغامرين، ومنهم موسيقار ألماني قام بتسجيل الكثير من الألحان الشعبية اليمنية، إضافة كذلك إلى جغرافيين وعلماء آثار وغيرهم[٢]. لكن في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية انقطعت الاتصالات بين اليمن وألمانيا، الأمر الذي دفع الباحث لتقديم استفسار خطي إلى الأرشيف العسكري الألماني بهذا الخصوص؛ حيث تم الرد على الاستفسار بالإفادة أنه لا يوجد شيء عن اليمن في دور الوثائق الألمانية له علاقة بفترة الحرب، إضافة إلى أن الكثير من الوثائق الألمانية قد فُقدت خلال الحكم العسكري لألمانيا من قبل دول الحلفاء وفقدان ألمانيا لسيادتها آنذاك، أما عن فترة الحرب فلا يوجد سوى بعض الوثائق الخاصة بالبحارة الألمان الذين كانوا يقومون بمهمات خاصة في نطاق التعاون الألماني الايطالي في المستعمرات الايطالية في شرق أفريقيا (اريتريا والصومال) أو بالقرب منها، وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية تكررت قصة السفينة (عائشة)، إذ لجأ ثمانية ضباط وفنيون من البحرية الألمانية إلى اليمن حتى لا يقعوا في أيدي قوات الحلفاء، وقد تحفظت عليهم حكومة الإمام يحيى ومنحتهم حق اللجوء، ورفضت تلبية مطالب دول الحلفاء تسليمهم لها، وقد تكفل الصليب الأحمر برعايتهم حتى نهاية الحرب، لكن شخصاً واحداً منهم - على الأقل - توفي في بداية فترة اللجوء، في حين بقي المهندس بحري (شلاد هولدت) في اليمن واعتنق الإسلام وتزوج بامرأة يمنية تعزية، ثم استقر في مدينة تعز مدة من الزمن، وبعد الحرب شارك في بناء بعض الحواجز المائية بالقرب من تعز بأمر من الإمام أحمد، وكان يتنقل بين الشمال والجنوب[٣]. وقبل شهر من مقتل الإمام يحيى عام ١٩٤٨م، وصلت إلى تعز طبيبة ألمانية

1- Weiss-Sonnenburg، Hedwig: Zur verbotenen Stadt Sana'a. Berlin 1928.

2- Helfritz، Hans: Glückliches Arabien. Zürich 1956،

٣- بعد أن اعتنق الإسلام تزوج البحار الألماني شلات هولدت في تعز بمسك بنت محمود المكاوي، وسمى نفسه عبدالله، وفي الخمسينات انتقل الزوجان إلى عدن وأنجبا أنيسة وأمين وليزا، ثم عادت الأم إلى تعز وتوفيت أنيسة وأمين بمرض الحصبة، وفي عام ٢٠٠٠ توفيت الأم مسك، وإلى الآن تحاول ليزا معرفة إن كان والدها على قيد الحياة بعد انقطاع الاتصال به في نهاية الخمسينيات. ومما يؤسف له أنها لم تحصل مثل غيرها على الجنسية الألمانية، على الرغم من الوثائق التي تثبت أقوالها، والتي اطلع عليها الباحث في أرشيف الخارجية الألمانية في برلين، وكذلك بعض الوثائق والصور التي تكرم بها للباحث رجل الأعمال اليمني السيد أمين درهم، (وكيل شركتي سيمنس ولوفتهانزا الألمانيتين في

من سكان مدينة هامبورج واسمها إيفا هويك (Eva Hoeck)، وذلك للعمل في المدينة بوصفها طبيبة خاصة لنساء القصر، وبموجب عقد خاص حرره لها بخط يده ولي العهد - آنذاك - أحمد بن يحيى حميد الدين، وإلى جانب عملها الرئيسي في القصر (المقام)، كانت الطبيبة إيفا تستقبل المرضى من عامة الناس، وتقوم بمعاينتهم في الطابق السفلي من منزلها الكائن في وسط المدينة، وظلت تمارس عملها في تعز حتى عام ١٩٥١م، حيث انتقلت بعد ذلك إلى شبام حضرموت. وقد ورد في مذكرات تلك الطبيبة الألمانية أنها التقت في تعز برجل الأعمال الألماني (السيد هرمان ديتريش هانزن) والمهندس بحري (شلاد هولدت) المشار إليهما سلفاً. وقد اشتهر المهندس بحري شلاد هولدت باسم (سيمبرو)، وهو الذي استقبل الطبيبة إيفا في عدن بتكليف من رجال ولي العهد، وأحضرها عن طريق البر إلى تعز، وعند وصولها إلى جمرك الراهدة استقبلها مدير الجمارك هناك حيث قامت بمعاينة ابنته المريضة، لتكون بذلك أول مريضة يمنية تقوم بمعالجتها.

عن الراهدة التابعة لمحافظة تعز، كتبت الطبيبة المذكورة في مذكراتها عن المدينة والعادات والتقاليد والأخلاق الكريمة التي يتميز بها سكان المدينة، ولا سيما حسن المعاملة وكرم الضيافة، كما مدحت طعامهم "اللذيذ". وكانت تلك الطبيبة قد تعرفت في جمرك الراهدة على طبيبين فرنسيين (رجل وزوجته) كانا في طريقهما إلى صنعاء[1]. ولعل من محاسن الصُدف أن الباحث قد تمكن من مقابلة الطبيبة إيفا هويك شخصياً لمرة واحدة في آخر أيامها، كما تحدث معها عدة مرات تلفونياً قبل وفاتها عام ١٩٩٦م.

كما قابل الباحث - لمرات عدة - ابن أخت الطبيبة المذكورة البروفيسور ينز فيبل (Jens Wiebel) الذي زارها في اليمن في تلك الفترة، وعمل معها لسبعة أشهر كمساعد

اليمن)، وجميع الوثائق تثبت صحة هذه القصة، وفي بعض المصادر اليمنية ذكرت قصة البحارة الألمان بما لا يتناقض وما ورد في تلك الرواية، إضافة إلى الوثائق التي أشار إليها الباحث.

ينظر في ذلك:

عبد الله جزيلان، **لمحات من ذكريات الطفولة**، منشورات العصر الحديث، [د.ت]، ص ٩٥ - ٩٧ و١٠٦ - ١٠٧ و١١٩.

ولا ينبغي هنا الخلط بينهما وبين الطبيبة الفرنسية كلودي فاين، التي جاءت إلى اليمن في مطلع الخمسينات، وألفت كتاباً تمت ترجمته بعنوان (كنت طبيبة في اليمن).

1- Hoeck، Eva: Als Ärztin Unter Beduinen. Berlin. S. 11-16

طبيب (متدرب) في مستوصف بشبام حضرموت. وفي الوقت الحالي يعيش البروفيسور ينز فيبل في هامبورج، ويعمل أستاذاً في جامعتها، كما يمتلك عيادة تخصصية لطب الأطفال[١]. ولا يفوت الباحث في هذا المقام تقديم شكره للبروفيسور ينز، لأنه من ساعد الباحث في الحصول على النسخة الأصلية من مذكرات الطبيبة المذكورة مع مجموعة من الصور والوثائق النادرة، وقد تم الاتفاق معه على ترجمة مذكراتها[٢].

على حد علم الباحث، لا توجد في ألمانيا وثائق خاصة باليمن أثناء فترة الاحتلال العسكري الأجنبي لألمانيا من قبل دول الحلفاء من عام ١٩٤٥م حتى تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية عام ١٩٤٩م؛ وأسباب ذلك تعود إلى تدمير البعض منها أثناء الحرب، وهزيمة ألمانيا والاحتلال العسكري الأجنبي لها، وتقسيمها بين القوى المنتصرة التي يأتي على رأسها الحكم العسكري السوفيتي للجانب الشرقي، والأمريكي - البريطاني - الفرنسي للقسم الغربي، ناهيك عن قيام تلك الدول بالمصادرة أو التحفظ على الكثير من الوثائق الألمانية لفترة من الوقت وحتى ما بعد نهاية الحرب[٣].

- ظروف قيام العلاقات اليمنية الألمانية:

بعد تأسيس الدولتين الألمانية واليمنية، سعت كل منهما للبحث عن اعتراف دولي بنظاميهما، وحول هذا الموضوع بعث السفير الألماني في لندن برسالة إلى بون تتعلق بالمباحثات اليمنية الألمانية وبالتوقيع على اتفاقية الصداقة والتجارة، وكان لدى مفوض اليمن في لندن (السيد حسن بن إبراهيم) تفويضاً من الإمام أحمد للقيام بتلك المهمة، إذ عبر للسفير الألماني عن رغبة اليمن في استيراد بعض المنتجات الصناعية من ألمانيا، وتصدير بعض المنتجات الزراعية والحيوانية مثل البن والجلود، على أن يكون الدفع بالجنيه الاسترليني، و لم تغب عنه في الحديث معه حاجة اليمن إلى مجموعة من المهندسين والأطباء والفنيين المهرة من ألمانيا، وكذا خبراء عسكريين لفحص واستلام واختبار وتخزين الأسلحة التي تنوي اليمن استيرادها من ألمانيا[٤].

بعد توقيع البلدين على اتفاقية الصداقة والتجارة وقيام علاقات دبلوماسية بينهما، أصبح

١- مقابلة الباحث مع الطبيب المذكور في هامبورج صيف ٢٠٠٨م، ولدى الباحث صورة من قرار توظيف الطبيبة المذكورة بخط ولي العهد أحمد وختمه. وعن البحارة الألمان قام الباحث بمقارنة الوثائق الخاصة بهم في أرشيف الخارجية الألمانية.

٢- في حوزة الباحث كثير من الوثائق والصور الخاصة بالطبيبة المذكورة.

٣- حصل الباحث على هذه المعلومات بصفة شفهية من دور الوثائق الألمانية.

4- PAAA B.: 12، Nr. 1060a London ans AA. vom 02.05 und 24.05.1951.

السيد حسن بن إبراهيم أول مفوض يمني غير مقيم في بون. وفي المقابل، أصبح السفير الألماني في القاهرة الدكتور جونتر بافيلكه (Günther Pawelke) أول مفوض غير مقيم لألمانيا في تعز، وبعد فترة أسندت تلك المهام إلى السفارة الألمانية في جدة. وكان المفوض الألماني وغيره من الدبلوماسيين يزورون تعز بين الحين والآخر، ويكتبون تقارير مفصلة عن أوضاع اليمن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويرفعون إلى دولهم بقوائم محَدَّثَة متضمنة الدول التي لها تمثيل في تعز مع أسماء أعضاء رجال السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي، والمتغيرات والتنقلات فيما بينهم.

في وقت مبكر من عقد الخمسينيات من القرن المنصرم أبلغ السفير الألماني في جدة خارجية بلاده أن السيد هاره (Hare) سفير أمريكا في جدة والمفوض غير المقيم في اليمن، قد انتهت فترة عمله في السعودية، وأن السيد جورج ودسورث (George Wadsworth) قد اُختير سفيراً في أمريكا بعد عمله السابق في براغ لكي يحل محله سلفه في جدة واليمن، وذلك بموجب اتفاق البلدين في ٦ أكتوبر ١٩٥٣م، وذكر التقرير أن القنصل الأمريكي في عدن قد أسندت إليه سكرتارية المفوضية الأمريكية في تعز، وأرفق المفوض الألماني برسالته كشفاً يضم جميع أعضاء السلك الدبلوماسي في العاصمة اليمنية تعز حتى ١٧ نوفمبر ١٩٥٣م. وسيتم في سياق هذه الدراسة عرض قوائم خاصة بتشكيل بعثات السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي في مدينة تعز لفترات زمنية مختلفة وحتى العام ١٩٦٢م[١].

لقد سبقت الإشارة إلى التاريخ الذي بدأت فيه الاتصالات بين اليمن وألمانيا الاتحادية اعتماداً على ما هو متوفر ومتاح حتى الآن من الوثائق الألمانية، وتبين أن تلك الاتصالات قد أدت إلى إقامة تمثيل دبلوماسي بين البلدين بعد توقيعهما على اتفاقية الصداقة والتجارة في ٢١ ابريل ١٩٥٣م، والتي بدأ العمل بها في ٩ ديسمبر ١٩٥٤م[٢].

من جهة أخرى، كان للمصالح الاقتصادية والسياسية والتقنية الدور الرئيس في تطوير علاقات البلدين قبل التوقيع على تلك الاتفاقية وبعده، وكان لرجال الأعمال الألمان وشركة (Wesenhütte) المتخصصة في صناعة معدات الحفر، وشركات (كروب واستراباج وفيليب هولسمان ودايلمان) الدور الرئيس في ذلك التطور وعقد تلك

1- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Jidah ans AA. vom 17.11.1953.

2- PAAA B.: 12، Nr. 1061a Bonn ans AA vom 27.10.1959 (تقرير بمناسبة زيارة سيف الإسلام عبد الرحمن إلى ألمانيا)

الاتفاقية؛ إذ كانت اليمن قد بدأت في عام ١٩٥٢م بالبحث عن شركات ألمانية متخصصة بتصنيع الحفارات، غير أنه لم يكن لألمانيا - آنذاك - أي تمثيل مباشر مع اليمن الشمالي، حيث كانت المفوضية البريطانية في تعز تقوم برعاية مصالحها.

أما في مستعمرة عدن فقد كان لألمانيا بها قنصلاً عاماً، في حين كان للإمام أحمد بها ممثلاً تجارياً. ومن أجل تطوير ذلك الوضع، سافر الدكتور جونتر بافيلكه Günther Pawelke (سفير ألمانيا في القاهرة) إلى تعز[١]، يرافقه السيد هنريك دي هاس (Heinrich de Haas) القنصل الفخري الألماني في جدة، وعن طريق عدن وصل الوفد الألماني إلى تعز العاصمة في ١٢ أكتوبر ١٩٥٣م، وبعد ثلاثة أيام قابل الدكتور بافيلكه الإمام أحمد، حيث تم اعتماده مفوضاً غير مقيم لألمانيا في تعز. بعد ذلك قام الوفد الدبلوماسي الألماني برحلة إلى صنعاء لمقابلة الأمير الحسن (رئيس وزراء الإمام)، تبعتها زيارة إلى مأرب والحديدة، ومن ثم عاد إلى تعز ومنها سافر إلى عدن ثم إلى مصر. وبعد ذلك تطورت تلك العلاقة وأصبحت البعثة الألمانية في جدة تقوم بعمل البعثة في اليمن.

بعد النصف الثاني من الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات تولى تلك المهمة السيد فيلي جورج استيفن (Willi Georg Steffen) الدبلوماسي الألماني المعروف، وفي أبريل ١٩٦٠م اعتمد السيد فيلي جورج بدرجة مفوض دائم في تعز، ثم تحولت المفوضية إلى سفارة[٢].

وفي عام ١٩٦٥م قررت اليمن وغالبية الدول العربية الأخرى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية. وبعد أن أطيح بحكم السلال في ٥ نوفمبر ١٩٦٧م على يد القاضي الارياني، وتراجع نفوذ المعسكر الشرقي عامةً والنفوذ المصري بصفة خاصة في اليمن، تغيرت السياسة اليمنية تبعاً لذلك التحول، إلى أن أعادت اليمن علاقاتها من جديد مع بون عام ١٩٦٩م [٣]. ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا أصبح عمر تلك العلاقة غير المنقطعة ٤٢ عاماً.

١- ألف السفير الألماني بافيلكه كتاباً قيمًا بعنوان: "اليمن البلاد الممنوعة" (Jemen Das Verbotene Land) على وزن كتاب "صنعاء المدينة الممنوعة" الذي ألفته زوجة السفير الألماني في إثيوبيا بعد زيارتيهما لليمن عام ١٩٢٧ وتسلم من الإمام يحيى أول رسالة رسمية إلى الرئيس الألماني هندن بورج.

2- PAAA B.: 11 ،Nr. 347 Bawelke Kairo ans AA 16.١٠.1952

عن البحث والتنقيب عن النفط في اليمن انظر الموسوعة اليمنية: ح.٤. [نفط].

3- Jemen Report: Heft 1 Jahrgang 40، 2009. S. ٦-8 und S. 17-25

الألمانيتان واليمن.. تنافس غربي – شرقي

خلال عام ١٩٤٩م تم في وقت متقارب إعلان قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية وعاصمتها بون وجمهورية ألمانيا الديمقراطية وعاصمتها برلين الشرقية، وبذلك أصبحت ألمانيا نظرياً وعملياً مقسمة إلى دولتين. ومن حينها بدأت فترة الصراع والتنافس الكبير بين برلين الشرقية وبون، إذ حاول كل طرف الحصول على اعتراف دولي وتمثيل دبلوماسي؛ لكن حكومة (بون) كانت تعتقد أنها الوريث الشرعي للدولة الألمانية المهزومة، وترفض الاعتراف بحكومة القسم الشرقي.

فيما يخص ذلك الصراع وعلاقاته باليمن، احتفظ أرشيف الخارجية الألمانية ببعض التقارير والمراسلات السرية التي يعود تاريخها إلى منتصف عام ١٩٥٨م، فمن حينها بلغ ذلك التنافس ذروته في اليمن، ويتضح ذلك من خلال رسائل بعث بها سفراء ألمانيا في القاهرة وجدة، والنقاش المطول الذي دار مع مفوض اليمن في بون الدكتور عبد الرحمن البيضاني بخصوص معلومات ذكرت أن اليمن سمحت لألمانيا الشرقية أن تفتح مكتباً تجارياً لها في صنعاء، واحتمال أن يكون العاملون فيه قد حصلوا على حقوق وامتيازات دبلوماسية أو قنصلية على الأقل[١].

في مقابلة حول ذلك الموضوع جرت بين القائم بأعمال وزارة الخارجية اليمنية القاضي محمد عبد الله العمري والسيد استيفن، الممثل غير المقيم لألمانيا الغربية في تعز، أكد العمري أن اليمن لم تعط البعثة التجارية التابعة لألمانيا الشرقية سوى حقوق قنصلية محدودة للغاية، تُستخدم للأغراض الاقتصادية البحتة، وأكد له أن اليمن تتفهم حساسية ذلك لدى ألمانيا الغربية، وهي حريصة على عدم إفساد علاقاتها معها[٢]. وفي هذه الفترة المتأخرة من خمسينيات القرن العشرين كان خبراء من ألمانيا الشرقية يمدون سكان مدينة صنعاء بحوالي ١٠٠٠ خط هاتف أرضي وينصبون أعمدة وأبراج وأجهزة إرسال واستقبال للراديو تعمل بالموجة القصيرة في إذاعة صنعاء بناءً على توجيهات وأوامر من ولي العهد محمد البدر.

أما عن بعض المواقف المحرجة التي واجهت البعثة اليمنية في بون والبعثة الألمانية في تعز فنختار هنا وثيقتين فقط، الأولى كتبها السفير الألماني في تعز نهاية عام ١٩٦٠م

1- PAAA B.: 12، Nr.1064a vom 26.11.1958

2- PAAA B.: 12، Nr. 1063 (مقابلة استيفن مع القاضي العمري بتاريخ ١٢/ ٧/ ١٩٥٨م)

ذكر فيها أن الجمارك اليمنية لم تسمح للسفارة الألمانية بأخذ الخزانة الحديدية التي وصلتها من ألمانيا إلا بعد أن يتم فتحها ومعرفة ما بداخلها أمام شاهدين من وزارة الخارجية اليمنية، وذلك لأن الإمام أحمد كان يحرص على معرفة كل شيء ولا يتم أي عمل من دون موافقة مسبقة منه. وقد كتب السفير الألماني - ساخراً - بأن ذلك التشديد من قبل الإمام يعود إلى خوفه من أن يكون داخل تلك الخزانة آلات جهنمية أو أشياء شيطانية! و لذلك فقد استعجل خارجية بلاده أن توافق على فتح الخزانة و تفتيشها في الجمارك قبل استلامها[١].

أما الوثيقة الثانية فهي متعلقة برئيس البعثة اليمنية في بون، ففي تقرير أعده الدكتور فوجت من دائرة المشرق العربي في الخارجية الألمانية، تحدث فيه عن موقف مُحرِج عاشه البيضاني، مفوض اليمن في بون، وله علاقة مباشرة بالتنافس بين الألمانيتين، حيث ذكر كاتب التقرير أن البيضاني أخبره بأنه استلم دعوة لحضور معرض الكتاب في فرانكفورت بألمانيا الغربية، ودعوة أخرى مماثلة لحضور معرض الكتاب في لايبزيج بألمانيا الشرقية، وأنه يرغب أن يلبي الدعوتين، لكن البيضاني ذكر أنه سوف يعتذر عن تلبية دعوة معرض لايبزيج؛ إذا كان ذهابه سيغضب خارجية ألمانيا الغربية. وبعد التشاور ردت عليه الأخيرة بالموافقة إذا كانت الدعوة موجهة له من إدارة معرض لايبزيج مباشرة وليس من حكومة ألمانيا الشرقية، ورد عليهم البيضاني مؤكداً إن الدعوة وصلته من المعرض مباشرة[٢]. لقد كانت بون تعتقد أنها الوريث الشرعي للدولة الألمانية المنحلة، وأنها تمثل كل ألمانيا، ولا تعترف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية التي كانت تعد نفسها دولة حديثة التكوين وليس لها علاقة بالماضي.

فيما يتعلق بتنافس الدولتين في اليمن، أشارت بعض الوثائق والدراسات إلى نجاح مساعي الألمان الشرقيين لإيجاد موضع قدم لهم في اليمن، إذ قاموا بتقديم أول مساعدة طبية لليمن عام ١٩٥٤م، بعد زيارة قام بها السيد حسين المقدمي (وزير الصحة اليمني) إلى برلين الشرقية، وأن الدفعة الأولى من الأطباء الشرقيين قد وصلت إلى اليمن عام ١٩٥٦م، ودخلت الاتفاقية الطبية بين البلدين حيز التنفيذ عام ١٩٥٩م[٣]. وفي عام ١٩٥٨م وصل

1- PAAA B.: ،١٢ Nr. 1060a Steffen Taizz ans AA vom 30.12.1960:

2- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Bonn، Voigt ans AA vom 01.09.1955.

3- Bundesarchiv (MfAA) A. 13648 Mikrofisch A. 5940 B1. 32 ff.

محمد الأكوع، أحداث ثورة ١٩٥٥، ص ٢٤٨.

خبراء من ألمانيا الشرقية إلى اليمن للقيام بمد وتركيب أول شبكة للهاتف الأرضي في صنعاء، سعتها ألف خط، وكذلك تطوير إذاعة صنعاء وتزويدها بمعدات وأجهزة إرسال حديثة مكنتها من البث على الموجة القصيرة، و أن ولي العهد محمد البدر قد افتتح المشروعين المذكورين عام ١٩٥٩م. وكان يتولى الإشراف على سير الأعمال وزير المواصلات (الأمير محمد بن القاسم)، وأشرف على التنفيذ الميداني المهندس عبد الله زيد المحضار (إيطالي الجنسية) ومن أصول يمنية، وترجم للفريق الألماني علي محمد الأبيض (والد الوزير والسفير السابق يحيى الأبيض).

الجدير بالذكر هنا، أن الأطباء الألمان الشرقيين كانوا يقدمون خدماتهم الإنسانية في اليمن مقابل أجور شهرية تدفعها لهم الحكومة اليمنية وتتراوح ما بين (٧٠ و ١٥٠ جنيهاً استرلينياً) للمساعد والطبيب على التوالي، ومن بينهم الدكتورة جيرلاخ (زوجة رئيس المكتب التجاري سالف الذكر)، وهي التي ألفت كتاباً قيماً عن المرأة اليمنية خلال وجودها في اليمن. كما نجحت برلين الشرقية - أيضاً - في تصدير بعض منتجاتها لليمن وتحقيق مكاسب منها. ويذكر (السيد فولف جانج مارك) المهندس الذي مد شبكة الهاتف في صنعاء، أن البيان الأول لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ضد الإمام البدر قد تم إذاعته بعد أربع سنوات تماماً من افتتاح تلك الموجة القصيرة التي بناها الألمان الشرقيون للبدر، وكذلك الحال بالنسبة للدبابات الروسية التي اشتراها البدر وقامت بقصف قصر الإمام (دار البشائر) في تلك الليلة من عام ١٩٦٢م. وبسبب فشل الشركات الألمانية الغربية في استخراج النفط والمعادن في اليمن تلكأت بون في إرسال أطباء وفنيين من جهتها بحجة أن ما عرضته اليمن من مرتبات شهرية لهم غير مناسبة. لتلك الأسباب وغيرها وُجِدَ لألمانيا الشرقية تمثيل تجاري في صنعاء دون صدور اعتراف رسمي من قبل اليمن بتلك الدولة، وهو الأمر الذي كانت بون تتخوف من حدوثه[١].

التخوف الألماني الغربي من نجاح برلين الشرقية في إقامة أي نوع من العلاقة الدبلوماسية مع اليمن جاء بعد نشر خبر قيام ذلك التمثيل التجاري المشار إليه، وعلقت عليه وسائل إعلام ألمانيا الغربية، وانتقدت حكومة بون بشدة على تساهلها، وكذلك على

1- PAAA B.: 12، 1061a vom 27.10.1959 Wolfgang Marek: Dienstreise in den Jemen 1958-1959. Berlin 2007. Gerlach، Eva: Aus dem Harem in die Welt. Leipzig 1962.

عدم رفع مستوى تمثيلها في تعز إلى سفارة أو مفوضية دائمة في وقت مبكر، مكتفية بتمثيل دبلوماسي غير مقيم حتى ذلك الحين.

بعد نشر ذلك الخبر، تحركت الدوائر الدبلوماسية الألمانية الغربية بسرعة، واقتنعت بأهمية فتح مفوضية دائمة لها في العاصمة تعز، وحتى بداية الخمسينيات كانت المفوضية البريطانية في تعز ترعى مصالح ألمانيا التي اكتفت بوجود قنصل عام لها في محمية عدن. وبعد التوقيع على الاتفاقية اليمنية الألمانية عام ١٩٥٣م المشار إليها سابقاً، أصبح سفير ألمانيا في القاهرة (الدكتور جونتر بافيلكه) ممثلاً غير مقيم في تعز، ثم انتقلت تلك المهام في منتصف الخمسينيات إلى الرجل الثاني في السفارة الألمانية في جدة، وهو السيد استيفن، والذي أصبح منذ عام ١٩٦٠م مفوضاً دائماً ثم سفيراً مقيماً لبلاده في تعز إلى ما بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م.

من أجل فتح تمثيل دبلوماسي دائم لألمانيا في تعز، حصلت بون على دعم قوي جداً من بعثات الدول الغربية الأخرى، وفي مقدمتها البعثة الأمريكية والبريطانية والايطالية، التي أفصحت أكثر من مرة عن رغبتها في تكوين نفوذ دبلوماسي غربي قوي في عاصمة المملكة المتوكلية اليمنية، يوازن أو يفوق مستوى النفوذ القوي جداً لدول أوروبا الشرقية عامة والاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا والصين ومصر خاصة. ورأت بعثات تلك الدول أن تأخر بون عن فتح مفوضية دائمة لها في تعز كان السبب في فتح تمثيل تجاري في صنعاء لمنافستها برلين الشرقية، إضافة إلى الانتقادات الشديدة لبون من قبل صحافتها المحلية[1].

في ضوء ما تقدم؛ يتجلى حجم التنافس الدولي الذي كان قوياً في اليمن في ذروة الحرب الباردة، والذي ازدادت حدته أكثر بعد قيام الثورة اليمنية عام ١٩٦٢م، إذ تحول إلى حرب بالوكالة شارك فيها إلى جانب الملكيين والجمهوريين أطرافاً عربية ودولية بما فيها إسرائيل. وفي عام ١٩٦٥م وصل ذلك التنافس إلى ذروته، إذ قطعت معظم الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية بسبب اعترافها بدولة إسرائيل، وحينها

1- PAAA B.: 12، 1061a vom 27.10.1959 PAAA B.: 12، 1060a Richthofen Jidah ans AA vom 17.02.1960 Wolfgang Marek: Dienstreise in den Jemen 1958-1959. Berlin 2007. Gerlach، Eva: Aus dem Harem in die Welt. Leipzig 1962.

تم إغلاق السفارة الألمانية في تعز، وتولت السفارة الإيطالية رعاية المصالح الألمانية في اليمن.

بعد انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧م ضد السلال، واستقلال الجنوب من الاستعمار البريطاني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، و تكوين نظام حكم موالٍ للغرب في شمال اليمن، ونظام حكم موالٍ للشرق في جنوبه، أعادت اليمن - كأول دولة عربية - علاقاتها مع ألمانيا الاتحادية من جديد عام ١٩٦٩م، بعد قطيعة استمرت أربع سنوات، وانتقلت سفارة بون إلى صنعاء[١]. و حصلت اليمن حينها على مساعدات غذائية ومالية كبيرة، وقام الألمان ببناء مطار صنعاء الدولي، وأعادوا تحسين طريق صنعاء - تعز وشقه وسفلتته، بالإضافة إلى مساعدات أخرى مختلفة الجوانب، منها مجالات الصحة والتدريب المهني والمياه والبيئة والتعليم الأكاديمي وغير ذلك.

- اليمن في وثائق الدبلوماسية الألمانية:

١- اليمن وشؤونه الخارجية:

ظلت علاقات اليمن مع بريطانيا طوال حكم الإمام أحمد غير مستقرة، وأسباب ذلك تعود إلى خلافات حدودية وقانونية، ومطالبة الإمام المستمرة بخروج الانجليز من محمية عدن، إلى غير ذلك من الأسباب التي تحتاج إلى دراسة موسعة ومستقلة بذاتها. ومن خلال التقارير والوثائق، تبين أن حالة الفتور في علاقات البلدين كان واضحاً منذ بداية الخمسينيات نتيجة للخلافات الحدودية وفهم كل طرف وتفسيره لنصوص الاتفاقية اليمنية البريطانية الموقعة عام ١٩٣٤م بشكل مختلف عن الآخر، مما أدى إلى فتور النشاط الدبلوماسي بينهما.

حول ذلك الموضوع بعث السفير الألماني في لندن رسالة إلى بون، ذكر فيها أن اليمن طلبت من السيد حسن بن إبراهيم (مفوضها في لندن غير المقيم في بون) البقاء في ألمانيا حتى إشعار آخر، وأن يترك بدلاً عنه في لندن القائم بالأعمال فقط. وقد اتخذت اليمن تلك الإجراءات إثر طلبٍ تقدمت به بريطانيا إلى الحكومة اليمنية يوضح رغبة الأولى في أن يكون لها تمثيل دبلوماسي كامل في تعز، وطالبت باعتماد السفير الذي رشحته لذلك المنصب. وحتى ذلك التاريخ، لم يوافق لهم الإمام إلا على قائم بأعمال فقط.

1- Shanneik، G: Koop، H: (Hrg): Die Beziehungen zwischen der BRD und Jemen. Berlin 2002. S. 12 ff und 40f.

ولأنه لم يكن يرغب في تلبية الطلب البريطاني فقد حاول تفويت الفرصة عليهم "بإنزال الشراع من أمام تيار الهواء حين أمر حسن بن إبراهيم بالبقاء في بون وعدم العودة إلى مقر عمله في لندن"[١].

في السياق ذاته، حدثت تطورات سريعة وايجابية في علاقات اليمن الدبلوماسية مع الدول الأخرى (العربية والأجنبية)، إذ بعثت السفارة الألمانية في روما رسالة إلى بون بعد عام واحد من رسالة لندن - سالفة الذكر - تفيد بأن السيد حسن بن إبراهيم أصبح سفيراً لليمن في روما، وأنه قد سلم أوراق اعتماده في ١١ فبراير ١٩٥٥م [٢]. ومن بيروت أبلغ السفير الألماني خارجية بلاده أن الدبلوماسي اللبناني (عدنان ترسيسي) قد عُيّن سفيراً لليمن في لبنان، وقد سلم نسخة من أوراق اعتماده إلى وزير الخارجية اللبناني ليصبح بذلك أول ممثل لليمن في لبنان[٣].

من جهة أخرى، فيما يخص علاقات اليمن بالسعودية، بعث السفير الألماني من جدة رسالة إلى بون بصفته مفوضاً غير مقيم لبلاده في تعز، تحدث فيها عن العلاقات الجيدة بين الإمام أحمد وملك السعودية، وقال إنها بلغت مرتبة الصداقة، إلا أنه استغرب من عدم وجود علاقات دبلوماسية بينهما حتى ذلك التاريخ، مضيفاً القول: إن الملك سعود بن عبد العزيز قام بخطوة إيجابية لكسر حاجز الجليد، وبعث بأول ممثل له إلى اليمن نهاية العام الماضي ١٩٥٧م، وقد رد عليه الإمام بتعيين السيد حسين مرفق، ممثلاً له في السعودية، والذي قدم أوراق اعتماده إلى الملك السعودي في احتفال رسمي خاص في ٢٣/ ٢/ ١٩٥٨م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ولأول مرة في تاريخهما بكل ما للكلمة من معنى[٤]. الجدير بالإشارة أنه في عام ١٩٥٤م زار ملك السعودية صنعاء، وبالمثل زار ملك اليمن السعودية عام ١٩٥٦م قبل قيام تمثيل دبلوماسي بين البلدين.

وعن الاتحاد الفيدرالي بين اليمن ومصر وسوريا، أبلغت المفوضية اليمنية في القاهرة سفارة ألمانيا الاتحادية في العاصمة المصرية نهاية عام ١٩٥٨م عن دخول اليمن في ذلك الاتحاد، وعن أهم محتوياته، والمتغيرات المترتبة على ذلك الاتفاق الفيدرالي المعلن في

1- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Kairo ans AA vom ٢٨.٠٤.١٩٥٤

2- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Rom ans AA vom 20.04.1955.

3- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Beirut ans AA vom 19.03.1955.

4- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Jidah ans AA vom 24.02.1957

دمشق في ٨ مارس عام ١٩٥٨م، والذي تم بموجبه تكوين (اتحاد الدول العربية)، وأن الرئيس جمال عبد الناصر قد أصبح - حينذاك - رئيساً للاتحاد، وصاحب السمو الملكي سيف الإسلام محمد البدر، ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية، نائباً عن صاحب الجلالة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين في القاهرة، وأن التمثيل الدبلوماسي بين دول الاتحاد قد تم إلغاؤه، وانتهت أعمال المفوضية اليمنية وتحولت اختصاصاتها ومقرها إلى مكتب صاحب الجلالة الإمام أحمد الكائن في رئاسة اتحاد الدول العربية[1]. لكن تلك المتغيرات لم تستمر طويلاً؛ لأن الإمام أحمد انسحب عملياً من ذلك الاتحاد بعد عودته من روما عام ١٩٥٩م.

يضاف إلى ذلك ما كان يقوم به التيار المتشدد من التحريض ضد الوطنيين ورجال الإصلاح، وبث الإشاعات ضد البدر وأتباعه. فقد اطلع الباحث على رسائل وتقارير سرية لدبلوماسيين ألمان تحدثوا فيها عن صراعات كانت تدور بين كبار موظفي الإمام، والمثال على ذلك التقرير المطول الذي بعث به سفير ألمانيا من القاهرة إلى خارجية بلاده في بون، وتحدث فيه عما كان يحدث من دسائس و مكايدات قام بها بعض المقربين جداً من الإمام ضد زملاء لهم من كبار رجال الدولة والسياسيين المقربين من الإمام، فقد نسب التقرير المذكور إلى سكرتير الإمام الخاص السيد صالح محسن شرف الدين بأنه انتهز فرصة تكليف الإمام له بتفتيش السفارة اليمنية في القاهرة فكتب تقريراً للإمام شكك في ولاء السفير اليمني السيد عبد الرحمن أبو طالب، وتسبب في عزله وطلب عودته إلى اليمن، وتعيين أحمد الشامي السكرتير الأول بالسفارة بديلاً عنه. وعندما نشرت الصحف المصرية ذلك الخبر، خاف القائم بالأعمال الجديد وطلب من الداخلية المصرية تشديد الحراسة على البعثة اليمنية من خلال زيادة أفراد الشرطة المخصصين لحمايتها خوفاً من وجود حوالي (٣٥٠) طالباً يمنياً في القاهرة قاموا بإضراب مفتوح داخل السفارة اليمنية احتجاجاً على نقل أبو طالب من القاهرة لأنه كان يتعامل معهم بشكل جيد. وحينها تحلى أبو طالب بالشجاعة وأجرى مقابلة مع صحيفة الأهرام أوضح فيها أنه لم يكن راغباً في ترك عمله في القاهرة، مضيفاً أنه بذل جهوداً كبيرة لخدمة مصالح بلاده والبلاد العربية، وقال إن سبب نقله من القاهرة يرجع إلى عداوة طويلة الأمد بينه وبين صالح محسن شرف الدين سكرتير الإمام الخاص، وكانت تلك الأحداث قد جعلته

1- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Kairo ans AA vom 26.11.1958

يلجأ إلى مقر السكرتير الثاني بالسفارة اليمنية - لم يذكر اسمه - إذ عاقبه الإمام فوراً بعزله من جميع مناصبه لذلك السبب. وفي الأخير أشار التقرير إلى نجاح القائم بالأعمال الجديد في السيطرة على الأوضاع في السفارة، كما صدر قرار بنقل أبو طالب إلى موسكو، فقبل بالأمر الواقع، وقبل سفره إلى عمله الجديد قام بزيارات التوديع والمجاملات البروتوكولية[1].

٢- أحداث وتقارير: محاولة اغتيال المفوض البريطاني في تعز

على الرغم من مرور عامين كاملين تقريباً على كتابة تقرير الدبلوماسي الألماني (استيفن) عن اليمن مطلع عام ١٩٦٠م، والذي سبق مناقشة محتواه في بعض أجزاء هذه الدراسة، فإن الأحوال الأمنية في البلاد لم تتحسن، ونستدل على ذلك من التقرير السري الذي كتبه ذلك الدبلوماسي، والذي وصف فيه محاولة اغتيال قام بها مواطن يمني في ١٣ يناير ١٩٦٢م، مستهدفاً القائم بالأعمال البريطاني في تعز السيد رونالد بايلي .Ronald W Mr. Bailey وقد اطلع الباحث على العديد من التقارير والرسائل السرية في دور الوثائق الألمانية الخاصة بهذا الموضوع، وسنكتفي هنا بعرض ومناقشة أهم ما جاء فيها مع التركيز على محتويات التقرير السري سالف الذكر.

التقرير السري الخاص بمحاولة اغتيال القائم بالأعمال البريطاني كتبه السفير الألماني في تعز بتاريخ ١٩٦٢/١/١٥م، وجاء فيه: "إنه في حوالي الساعة الواحدة من مساء يوم ١٣ يناير ١٩٦٢م أبلغني مراقب السفارة عن احتمال وقوع محاولة اغتيال ضد القائم بالأعمال البريطاني الذي يسكن في البيت المجاور للسفارة الألمانية، وأن هناك حاجة ماسة إلى طبيب، وعلى الفور ذهبت إلى المفوضية البريطانية وبرفقتي الدكتور ف. مارجوث[2]، فوجدنا السيد بايلي مستلقياً على سريره وهو مضرج بالدماء، وحارس البيت أمام غرفة النوم ينزف دماً، ولأن التيار الكهربائي كان مقطوعاً فقد عم الظلام المفوضية، وفي البداية كان يتواجد العسكري الحارس فقط، وبعد أن استفسرت من السيدة بايلي باختصار عن الحادث، ركبت سيارتي فوراً لكي أبلغ الطبيب والمستشفى القريب من المكان، وبقي الدكتور مارجوث يعتني بالمصابين اللذين كانت إصاباتهما كبيرة، ورجعت في الحال مع طبيب جراح إيطالي انضم إلى الدكتور مارجوث، ثم قمنا ثلاثتنا

1- PAAA B.: 12، Nr. 1064a Kairo ans AA vom 15.10.1957.

٢- (مارجوث) هو طبيب ألماني من جامعة كولونيا كان متواجداً في تعز، وفي وقت الحادث كان داخل السفارة الألمانية.

بنقل السيد بايلي بسيارة السفارة إلى المستشفى. وفي تلك الأثناء وصل السيد عبد الرحمن أبو طالب، القائم بأعمال وزارة الخارجية، وعمل على توفير المساعدات الإضافية، وقمت أيضاً بنقل الحارس المصاب إلى المستشفى، ومرة ثانية ذهبت شخصياً لإحضار أطباء آخرين، وأخبرت المفوض الايطالي والأمريكي بالحادث. والشيء الذي يجب التذكير به هو أنه لو حدث هنا أي شيء في الليل فعلى الإنسان أن لا يتوقع أي مساعدة من الجانب اليمني في بداية الأمر، وأن المستشفى الملكي في المدينة لا يوجد فيه قسم للحوادث ولا مناوبة ليلية ولا حتى سيارة إسعاف صالحة للعمل، كل ذلك زاد من صعوبة عملنا، إذ وجد الأطباء أن السيد بايلي قد أصيب بثماني طعنات، واحدة منها اخترقت صدره إلى تحت الرئة، وقد تم في الحال - تحت تلك الظروف - معالجته بالإمكانيات المتوفرة في المستشفى. وفي صباح اليوم الثاني أرسلت الحكومة اليمنية طيارة خاصة إلى عدن من أجل إحضار أدوية وبلازما وطبيب مختص، وبعد أن لاحظ الأطباء أن حالة المصاب بدأت تتحسن خلال يوم ١٤ يناير، وتبين لهم أنه قادر على السفر، تم ترحيله مع الطيارة نفسها إلى عدن بعد ظهر ذلك اليوم لمواصلة العلاج هناك. وحضر إلى المطار لتوديع المفوض البريطاني المصاب الكثير من الشخصيات اليمنية والرعايا الأجانب الذين يعيشون في تعز، إضافة إلى الأمير الحسن بن علي، كممثل رسمي للإمام أحمد والحكومة اليمنية إلى جانب الوزير أبو طالب"[١].

أما عن الموقف الرسمي والشعبي من محاولة الاغتيال، فقد أعلن الإمام أحمد في الحال عن استيائه الشديد من وقوع ذلك الحادث، وأصدر توجيهاته بالبحث عن الجاني أو الجناة، وبذل مبلغ ألف ريال فضة مكافأة لمن يجدهم. كما أعربت جميع الشخصيات اليمنية التي تواجدت ليلة الحادث وفي اليوم الثاني عن صدمتها بالحادث الدموي، واستنكروا ذلك وتأسفوا لما حدث، رغم أنهم كانوا يصرحون في العلن أن الحكومة البريطانية ليست صديقة لهم. وفي نهاية التقرير ذكر السفير الألماني أنه سيذهب مع السفير الايطالي في اليوم التالي إلى مقر البعثة البريطانية للإدلاء بما لديهم من معلومات عن الحادث أمام شرطة التحقيق[٢].

1- PAAA B.: 12، 1066 15.01.1962، Serjeant، R.B.: The Post Medieval and Modern History of Sana'a … In Sana'a an Arabian Islamic City. P. 105-107:

2- PAAA B.: 12، 1066 15.01.1962

وعن الكيفية التي دخل بها الجاني إلى منزل الدبلوماسي البريطاني، يذكر التقرير أنه قد يكون تسلل إلى البناية بعد الظلام أو دخل من باب قريب من المطبخ مستعملاً نسخة مفتاح مزورة، ثم قام بطرق باب السكن الخاص بالسفير مدعياً أن لديه برقية يريد تسليمها له. وبعد أن قام السيد بايلي من على سرير النوم وفتح الباب بدأ الفاعل في الحال يوجه إليه الطعنات من جنبية[1] حادة طولها ٣٠ سم. وعلى الرغم من إصابته القوية؛ فقد تمكن من دفع المهاجم للخارج ثم انسحب إلى غرفة النوم وهو فاقد الوعي، وتمكن أيضاً من إغلاق باب السيدة بايلي ليحميها من أي دخيل. أما حارس البيت الذي كان نائماً في الدور الأرضي فقد استيقظ عند سماع صوت الصياح وأسرع إلى الأعلى وتقابل مع الجاني الذي قام بطعنه أيضاً وهرب عبر السطح وتسلق من على مواسير المياه، وأثناء هروبه قطع أسلاك التيار الكهربائي ومر بالقرب من مكان عسكري الحراسة وتسبب في إيقاظه، وفر هارباً في الظلام دون أن يراه أحد[٢].

الجدير بالذكر أنه على الرغم من عدم وجود أي دليل يقود إلى الجاني في بداية الأمر، فقد تم القبض عليه في تعز بعد ظهر ذلك اليوم، إذ أصيب بيده وتسرب منه الدم، مما أدى إلى معرفة مكانه. وحتى تاريخ كتابة التقرير رفض الفاعل الإفصاح عن أسباب قيامه بذلك الفعل، إلا أن الدوائر اليمنية تخمن أن يكون للمصالح المصرية دخل في هذه الجريمة، أو أن الفاعل مدفوع الأجر من قبل أحد سلاطين محمية عدن للقيام بذلك العمل حتى يضر بالإمام ويعكر علاقاته الجيدة نسبياً مع بريطانيا والتي تحسنت في الآونة الأخيرة، خاصة وأن السيد بايلي شخصية ليست من النوع غير المحبوب، فهو يتمتع باحترام كبير بسبب طبيعته المؤدبة، ولا يمكن الاعتقاد أن الفعل له علاقة بالانتقام لأسباب عدائية شخصية[٣].

في السياق ذاته، قدمت الخارجية البريطانية شكرها الجزيل لألمانيا على المساعدة الكبيرة التي قام بها السفير الألماني في تعز للمفوض البريطاني المعتدى عليه، وعدَّت تلك المساعدة السبب الرئيس في إنقاذ السيد بايلي من موت محقق. وأكدت الخارجية

١- الجنبية: السلاح الابيض (الخنجر) الذي يتمنطقه اليمني على خصره كجزء من تراث الزي التقليدي [المحرر].

2- PAAA B.: 12، 1066 15.01.1962

3- PAAA B.: 12، 1066 15.01.1962

البريطانية للسفارة الألمانية أن للحادث دوافع سياسية، واحتمال ضلوع عسكري الحراسة وحارس المبنى في العملية[1].

أما عن الجانب اليمني فقد صدر بيان رسمي يتكون من عدة صفحات، ذُكِر فيه أن محاولة الاغتيال تمت في الثامن من شعبان بعد نصف الليل بـ ٣٠ دقيقة، وقد احتوى البيان على إدانة شديدة للحادث، وشكر للمواطنين على تعاونهم في الكشف والقبض على الجاني. وذكر أنه قد تم تشكيل لجنة للتحقيق والمحاكمة، إضافة إلى الكثير من التفاصيل المتعلقة بالقضية، ومنها أن الجاني قد اعترف بفعلته، ولكنه لا يزال ينكر أية علاقة له بطعن حارس المفوضية، وأضاف البيان أن الإمام وولي عهده يتابعان سير التحقيق بنفسيهما[2].

٣- تغير سياسة الإمام أحمد بعد عودته من إيطاليا:

بعد عودته من روما نهاية عام ١٩٥٩م، قلب الإمام أحمد الطاولة السياسية على رأس ولي عهده وعلى التيار الإصلاحي المتعاون معه، حيث بدأ يعبر بوضوح عن سياسته الجديدة بعد وصوله الحديدة مباشرة. وحول هذا الموضوع كتب القائم بالأعمال الألماني في تعز تقريراً بتاريخ ١٩٥٩/١١/٢٣م تضمن النقاط الآتية:

١- تصميم الإمام على الإمساك بزمام الأمور بيده وإنهاء النفوذ المصري.

٢- الأزمة الغذائية الناجمة عن الجفاف وانتشار الجراد والكوارث الطبيعية الأخرى.

٣- عدم تعاون الإمام مع منظمة الفاو وبعض الدول الراغبة في مساعدة اليمن ومنها مصر.

٤- الرغبة القوية للبعثات البريطانية والايطالية والأمريكية في فتح مفوضية ألمانية دائمة في العاصمة تعز.

بناءً على معلومات موثوق بها؛ يؤكد كاتب التقرير أن أوضاع اليمن كانت متأزمة جداً، وأن الإمام ينوي - ولو بشكل مؤقت - وضع حد للنفوذ المصري على الأوضاع والتطورات الداخلية في اليمن. ففي الخطاب الذي ألقاه يوم عودته من رحلته العلاجية من أوروبا، صرح الإمام بعدم وجود أية وحدة بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة، وأكد أن اليمن تحكم من قبله شخصياً وتؤمر بأمره. وتذكر الوثائق أن الإمام أمر قائد

1-PAAA B.: 12، 1066 ٢٩.٠١.١٩٦٢

2- PAAA B.: 12، 1066 vom 15.01.1962

الطائرة التي كانت تقله في رحلة العودة من إيطاليا إلى اليمن أن يعود من الجو إلى إيطاليا من جديد، واستبدلها برحلة بحرية[1]. كما رفض دعوة مصرية لزيارة القاهرة لمدة ثلاثة أيام أثناء مرور اليخت الذي كان يقله من روما إلى الحديدة في قناة السويس. وعند زيارة عبد الناصر له في اليخت دار بين الزعيمين حديث تفاصيله كثيرة، حيث أوضح من خلاله الإمام أحمد للرئيس المصري عن عدم رضاه بما يحدث في اليمن، وفيما يبدو أن الإمام كان في طريقه إلى دق المسمار الأخير في نعش تلك العلاقة. وقد ذكر كاتب التقرير آنف الذكر أن المعلومات التي وصلته في الأيام الأخيرة من بعد عودة الإمام كانت تفيد أنه قد تم ترحيل أكثر من ٨٠ خبيراً مصرياً عن طريق الحديدة إلى بلادهم، لأن وجودهم يثير القلاقل ويسبب عدم الاستقرار في البلاد[2]. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، حيث أدخل الإمام أحمد بعض التغييرات المهمة على الوظائف الكبيرة في إدارته، وأجرى تعديلات على القائمين بها بحجة أن تلك التعديلات والتغييرات الوظيفية لها علاقة بحالة عدم الاستقرار في البلاد التي سبق الحديث عنها في سياق هذه الدراسة، إضافة إلى المستجدات التي ظهرت في تلك الفترة. حينها استدعى الإمام أحمد مندوبه الدائم لدى الجمهورية العربية المتحدة السيد حسن بن إبراهيم وعينه سفيراً دائما في موسكو، وبدلاً عنه عين الإمام شقيقه سيف الإسلام إسماعيل، والذي كان قد تقلد في عهد أبيه الإمام يحيى وزارتي الدفاع والتعليم. كما عين الإمام السيد عبد الرحمن أبو طالب في وظيفة القائم بأعمال وزارة الخارجية، وهو الذي عمل ممثلاً لليمن في الأمم المتحدة ثم سفيراً في القاهرة وبعدها في موسكو وبراغ، وقد أبعد الإمام بذلك التعيين القاضي محمد العمري من تلك الوظيفة وعينه سفيراً للمهمات الخاصة لدى الإمام. وأضاف كاتب التقرير - في الصدد ذاته - القول بأن السيد أبو طالب والأمير عبد الرحمن هم من المؤيدين للسياسة الرامية إلى تقوية علاقة الصداقة مع العالم الغربي، ويدعمون ذلك التوجه بشدة[3]. بهذا الدليل تتأكد رؤية الخارجية الألمانية في أهمية زيارة الأمير عبد الرحمن إلى ألمانيا نهاية عام ١٩٥٩م، وقام حينها بالتوقيع على

١- بعض الكتابات ذكرت أنه قد وصل إلى مسامع الإمام احمد بعض الإشاعات التي خوفته من وجود مؤامرة تحاك ضده يشترك فيها البدر بالتعاون مع الدولة المصرية وتهدف إلى إسقاط طائرته أو إدخاله كرهاً إلى المستشفى وإعلان اعتلال صحته وعقله.

PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

2- PAAA B.: 12، 1054a 12.11.1959

3- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

بعض الإضافات في اتفاقية الصداقة والتجارة اليمنية الألمانية في ١٦ نوفمبر من ذلك العام[١].

فيما يتعلق بالأسباب التي جعلت الإمام أحمد يغضب على ولي عهده من خلال المعلومات التي أوردها القائم بالأعمال الألماني في تعز، وقال إنه جمعها من أطراف متعددة وموثوق بها جداً، وتفيد أن البدر ومعه مجموعة من شباب الجيل الجديد كانوا قد قاموا أثناء رحلة الإمام العلاجية إلى إيطاليا عام ١٩٥٩م ببعض الإجراءات السياسية وفي مقدمتها وضع جميع أمور البلاد الداخلية والخارجية في أيديهم، ولكن ذلك الحال كان قد تغير وقت كتابة التقرير في ٢١ فبراير ١٩٦٠م، و أن ولي العهد قد ذهب إلى صنعاء وعزل نفسه فيها، كما تم إبعاد أتباعه من جميع المراكز والوظائف التي كان قد وضعهم فيها والبعض منهم هرب لينجو بجلده إلى محمية عدن البريطانية. كما ذكر كاتب التقرير أن ولي العهد وأتباعه كانوا يظهرون علناً مواقفهم تجاه الجمهورية العربية المتحدة، والبعض الآخر كان لهم ميول وتوجهات واضحة نحو المعسكر الشرقي، وأن الإمام أحمد وضع حاجزاً فاصلاً أمام أي محاولة إصلاح أو إدخال دماء جديدة في إدارته لأنه كان يرى أن مثل تلك التوجهات تشكل خطراً كبيراً على سيادة اليمن ومكانة الإمام بالذات، وتلك هي السياسة التي كان يريدها الفريق المتشدد.

علاوة على ذلك، كان الإمام يتخوف من النشاطات الحقيقية والناجحة للقوى الأجنبية ممثلة في الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية، والدولتان كانتا تقومان بتنفيذ مشاريع كبيرة وتعملان بقوة على إنجازها في اليمن؛ فالسوفييت كانوا يقومون ببناء ميناء الحديدة، والصينيون يشقون ويعبدون طريق الحديدة صنعاء، وبطبيعة الحال لا يمكن تجاهل تأثير تلك المشاريع أو التقليل من أهميتها[٢].

على الجانب الآخر، تجدر الإشارة إلى أن العلاقات اليمنية البريطانية تحسنت كثيراً بعد عودة الإمام من روما، ولكنها بدأت تتأزم من جديد في النصف الثاني من عام ١٩٦٢م لأن رجال الحركة الوطنية كانوا يقومون ببعض العمليات ضد نظام الإمام مثل زرع الألغام وتفجير العبوات الناسفة، وكان الإمام يعتبر بريطانيا متواطئة معهم. وبصفة عامة،

(في حوزة الباحث صورة من أصل الاتفاقية المذكورة وتعديلاتها باللغة العربية والألمانية من الأرشيف الألماني)

1- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

2- PAAA B.: 12، 1060a Steffen، Taizz und Richthofen، Jidah ans AA vom 17 und 21.02.1960

تحدثت التقارير عن تحسن ملحوظ في علاقة الإمام مع البريطانيين بعد زيارة قام بها الحاكم البريطاني في عدن إلى تعز، واتفق مع الإمام على أن تبدأ رحلات شركة Aden Airways (الخطوط الجوية العدنية) بين عدن وتعز[1]. كما تحسنت كثيراً بعد محاولة اغتيال السفير البريطاني السيد بايلي في تعز عام ١٩٦٢م، وأصبحت أفضل مما كانت عليه عام ١٩٦٠م، وزاد من ذلك التحسن قيام الإمام بتوظيف طيارين بريطانيين لقيادة طائرات (الخطوط الجوية اليمانية)، و لا سيما بعد الحوادث المتكررة لسقوط الطائرات اليمنية. ولكن وثائق النصف الثاني من عام ١٩٦٢م تذكر أن علاقات البلدين توترت وتأزمت من جديد، وقد تمت الإشارة إلى ذلك.

عن مشكلات الطائرات اليمنية وسقوط ضحايا في بعض حوادثها ومن بين الضحايا شخصيات كبيرة في الدولة، وتوجيه أصابع الاتهام بشكل مباشر وغير مباشر إلى أكثر من طرف، والقول إنها قد تكون بفعل فاعل، وبشكل خاص سقوط الطائرة اليمنية (شبام) في ١٩٥٨/١١/٤م بعد انفجارها في الجو بشكل مفاجئ واحتراقها وسقوطها على بعد ٦٥ ميلاً إلى الشمال من مطار روما، ومقتل جميع من كانوا عليها وعددهم عشرة أشخاص، وفي مقدمتهم مدير عام وزارة الخارجية اليمنية حفيد الإمام يحيى وابن الأخت المدللة للإمام أحمد، والسيد محمد عبد الرحمن الشامي البالغ من العمر ٣٦ عاماً، مع سكرتيره الخاص، والسيد محمد نور الله الفلسطيني الجنسية.

وكان الشامي يحمل رسالة خاصة من الإمام أحمد إلى الرئيس الروماني وبعض الهدايا العينية ومن بينها سيف يمني مصنوع من الذهب، وفي الحادث نفسه توفي الطيار أحمد حسن الشامي، وضابط الاتصالات علي الزبيري، إضافة إلى قائد الطائرة ومهندسين يوغسلافيين، وكان على متن الطائرة أيضاً طبيب الإمام الخاص الروماني الجنسية والمعروف بشهرته العالمية الكبيرة، ومعه مساعده.

على الرغم من عدم معرفة الأسباب الحقيقية لتحطم تلك الطائرة؛ فقد رفضت شركة التأمين دفع أي تعويض لليمن. و لا يستبعد الباحث أن يكون للصراع والتنافس الدولي من جهة، والدولة العبرية من جهة أخرى، دور في ذلك، وبشكل خاص حادثة الطائرتين (شبام) و(ظفار)، فقد تحطمت الأولى فوق إيطاليا وهي متجهة نحو رومانيا، وكانت تحمل أسلحة وذخائر إيطالية الصنع إلى جهة غير معروفة - بحسب ما جاء في التقارير الغربية

1- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

التي في حوزة الباحث[1]. وما قيل عن تحطم الطائرة (ظفار) في الجو وهي في رحلة تحمل على متنها مساعدة إلى فلسطين، فإن صاحب هذه الدراسة لم يعثر حتى الآن على أي دليل مكتوب يتناول ذلك الحادث، باستثناء روايات شفهية غير مؤكدة تذكر أن طائرات يمنية أخرى قد تحطمت في عهد الإمام أحمد، ومنها الطائرة ظفار. كذلك تذكر المصادر أن طائرتين تحطمتا فوق صنعاء وقتل طياراها (المُقَصِّص والنعامي).

في السياق ذاته، تحطمت طائرة روسية فوق الإتحاد السوفيتي في ١٩٦٠/٨/١٧م، وذهب ضحيتها المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري، مؤلف كتاب مجموع بلدان اليمن، والدكتور عبد الرؤوف الشميري، والقاضي محمد العمري الذي تقلد وظائف رفيعة في حكومة الإمام أحمد، من بينها قيامه بأعمال وزير الخارجية، وأدى دوراً كبيراً في تطوير سياسة اليمن الخارجية وعلاقاتها بوجه عام، ومع المعسكر الشرقي بوجه خاص. وتذكر بعض المصادر أنه كان يتعاطف مع حركة المعارضة اليمنية ومع تيار البدر الإصلاحي. وعمّن يقف وراء حوادث سقوط الطائرات اليمنية أشارت إحدى الوثائق إلى إسرائيل بالاسم، كما صدر عن الجانب اليمني بعض الإيماءات والاتهامات التي تذهب إلى أن تلك الحوادث ليست طبيعية وإنما بفعل فاعل، وبلغة اليوم، نتيجة لأعمال إرهابية؛ لأن من كانوا على متن تلك الطائرات المنكوبة هم شخصيات يمنية مهمة جداً، وربما قصد بإسقاطها توجيه رسائل إنذار للإمام أحمد تحذره من مواقف سياسية معينة، وفي مقدمتها انضمامه إلى اتحاد مصر وسوريا، وكَرد على الرسالة القوية التي بعث بها الإمام من روما إلى زعيم الاتحاد السوفيتي خروتشوف، يحتج فيها على السماح بهجرة يهود روسيا والدول الشرقية المتحالفة معها إلى فلسطين، لأن ذلك يضر بالمصالح العربية.

كان الإمام قد أكد في رسالته سالفة الذكر أن وجوده على فراش المرض وبين أيدي الأطباء لم يمنعه من كتابة تلك الرسالة. وتحسُن الإشارة هنا إلى أن اليمن قد تقدمت "جميع الدول العربية المستقلة في امتلاكها للطائرات؛ ففي منتصف العشرينات اشترت اليمن أول طائرة من ألمانيا ولكنها تحطمت بعد فترة فوق صنعاء في عهد الإمام يحيى، وقتل طاقمها الألماني مع أحد أفراد الأسرة الحاكمة، وقد جاءت لجنة فنية من ألمانيا للتحقيق في ملابسات الحادث، من بينهم تاجر سلاح معروف من مدينة هامبورج يدعى

1- PAAA B.: 12، 106٧ Marek، W.: Tagebuch. S.194.

راث ينز (Rath jens)، وقد ظلت شواهد قبور الطيارين الألمانيين في صنعاء مُصانة بالقرب من فج عطان حتى عام ١٩٥٩م، وقد اطلع الباحث على صور فوتوغرافية نادرة لتلك القبور[١].

وعن أزمة عام ١٩٦٠م، أجمعت تقارير البعثات الدبلوماسية الغربية في العاصمة تعز على أن الأوضاع المالية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة المتوكلية اليمنية كانت حينها قد وصلت إلى أدنى مستوياتها، وأوصت تلك البعثات على ضرورة مساعدة اليمن بقروض مالية بلغت (٢٥٠٠٠،٠٠٠) خمسة وعشرون مليون مارك، وقد توجه الإمام حينها إلى الأمريكيين يطلب منهم مثل تلك المساعدة، و أجريت المحادثات حينها بصفة سرية، وأيضاً كان الإمام يتوقع الحصول على مساعدة مماثلة من الدول الغربية، ولكنه حتى ذلك الحين لم يكن متحمساً لطلب أي مساعدة من الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية.[٢]

وعن موقف موسكو وبكين من ذلك الوضع ، ذكر التقرير أن الدولتين، لم تعطيا أي إشارة يفهم منها أنهما مستعدتان لتقديم أي مساعدة مالية، وأن محادثات الوفد اليمني التي جرت قبل وقت قصير، لم تصل إلى نتائج جيدة، وليس هناك قروض جديدة في الحسبان، وأما القرض المالي البالغ مقداره (٧٠،٠٠٠،٠٠٠) سبعون مليون فرنك سويسري، الذي كانت الصين الشعبية قد خصصته لليمن، فقد صرِف منه مبلغ ٣٥ مليون فرنك تكاليف شق طريق الحديدة صنعاء، والباقي من المبلغ المذكور سيتم صرفه مقابل بناء منشآت صناعية واقتصادية أخرى، وربما قصد بذلك تمويل بناء وإنشاء مصنع الغزل والنسيج بصنعاء ومصنع الملح بالحديدة وبعض المدارس التقنية في اليمن، حتى لا يذهب المبلغ إلى أيدي من لا يستحقونه في إدارة الإمام(٣). وذكر التقرير أن موسكو قد نفذت تعهداتها حسب الاتفاقات الخاصة بالقرض المالي البالغ مقداره (٦٠،٠٠٠،٠٠٠) ستون مليون روبل، والذي تم صرفه لأغراض بناء ميناء الحديدة، وأن المبلغ المحتمل بقاؤه لن يسلم منه السوفييت أي روبل للإمام نقداً[٤].

1- Marek، W.: Tagebuch. S. 190.

2- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

3- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

4- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

وأضاف التقرير أن العارفين بشؤون البلاد قد صارت لديهم صورة قاتمة للمستقبل تؤشر إلى أن ولي العهد ليس لديه أية فرصة للبقاء في الحكم في المستقبل فيما إذا ذهب الإمام أحمد ضحية لأي سبب كان. في الوقت ذاته - بحسب التقرير - يرى البعض أن ولي العهد لن يستطيع البقاء في الحكم أكثر من ثلاثة أشهر. وهناك من يراهن مسبقاً على قيام جمهورية يمنية. وفي أقل التقديرات يمكن حدوث حرب أهلية داخلية دون أن يستطيع أحد أن يعرف التشكيل الذي سيظهر من داخله قادة النظام الجدد[1]. وبعض العارفين بشؤون اليمن يتهمون منظومة الكتلة الشرقية بأنها على علم وتشارك في ذلك الوضع المضطرب وغير المستقر. وأنهم لا يشكون إطلاقاً بأن تلك المنظومة تحاول أن تجعل من اليمن قاعدة وممراً متقدماً لها لكي تتمكن من توسيع نفوذها وتأثيرها في المناطق الأفريقية المجاورة[2].

1- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

2- PAAA B.: 12، 1060a 21.02.1960

ترامب والسياسات الحمائية.. إلى أين؟

د. حسن سرور
خبير لبناني وأستاذ في الاقتصاد - الجامعة اللبنانية

سادت سياسات الحمائية التجارية منذ قرون مضت، وذلك في ظل الفكر التجاري الذي هيمن في تلك الفترة على العلاقات الاقتصادية الدولية (المركنتيلية mercantilism)، حيث أولت الدول أهمية خاصة للصادرات وحاولت الحد من الإيرادات قدر المستطاع بهدف الحصول على الثروة (الذهب والنفط). وسادت بعد ذلك نظرية الطبيعيين أو (الفيزيوقراط physiocrat)، والتي أتت نقيضاً للنظرية المركنتيلية، حيث ركزت هذه النظرية على قيمة الإنتاج المادي الحقيقي من السلع الزراعية وغيرها.

مع تطور الفكر الرأسمالي الكلاسيكي في نهاية القرن الثامن عشر، وسيادته في معظم الدول الغربية منذ بدايات القرن التاسع عشر، كان الأساس الذي يعتمد عليه هذا الفكر هو مبدأ حرية العمل الاقتصادي بما فيه حرية التجارة الدولية. لكن بالرغم من مبادئ الحرية التي دعت إليها الرأسمالية الكلاسيكية الناهضة، إلا أن العديد من الدول قد لجأت في فترات متفاوتة وبنسب مختلفة إلى اعتماد "السياسات الحمائية" لحماية صناعاتها الناشئة، ومن تلك الدول فرنسا وإيطاليا وغيرها. وقد استطاعت تلك الدول تسجيل معدلات نمو صناعي مرتفع خلال فترات الحماية. وبصفةٍ عامة، لم تكن السياسات الحمائية سمة دائمة لسياسات تلك الدول؛ إذ كانت سياسة الانفتاح وسياسة الحماية تتم بشكل متناوب، وذلك بهدف الاستفادة من استيراد التقنيات الحديثة خلال فترات الانفتاح، ومن ثمّ استيعاب تلك التقنيات في فترات الحماية.

نشير هنا إلى أن كل الدول التي طبقت مبدأ الحماية الجمركية في القرن التاسع عشر أصبحت فيما بعد من الدول المتقدمة صناعياً واستطاعت العبور إلى التنمية الاقتصادية.

وذلك خلاف الدول التي اعتمدت السياسات الحمائية رغم تجربتها المبكرة في مجال التنمية (مصر).

رغم الأزمات العديدة التي تعرضت لها الدول الرأسمالية خلال القرنين الماضيين (أزمة العام ١٨٨٢م وأزمة العام ١٩٢٩م)، إلا أنها استطاعت تجديد نفسها من خلال مجموعة من الأفكار التي ساهمت في تجميل صورتها، وأشهر هذه الأفكار في ثلاثينيات القرن العشرين أفكار الاقتصادي جون مينارد كينز (Keynes)، وذلك بعد الأزمة العالمية الكبرى عام ١٩٢٩م، والتي عصفت باقتصاديات الدول الرأسمالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد الحرب العالمية الثانية برزت مجموعتان اقتصاديتان كبيرتان: المجموعة الرأسمالية والتي تعتمد اقتصاد السوق كمنهج اقتصادي، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، مع الإشارة إلى تباين كبير على مستوى السياسات الاقتصادية المعتمدة بين مختلف دول هذه المجموعة، بحيث جمعت هذه الكتلة ما بين اليمين الرأسمالي المتطرف (الولايات المتحدة الأمريكية) واليمين المعتدل أو اليسار المعتدل (فرنسا، السويد... إلخ)، وتراوحت سياسات هذه الدول ما بين الاعتماد المطلق على اقتصاد السوق وأفكار كينز (الفكر الكلاسيكي الحديث) الذي اعتبر الدولة ضامنة التوازن في أوقات الأزمات المالية والاقتصادية. أما المجموعة الثانية فقد اعتمدت الاقتصاد الموجه أو الاشتراكي وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي والصين ودول أوروبا الشرقية وغيرها من الدول.

مع تكريس هاتين المجموعتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ساد صراع مرير بين هاتين المجموعتين على المستوى الدولي، وذلك على شكل حروب غير مباشرة في العديد من مناطق العالم، وسميت - آنذاك - مرحلة الحرب الباردة، واستمر ذلك حتى نهاية ثمانينيات القرن الماضي.

كان لأفكار ميلتون فريدمان (Milton Freidman) في ستينيات القرن العشرين وغيره من المفكرين الاقتصاديين في العقدين التاليين مثل روبرت لوكاس (Robert Lucas) ووالاس (Wallace) وغيرهم، الفضل في نشأة الاقتصاد الكلاسيكي الجديد (NEC – Nouvelle Economic Classic)، والذي كان شعاره إبعاد الدولة عن النشاط الاقتصادي، حيث اعتبر أن السياسات الاقتصادية التي تعتمدها الدولة يمكن أن يكون لها آثار سلبية على الاقتصاد

وليس العكس. وبالتالي كانت الدعوة صريحة ومباشرة لتهميش دور القطاع العام في الاقتصاد، وترك الأنشطة الاقتصادية إلى القطاع الخاص في كل المجالات تقريباً.

على وقع تلك الأفكار انطلقت حمى الخصخصة لمؤسسات وشركات القطاع العام في معظم دول العالم، وكانت الانطلاقة الأولى في بريطانيا على يد رئيسة الوزراء - آنذاك - مارغريت تاتشر، وذلك في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي. تبعها بعد ذلك العديد من الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وتزامن ذلك مع ضعف الاتحاد السوفياتي وسقوطه في تلك المرحلة ليعطي دفعة قوية لريادة مناصري الفكر الكلاسيكي الجديد، وعمت حينها عمليات الخصخصة معظم دول العالم، وبالتالي انكفاء دور الدولة في النشاط الاقتصادي في ظل هيمنة وسيادة الفكر الاقتصادي المرتبط باقتصاد السوق في معظم دول العالم.

في هذه الأجواء تراءى للولايات المتحدة الأمريكية أنها باتت سيدة العالم بدون منازع (فكراً، اقتصاداً، وقوة عسكرية وسياسية)، حيث قامت الولايات المتحدة بإحياء اتفاقية الأورغواي الموقعة بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تهدف إلى تخفيف القيود والعراقيل أمام حرية التجارة الدولية وصولاً إلى تحرير التجارة العالمية. وهكذا انطلقت عجلة منظمة التجارة العالمية بدعوة من الولايات المتحدة الأمريكية، وتسارع انضمام الدول إلى هذه المنظمة حتى باتت معظم دول العالم - في الوقت الراهن – في عداد المنضمين إليها (١٦١ دولة)، بالإضافة إلى ٢٣ دولة من الدول التي تقدمت بطلبات انضمام لهذه المنظمة وهي تنتظر قبول عضويتها بشكل كامل منها: (لبنان، الجزائر، روسيا البيضاء، العراق).

لكن أحلام الولايات المتحدة الأمريكية لم تدم طويلاً، لأن مشاريع الهيمنة التي بدأتها في الشرق الأوسط وأفغانستان لم تمر كما تشتهي. ففي أفغانستان تعثر المشروع الأمريكي ولم تستطع الدولة العظمى فرض هيمنتها، حيث واجهت مقاومة عنيفة ولا تزال تتخبط في سياساتها هناك حتى الآن. في العراق - أيضاً - وبعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م، ورفع شارة النصر من قبل الرئيس الأمريكي - حينذاك - جورج بوش (الابن)، أرغمت المقاومة العراقية الأمريكي على اللجوء للتفاوض قبل الانسحاب والهرب في جنح الظلام نهاية العام ٢٠١٠م.

لقد ترافقت الضربات الموجعة التي وجهتها المقاومة العراقية ضد الجيش الأمريكي مع أزمة الرهن العقاري في الولايات المتحدة الأمريكية (٢٠٠٧م – ٢٠٠٨م)، والتي تحولت إلى

أزمة مالية عالمية بامتياز، حيث شملت كافة دول منظومة الفكر الليبرالي في العالم والمرتبطين بهذه المنظومة، وذلك كنتيجة طبيعية وحتمية لترابط وتداخل المؤسسات المالية لهذه الدول في ظل النظام العالمي الجديد.

أدى انعكاس الأزمة المالية على الأوضاع الاقتصادية لهذه المنظومة إلى إعادة الاعتبار إلى العديد من الاجراءات والآليات على مستوى المنظومة الفكرية الاقتصادية لهذه الدول، حيث سارعت معظم الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلى التدخل في الأسواق لإعادة التوازن إلى المؤسسات المالية المتعثرة، وإلى إنقاذ كبرى شركات التأمين وغيرها من شركات كبرى وعملاقة عبر تدخل الدول وضخ مئات المليارات من الدولارات، واعتماد سياسات مالية طارئة وقاسية في حالات عديدة. وكان ذلك إيذاناً بعودة الدولة إلى النشاط الاقتصادي من أوسع الأبواب، وتأكيداً كذلك لأهمية ذلك الدور، الأمر الذي شكل صفعةً لفكر المدرسة الكلاسيكية الجديدة (NEC).

إلى جانب الأزمة المالية والاقتصادية التي عصفت بالدول الغربية، كان النموذج الصيني الجديد يتفوق على ذاته من خلال تحقيق معدلات نمو اقتصادي قياسي (١٢% - ١٣% سنوياً)، ويؤكد أكثر فأكثر حضوره على المستوى الدولي؛ حيث باتت الصين قبلة المستثمرين من كل أصقاع العالم، وتحولت خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً من اقتصاد ضعيف ومتخلف إلى اقتصاد قوي ومتطور ومنافس في معظم الأسواق العالمية وخصوصا الأسواق الأمريكية.

هكذا، وبعد عقدين من الزمن على إنشاء منظمة التجارة العالمية (OMC) (TWO) وتحرير التجارة الدولية والتي كانت تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة حصان طروادة لاقتحام الأسواق العالمية، تتحول هذه المنظمة إلى حصان طروادة لمصلحة الاقتصاد الصيني لاقتحام الأسواق الأمريكية. حيث شهدت هذه المرحلة تغيرات جوهرية على مستوى التجارة العالمية، فبعد الهيمنة الأمريكية الأوروبية على التجارة الدولية خصوصاً السلع الصناعية، برز التنين الصيني لتصبح الصين في أقل من عقدين من الزمن مصنع العالم بامتياز، وتقدمت تجارتها الخارجية على مثيلاتها في أوروبا وأمريكا. حيث استطاعت السلع الصينية المصنعة غزو معظم الأسواق العالمية وأهمها سوق الولايات المتحدة الأمريكية، إذ بلغت صادرات الصين إلى بلاد العم سام عام ٢٠١٧م أكثر من ٥٠٠

مليار دولار، وحققت فوائض تجارية هائلة في ميزانها التجاري مع الاقتصاد الأمريكي (الأكبر في العالم)، حيث بلغ هذا الفائض حوالي ٣٧٥ مليار دولار العام الماضي.

لقد أصبحت الصين اليوم أحد ثلاثة أقطاب تتربع على عرش الاقتصاد والتجارة الدوليين في العالم. وهذه الاقطاب هي:

- الولايات المتحدة الأمريكية.
- الاتحاد الأوروبي (إذا اعتبرناه اقتصاداً موحداً).
- الصين.

بلغ حجم الاقتصاد الصيني بالأسعار الجارية عام ٢٠١٧م حوالي (١٢٢٤٠ مليار دولار)، بعد أن كان قبل عشرين عاماً لا يتجاوز بضع مئات من المليارات. في المقابل، بلغ حجم الناتج المحلي للاتحاد الأوروبي حوالي (١٨٤١٢ مليار دولار)، أما حجم الاقتصاد الأمريكي فقد بلغ حوالي (١٩٣٦٢ مليار دولار). وعليه، فإن ترتيب هذه الاقتصادات من حيث الناتج المحلي الإجمالي بأسعار السوق يأتي لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وآخرها الاقتصاد الصيني.

أما ترتيب هذه الاقتصادات بالقدرة الشرائية (PPA) تبعاً للدولار الأمريكي في السوق الأمريكي، فهو على النحو الآتي:

- الصين: ٢٣١٢٢ مليار دولار.
- الاتحاد الأوروبي: ٨٬٢٠٨٥٤ مليار دولار.
- الولايات المتحدة الأمريكية: ١٩٣٦٢ مليار دولار.

وتأتي الهند في هذا السياق في المرتبة الرابعة - لجهة حجم الناتج المحلي بالقدرة الشرائية - بحوالي (٨٬٩٤٤٦ مليار دولار)، وتليها اليابان بحوالي (٥٤٠٥ مليار دولار). وتبعاً للترتيب حسب القوة الشرائية نلاحظ أن الاتحاد الأوروبي حافظ على موقعه الثاني في الحالتين، في حين أن الولايات المتحدة تراجعت من الترتيب الأول إلى الثالث تبعاً للقوة الشرائية لهذا الناتج.

أما لجهة التجارة الدولية فباتت الصين عام ٢٠١٧م القوة التجارية الأولى في العالم بعد أن تخطت بحجم تجارتها (٤٠٠٠ مليار دولار) لتصل إلى حوالي (٤١٣٤ مليار دولار)، محققة فوائض تجارية بأكثر من (٤٢٠ مليار دولار)، في حين يحتل الاتحاد الأوروبي القدرة التجارية الثانية في العالم إذا ما استثنينا حجم المبادلات التجارية داخل دول الاتحاد

الأوروبي، حيث يصل حجم التجارة الخارجية لدول الاتحاد مع العالم الخارجي إلى نحو (١٣٩٧٢ مليار دولار)، وبفائض تجاري يصل إلى حوالي (٣٣ مليار دولار)، في حين أن الولايات المتحدة الأمريكية حلت في المركز الثالث لجهة حجم تجارتها الإجمالية بحوالي (٢٣٩٥٦ مليار دولار)، وبفارق قليل عن الاتحاد الأوروبي، كما بلغ عجز الميزان التجاري الأمريكي أكثر من (٨٦٠ مليار دولار) في العام الماضي.

جدول رقم (١): مقارنة بين حجم اقتصاديات الأقطاب الثلاث في العالم (مليار دولار)

البيان		الصين	الاتحاد الأوروبي	الولايات المتحدة
الناتج المحلي الإجمالي	أسعار جارية	١٢٢٤٠	١٨٤١٢	١٩٣٦٢.١٣
	بالقدرة الشرائية $	٢٣١٢٢	٢٠٨٥٤.٨	١٩٣٦٢.١٣
الناتج المحلي الإجمالي المحلي/ للناتج المحلي الإجمالي العالمي/ أسعار جارية		%١٤.٦٧	%٢٢.٠٧	%٢٣.٢
إجمالي التجارة الخارجية السلعية		٤١٣٤.٢٥	٣٩٧٢.١	٣٩٥٦.٢

- الجدول من إعداد الباحث.

يبين الجدول رقم (١) تفوق الاقتصاد الصيني حالياً على أكبر اقتصادين في العالم (الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة)، ومما يزيد من أهمية الاقتصاد الصيني إلى الاقتصاد العالمي أن الاقتصاد الصيني لا يزال يحقق معدلات نمو مرتفعة قياساً بمعدل نمو اقتصادات الدول الغربية، وإن كانت نسب النمو في الاقتصاد الصيني هي أقل مما كانت عليه قبل سنوات.

جدول رقم (٢): حجم التجارة الخارجية للأقطاب الثلاثة (مليار دولار)

البيان	العالم	الاتحاد الأوروبي		الولايات المتحدة	الصين
		إجمالي	خارج دول الاتحاد		
الصادرات الإجمالية	١٧٢٠٠	٦٥٠١	٢٠٠٢.٦	١٥٤٧	٢٢٦٣
الواردات الإجمالية	١٧٥٧٢	٦٥٢١	١٩٦٩.٥	٢٤٠٩	١٨٤٢
رصيد الميزان التجاري السلعي	___	- ٢٠	٣٣.١	- ٨٢٨.٩	٤٢١
إجمالي التجارة الخارجية	٣٤٧٧٢	١٣٠٢٢	٣٩٧٢.١	٣٩٥٦	٤١٠٥
% إلى العالم	%١٠٠	%٣٧.٤٥	%١١.٤٢	%١١.٣٧	%١١.٨

- الجدول من إعداد الباحث (مصدر البيانات: OMC)

سجل الاقتصاد الصيني خلال العقدين نسب نمو مرتفعة لجهة الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي أو لجهة التجارة الخارجية للصين. فبعد أن كان الناتج المحلي الصيني لا

يتخطى بضع مئات من المليارات في الثمانينيات أو التسعينيات من القرن الماضي، قفز إلى أكثر من (١٢٠٠٠ مليار دولار) حالياً. حيث أن حجم هذا الاقتصاد عام ١٩٨٣م لم يتخط (٣٠٧ مليار دولار)، ووصل بعد ربع قرن إلى (٥٧٥٠ مليار دولار)، وفي عام ٢٠١١م بلغ حوالي (٧٣٠٠ مليار دولار)، ومن ثمّ وصل إلى (١٢٢٤٠ مليار دولار) عام ٢٠١٧م.

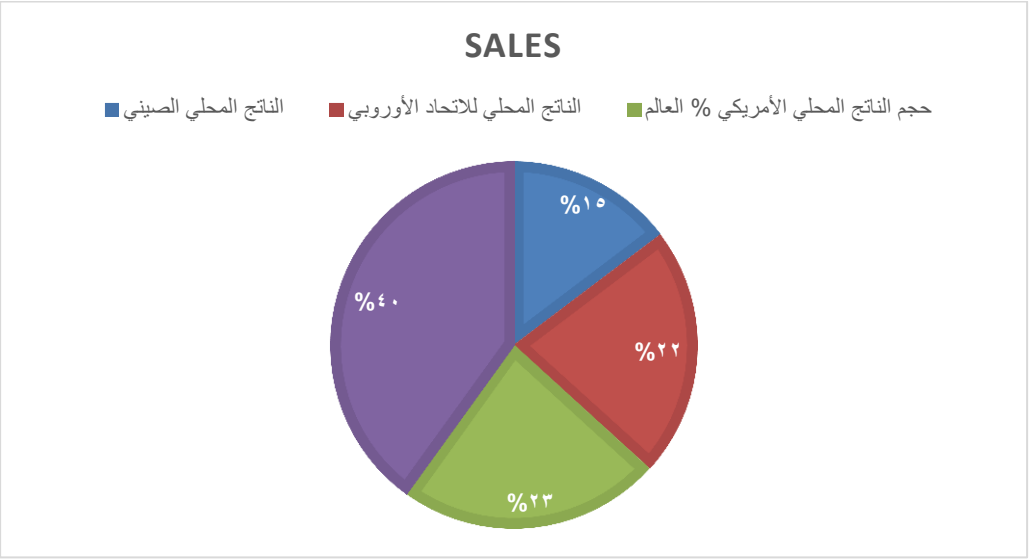

إلى جانب ذلك، تطورت التجارة الخارجية للصين بشكل موازٍ لتطور الناتج المحلي الإجمالي وبنسب نمو أكبر بكثير، بحيث باتت الدولة الأولى عالمياً حالياً في حجم التجارة الدولية أمام الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بحجم إجمالي أكثر من (٤٠٠٠ مليار دولار). وشكلت التجارة الخارجية الصينية حوالي (١٢%) من حجم التجارة العالمية، علماً أن حجم التجارة الصينية مع العالم في بداية الثمانينيات من القرن الماضي لم تتخط عدة مليارات من الدولارات.

نسب التجارة الخارجية إلى العالم

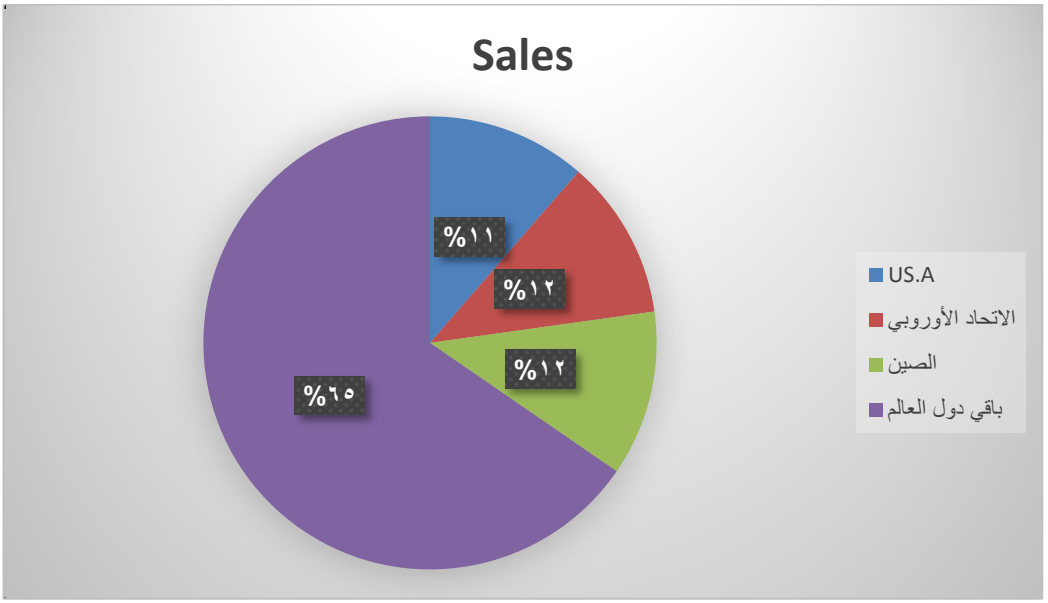

Resource: https://www.europarl.euro.eu

رغم التباينات السياسية والتاريخية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، كان النمو الأبرز للتجارة الصينية مع الولايات المتحدة، بحيث قفز حجم المبادلات التجارية بين البلدين من بضع مليارات بداية الثمانينيات من القرن الماضي إلى حوالي (٣٧٠ مليار دولار) عام ٢٠١٠م، وإلى (٥٩٠ مليار دولار) عام ٢٠١٤م، لتصل العام الفائت إلى حوالي (٦٣٠ مليار دولار). ورغم نمو الصادرات الأمريكية إلى الصين خلال العقد الماضي بحوالي (١٨٩%) وهي أعلى نسبة تحققها الصادرات الأمريكية تجاه أي بلد في العالم، فإن الفائض التجاري المحقق لمصلحة الصين سجل أرقاماً قياسية حيث بلغ عام ٢٠١٧م حوالي (٣٧٥ مليار دولار)، وربما هذا هو الذي أثار حفيظة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مهدداً الصين وواعداً بإصلاح هذا الخلل التجاري من خلال السياسات الحمائية التي بدأ باعتمادها فور تسلمه مقاليد السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية العام الماضي.

نمو التجارة الخارجية بين الولايات المتحدة والصين خلال الفترة: ٢٠٠٩م – ٢٠١٧م (مليار دولار)

البيان	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٦	٢٠١٧
صادرات أمريكية	٧٠	٩٠	١١٠	١٢٠	١١٦	١٣٠
واردات أمريكية	٣٠٠	٣٧٠	٤٣٠	٤٧٠	٤٦٣	٥٠٥
رصيد الميزان التجاري الأمريكي مع الصين	٢٣٠	٢٨٠	٣٢٠	٣٥٠	٣٤٧	٣٧٥

Resource: Chine Magazine. Nov.10. 2015; and: Courier International. Jul. 7. 2018.

وبالفعل فور وصوله إلى البيت الأبيض بدأ الرئيس دونالد ترامب حربه التجارية مع الحلفاء والخصوم على حدٍ سواء، وذلك من خلال قراره الأول بفرض رسوم جمركية تتراوح ما بين ١٠% إلى ٢٥% على واردات الصلب والألمنيوم القادمة من دول الاتحاد الأوروبي والصين وغيرها.

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مستورد للصلب في العالم حيث بلغت وارداتها عام ٢٠١٧م حوالي (٣٥ مليون طن) منها حوالي (٦،٦ مليون طن) من الصين واليابان وكوريا الجنوبية والهند، وكان المتضرر الأكبر من هذا الإجراء هو دول الاتحاد الأوروبي وعلى رأسها ألمانيا. وقد هددت الصين بعد ذلك مباشرة بفرض رسوم جمركية على بضائع أمريكية معظمها زراعية بقيمة (٣ مليار دولار) وهي قيمة صادرات الصين من الصلب والألمنيوم إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضت عليها أمريكا رسوماً جمركية.

كندا والمكسيك أيضاً كانتا من الدول التي تأثرت سلباً من قرار الرئيس ترامب في موضوع الصلب والألمنيوم، فهما الشريكان الأساسيان للولايات المتحدة الأمريكية في شمال أمريكا، حيث تشترك أمريكا معهما في اتفاقية التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية (نافتا).

الإجراء الثاني الذي اتخذه الرئيس الأمريكي في ٢٣ مارس ٢٠١٨م في سياق حربه التجارية على العالم وعلى رأسها الصين، هو فرض رسوم جمركية على واردات صينية بقيمة (٥٠ مليار دولار) وبنسبة تصل إلى (٢٥%) بداية العام القادم على أن تبدأ بـ (١٠%). وقد بدأ بالفعل بتطبيق الرسوم المفروضة على حزمة أولى بقيمة (٣٤ مليار دولار) في ٦ يوليو ٢٠١٨م وحزمة ثانية بقيمة (١٦ مليار دولار) في ٢٣ أغسطس ٢٠١٨م.

في المقابل، جاء الرد الصيني مطابقاً لما قامت به الولايات المتحدة، حيث فرضت الصين رسوماً جمركية على حزمة أولى قيمتها (٣٤ مليار دولار) من الصادرات الأمريكية باتجاه الصين وحزمة ثانية بقيمة (١٦ مليار دولار).

الخطوة التالية من قبل الرئيس ترامب كانت فرض رسوم جمركية تصل إلى (٢٥%) على حزمة من الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة قيمتها (٢٠٠ مليار دولار)، مهدداً في الوقت نفسه بفرض رسوم جمركية على كامل الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة والبالغة حوالي (٥٠٥ مليار دولار). وقد دخل الإجراء الأخير حيز التنفيذ في ٢٤

سبتمبر ٢٠١٨م. وقد أعلنت الصين في اليوم نفسه عن فرض رسوم جمركية ما بين ٥% إلى ١٠% على حزمة صادرات أمريكية إلى الصين بقيمة (٦٠ مليار دولار).

نتيجة لهذه الخطوة باتت معظم الصادرات الأمريكية باتجاه الصين والبالغة حوالي (١٣٠ مليار دولار) خاضعة لرسوم جمركية ولكنها أخف من نسبة الرسوم الجمركية الأمريكية على السلع الصينية، علماً أن حوالي (٢٥٠ مليار دولار) من مجمل الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة باتت تخضع للرسوم الجمركية الأمريكية، وهو ما يشكل حتى الآن حوالي (٥٠%) من الصادرات الصينية إلى أمريكا.

في سياق متصل، كان هناك بعض الإجراءات الخجولة من قبل الاتحاد الأوروبي رداً على الرسوم الأمريكية، كما تدهورت العلاقات الأمريكية – الكندية وحصلت اعتراضات في معظم أنحاء العالم ضد سياسات الرئيس ترامب والمخالفة لنصوص اتفاقيات منظمة التجارة العالمية والتي دعت إليها الولايات المتحدة الأمريكية مطلع تسعينيات القرن الماضي.

هكذا بات العالم كله يعيش حرباً تجارية علنية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ضد العالم كله من حلفاء سياسيين إلى خصوم، وباتت الولايات المتحدة الأمريكية وسيد البيت الأبيض يتصرف بعنجهية واضحة مع بقية دول العالم، حيث يتعاطى مع دول العالم وزعمائها كالمدرس في مدرسة أطفال، يأمر هذا بالسكوت وذاك بالوقوف على الحائط تبعاً لأهوائه، وكأن له الحق في التعاطي مع الآخرين كيفما شاء دون أن يخضع لأي محاسبة أو مطالبة.

على الرغم من التحذيرات المتكررة لتداعيات الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين، إلا أن الرئيس الأمريكي صرح أن الاقتصاد الأمريكي سيخرج منتصراً من هذه المعركة. في المقابل، بينما يعتقد المسؤولون الصينيون أن الاقتصاد الصيني قادر على الخروج من الأزمة بالتركيز على السوق المحلي وتخفيف الاعتماد على الصادرات إلى أمريكا. وقد صرح نائب وزير التجارة الصيني على تلك الممارسات الأمريكية قائلاً: "إن زيادة الرسوم الجمركية بصورة متبادلة وعلى نطاق واسع بين الصين والولايات المتحدة ستؤدي إلى تدمير التجارة البينية بين البلدين". وأضاف كذلك: "هذه الممارسات تؤثر سلباً على العولمة الاقتصادية وتضر بالنظام الاقتصادي العالمي". كما اعتبر أن الحرب التجارية بين البلدين ستضر بمصالح البلدين وأن التعاون هو الخيار الوحيد الصائب بين

الصين والولايات المتحدة. وبصفة عامة، دعت الصين إلى الحفاظ على قواعد التبادل الحر والنظام التجاري القائم، كما تقدمت بشكوى إلى منظمة التجارة العالمية ضد الولايات المتحدة على خلفية السياسات الحمائية للرئيس ترامب.

بالنسبة للأضرار التي ستؤدي إليها هذه الحرب التجارية بين أمريكا والصين، يمكن الإشارة إلى الآتي:

أولاً: على مستوى اقتصاد الدولتين

- ارتفاع أسعار السلع والخدمات.
- زيادة الضغوط التضخمية.
- التأثير سلباً على معدلات النمو الاقتصادي.
- التأثير سلباً على معدلات التشغيل.

ثانياً: على مستوى الاقتصاد العالمي

نتيجةً للحجم الكبير للاقتصادين الصيني والأمريكي، من الطبيعي أن تتجاوز تأثيرات حرب الرسوم الجمركية البلدين لتطال أجواء الانتعاش الاقتصادي المتواضع في العالم ككل. إذ إن أي هزات اقتصادية سلبية أو أزمات قد يمر بها الاقتصاد الأمريكي أولاً ومن ثم الاقتصاد الصيني، لا بد أن يكون لها ارتدادات على اقتصادات الدول المرتبطة بهما، وذلك كما حصل في أزمات سابقة في الولايات المتحدة الأمريكية.

بصفةٍ خاصة، فإن هذه الحرب التجارية في ظل الاختلال الكبير في المبادلات التجارية السلعية بين الولايات المتحدة والصين لمصلحة الأخيرة وبفارق كبير جداً، لا ريب ستلحق خسائر نسبية على الاقتصاد الصيني أكثر مما هي على الاقتصاد الأمريكي، وذلك لأن حجم صادرات الصين إلى الولايات المتحدة يتجاوز الـ (٥٠٠ مليار دولار)، وخضوع هذا الكم الهائل من الصادرات للرسوم الجمركية سيضعف نوعاً ما قدرة الصين التنافسية. وفي المقابل، فإن صادرات الولايات المتحدة إلى الصين لا تتجاوز (١٣٠ مليار دولار)، وقسم كبير منها مرتبط بتقنيات وتكنولوجيا عالية، لذلك سيكون التأثير على الولايات المتحدة أقل نسبياً مما هو على الصين، وذلك - بالطبع - على المديين القصير والمتوسط.

بما أن الأضرار النسبية على الاقتصاد الصيني على المديين القصير والمتوسط هي أكبر مما هي على الاقتصاد الأمريكي، فإن أمام الصين تحديات على المدى البعيد تتمثل

في ضرورة تغيير هيكل الصادرات الصينية باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية وخلق أسواق جديدة أكثر استقراراً. ونعتقد أن إمكانية ذلك مرتفعة جداً في ظل التململ العالمي إزاء الإجراءات الأمريكية من قبل أوروبا واليابان والصين وغيرها من الدول. حيث يمكن تنشيط حركة التجارة والمبادلات بين مجموع دول الاتحاد الأوروبي والصين والدول الآسيوية الصاعدة واليابان وكوريا الجنوبية، وذلك على حساب الولايات المتحدة الأمريكية.

إن حجم المبادلات التجارية السلعية ما بين الصين ودول الاتحاد الأوروبي يصل إلى حوالي (٥٧٨ مليار يورو)، أي ما يعادل (٦٦٤ مليار دولار)، وهو أكبر من حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والصين. إذ بلغ حجم الصادرات الصينية إلى الاتحاد الأوروبي عام ٢٠١٧م حوالي (٤٢٥ مليار دولار)، في حين أن حجم واردات الصين من الاتحاد الأوروبي بلغت حوالي (٢٣٩ مليار دولار)، أي أن قيمة الفائض التجاري لمصلحة الصين بحدود (١٨٦ مليار دولار).

في المقابل، بلغ حجم التبادل التجاري بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية حوالي (٧٢٤ مليار دولار)، مع فائض تجاري لمصلحة دول الاتحاد الأوروبي بقيمة (١٢٦ مليار دولار).

إننا نعتقد أن تطور العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول الاتحاد الأوروبي والدول الآسيوية وعلى رأسها الصين يفتح المجال واسعاً أمام تطور حركة التجارة ما بين القارتين (أوروبا وآسيا) خصوصاً مع إنشاء خط الحرير الصيني الذي يمر من الصين باتجاه أوروبا والشرق الأوسط وآسيا الصغرى وإيران وغيرها، والذي سيسمح بنقل البضائع بسرعة أكبر وكلفة أقل.

من المؤكد أن تطور العلاقات التجارية ما بين القارتين الآسيوية والأوروبية سيسمح لهما - على المدى البعيد - بالتخلص التدريجي من الهيمنة الأمريكية، وهذا ما يمكن أن يمهد لقيام نظام عالمي جديد لا تكون فيه الولايات المتحدة الأمريكية سيدة العالم المهيمنة بالشكل الذي تمارسه حالياً.

إن خروج الولايات المتحدة الأمريكية عن العديد من الاتفاقات التي أبرمتها مثل اتفاقية المناخ الموقعة في باريس والاتفاق النووي الموقع مع إيران ونقض ميثاق ومبادئ منظمة التجارة العالمية والتي هي من دعت إليها وآخرها كان الخروج من الاتفاقية الموقعة مع

الاتحاد السوفياتي حول معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى. وخروجها كذلك عن مواثيق الأمم المتحدة في غزوها للعراق وغيرها من الملفات، يظهر أن الولايات المتحدة الأمريكية باتت تعيش في مأزق سياسي واقتصادي على كافة المستويات، وهي تريد ربما قلب الطاولة على الحلفاء والخصوم على الساحة الدولية. وهي نتيجة لهذه المواقف باتت تعيش أكثر فأكثر في عزلة تدفعها ربما إلى خلق المزيد من الأزمات وافتعال هذه الحرب التجارية.

إننا نعتقد أن إمكانات بل وضرورات التعاون بين الأوروبيين والآسيويين كبيرة جداً ومهمة أيضاً لجهة التخلص من هذه العجرفة والهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة في السياسة والاقتصاد. ونعتقد كذلك أن النموذج الصيني بات يشكل تهديداً كبيراً للنموذج الأمريكي السائد حتى الآن. فبناء نظام عالمي جديد يقوم على احترام سيادة الدول ضمن معايير أممية وأخلاقية بات من الضرورة بمكان، مما يحتم قيام هكذا تعاون اقتصادي وسياسي ومالي ونقدي يحل مكان نظام المدفوعات الدولية السائد الذي تتحكم به - إلى حد بعيد - الولايات المتحدة الأمريكية.

كما نعتقد أن إيلاء مشاكل العالم الحقيقية من التغيير المناخي إلى التصحر والجوع والأمراض ونقص المياه، باتت أكثر من ملحة لإعادة التوازن في عالمنا الذي يحتضر بفعل الإجحاف في استغلال موارده والعبث بالبيئة والمناخ على المستوى العالمي.

على المنوال نفسه، من الواضح أن التعاون الاقتصادي للصين مع دول البريكس والتي تضم حوالي ٤٠% من سكان العالم، بالإضافة إلى تعاونها مع الاتحاد الأوروبي، يمكن أن يحقق لها - أي الصين - مزايا تجارية كبيرة على المديين المتوسط والبعيد. كما أن العلاقات الصينية - الإفريقية الواعدة باتت تسمح للصين بأن تكون اللاعب التجاري وربما السياسي الأول مع القارة السمراء خلال سنوات قليلة قادمة.

أما بالنسبة للسوق المحلي الصيني فقد بات قادراً على فتح مجالات واسعة للاستهلاك المحلي كنتيجة طبيعية لزيادة القوة الشرائية للمواطن الصيني (متوسط دخل الفرد الصيني بالقوة الشرائية حوالي ١٧٠٠٠ دولار)، بالإضافة إلى العدد الكبير للسكان ولحجم السوق. وعليه، فإن التوجه نحو الأسواق المحلية بات من الخيارات الضرورية والطبيعية في المراحل القادمة، وقد يشكل ذلك حجماً أكبر من الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة، حيث أن الطلب في الصين على السلع المعمرة (كالسيارات وغيرها...)

والكمالية، هو بازدياد مضطرد يسمح بزيادة الإنتاج وزيادة معدلات النمو الاقتصادي أو المحافظة على معدلاتها الحالية خلال السنوات القادمة.

نعتقد في نهاية المطاف أن النظام العالمي الحالي كنتيجة للممارسات الأمريكية في مختلف الملفات والقضايا الدولية بات في مهب الريح، وأن صياغة نظام عالمي جديد بات أكثر إلحاحاً من ذي قبل، ونعتقد أن تحقق ذلك مسألة وقت فحسب. إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية المأزومة على كافة الصعد خلال العقدين الماضيين باتت تتصرف كدولة مارقة على القانون الدولي وعلى مؤسسات الأمم المتحدة التي رعت إنشاءها بنفسها، وباتت تحلل وتحرم كيفما ترى وحسب أهوائها ومصالحها ضاربة بعرض الحائط مصالح حلفائها قبل حقوقها.

في الختام، لعله من اللافت ما تحمله بعض الأحداث والتطورات الدولية من دلالات خلال العقود الماضية. ويمكن - على سبيل المثال - الاشارة إلى بعضٍ من تلك الأحداث والتطورات على النحو الآتي:

- دخول الاتحاد السوفياتي إلى أفغانستان كان عام ١٩٧٩م.
- خروج الاتحاد السوفياتي من أفغانستان كان عام ١٩٨٩.
- إعلان منظمة الباسفيك (APE) كان عام ١٩٨٩م (توجت هذه المنظمة سيادة الولايات المتحدة على العالم).
- قيام مجموعة العشرين كان عام ١٩٩٩م (إدخال روسيا كدولة ضمن مجموعة العشرين لأول مرة تحت الرعاية الأمريكية).
- إعلان قيام مجموعة البريكس (BRICS) كان عام ٢٠٠٩م (مثّل إعلان مجموعة البريكس أول امتعاض وتمرد على السيادة الأمريكية على العالم).

فهل نحن أمام مشهد جديد قد يمثل نهاية الهيمنة الأمريكية في العالم واجتماع الآخرين للإعلان عن تذمرهم ورفضهم لهذا الواقع في العام ٢٠١٩م؟!

قراءة في تجربة المصالحات الوطنية ومسار التسوية السياسية في سوريا

وضاح عيسى
كاتب ومحلل سوري

منذ أن ألقت المؤامرة الغربية بحبائلها المدمرة على الأرض السورية، بما رافقها من تضليلٍ بأشكال وألوان متعددة، وضخٍ إعلامي كبير، واتساعٍ لجغرافية التلقي وتزايدٍ لأعداد المتلقين وتأجيجٍ لهم خدمةً لأهداف المتآمرين، وارتفاعٍ لعدد الدول المتآمرة وتنوعٍ لأدوارها إلى جانب جيوش الإرهاب الإجرامية المستجلبة من أصقاع العالم بضخامة دعمها مالاً وتسليحاً وتغذيتها تكفيراً وتطرفاً لاستهداف الدولة والشعب في سوريا بمختلف الاتجاهات؛ قابل السوريون ذلك كله بوعي وصمود قل نظيرهما. فبعد أن أدرك السوريون حجم وأهداف المؤامرة وأبعادها ومخاطرها الجسيمة، أقسموا على أنفسهم العهد بمجابهتها ومواجهة كل التحديات التي تحيق بهم وبالمنطقة وتحقيق الانتصار بكل جوانبه كخيار وحيد لدحر المتآمرين ومشروعاتهم العدوانية.

في مواجهة الأساليب والمخططات الخبيثة التي حيكت بدقة وعناية يصعب فك شفراتها، والأدوات والآليات التي اعتمد عليها المتآمرون لتحقيق أهدافهم، تطلب الأمر بعض الوقت والنظر الثاقب والتمحيص الدقيق لكشف خيوط المؤامرة وإيجاد طرق وخطط وآليات ضرورية لمواجهتها واتخاذ ما يلزم لقطع دابرها، لا سيما أن ما تم طبخه للاستهداف لم يكن مألوفاً، بل معقداً وغامضاً وغير قابل للفهم بسهولة، وذلك نظراً لعدم اتضاح الصورة وتداخل تفاصيل المشهد وخطورة مفرزاته وكثرة المتدخلين فيه وتعدد أشكال وطرق تدخلهم وأهدافهم، والضخ الإعلامي المضلل المتواتر والمتصاعد، وحالة الضياع في الفرز بين الصحيح والكاذب، وغيرها الكثير من التعقيدات والممارسات المبهمة. فكل تلك الأمور أخذت وقتاً لا بأس به من البحث الدقيق في الوقائع وفرزها وتفنيدها. ولكن، ما إن

تم فك رموزها ومعرفة شفراتها، حتى بدأ التحرك الجدي للمعالجة ومواجهة تلك المخططات المشبوهة وأهدافها ومن يقف وراءها وفضح مراميهم التآمرية.

أولاً: مسار المصالحات الوطنية

- الرئيس الأسد يضع النقاط على الحروف:

لقد شكلت كلمة الرئيس بشار الأسد أمام مجلس الشعب في ٣٠ مارس ٢٠١١م البوابة الرئيسية لقراءة ما يجري بواقعية مطلقة ومعرفة أسباب استهداف سوريا وفهم تفاصيل المؤامرة الكبرى التي تتعرض لها بخيوطها الممتدة من دول بعيدة وأخرى قريبة لها أذرع في الداخل، وكذا تحديد إمكانية تقويضها ودحرها انطلاقاً من أهمية المواطن ووعيه ودوره في مواجهة ما يحاك ضده وضد وطنه. فعلى اعتبار أن هناك من انجر وراء المؤامرة الخارجية من المواطنين بالترغيب أو الترهيب، وبمعرفة أو من دونها، دعت الدولة والقيادة السورية إلى الحوار السوري - السوري منذ بداية الحرب الإرهابية على سوريا لأجل التوصل إلى تفاهمات للحل والعمل على إيجاد آليات لاستيعاب أولئك وإعادتهم إلى رشدهم ليكونوا تحت راية الوطن بدلاً من استعمالهم ضده وضد أبناء جلدتهم، فهم وإن كانوا يتحملون مسؤولية ما قاموا به، إلا أنهم لا يتحملون كامل المسؤولية عما جرى ويجري من تآمر على الوطن والشعب، فبعضهم إن لم يكن أغلبهم أجبر بشكل أو بآخر أن يكون في هذا الموقع بحكم الظروف المحيطة بهم، وقد أثبتت الأيام صوابية هذه الاستراتيجية.

لقد لعبت الدولة دوراً كبيراً للخروج من الأزمة والانتصار على المؤامرة ودحر مشروعات المتآمرين، إذ عملت على جبهات عدّة سعياً لتحقيق الانتصار، فإلى جانب العمل العسكري لمواجهة التنظيمات الإرهابية ومن يقف وراءها من الدول المتآمرة، فتحت الباب واسعاً أمام الحوار السوري - السوري لفهم ما يجري وفرز الأحداث والوقائع ومعرفة الأسباب والدوافع والأهداف، ومن يقوم بها ومواجهته لتحصين الجبهة الداخلية، فعمدت لتكريس المصالحات والتسويات في الداخل، والعمل على الجانب السياسي والدبلوماسي لأجل الوصول إلى حل نهائي ينهي الأزمة، فاشتغلت أيضاً على الشق الآخر عبر المحادثات واللقاءات الخارجية سواء من خلال (مسار جنيف) وما يعزز إنجاحه عبر (مسار أستانا) والدول الضامنة و(لقاءات سوتشي).

- أهمية المصالحات الوطنية:

من هنا يمكننا فهم سياسة المصالحات التي اتبعتها الدولة السورية كأهم رؤية استراتيجية ينبغي العمل عليها لتجاوز المؤامرة التي تستهدفها، ولإسقاط أهداف العدوان وتحقيق الانتصار المنشود على المتآمرين بمختلف أشكالهم وألوانهم. وانطلاقاً من هذه الرؤية الاستراتيجية وأهمية المواطن ودوره إضافة إلى الأعمال والأفعال المطلوبة لتحقيق ما تصبو إليه الدولة لأجل الخروج من الأزمة منتصرة، أصدر الرئيس الأسد مراسيم عدة تصب في هذا الإطار، ومن بينها المرسوم التشريعي رقم (٢١٠) لعام ٢٠١٢م والذي بموجبه تم استحداث (وزارة الدولة لشؤون المصالحة الوطنية) كمشروع سياسي وطني طارئ للعمل على ترسيخ مفهوم المصالحات الوطنية وتفعيلها بما يحقق المطلوب منها. وقد حققت الكثير من الإنجازات قبل أن تتحول إلى هيئة عامة ذات طابع إداري باسم (هيئة المصالحة الوطنية) بموجب المرسوم التشريعي رقم (١٩) لعام ٢٠١٨م، وذلك في مرحلة لم يبق فيها إلا الجزء القليل من الجغرافيا خارج سيطرة الدولة التي تعمل لبسط سلطتها عليها.

- مراسيم تشريعية في خدمة المصالحات الوطنية:

لإعطاء زخم أكبر للمصالحات الوطنية ولإنجاحها أصدر الرئيس الأسد مراسيم عدّة من بينها المرسوم التشريعي رقم (٢٢) للعام ٢٠١٤م والقاضي بمنح عفو عام عن الجرائم المرتكبة قبل تاريخ ٩ يونيو ٢٠١٤م، وذلك بهدف تعزيز اللحمة الوطنية وبث روح المحبة والتسامح الاجتماعي في ظل ما تحققه الدولة السورية من انتصارات على مختلف الميادين في مواجهتها لقوى التآمر والعدوان. وقد بينت وزارة العدل - وقتئذٍ - على لسان الوزير نجم الأحمد لوكالة (سانا) أهمية هذا المرسوم في كونه "يتضمن عفواً عاماً عن الجرائم المرتكبة قبل تاريخ صدوره شاملاً بأحكامه الغالبية من الجرائم بأنواعها المختلفة وبدرجات متفاوتة بدءاً بأشد الجنايات المعاقب عليها بالإعدام وانتهاءً بالمخالفات البسيطة، وشمل هذا المرسوم تدابير الإصلاح والرعاية للأحداث في الجنح ولامس الجوانب الإنسانية في كل موضع، بالإضافة إلى حمل وحيازة الأسلحة بشكل غير مشروع وجرائم الفرار الداخلي والخارجي، وتدرج مفعول العفو ليشمل كامل العقوبة في بعض الجرائم بينما شمل جزءاً منها في جرائم أخرى وذلك تبعاً للوصف الجرمي ومدى تعلق الفعل المرتكب بالأمن الاجتماعي ومناهضة المجتمع له ونبذه إياه، وأعطى فرصة لكل متوار عن الأنظار أو فار من وجه العدالة لأن يسوّي وضعه وفقاً لأحكام

المرسوم الذي لم يستثن إلا عدداً محدوداً للغاية من الجرائم ولاسيما جرائم الخيانة والتجسس والجرائم الإرهابية الخطرة وخصوصاً ما أفضى منها إلى الوفاة أو إحداث عجز دائم بالمجني عليه وبعض من الجرائم المخلة بالشرف وهي بطبيعتها جرائم يستهجنها المجتمع السوري ويرفضها".

تبع ذلك صدور المرسوم التشريعي رقم (١٥) لعام ٢٠١٦م والقاضي بمنح عفو لكل من حمل السلاح أو حازه لأي سبب من الأسباب وكان فاراً من وجه العدالة أو متوارياً عن الأنظار يعفى عن كامل العقوبة متى بادر إلى تسليم نفسه وسلاحه للسلطات القضائية المختصة أو أي من سلطات الضابطة العدلية خلال ثلاثة أشهر من تاريخ صدور هذا المرسوم التشريعي سواء بُوشِر في الإجراءات القضائية بحقه أم لم تتم المباشرة بها بعد، وكل من بادر إلى تحرير المخطوف لديه بشكل آمن ومن دون أي مقابل يعفى عن كامل العقوبة المنصوص عليها في المرسوم التشريعي رقم (٢٠) الصادر بتاريخ ٢ أبريل ٢٠١٣م، وعدّ هذا المرسوم نافذاً من تاريخ صدوره في ٢٨ يوليو ٢٠١٦م، وجدد العمل به أيضاً دفعاً باتجاه المصالحات والتسويات، كذلك صدرت مراسيم عدة أخرى تصب في إطار تعزيز المصالحات الوطنية.

لقد شكل مرسوم العفو هذا فرصة حقيقية وجوهرية من قبل الدولة ممثلة برئيس الجمهورية لعودة السلام والوئام، ولكي يكون الشخص في خندق البناء والإعمار بدلاً من كونه في خندق الضلال والإرهاب، وأن يكون مع وطنه بدلاً من أن يكون عليه.

- نتائج المصالحات جسدت صوابيتها:

لكي نكون موضوعيين، لابد من الإشارة إلى أن مبادرة المصالحات الوطنية والتسويات قد قوبلت باعتراضات كثيرة في بداية طرحها، وكان لكل معترض مسوغاته، وذلك قبل اتضاح الرؤية تجاهها، وباعتبار أن رؤية الدولة بخصوصها كانت أعم وأشمل. وقد تبين لكثيرين - مع مرور الوقت - صوابية هذه الرؤية، نظراً لأهمية ما حققته من نتائج غير متوقعة كان لها بالغ الأثر وبزمن قياسي في حقن الدماء كأهم أولويات الدولة، وفتح الباب أمام من غرر بهم لأسباب ذاتية أو موضوعية لمراجعة أنفسهم والعودة إلى حضن الوطن والعمل تحت رايته ليقطعوا بذلك الطريق على مشغليهم في استغلالهم ضد بلدهم وأبناء جلدتهم، بالتزامن كذلك مع إخراج المسلحين الرافضين للتسويات والمصالحات من مناطق سيطرتهم حقناً للدماء وتخفيفاً للخسائر المادية والمعنوية، ووصولاً إلى

إعادة الأمن والاستقرار لمناطق استهدفتها المصالحات والتسويات لضمان عودة الأهالي إليها بعد تأمين البنى التحتية والخدمات اللازمة.

بعيداً عن كل ما أثير حولها من أقاويل وما شابها من انتقادات وما إلى ذلك، أثبتت المصالحات الوطنية - التي اعتمدتها الدولة السورية كخيار ضروري لابد منه - أهميتها ونجاعتها؛ إذ ساهمت بفضل الجيش العربي السوري في إخراج التنظيمات الإرهابية من مناطق كثيرة وإعادة الأمن والاستقرار لأهلها، ما انعكس إيجاباً على واقع السوريين الذي لقي انفراجاً واضحاً وملموساً على الأرض، وتلمّس السوريون أهمية نتائجها في حياتهم وأمنهم ومعيشتهم، وأدت إضافة لعوامل أخرى قام بها الجيش العربي السوري، كان لابد منها، إلى بسط سيطرة الدولة على نحو تسعين بالمائة من مساحة الجغرافية السورية.

- المبادرات الشعبية:

عودة إلى المبادرات التي انطلقت لتعزيز اللحمة الوطنية في جميع المحافظات، فعلى سبيل المثال لا الحصر عقدت الهيئة الشعبية للمصالحة الوطنية باللاذقية لقاءً مع أهالي حي الرمل الجنوبي والغراف وبستان السمكة بهدف التواصل مع ذويهم وأقربائهم ممن غرر بهم من المسلحين والراغبين في تسليم السلاح وتسوية أوضاعهم، والاستفادة من مرسوم العفو الذي أصدره الرئيس الأسد للعودة إلى وطنهم وأهلهم، وممارسة دورهم الوطني في مواجهة ما تتعرض له سوريا من عدوان وإرهاب. ودعت الهيئة المكونة من ممثلين عن أطياف المجتمع إلى التكاتف ورص الصفوف للحفاظ على الوطن في وجه المؤامرة والفكر الوهابي الذي يعمل على تمزيق العائلة السورية، وإلى تصحيح المفاهيم الدخيلة والمغالطات التي طرأت على المجتمع وأدت إلى ما أدت إليه.

- المصالحات تشق طريقها:

أخذت التسويات والمصالحات الوطنية تشق طريقها في كل المحافظات ومدنها وبلداتها وقراها، وبدأ المغرر بهم بتسليم أسلحتهم وتسوية أوضاعهم بشكلٍ أسّس أرضيةً جاذبة لدى الكثيرين ممن تورطوا وحملوا السلاح في وجه الدولة ليحذوا حذو من سبقهم إليها، لنشهد في كل يوم جديد توافد المئات منهم إلى مراكز المصالحات في أغلب المحافظات، وكان لها في مستقبل الأيام انعكاسات خففت الكثير من الخسائر وأعطت نتائج ملموسة أثناء سير المعارك في مواجهة التنظيمات الإرهابية ومشروعات داعميها

التي اندحرت أمام الصمود السوري وإنجازات جيشه الباسل وتضحياته في مواجهة المؤامرة بمقاومة الإرهاب بالتوازي مع استمرار عمليات المصالحة الوطنية.

- أهمية وزارة المصالحة ومساهماتها:

كان لوزارة المصالحة الوطنية دوراً واضحاً في إنجاز المصالحات الوطنية من خلال مساهمتها بمتابعة لقاءات الرئيس الأسد مع القيادات والفعاليات الشعبية والاقتصادية والاجتماعية للوصول إلى نتائج ملموسة برزت على أرض الواقع. وقد قامت الوزارة بمتابعة الحوار والمصالحات الوطنية في أقسى الظروف وأخطر المناطق حتى توصلت إلى ما وصلت إليه من إنجاز المصالحات وتواريخها التي سنبينها وفق المعلومات التي صدرت عن الوزارة، وذلك على النحو الآتي:[1]

أول مصالحة كانت في مدينة الحفة التابعة لمحافظة اللاذقية في منتصف عام ٢٠١٢م، وتبعتها في "تلكلخ" بمحافظة حمص في عام ٢٠١٣م، ثم عودة الأهالي بريف حماة خلال نهاية عام ٢٠١٥م وبداية ٢٠١٦م، وكذا مصالحات ريف دمشق في داريا وقدسيا والهامة وخان الشيح والغوطة الغربية ورنكوس والتل خلال عام ٢٠١٦م وبداية عام ٢٠١٧م، وفي قرى ومناطق بيت سابر وبيت تيما وكفر حور وسعسع وحسنو ودعوة أهالي الذيابية بريف دمشق في ٦ فبراير ٢٠١٧م، ومصالحة قرى وادي بردى وسرغايا بريف دمشق نهاية فبراير ٢٠١٧م، واستكمال التوقيع على مصالحة الوعر في حمص في٣ مارس ٢٠١٧م وإعلانها خالية من المسلحين في ٢١ مايو من العام نفسه، واتفاق المدن الأربعة (كفريا - الفوعا - الزبداني - مضايا) في١ أبريل ٢٠١٧م، وإعلان الزبداني ومضايا خاليتين من المسلحين وعودة أكثر من ٢٥ ألف مواطن إليها ممن هجروا بفعل ممارسات التنظيمات المسلحة، واتفاق مصالحة "برزة" في ٨ مايو ٢٠١٧م، ومصالحة القابون في ١٣ من الشهر نفسه، إضافة إلى اتفاق تسوية جرود عرسال وفليطة وجيرود في ٧ و ٨ من العام نفسه، وعودة أهالي ريف حلب لتأتي بعدها مصالحة الغوطة الشرقية والقلمون في ريف دمشق وخروج المسلحين منها وتسليم أسلحتهم الثقيلة في منتصف وأواخر أبريل ٢٠١٨م، ليتبعها مصالحة ريفي حمص الشمالي وحماه الجنوبي منتصف مايو ٢٠١٨م، والجنوب السوري في ريفي درعا والقنيطرة في أواخر يوليو ٢٠١٨م.

١- مجموعة مؤلفين، **سورية في مواجهة الحرب الكونية**، منشورات وزارة الاعلام السورية، ٢٠١٧م.

- الجيش العربي السوري ودوره في تعزيز المصالحات:

لا بد من الاشارة إلى أن الجيش العربي السوري لعب دوراً كبيراً في إتمام المصالحات الوطنية وإنجازها على أكمل وجه، حيث أخذ على عاتقه أثناء توجهه إلى أي منطقة تسيطر عليها التنظيمات المسلحة العمل لأجل تحقيق تلك المصالحات والتسويات سعياً منه لحقن الدماء وفتح المجال أمام من تورط في العمل مع التنظيمات المسلحة (بالترغيب أو الترهيب) لمراجعة نفسه واختيار ما يريد، إما البقاء مع التنظيمات الإرهابية أو قبول الدخول في المصالحات والتسويات وتسليم سلاحه والعودة إلى جادة الصواب تحت راية الوطن. وهكذا تم الفرز بين من يريد العودة إلى الوطن وبين من يريد أن يبقى في الطرف المقابل يمارس الإرهاب والإجرام ليكون مصيره كمصير أي إرهابي.

اتخذ الجيش العربي السوري - أيضاً - معابر لتأمين خروج المواطنين الراغبين بالخروج من مناطق سيطرة التنظيمات الإرهابية المسلحة ولمن حمل السلاح ويريد تسليم سلاحه والقبول بالمصالحات والتسويات، وبعد الخروج الآمن لأولئك وتسوية أوضاعهم يتم التفاوض مع متزعمي تلك التنظيمات المسلحة من خلال وسطاء محليين أو دوليين، وقد كان لروسيا الدور الأكبر في ذلك الصدد لأجل إخراجهم من مناطق سيطرتهم بعد تسليم عتادهم الثقيل أو إخراجهم بالقوة أو بالقضاء عليهم في حال الرفض لكي يتسنى للجيش العربي السوري تطهير منطقتهم من براثنهم. وهكذا تمت الأمور في كل مناطق تواجد التنظيمات الإرهابية إلى أن استطاع تطهير أغلب مناطق تواجدهم منهم ومن إجرامهم.

للتذكير، فقد لعب الحليف الروسي دوراً مهماً في عمليات المصالحات والتسويات التي كانت تتم مع أغلب التنظيمات الإرهابية لإخراجها من مناطق المدن والبلدات والقرى التي عانى سكانها الويلات من ممارسات إرهابييها الإجرامية ومجازرهم الوحشية لمجرد أنهم يؤيدون الدولة.

هنا يمكننا القول إن ما تمخض عن المصالحات الوطنية من إنجازات أثرت بشكل جوهري على حياة السوريين وأضفت على حياتهم نوعاً من الأمن والاستقرار في ظل ما تحقق من خلالها أو بتطهير أغلب المناطق السورية من الإرهاب.

ثانياً: مسار التسويات السياسية

- المسار السياسي للحل:

بخصوص المسار السياسي لحل الأزمة في سوريا، فقد أخذ عدة جوانب تجلت في محادثات جنيف التي رعتها منظمة الأمم المتحدة، أو لقاءات سوتشي ومسار أستانا اللذين رعتهما روسيا بتمثيل أممي ودولي لأجل حل الأزمة سياسياً من خلال الدول الضامنة في أستانا (روسيا وإيران وتركيا)، وذلك بعد تباطؤ مسار جنيف وتوقفه نتيجة تدخل الدول المتآمرة على سوريا في مجرياته سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن خلال "معارضة" ادعت الوطنية واحتكرت المحادثات في جنيف لنفسها، وكانت تقدم نفسها على أنها "ممثلة للشعب السوري" في حين أنها مأجورة تقدم بلسانها أجندات الدول التي تدعمها وترعاها، ولم تكن تمثل سوى نفسها كأفراد مرتهنين للدول المتآمرة على الدولة السورية والشعب السوري والتي تدفع لهم من الأموال وفق التزامهم بما تمليه عليهم فقط لخدمة أهدافها وأطماعها.

لا بد من لفت الانتباه إلى أن نتائج ما تمخض عن لقاءات سوتشي ومحادثات أستانا هي مكملة ومتممة لمحادثات جنيف وليست بديلاً عنها، وذلك من أجل التوصل إلى حل نهائي ينهي الأزمة في سوريا عبر الطرق السياسية والدبلوماسية. ولأجل هذا فتحت سوريا - وأيضاً حلفاؤها - الباب لأي دولة لديها نيات سليمة لكي تساهم في الحل السياسي، سواء من خلال المبادرة أو طرح أفكار إيجابية وما إلى ذلك بما يصب في إنهاء الأزمة عبر الحلول السلمية.

- الأمم المتحدة والمسار السياسي:

دور الأمم المتحدة بخصوص الأزمة في سوريا كان دون المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه نتيجة تأثر المنظمة الأممية بالضغوط التي كانت تمارسها الولايات المتحدة وحلفاؤها عليها لأجل تمرير أهدافها المشبوهة في سوريا، وهذا ما ظهر من خلال أداء وسلوك مسؤوليها، وتعدد مبعوثيها الخاصين إلى سوريا، ودورهم الذي أثبتوا من خلاله عدم حياديتهم وارتهانهم للدول الغربية وأذنابها في المنطقة، وتبنيهم أجندات تلك الدول لتحقيق أهدافها العدوانية.

- "جنيف" والحل السياسي:

بالعودة إلى مسار جنيف الذي رعته الأمم المتحدة والتي كانت أيضاً مرتهنة لدول الغرب

المتآمر على سوريا والمنطقة، فقد ظل هذا المسار من المحادثات بين الحكومة السورية و"المعارضة" يراوح في مكانه، وذلك لعدم تفكير من تسمي نفسها "معارضة وطنية" في بلدها سوريا والحفاظ على مصالحه بدلاً من تلقيها تعليمات من مشغليها، وهذا ما أشار إليه نائب رئيس الوزراء - وزير الخارجية والمغتربين (وليد المعلم) في مؤتمر صحفي في ٨ مايو ٢٠١٧م بقوله: "وفود الحكومة السورية كانت تحضر جميع اجتماعات جنيف، ومسار جنيف لا يزال يراوح مكانه لعدم وجود معارضة وطنية تفكر في سوريا بدلاً من تلقيها تعليمات من مشغليها". والبديل الذي تنتهجه دمشق هو مصالحات وطنية، وقد نجحت في مناطق عدة ولمس المواطن السوري أهمية ونجاعة هذه المصالحات وفعاليتها على الأرض.

- الحكومة السورية ملتزمة بتعهداتها:

مع ذلك، ظلت الحكومة السورية ملتزمة بتعهداتها وواظبت على حضور كل اللقاءات والمحادثات السياسية رغم إدراكها ومعرفتها بكل ما يجري، فمسار جنيف وما تمخض عنه في جولاته الثماني بشأن أي تحرك باتجاه الحل السياسي للأزمة في سوريا، لم يقدم للسورين ما كانوا يرتجون منه بالرغم من أن الحكومة السورية دعمت جهود المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى سوريا (ستافان دي ميستورا)، وهذا ما أكده المعلم أثناء استقباله الأخير والوفد المرافق له في ١٥ يونيو ٢٠١٥م بعد أن عرض له تطورات الأوضاع في سوريا، بدعم جهود المبعوث الخاص من أجل التوجه نحو حل سياسي وأهمية ما تم إنجازه في لقاءات موسكو وضرورة متابعتها لضمان نجاح لقاء (جنيف٣)، وقدم دي ميستورا بدوره عرضاً عن مشاوراته المنفصلة التي بدأها في شهر مايو بعيداً عن الإعلام في مقر الأمم المتحدة بجنيف بشأن سوريا، وأكد وجود حاجة ماسة لإيجاد حل سياسي شامل للأزمة وبقيادة سورية، وذلك وفق ما نقل عنه المتحدث باسمه.

بعد مداولات ونقاشات بشأن المشاركين في اللقاءات، دعت الخارجية الروسية نهاية يناير ٢٠١٦م إلى مزيد من التنسيق من جانب أعضاء المجموعة الدولية لدعم سوريا من أجل إعداد قوائم المجموعات الإرهابية في سوريا وضرورة الاتفاق عليها في ظل ظهور مشكلات تعترض عملية تشكيلها، وذلك من أجل إيجاد السبل لإطلاق عملية التسوية السياسية للأزمة وفقاً لخطط الأمم المتحدة، ومثّل نائب وزير الخارجية (غينادي غاتيلوف) الجانب الروسي في المباحثات الثلاثية التي جرت في جنيف إلى جانب مساعدة

وزير الخارجية الأمريكي (آن باتيرسون) والمبعوث الأممي إلى سوريا (دي ميستورا) بهدف بحث سبل إطلاق العملية السياسية وحل العقبات التي تعترضها بما فيها إعداد قائمة بأسماء التنظيمات الارهابية وتشكيل وفد بتمثيل واسع للمعارضة. وبالتزامن مع ذلك أعلن الوزير المعلم استعداد سوريا للمشاركة في اجتماعات جنيف في الموعد المقترح ولكن بعد تحديد أسماء المعارضين المشاركين.

من جانبه، عقّب وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف على إدراج التنظيمات الإرهابية في الحوار السوري- السوري الذي ترعاه الأمم المتحدة في جنيف بأنه يشكل تشويهاً لسمعة المنظمة الدولية، وحذر - أولاً - من خطورة دعم الارهاب وتأثيره على المنطقة، وثانياً، الدول المشجعة له من تأثرها من نتائجه، كما لفت إلى أن بعض دول المنطقة تعرقل الحل السياسي في سوريا وتتوهم بأن الحل يتم عسكرياً!

- السوريون يحددون مستقبلهم:

في معرض الرد على تساؤلات بشأن حضور وفود من تركيا وروسيا وفرنسا والولايات المتحدة المحادثات بصفة مراقب، أكدت الأمم المتحدة على لسان مبعوثها دي ميستورا بأنها لا تعتزم دعوة أي طرف خارج إطار السوريين إطلاقاً، وهي لم توجه دعوات سوى لأطراف من سوريا لحضور المحادثات المقرر انطلاقها في جنيف. وبعد ذلك عقدت المحادثات بناء على قرار مجلس الأمن الدولي (٢٢٥٤) الصادر بالإجماع في ١٨ ديسمبر ٢٠١٥م للتوصل إلى حل سياسي للأزمة، والذي يؤكد أن للسوريين وحدهم تحديد مستقبل بلادهم بأنفسهم دون أي تدخل خارجي، وأن التنظيمات الإرهابية خارج أي عملية سياسية.

- تدخلات خارجية:

عقد وفد الجمهورية العربية السورية إلى الحوار السوري- السوري في جنيف برئاسة الدكتور بشار الجعفري اجتماعاً مع دي ميستورا في ٢٩ يناير ٢٠١٦م، ونقلت مصادر في الأمم المتحدة أن الدكتور الجعفري أكد خلال الاجتماع تمسك السوريين بالحفاظ على وحدة سوريا واستقلالها وسيادتها ووحدة شعبها، وأن الحكومة السورية جادة في الحوار والبحث عن حل سياسي للأزمة يحدده الشعب السوري دون أي تدخل خارجي، وبيّن أن هناك جهات تدير حروباً بالوكالة على الأرض السورية ترعى وتدعم كيانات إرهابية وترفض إدراجها كمنظمات إرهابية دولية، وتطلق تسمية "المعارضة المعتدلة" على الإرهابيين الأجانب، وأن قرارات مجلس الأمن الدولي تدرج (داعش) و(جبهة

النصرة) ومن يرتبط بهما على قائمة التنظيمات الإرهابية وهذا يعني أن (حركة أحرار الشام) تنظيم إرهابي. وقد ذكرت المصادر أن دي ميستورا أكد أثناء الاجتماع الحاجة إلى عملية سياسية يقودها السوريون لحل الأزمة، وأنه بانتظار الرد على دعوات وجهها إلى بعض فئات المعارضة، وأنه سيعمل ما يمكن فعله لمناقشة أمور أخرى لإنجاز عمل كبير، ويعتزم أيضاً عقد اجتماع تستمر فيه المحادثات لمدة ٣ أو ٤ أيام من أجل المضي قدماً في الحوار بين السوريين، مقترحاً قدوم المعارضة إلى جنيف دون شروط مسبقة، ورأى أن القدوم أفضل طريقة لحل الأزمة وبدء العملية السياسية ومناقشة كل المسائل، وأن الأولوية هي لتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي (٢٢٥٤)، وأنه وسيط غير منحاز لأحد وليس طرفاً أو يقود الحوار لأن الأجندة واضحة بتطبيق هذا القرار، وعندما يجلس السوريون إلى طاولة الحوار سيناقشون ذلك. وهكذا بدا الأمر بما نطق به دي ميستورا، لكن مقبل الأيام كشف المستور بأن المسافة ما بين القول والفعل شاسعة جداً![1]

- مراوغة المبعوث الأممي:

قبل موعد الجولة الجديدة للحوار السوري- السوري بأيام قليلة أي في ١٩ فبراير ٢٠١٦م أعلنت خولة مطر (المتحدثة باسم مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى سوريا) أن دي ميستورا لن يستأنف الحوار السوري- السوري بموعده المقرر في ٢٥ من الشهر ذاته إذا لم تكن الحكومة السورية و"المعارضة" مستعدتين. وقد عقّب الدكتور الجعفري في مؤتمر صحفي على إعلان تعليق دي ميستورا للحوار بقوله: "لقد قلنا عدة مرات بأننا على استعداد للحوار والتعاون مع كل الجهات المسؤولة التي لديها مصلحة حقيقية بمساعدة الحكومة السورية على إيقاف نزيف الدم في البلاد ولقد أثبتنا ذلك" و "ما يهمنا كحكومة أننا أثبتنا للعالم جميعاً انضباطنا والتزامنا وجديتنا وإحساسنا بالمسؤولية".

من هنا بدأت ألاعيب دي ميستورا تظهر لتعلن بشكل مباشر أن هناك أيادٍ خفية تحركه، وذلك من خلال قيامه بتعليق جولة الحوار في الثالث من فبراير بدعوى وجود حاجة لعمل كبير لا بد من إنجازه أولاً وبمشاركة كل الأطراف المعنية وصرح لصحيفة (سفينسكا داجبلادت) السويدية بأن: "استئناف الحوار في الموعد المقرر ليس خياراً

١- وكالة القدس للأنباء؛ متوفر على الرابط:

https://alqudsnews.net/mobile/post/87091.html

واقعياً"! فما معنى ذلك؟! أليس عرقلة للحوار بإيحاء ممن يحركه؟ أم إن هناك من يرى غير ذلك؟!

- استمرار جولات الحوار السوري – السوري:

هكذا استمرت جولات الحوار السوري- السوري ولقاءات وفد الجمهورية العربية السورية، ففي ١٣ مارس عقد الوفد في جنيف جلسة محادثات مع دي ميستورا ومساعديه بمقر الأمم المتحدة، وقال رئيس الوفد الدكتور الجعفري إنه تم خلالها مناقشة أهمية وضرورة الإعداد الجيد للجانب الشكلي بما يسمح بالانطلاق على أسس متينة وصلبة باتجاه مرحلة مناقشة المضمون أو الجوهر. وتبعها جلسة أخرى تم التعمق فيها بمناقشة الشكل وضرورة إيلاء الأهمية الكافية لهذا الموضوع من حيث ضمان تمثيل أوسع طيف من المعارضات السورية تنفيذاً لبياني فيينا وقرار مجلس الأمن (٢٢٥٤) الذي ينص على ضرورة قيام مبعوث الأمم المتحدة بتوفير مشاركة أوسع طيف من المعارضة، ولا يحق لأحد أن يحتكر الصفة التمثيلية للمعارضات. وفي جميع الأحوال هذا الموضوع من صلاحيات ومهام وولاية المبعوث الأممي. وقد طالب الوفد السوري بضرورة التعامل المهم والجدي مع بقية قرارات مجلس الأمن ذات الصلة بالأزمة في سوريا والبالغ عددها (١٦) قراراً ومن بينها القرار (٢٢٥٣).

في الجولة الثالثة من الحوار أجرى الوفد السوري محادثات في ٢٦ أبريل ٢٠١٦م مع دي ميستورا وفريقه في مقر الأمم المتحدة بجنيف، وقال الدكتور الجعفري في تصريح للصحفيين عقب المحادثات: "انخرطنا بمسؤولية وموضوعية في نقاش كل ما يمكن أن يخدم بلدنا وشعبنا وأجبنا عن كل الأسئلة والاستيضاحات التي قدمها الفريق الأممي برئاسة دي ميستورا وهي كلها أسئلة واستيضاحات تناولت مواضيع مهمة، وأثرنا من جانبنا مجدداً العديد من النقاط المهمة وخاصة ما يتعلق بالإرهاب، وقد لاحظنا تفهماً من جانب المبعوث الخاص وفريقه حول قلقنا من محاولات الدول الراعية للإرهاب والتنظيمات الإرهابية التابعة لها لتقويض جهود الحل السياسي عبر كسر اتفاق وقف الأعمال القتالية والقيام بأعمال إرهابية أودت بحياة العشرات من الأبرياء في العديد من المناطق السورية، وقدمنا لـ دي ميستورا تعديلاتنا الدستورية على وثيقته المقترحة، واعتبرنا هذه التعديلات بمثابة جزء لا يتجزأ من هذه الورقة".

- "منصة الرياض" مسؤولة عن فشل المحادثات:

عقب اجتماعات الجولة الرابعة للوفد مع دي ميستورا في ٣ مارس ٢٠١٧م أكد الجعفري أن الجلسة تناولت المواضيع الجوهرية وأبرزها مكافحة الإرهاب، وذلك بقوله: "أكدنا للمبعوث الخاص أن التقدم في حوار جنيف يجب ألا يكون رهينة لمنصة الرياض التي رفضت تشكيل وفد موحد للمعارضة (....) وأن وفد الرياض يتحمل مسؤولية أي فشل للمحادثات". وقد انتهت هذه الجولة بالاتفاق على جدول أعمال من أربع سلال (مكافحة الإرهاب - الحكم - الدستور - الانتخابات).

- التنسيق السوري - الروسي:

كان التنسيق السوري الروسي حاضراً على الدوام، فقد التقى وفد الجمهورية العربية السورية مع غينادي غاتيلوف (نائب وزير الخارجية الروسي) وسيرغي فيرشينن (رئيس قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في وزارة الخارجية الروسية) والوفد المرافق في مقر البعثة الروسية بجنيف، وجرى بحث سبل تحريك المحادثات السورية في كل من أستانا وجنيف والهادفة إلى تعزيز نظام وقف الأعمال القتالية في سوريا وتكثيف حملة فعالة لمكافحة الإرهاب والتوصل إلى حل سياسي عاجل للأزمة في سوريا وفقاً لقرار مجلس الأمن الدولي (٢٢٥٤)، وتم تبادل وجهات النظر حول سير الحوار السوري- السوري في اجتماعات (جنيف ٥)، وتم الاتفاق على مواصلة التشاور بما يساعد على تحقيق تقدم في المحادثات، وقدم الوفد السوري على مدى ثمانية أيام في الجولة الخامسة من الحوار في ٣١ مارس أوراقاً عدة للمبعوث الخاص كانت أولاها ورقة تتعلق بمكافحة الإرهاب وورقة مبادئ عامة للحل السياسي في سوريا، لكن منصات "المعارضة" لم تقدم ردها على أي ورقة من الأوراق التي قدمها الوفد.

- تعثر المحادثات في جنيف:

بعد عدد من الجولات السابقة والاجتماعات، بقي مسار جنيف يراوح مكانه من دون تحقيق أي تقدم ملموس نتيجة تعثر المباحثات، إلا أن الأمل بتبني مجلس الأمن الدولي مشروع قرار روسي بشأن دعم مذكرة إنشاء مناطق تخفيف التصعيد الأربع التي وقعت عليها الدول الراعية للهدنة في سوريا (روسيا وإيران وتركيا) في ٤ مايو ٢٠١٧م خلال مفاوضات (أستانا ٤) بقي حاضراً. ومع ذلك كانت مناقشة الوثيقة تلك في مجلس الأمن بمثابة اختبار لنيات الدول الأعضاء في المجلس وخاصة الدول الغربية دائمة العضوية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مكتب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى سوريا ومع إعلانه موعد عقد الجولة السادسة من الحوار السوري- السوري في جنيف، قد أكد أن هذه الجولة ستكون مهمة في ظل مذكرة أستانا حول مناطق تخفيف التوتر. وقد انتهت الجولة في ٩ يوليو ٢٠١٧م بالتركيز على اجتماعات الخبراء من دون التطرق إلى أي سلة من السلال الأربع التي تم البحث فيها في جولات سابقة.

- بعد توقف مسار جنيف.. دعوات لاستئنافها:

بعد جلسة محادثات بين الوفد السوري ودي ميستورا في مقر الأمم المتحدة في جنيف في مستهل الجولة السابعة من الحوار في ١٠ يوليو ٢٠١٧م، تعهد دي ميستورا في تصريح للصحفيين ببذل جهود كبيرة لدفع مسيرة هذه المحادثات. وقد عقد الوفد أيضاً جلسة محادثات ثانية مع المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا، وعقبها أكد الجعفري في تصريح صحفي أن الوفد ناقش بجدية موضوع مكافحة الإرهاب والذي يعد مدخلاً مهماً لاستكمال مناقشة هذا الملف الذي هو أولوية الأولويات بالنسبة لوفد الجمهورية العربية السورية، ويجب أن يكون أولوية الأولويات بالنسبة لجميع دول العالم لأن الإرهاب أضحى ظاهرة دولية أصابت أهم عواصم العالم، وبيّن الجعفري - أيضاً - أنه يجري اجتماع خبراء وفد الجمهورية العربية السورية من الفنيين والتقنيين القانونيين مع خبراء وفد دي ميستورا لمناقشة ورقة المبادئ (١٢ نقطة) حول أسس وأهداف العملية السياسية، في حين قال دي ميستورا في لقاء خاص مع وكالة (سبوتنيك) الروسية في جنيف أنه ينوي إجراء أربع جولات من الحوار السوري في جنيف حتى نهاية عام ٢٠١٧م: "نأمل أن تكون لدينا بنهاية هذا العام صورة مختلفة في سوريا".

تركزت محادثات الجولة السابعة من الحوار السوري حول سلة مكافحة الإرهاب، وتم عقد اجتماعات فنية بين خبراء من وفد الجمهورية العربية السورية وفريق دى ميستورا. وبينما أشار مصدر أممي أن دي ميستورا سيقدم إحاطة إلى مجلس الأمن بشأن نتائج الجولة السابعة من الحوار السوري- السوري، ذكرت مصادر إعلامية - آنئذٍ - أن دي ميستورا سيقدم إلى مجلس الأمن الدولي مبادرة بشأن مكافحة الإرهاب في سوريا، تتضمن (٧) نقاط، وترتكز إلى القرارات الدولية وخاصة القرارين (٢٢٦٧) و (٢٢٥٣)، وتتحدث عن تعريف الإرهاب وكشف مصادر تمويله، كما تشمل الضغط على

المجموعات المسلحة التي لا تتبنى فكر تنظيميّ داعش والنصرة الإرهابيين لتسوية أوضاعها.

- تشكيل وفد موحد من عدة معارضات:

تجدر الإشارة هنا إلى أن وكالة (تاس) الروسية نقلت عن قدري جميل (رئيس منصة موسكو المعارضة) قوله بعد لقائه بمنصة الرياض بأنه: "تم الاتفاق على إنشاء لجنة للعمل على تشكيل وفد موحد من المنصات الثلاث (موسكو - القاهرة - الرياض) قبل الجولة القادمة [أي الجولة الثامنة] من الحوار السوري- السوري"، وذلك بعدما احتكرت "معارضة الرياض" دور المعارضات الأخرى خلال محادثات جنيف. وقد شهدت جولات محادثات جنيف السابقة نوعاً من التباطؤ - أحياناً - والعرقلة في أحيانٍ كثيرة أخرى. فعندما تأخذ تلك المحادثات مساراً لا يصب في توجه وأهداف تلك المعارضة، تضع شروطاً مسبقة للشروع في الحوار لأجل فرضها أو لغرض العرقلة، وذلك على الرغم من تأكيد المبعوث الأممي عدم وضع شروط مسبقة.

بعد توقف المحادثات أوعز الأمين العام للأمم المتحدة (أنطونيو غوتيريش) في ١٩ أكتوبر ٢٠١٧م للمبعوث الأممي الخاص إلى سوريا (ستافان دي ميستورا) تفعيل الخطوات الرامية إلى تنظيم جولة جديدة من المحادثات السورية في جنيف، وقد نقل موقع (روسيا اليوم) عن متحدثٍ باسم الأمين العام قوله: "إن غوتيريش طلب من دي ميستورا إجراء مشاورات مع كل الأطراف المعنية وتحريك الجهود الرامية إلى عقد جولة مفاوضات جديدة على أساس بيان جنيف وقرارات مجلس الأمن".

- الشروط المسبقة تقوض محادثات جنيف:

في إطار الجولة الثامنة من الحوار السوري- السوري جرت التحضيرات للجولة الثامنة من الحوار السوري- السوري بعد مشاورات بين نائب وزير الخارجية الروسي (غينادي غاتيلوف) ودى ميستورا في ١٤ نوفمبر ٢٠١٧م في جنيف لبحث التحضيرات للجولة الجديدة من المحادثات السورية في جنيف، إضافة إلى مؤتمر الحوار الوطني السوري. وفي الـ٣٠ من الشهر ذاته عقد الوفد السوري برئاسة الدكتور الجعفري لقاءً وجلسة محادثات رسمية مع دي ميستورا في مقر الأمم المتحدة في إطار الجولة الثامنة من الحوار السوري- السوري، حيث جرى خلال اللقاء مناقشة السبل الكفيلة بدفع الحوار السوري- السوري قدماً، والتأكيد على أهمية عدم وضع الشروط المسبقة التي من شأنها

عرقلة الحوار وتقويضه، كما تم التأكيد خلال الجلسة على أهمية الانخراط بجدية ومسؤولية في الحوار حيث تناولت الجلسة ورقة المبادئ الأساسية التي كان وفد الجمهورية العربية السورية قد قدمها سابقاً ومنذ عدة أشهر. وقد اختتمت المرحلة الأولى من الجولة الثامنة من الحوار في الأول من ديسمبر ٢٠١٧م بإشارة الدكتور الجعفري في مؤتمر صحفي إلى أن هناك من يسعى لتقويض محادثات جنيف عبر محاولة فرض الشروط المسبقة وأن "بيان الرياض ٢" هدف إلى تقويض فرص نجاح الحوار في جنيف، وهو مرفوض جملةً وتفصيلاً.

- "جنيف" يسير ببطء ولا يدور في حلقة مفرغة:

بيّن الدكتور الجعفري أن: "مسار جنيف لا يدور في حلقة مفرغة حيث سبق أن اجتمعنا عدة مرات وأنجزنا الكثير من الأوراق واتفقنا على جدول أعمال اسمه "السلال الأربع" وأنجزنا الكثير في جنيف وفي أستانا ومناطق تخفيض التوتر وهي نتيجة من نتائج أستانا، أما مؤتمر سوتشي فهو فرصة أخرى لإحراز المزيد من التقدم ويجب ألا نعطي رسالة خاطئة بأن هناك فشلاً في هذه المسارات، وهناك تقدم في هذه المسارات قد يكون بطيئاً لكن هناك تقدم وأحياناً يكون جوهرياً والإشكالية في هذه الجولة أنها لغمت قبل حدوثها من قبل جماعة الرياض في بيان (الرياض ٢)، فاللغة التي كتب بها البيان سنراها نحن كحكومة سورية وكذلك العديد من العواصم خطوة إلى الوراء بدلاً من أن تكون تقدماً إلى الأمام لأنها تطرح شروطاً مسبقة، وفق المبعوث الخاص فلا يجب على أحد طرح شروطاً مسبقة (....) إذاً لغة بيان الرياض كانت مستفزة وغير مسؤولة من الناحية السياسية ولا تناسب تطلعات الشعب السوري فيما يتعلق بهذه المحادثات وما دام الطرف الآخر يلتزم بخطاب (الرياض ٢) لن يكون هناك أي تقدم وهم يؤسسون العوائق بشكل طبيعي".

- مسار أستانا:

بخصوص مسار أستانا، عقد خبراء مجموعة العمل المشتركة حول الأزمة في سوريا يومي الـ ٢٣ والـ ٢٤ من يناير ٢٠١٧م اجتماعاً صدر في ختامه بيان أكد الالتزام بسيادة واستقلال ووحدة الأراضي السورية وأن الحل الوحيد للأزمة سيكون سياسياً، وأعلن عن تشكيل آلية ثلاثية لمراقبة وقف الأعمال القتالية والإصرار على محاربة الإرهاب. وبعدها بأيام أنهت وفود من روسيا وإيران وتركيا والأمم المتحدة إضافة إلى الأردن اجتماعاً

على مستوى الخبراء لمجموعة العمل المشتركة حول الأزمة في سوريا بالعاصمة الكازاخية (أستانا) في ٦ فبراير ٢٠١٧م، وكانت وزارة الدفاع الروسية قد أعلنت أن الاجتماع سيبحث سير تنفيذ نظام وقف الأعمال القتالية إضافة إلى وضع اجراءات للرقابة عليه والحيلولة دون حدوث خروقات وإجراءات أخرى لبناء الثقة وحل المسائل المتعلقة بإيصال المساعدات الإنسانية، وقال رئيس الوفد الروسي إلى الاجتماع (ستانيسلاف حجى محميدوف) نائب رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية، في مؤتمر صحفي عقب الاجتماع نقلته وكالة سبوتنيك: "إن خبراء روسيا وتركيا وإيران بحثوا مسألة تنفيذ اتفاق وقف العمليات القتالية في سوريا والاجراءات الخاصة بإنشاء آليات الرصد والمراقبة الفعالة من أجل ضمان الامتثال الكامل بهذا الاتفاق ومنع أي استفزازات، وناقش المشاركون في الاجتماع تدابير الثقة المتبادلة وضمان وصول المساعدات الإنسانية دون عوائق، وحددوا على الخارطة بشكل مفصل المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم جبهة النصرة الإرهابي والمعارضة، واتفقوا على مواصلة العمل على الفصل بين ما يسمى (المعارضة المعتدلة) في سوريا والتنظيمات الإرهابية ومحاربة تنظيمَي داعش وجبهة النصرة الإرهابيين".

أعدت روسيا وثيقتين إضافيتين حول مراقبة وقف الأعمال القتالية وتحديد شروطه والتزامات الأطراف بتوفير الممرات الإنسانية وتفاصيل أخرى، وكان الوفد الأردني إلى الاجتماع أطلع المجموعة على الوضع في جنوب سوريا وتطلع الفصائل الموجودة في المحافظات السورية الجنوبية للانضمام لنظام وقف الأعمال القتالية وعن استعدادها لخوض المعارك ضد التنظيمات الإرهابية الدولية مثل (داعش وجبهة النصرة) التي تنشط في جنوب سوريا - وفقاً لمحميدوف. ووصف ممثل الأمم المتحدة في اجتماع مجموعة العمل المشتركة (ميلوس شتروغر) الاجتماع بأنه ناجح، في حين أكد وزير الخارجية الروسي (سيرغي لافروف) على: "أن هذا الاجتماع يهدف إلى مناقشة الخطوات العملية لمراقبة تطبيق نظام وقف العمليات القتالية في سوريا من قبل الدول الضامنة، وسيسعى إلى تحفيز عملية المحادثات السورية - السورية الشاملة، وأن اجتماع أستانا التقني مكرس لجزء من تلك الاتفاقات السابقة التي تتناول سير أعمال مجموعة العمل المشتركة للبلدان الضامنة والتي تهدف إلى رصد امتثال جميع الأطراف بوقف العمليات القتالية، وينبغي على العسكريين بمشاركة الدبلوماسيين أن يناقشوا كيفية صياغة

مهمة واضحة لهذه الآلية". كما جدد وزير الخارجية الروسي تأكيد بلاده على ضرورة إنشاء تحالف موحد مناهض للإرهاب الدولي، مشدداً على أن إيران يجب أن تكون جزءاً من الجهود الشاملة لمكافحة الإرهاب، وأنه من دونها تبقى مكافحة هذا التهديد غير فعالة.

- (أستانا ٣) والعرقلة التركية:

تم عقد الاجتماع الدولي حول سوريا (أستانا٣) على مستوى عالٍ في إطار عملية أستانا يومي الـ ١٤ والـ ١٥ من مارس ٢٠١٧م، وقالت دائرة الإعلام في الخارجية الكازخية في بيان لها أن الاجتماع سيكون مخصصاً لإجراء المشاورات الأولية بينما سيكون اليوم الثاني مكرساً للجلسة العامة للمحادثات، وأن المحادثات في اجتماع أستانا المقبل ستحضرها وفود رفيعة المستوى من روسيا وإيران وتركيا، كما أرسلت دعوات حضور إلى ممثلي الأمم المتحدة والولايات المتحدة والأردن، وأن كازاخستان مستعدة لمواصلة الاستمرار في تقديم مساهمتها في الجهود الدولية لإيجاد حل سياسي للأزمة في سوريا، لاسيما أن نتائج اجتماعات أستانا السابقة وخصوصاً المتعلق منها باتفاق وقف الأعمال القتالية أتاحت الفرصة أمام الأطراف السورية للذهاب إلى مناقشة القضايا المطروحة في إطار عملية جنيف بموجب قرار مجلس الأمن الدولي (٢٢٥٤).

بالرغم مما جرى في أستانا، إلا أن هناك من كان لديه نيات غير سليمة تجاه الحل في سوريا، حيث أن تركيا تريد عرقلة مسار أستانا، وهو ما لم يتم على أرض الواقع بفضل الجهود الروسية والإيرانية وجدية وفد الجمهورية العربية السورية، وذلك ما أشار إليه الدكتور بشار الجعفري (رئيس وفد الجمهورية العربية السورية إلى اجتماع أستانا ٣) خلال مؤتمر صحفي في ختام الاجتماع بقوله: "أجرينا خلال اليومين الأخيرين مع كل من الأصدقاء الروس والإيرانيين مناقشات بناءة حول مختلف المواضيع التي تهدف إلى تعزيز نظام وقف الأعمال القتالية وتنسيق الجهود من أجل مكافحة الإرهاب والفصل بين المجموعات المسلحة الموقعة على اتفاق وقف الأعمال القتالية من جهة وبين تنظيمَي داعش وجبهة النصرة الإرهابيين، كذلك المجموعات المسلحة الأخرى التي لم توقع الاتفاق، كما تلاحظون تم عقد هذه الجولة الثالثة من أستانا ٣ والجلسة الختامية التي انتهت ولم يحضر وفد المجموعات الإرهابية المسلحة، والسبب هو أن تركيا الدولة

الضامنة لهم تريد عرقلة مسار أستانا، وهذا ما لم يتم على أرض الواقع بفضل الجهود الروسية والإيرانية الصادقة وبفضل جدية وفد الجمهورية العربية السورية"[1].

- نتائج مهمة لـ (أستانا ٣):

وصفت النتائج التي تم التوصل إليها في اجتماع أستانا ٣ بالمهمة، حيث أظهرت بادرة أمل في التوصل إلى حل، فبحسب نائب وزير الخارجية الكازاخستاني (عاقل بك كمال الدينوف): "نختتم الجولة الثالثة من مباحثات أستانا، وأود أن أشير إلى أن هذه المفاوضات تعتبر جزءاً مهماً من مباحثات ثلاثية ومتعددة الأطراف، ويعلق المجتمع الدولي الآمال على عملية أستانا لتسوية الأزمة في سوريا، ويثمن بشكل كبير ما تم التوصل إليه من اتفاقات لتثبيت اتفاق وقف الأعمال القتالية ومجموعة مراقبة لرصد الخروقات لهذا الاتفاق، كما تم أيضاً التوصل إلى اتفاق بشأن الوصول إلى معايير خاصة بتبادل المحتجزين لدى الجوانب المختلفة (....) لدينا مهام كثيرة معقدة علينا أن نضطلع بها ولكن ما تم التوصل إليه إلى الآن يدل بشكل كبير على أن عملية أستانا تعتبر ثمينة ومهمة للغاية (....) مباحثات أستانا ليست بديلة عن عملية جنيف وإنما تجري بالتوازي معها، وقد قمنا بتمهيد الطريق لعملية جنيف التي جرت خلال الأسبوعين الماضيين وكل ما يتم التوصل إليه في أستانا إنما يثري مباحثات جنيف ويؤثر بشكل إيجابي عليها، وعازمون على مواصلة التفاوض في أستانا بحيث تساهم هذه العملية بحل الأزمة في سوريا"[2]. وقد أكد ألدينوف في الصدد ذاته على أن بلاده ستبذل كل الجهود لدعم الحل السياسي للأزمة في سوريا، ليس فقط بتقديم أستانا كمنصة للمباحثات ولكن بتقديم كل الطروحات والمقترحات الضرورية لحل هذه الأزمة، منوهاً بالإرادة السياسية القوية من جانب الدول الضامنة.

بصفةٍ عامة، وبعد سبعة اجتماعات حول سوريا استضافتها العاصمة الكازاخية (أستانا) - كان آخرها في ٣١ أكتوبر - أكدت مجمل تلك الاجتماعات على الالتزام بسيادة واستقلال ووحدة الأراضي السورية ومكافحة الإرهاب فيها وتثبيت وقف الأعمال القتالية وإنشاء مناطق تخفيف التوتر.

١- وكالة سيريا ستار تايمز الإخبارية العالمية؛ متوفر على الرابط:

https://www.sst.sy/104091

٢- صحيفة تشرين الالكترونية؛ متوفر على الرابط:

https://www.tishreen.news.sy/?p=79845

- العراق يتقدم للمشاركة في اجتماع أستانا وأمريكا تشارك بصفة مراقب:

تقدم العراق بطلب رسمي إلى الحكومة الروسية لدعوة ممثليه إلى حضور الجولة الثامنة من اجتماع أستانا حول الأزمة في سوريا، والتي أعلنت الخارجية الكازاخية أن المشاورات الثنائية والمتعددة الأطراف للمشاركين في هذا الاجتماع ستجري ٢١ ديسمبر ٢٠١٧م بينما تعقد الجلسة العامة في الـ ٢٢ منه، ونقلت وكالة (سبوتنيك) الروسية عن بيان للوزارة قوله إنه: "من المقرر أن يشارك في هذا الاجتماع ممثلون عن الدول الضامنة لاتفاق وقف الأعمال القتالية [روسيا وإيران وتركيا] والأمم المتحدة والولايات المتحدة والأردن (بصفة مراقب)، إضافة إلى وفدي الحكومة السورية والمعارضة".

في هذه الأثناء أكد مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى سوريا رئيس الوفد الروسي إلى اجتماع (أستانا ٨) الكسندر لافرنتييف في مؤتمر صحفي أن الوجود الأمريكي في سوريا غير شرعي ولم تعد هناك أسباب وجيهة له بعد القضاء على تنظيم داعش الإرهابي، وأن الأسباب التي تطرحها الولايات المتحدة للإبقاء على قواتها في سوريا لا أساس لها بما فيها ذريعة حماية مخيم للمهجرين في منطقة التنف قرب الحدود السورية العراقية، ولذلك يجب على الأمريكيين إنهاء استمرار وجودهم هناك وعدم التذرع بالمسائل الإنسانية، و"مهمة هزيمة داعش" في سوريا اكتملت فعلاً وادعاءات الولايات المتحدة بأن وجودها هناك هو "لمنع ظهور داعش من جديد ولمنع المزيد من إراقة الدماء" مجرد مبررات وحجج لبقائها.

- (أستانا ٨) يشهد تقدماً في المحادثات:

في ختام اجتماع (أستانا ٨) رحبت وزارة الخارجية الكازاخية بالبيان المشترك الذي تبنته الدول الضامنة لاتفاق وقف الأعمال القتالية في سوريا، وقالت الوزارة في بيان لها: "إن تقدماً كبيراً في المحادثات تجسد حول عدد من المواضيع المطروحة على جدول الأعمال، حيث تواصل الأطراف التنسيق حول تدابير ضمان لا رجعة عنه لتخفيض العنف، وجرى التأكيد على أهمية الجهود اللاحقة لتعزيز نظام وقف الأعمال القتالية وضمان الأداء الفعال لكل مناطق خفض التوتر الأربع التي تم الاتفاق عليها". وجددت الدول الضامنة لاتفاق وقف الأعمال القتالية في سوريا في بيان صدر في ختام اجتماع (أستانا ٨) تلاه وزير خارجية كازاخستان (خيرات عبد الرحمانوف) تمسكها والتزامها بوحدة الأراضي السورية، وإيجاد حل سياسي للأزمة فيها، ودعت إلى اتخاذ خطوات دولية

عاجلة ونشطة لمساعدة السوريين على تحقيق حل سياسي. كما أعلنت عزمها التعاون بشكل وثيق للتحضير لعقد مؤتمر الحوار الوطني السوري في سوتشي بين الـ ٢٩ والـ٣٠ من شهر يناير ٢٠١٨م بمشاركة جميع شرائح المجتمع السوري. وقد تلت ذلك خطوات أخرى في إطار حل الأزمة في سوريا منها المحادثات تحت إشراف الأمم المتحدة في فيينا ومؤتمر الحوار الوطني السوري- السوري الذي عقد في سوتشي الروسية وفق ما هو متفق في أواخر شهر يناير.

- (أستانا ٩ و١٠).. التزام بالسيادة السورية ومكافحة الإرهاب:

عقدت الجولة التاسعة من محادثات أستانا في ١٥ مايو ٢٠١٨م، حيث أعرب رئيس وفد الجمهورية العربية السورية إلى اجتماعات أستانا (الدكتور الجعفري) عن الارتياح لنتائجها، وأكد في كلمة أن سوريا أنهت أحلام وأوهام القوى الاستعمارية ذاتها التي كانت تسعى لتقسيمها، وستواصل مكافحة الارهاب وتحرير كل شبر من أراضيها سواء من الارهاب أو من كل معتدٍ عليها. وفي السياق ذاته، جدد البيان الختامي المشترك للدول الضامنة لعملية أستانا التأكيد على الالتزام الثابت بسيادة سوريا واستقلالها ووحدة أراضيها، وضرورة تجنب الجميع لأي خطوات من شأنها المساس بهذه المبادئ وتقويض إنجازات صيغة أستانا، داعياً إلى ضرورة مواصلة مكافحة الارهاب في سوريا بهدف القضاء النهائي على تنظيمَي داعش وجبهة النصرة وكل التنظيمات الأخرى التي اعتبرها مجلس الأمن الدولي إرهابية، ومواصلة الجهود المشتركة لدفع العملية السياسية في سوريا على أساس قرار مجلس الأمن الدولي (٢٢٥٤) عبر دعم تنفيذ توصيات مؤتمر الحوار الوطني السوري- السوري في سوتشي وإجراء مشاورات مشتركة على أساس منتظم لممثليها مع المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى سوريا ومع الأطراف السورية، وضرورة تعزيز الجهود لتقديم المساعدات لجميع السوريين في مجال إعادة الحياة الطبيعية والسلمية، وتحقيق هذا الهدف يتم بضمان الإيصال السريع والآمن ومن دون معوقات للمساعدات الإنسانية، ومواصلة بذل الجهود المشتركة لتعزيز الثقة بين جميع الأطراف في سوريا. وبالتزامن مع ذلك، اتفقت الدول الثلاث على عقد جلسة لاحقة لمجموعة العمل المعنية بإطلاق سراح المخطوفين والمحتجزين والبحث عن المفقودين في أنقرة في يونيو ٢٠١٨م، وكذا عقد لقاء دولي عالي المستوى حول سوريا في نهاية يوليو بمدينة سوتشي الروسية.

عن الجولة العاشرة من محادثات أستانا في سوتشي الروسية، قالت الدول الضامنة في بيان لها في ختامها إنها عازمة على محاربة الإرهاب في سوريا من أجل القضاء نهائياً على تنظيمَّي داعش وجبهة النصرة الإرهابيين وجميع الأفراد والجماعات والمشروعات والكيانات الأخرى المرتبطة بهما وبتنظيم القاعدة كما حددها مجلس الأمن الدولي، وأكد البيان الختامي للجولة سيادة واستقلال ووحدة سوريا وسلامة أراضيها ومواصلة مكافحة الإرهاب.

- (أستانا ١١).. رفض أي تحرك انفصالي:

في حين اختتمت في العاصمة الكازاخستانية جلسات اجتماع أستانا بنسخته الحادية عشرة في ٣٠ أكتوبر ٢٠١٨م بتجديد الدول الضامنة تمسكها الصارم بسيادة واستقلال ووحدة أراضي الجمهورية العربية السورية وبأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ورفض جميع المحاولات لإنشاء حقائق جديدة على الأرض في سوريا بذريعة محاربة الإرهاب فيها، ورفض الأجندات الانفصالية التي تهدف إلى تقويض سيادة ووحدة الأراضي السورية؛ أكد الدكتور الجعفري في مؤتمر صحفي له في ختام الجولة على أن: "النظام التركي لم يحترم التزاماته بموجب اتفاق سوتشي حول إدلب الأمر الذي شجع الإرهابيين فيها على مواصلة استهداف المدنيين في محافظات حلب وحماة واللاذقية، وأنه إذا لم ينفَّذ الاتفاق بالسياسة فإنه سينفَّذ بأساليب أخرى"، مضيفاً أن: "صيغة البيان الختامي الذي صدر في ختام الاجتماع متوازنة وتعكس تعقيدات المشهد السياسي. وجرت خلال اليومين الماضيين مناقشة الكثير من النقاط المهمة وكان التركيز منصباً بشكل رئيسي على مسألة تدهور الأوضاع في إدلب وعدم احترام الجانب التركي لالتزاماته بموجب اتفاق سوتشي الموقع في السابع عشر من أيلول الماضي. وعدم احترام النظام التركي لالتزاماته انعكس بشكل سلبي على المدنيين السوريين الأبرياء حيث خرقت المجموعات الإرهابية الموجودة في إدلب اتفاق منطقة تخفيف التوتر خلال الشهرين الماضيين ٣٣٣ مرة عبر استهدافها المدنيين في محافظات حلب واللاذقية وحماة"، لافتاً إلى أنه: "بعد اجتماع أستانا الرابع قبل عام تم الاتفاق على إنشاء منطقة تخفيف التصعيد في إدلب، وكان الاتفاق ينص على أن الجانب التركي هو الضامن للمجموعات الإرهابية في إدلب لكن ذلك لم يحدث".

كما بيَّن الجعفري أنه يضاف إلى ذلك واقع آخر يعكس حالة فقدان الثقة والاطمئنان بعدم التزام النظام التركي حيال تطبيق تفاهمات أستانا المتعلقة بمنطقة خفض التوتر في إدلب؛ حيث إن اتفاق سوتشي ينص على أن تضمن السلطات التركية انسحاب المجموعات الإرهابية من حزام يمتد بعمق (١٥) إلى (٢٠) كم باتجاه الغرب، وهذا الأمر لم يحصل على الرغم من أنه مضى على اتفاق سوتشي شهران ونصف الشهر. وهذا هو السبب الذي مكّن المجموعات الإرهابية من قصف مدينة حلب أكثر من مرة ما أدى إلى استشهاد وإصابة عدد كبير من المدنيين. وآخر جرائم هذه التنظيمات الإرهابية استهدافها عدداً من الأحياء السكنية في حلب بقذائف تحوي مواد كيميائية، الأمر الذي يشير إلى أن هناك قراراً بالتصعيد الإرهابي من قبل رعاة التنظيمات الإرهابية المنتشرة في إدلب ولا سيما جبهة النصرة وداعش وكل المجموعات الأخرى المرتبطة بهما والمدرجة على قائمة مجلس الأمن للكيانات الإرهابية. كما أن القوات التركية التي دخلت الأراضي السورية بشكل غير شرعي والمنتشرة حالياً في عدة مدن وبلدات في شمال غرب سوريا تقوم بتغيير معالم المناطق التي تنتشر فيها من خلال محاولة إضفاء الهوية التركية على المناطق التي تحتلها، حيث قامت بتغيير اسم بلدة سورية من (قسطل مقداد) إلى "سلجوق أوباصي"، علاوة على ذلك تم فرض التعامل بالليرة التركية في المناطق التي تحتلها القوات التركية بدلاً من الليرة السورية، وتم رفع العلم التركي بدلاً من علم سوريا، كما تم تغيير مناهج التعليم الدراسية في المدارس أيضاً، حيث لم تعد هناك مناهج دراسية سورية من إعداد الحكومة السورية إنما مناهج دراسية تعدها السلطات التركية وهذا عدوان واحتلال واضح.

في الختام، يمكننا القول إن ملف التسويات والمصالحات في سوريا أخذ مساره داخلياً بشكل صحيح وجيد وحقق نتائج ملموسة على الأرض نتيجة المبادرات المحلية التي دعت إليها الدولة السورية وصبت جهودها لأجل إنجاحها؛ إذ جيَّشت أغلب مؤسساتها لتحقيق الهدف منها، وكان لوزارة المصالحة والمؤسسة العسكرية والإدارة المحلية دور بارز في هذا الإطار الذي أخذ مساره بشكل تدريجي في أغلب المناطق وحقق ما لمسه المواطن السوري من أمن واستقرار على مساحة واسعة من الجغرافيا السورية، وذلك في ظل تباطؤ الدور الأممي أحياناً وانكفائه حيناً آخر.

على أي حال، يمكننا القول - بغض النظر عن بعض التحفظات على دور الأمم المتحدة وأحد أطراف الدول الضامنة لمسار أستانا والذي بات معروفاً لمن لا يريد أن يضع الغشاوة نصب عينيه - إن مسار التسويات والحلول بمختلف أشكالها وألوانها قد ساهمت - جنباً إلى جنب مع انتصارات الجيش العربي السوري - في إنجاح الهدف الذي ابتغته الدولة السورية والدول الحليفة لها في تحرير أغلب الجغرافيا السورية من براثن الإرهاب. وها هو الشعب السوري ينظر بعين الرضى لما تحقق من إنجازات ويتطلع إلى بلوغ النصر النهائي على الإرهاب - وكيلاً وأصيلاً - ودحر مشروعات داعميه، للدخول في مرحلة البناء والإعمار في البشر والحجر، وبما يعيد لسوريا حضورها الفاعل إقليمياً ودولياً.

مستقبل توزان القوى بين محور المقاومة وإسرائيل

"قراءة تحليلية على هامش الصراع على سوريا"

د. عفيف دلا
كاتب وباحث سوري في الشؤون السياسية والاستراتيجية.

مقدمة:

يُعتبر الصراع بين محور المقاومة (إيران – سوريا – حزب الله) والكيان الصهيوني صراعاً بنيوياً غير مستجد، فالطرفان يعبران اليوم عن جوهر الصراع التقليدي – عالمياً – بين منظومة القوى الاستعمارية ومنظومة قوى التحرر من الاستعمار. وقد اتخذ هذا الصراع البنيوي شكله الحالي بعد مراحل طويلة مر بها، تطورت خلالها مسارات الاشتباك بين المنظومتين وخلقت مناخاً جديداً من الصراع ليس في المحيط الإقليمي فحسب بل والدولي أيضاً.

إن الاصطفاف الذي تعبر عنه القوى المتصارعة اليوم على المحورين هو وليد مراحل من الاشتباك التي لم يستطع خلالها أيٌ منهما حسم الصراع لصالحه، حيث استمر الصراع متخذاً أشكالاً متعددة في أنماطها، لكنها في جوهرها لم تخرج عن جوهر ذلك الصراع وحقيقته في كونه صراعاً بنيوياً وجودياً لا مجال فيه لاستمرار أي منهما في ظل وجود الآخر، إذ لا وجود لفرصة فعلية للتعايش مع واقع وجودهما جنباً إلى جنب ضمن أي ظروف جيوسياسية.

فالأدبيات والأسس الأيديولوجية للصهيونية تؤكد أن وجود الكيان الصهيوني وتوسع مشروعه لا يمكن أن يتحقق إلا على حساب الموجودين في محيطه وبشكل إحلالي مطلق على مستوى الهوية والوجود السياسي والاقتصادي بل وحتى على مستوى الوجود الفيزيولوجي، فمجازر التطهير العرقي ومشاريع الحروب الأهلية والمذهبية التي قامت بها الصهيونية في أمتنا بل وفي العالم، وكذا بيئات الصراع المختلفة التي خلقتها في

أماكن متفرقة في العالم، تدل على أن مشروعها يقوم على تفتيت بُنى المحيط وإعادة تركيبها وفق فلسفة صهيونية صرفة. ناهيك عن وصفات التبعية الاقتصادية عبر مؤسسات الهيمنة العالمية كالبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية لتذويب الإمكانات الاقتصادية لدول العالم وبقاء تحكم رأس المال العالمي بمصائر الشعوب واحتماليات تطورها وفرص التنمية فيها.

بالمقابل، فإن محور المقاومة يقوم في حربه مع هذا الكيان على أسس أيديولوجية تنطلق في الحقيقة من فهم وإدراك الأسس الأيديولوجية الصهيونية ومقاصدها، وعبر تاريخ طويل من الصراع كشف فيه الكيان الصهيوني ومن ورائه الغرب الاستعماري عن وحشية هذا المشروع الإحلالي على كل المستويات، حيث قامت دولة إسرائيل المزعومة على أرض فلسطين وتوسعت في احتلالها لتشمل أراضٍ عربية أخرى في سوريا ولبنان ومصر. وعبر أجيال وأجيال بقيت قضية تحرير الأرض والإنسان هي الرسالة المتوارثة للأجيال التي تنتمي لقوافل لا متناهية من الشهداء وقوائم لا نهائية من الحقوق المسلوبة.

أولاً: الأهداف الحقيقية لأطراف الصراع

تجدر الإشارة في البداية إلى أن هذا الصراع فرضه منطق القوى الاستعماري الذي يسعى لتكريس وجوده من خلال بسط القوة والهيمنة على باقي دول العالم، والتمدد على حساب جغرافياتها وسياداتها للتحكم بمقدراتها وتعظيم قدراته الاستعمارية. وبالتالي فإن الكيان الصهيوني ومن يقف وراءه من قوى الاستعمار الغربي هم من فرضوا هذا الصراع بأشكاله المختلفة عبر مراحل التاريخ تحقيقاً لمشروعهم في العالم بأسره وليس فقط في المنطقة.

- أهداف الكيان الصهيوني:

١- تدمير المنظومة المفاهيمية والقيمية لشعوب الأمة العربية، أي في المحيط الحيوي التي يقبع فيه الكيان الصهيوني بهدف تفتيته بنيوياً. مع ما يترتب على ذلك من استبدال منظومة المفاهيم النضالية التحررية ضد الاحتلال بكل أشكاله من خلال ما يأتي:

- طمس الهوية القومية التي تشكل الرابطة الفعلية لأبناء الأمة العربية من خلال إجهاض المشروع القومي العربي ومدخلاته بالكامل، والتقليل من واقعية أي طرح قومي من خلال تطويع الأنظمة السياسية العربية الحاكمة

ودفعها لانتهاج سياسة تبتعد عن تداول فلسفة الرابطة القومية وثقافتها، وتبني سياسات تخدم تعزيز منطق التمايز الوطني على حساب القومي وإذكاء روح العصبية الوطنية على حساب المشترك القومي في المنابر السياسية والإعلامية والاجتماعية، بحيث تصبح مفردات الرابطة القومية مجرد خرافات أو أضغاث أحلام لا معطيات واقعية لها على الإطلاق، وبالتالي تنسلخ الرابطة القومية من الوجدان الشعبي الجمعي على مستوى الأمة العربية بكاملها وتصبح مجرد رواية كلاسيكية لا تجد آذاناً صاغية أو عقلاً مقتنعاً بها.

- استهداف الهوية الوطنية في كل بلد عربي من خلال إذكاء الخطاب الطائفي والمذهبي والإثْنِي عبر دعم الأقليات العرقية والطائفية وبث شعور القلق فيها حول ضمان وجودها واستمرارها وعدم انسجامها مع بقية المكونات المجتمعية الأخرى داخل المجتمع الواحد، وذلك من خلال اختراق بعض هذه الأقليات في رموزها أو شخصياتها وشراؤها بالمال لتبني ثقافة الانعزال ضمن البيئة الاجتماعية الوطنية من منطلق التمايز وبث مشاريع الانفصال ودعمها، بهدف إيصال الفرد لقناعة مفادها أن لا جامع بينه وبين أي فرد آخر في مجتمعه، مستغلين في ذلك ضغط لقمة العيش وتراجع اللغة الأيديولوجية في المجتمع وتغييب النخب الثقافية وانحدار المستوى الثقافي العام للمجتمع وتبنيه لثقافة استهلاكية فردية تعزز "الأنا" دون المشترك الجمعي.
- استهداف روح القضية الواحدة من خلال خلق خارطة مصالح متباينة على مستوى الأمة العربية، ويعزز من ذلك سياسات الأنظمة السياسية العربية المتحالفة مع الكيان الصهيوني سراً أو علناً، الأمر الذي يميع القضية الواحدة ويصبح لكل بلد قضيته الخاصة، لا بل لكل تجمع عرقي أو إثني أو طائفي أو مذهبي قضيته الخاصة دون الآخر، بما يوصل الجميع إلى واقعٍ تتشرذم فيه القضية الجامعة ومعها المجتمعات بكاملها لصالح الفردية المحضة. وبالتالي لن يبقى أحد يتحدث عن قضية واحدة لأمة باتت أمماً وشعباً أمسى شعوباً وقبائل متناثرة على مساحات الجغرافية بقضايا متباينة، لا بل ومتناقضة

أيضاً فيما بينها، فتضيع الهوية وتميع القضية، وبذلك ينشغل الشعب بما هو هامشي على حساب ما هو استراتيجي دون أن يشعر حتى.

- تصنيع أعداء داخل البيت الواحد سياسياً أو دينياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً. ففي ظل تباعد المصالح السياسية تغدو المواقف والعلاقات متوترة غير مستقرة، لا بل وتنذر بصراعات ونزاعات متعددة الأوجه، إضافة إلى دعم قوى وتيارات المعارضة السياسية الداخلية ودعمها بشكل مباشر وتقديمها عبر منابر الإعلام والسياسة الدولية كقوة مخلِّصة من واقع الاستبداد والديكتاتورية التي تعصف بمجتمعاتنا العربية، وربطها مباشرة بإدارات سياسية واستخباراتية خارجية، وتقديم الدعم المالي المستمر لها كواجهة بديلة وجاهزة للأنظمة السياسية الممانعة لإرادة الصهيوني وحلفائه. وبالنسبة للعامل الديني فهو أبرز عوامل الاستعداء الداخلي، ففيه بيئة خصبة لإبراز مظاهر التناقض والخلاف التاريخي بين مكونات طائفية ومذهبية، معتمدين في ذلك على قوى دينية شكَّلها الغرب الاستعماري والصهيونية العالمية لتكريس الفرقة والانقسام داخل البيت الواحد، لا بل والدفع باتجاه صراعات دموية لا نهاية لها. وفي سبيل ذلك تكرست منابر إعلامية لا حدود لها تبث سموم التفرقة والفتنة الدينية لتزيد من حجم التناقض داخل المجتمعات العربية. أما اجتماعياً واقتصادياً فيتم الاستهداف من خلال تعزيز الفوارق الطبقية في المجتمع عبر الضغوط الاقتصادية والحصار الذي يفرض على مجتمعات بعينها بهدف جعل الهاجس الأساسي لأي فرد فيها هو الحصول على لقمة العيش نتيجة ضغط الواقع المعيشي والذي يترافق حتماً مع بروز ظواهر الثراء الفاحش في المجتمع نتيجة الصراع الدائر على لقمة العيش بالنسبة للسواد الأعظم من أفراد المجتمع، مع الأخذ بعين الاعتبار سياسات ربط كتل رأس المال الموجود في أي بلد بحركة رأس المال الإقليمي والعالمي، وبالتالي التحكم بمسارات بقائه كقوة رأسمالية، لا بل وتعظيم دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية من خلال تكريس نزعة اللاانتماء واللاهوية إلاّ للمال والمال وحده. وبالطبع كل ذلك من شأنه خلق أعداء كثر بوجوه مختلفة ومتعددة داخل كل مجتمع عربي

وعلى المستوى الكلي كأمة عربية، ما يجعل كل تلك المجتمعات تنشغل في صراعاتها السياسية والدينية والاجتماعية والطبقية على حساب صراعها الأساسي مع الصهيوني. وما أكذوبة "الخطر الإيراني" إلا دليل إثبات على ما تم ذكره هنا، فضلاً عن كونه عنواناً يجمع العامل السياسي والديني معاً من البوابة الطائفية.

٢- خلق واقع جيوسياسي جديد من خلال اصطفافات جديدة في عمق الأمة العربية يهدف إلى عزل محور المقاومة وإظهاره على أنه حالة منفردة غريبة عن محيطها ولا تنتمي إليه مفاهيمياً أو على مستوى الهوية والمستقبل. وتكريس تلك الاصطفافات من خلال حشد الدعم والتأييد الدولي لها وممارسة الضغوط على محور المقاومة لدفع الشعب والرأي العام للابتعاد عن دعمه وإنكار واقعية مشروعه من خلال الزعم بعدم وجود معطيات فعلية له، وجر العامة في الأمة العربية إلى أولويات حياتها الضاغطة اقتصادياً.

٣- هيمنة دولة الكيان الصهيوني على مستوى المنطقة في حال نجاح الأهداف السابقة، وبمقدار ما تقترب فعلاً من تحقيقها؛ تقترب أيضاً من هدفها الاستراتيجي في الهيمنة المطلقة على المنطقة وإعلان تفوقها كقوة إقليمية كبرى تبسط سيطرتها على أرجاء المحيط الإقليمي بالكامل دون منازع، وتتحكم بمقدرات الشعوب والدول كما تشاء، وتعلن قيام دولتها الكبرى بعد تفتيت كل الأمة العربية كهوية قومية وكهويات وطنية وكقضية جامعة وكعدو واحد مشترك، وتدير هي بدورها صراعات الأمة الداخلية التي تخلقها في كل بقعة من بقاعها بما يكفل استمرار القتال والصراع وحمام الدم دون توقف.

- **الأهداف الاستراتيجية لمحور المقاومة:**

١- تعزيز منظومة المفاهيم والقيم المقاومة لقوى الهيمنة والاستعمار الغربي والاحتلال الصهيوني كعامل ضامن لبقاء حالة السيادة للدول والاستقلال لقرارها السياسي، ونبذ التبعية المغلفة بوصفات جاهزة سياسية أو اقتصادية تحت عناوين التحالفات والمصالح المشتركة أو التكتلات الاقتصادية التي من

شأنها - في الواقع - سلب الدول قرارها المستقل وسيادتها والتحكم بقرارها ومقدرات شعوبها.

٢- تكريس العوامل الجامعة لأبناء وشعوب المنطقة من خلال التركيز على هوية العدو وحتمية المصير المشترك من منطلق المواجهة المفروضة لهذا العدو ومشاريعه وخططه في المنطقة.

٣- خلق مناخ من توازن القوى مع منظومة القوى الاستعمارية في المحيط الإقليمي تقوم على بناء قدرات دول محور المقاومة عسكرياً واقتصادياً في المرحلة الراهنة، والسعي لإجهاض مشاريع التفتيت والتمزيق السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي لشعوب المنطقة.

٤- توسيع رقعة مناطق النفوذ الاستراتيجية لدول محور المقاومة من خلال النفاذ إلى العمق الاستراتيجي للكيان الصهيوني (مجتمعات الخليج العربي والعراق)، وحصر خط الاشتباك مع العدو الصهيوني ضمن حدود تلك الخطوط الساخنة وحماية عمق محور المقاومة. ولذلك سعى الصهيوني ومن معه لاختراق نظرية "حد الاشتباك" من خلال محاولة استهداف حزب الله في يوليو ٢٠٠٦م، ولا حقاً في سوريا تحت مسمى حراك الربيع العربي في المنطقة.

٥- التخلص من وجود الكيان الصهيوني في المنطقة من خلال:

- إضعاف فاعلية علاقاته ومنظومة تحالفاته مع بعض الأنظمة السياسية العربية والإقليمية من خلال إفشال أهدافه ومساعيه.
- تعزيز النزعة الجماهيرية الرافضة لوجود الكيان أو لإقامة أي علاقة معه تحت أي مسمى عبر تكريس حقائق ممارساته العدوانية بحق شعوبنا ودولنا والتركيز على هويته كعدو أوحد وأزلي للشعوب قبل الأنظمة السياسية، وذلك من خلال تقوية المنابر الإعلامية التي تخاطب الجمهور العربي وتستثير مشاعره العدائية تجاه الكيان الصهيوني، والتذكير المستمر بممارساته وأهداف مشاريعه وسبب وجوده.
- تكريس مفهوم ضعف الكيان الصهيوني وعجزه في المرحلة الراهنة أمام تعاظم قدرات محور المقاومة، وخاصة بعد المواجهات الأخيرة منذ تحرير الجنوب اللبناني في ٢٥ مايو ٢٠٠٠م مروراً بحرب يوليو ٢٠٠٦م وحرب غزة

(٢٠٠٨م – ٢٠٠٩م)، وأخيراً في سوريا وإعادة ضبط قواعد الاشتباك معه من خلال تصدي الجيش العربي السوري لكل محاولات الاعتداء الصهيوني عسكرياً وإفشال مشروعه المعتمد على القوى الإرهابية ولا سيما في الجبهة الجنوبية لسوريا.

- توسيع رقعة التحالفات الإقليمية والدولية لدول محور المقاومة من خلال خلق خارطة مصالح جديدة تكرس قوة وفاعلية محور المقاومة اقتصادياً وسياسياً على المستوى الإقليمي والدولي، وهذا ما تفعله إيران من خلال تعزيز علاقاتها مع دول وسط آسيا وشرق آسيا، وما تفعله أيضاً سوريا من خلال تحالفها الاستراتيجي مع روسيا ودول أخرى في العالم، الأمر الذي يفك طوق العزلة الذي يريد الكيان الصهيوني ومن معه فرضه على دول محور المقاومة.
- استهداف مرتكزات الكيان الصهيوني في المنطقة وتقويض فاعليتها سواء كانت أنظمة سياسية أو قوى وتيارات سياسية أو منظمات، بما ينعكس على فشل مخططات الكيان الصهيوني ويرتد في داخل الكيان الصهيوني كأزمات سياسية وأمنية استراتيجية.

ثانياً: أهداف الطرفين في إطار الصراع على سوريا

- أهداف الكيان الصهيوني:

١- ضرب محور المقاومة في العمق من خلال القضاء على الدولة السورية الداعمة للمقاومة والتي تشكل جسر عبور بين طهران وحزب الله ورأس حربة للمشروع القومي العربي.

٢- القضاء على منطقة النفوذ الإيراني الاستراتيجية في لبنان وسوريا، وبالتالي التحضير للانقضاض على إيران في عمقها مباشرة.

٣- تصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائي وتثبيت واقع السيطرة الصهيونية المطلقة على فلسطين وضياع حق عودة اللاجئين الفلسطينيين بشكل نهائي، الأمر الذي يعني تثبيت واقع جيوسياسي جديد كما يريده الكيان الصهيوني.

٤- تشكل تكتل سياسي اقتصادي تقوده إسرائيل ومعها الأنظمة السياسية العربية والإقليمية الحليفة لها في ظل خارطة جيوسياسية جديدة تحوي دويلات صغيرة وكانتونات عرقية ومذهبية وطائفية يسيطر عليها الكيان الصهيوني.

- أهداف دول محور المقاومة:

١- التصدي لمشروع إسقاط الدولة السورية بما تشكله من عقدة الوصل لدول محور المقاومة.

٢- تثبيت منطقة النفوذ الخاصة بمحور المقاومة في المحيط الحيوي للكيان الصهيوني مهما كلف الأمر للإبقاء على قواعد الاشتباك مع العدو الصهيوني دون مساس جوهري بها، لا بل تكريس حالة التفوق الحاصلة لمحور المقاومة من خلال إفشال المشروع الاستراتيجي للعدو الصهيوني.

٣- خلق منظومة مواجهة جديدة من خلال استحضار قوى دولية إلى ساحة الصراع تمثلت في روسيا والصين، ومحاولة تكييف خارطة مصالح جديدة من خلال الاستفادة من فشل المشروع القائم على القوى الإرهابية في سوريا ولا سيما من خلال إعادة التشبيك مع تركيا ومحاولة تحييدها - نسبياً - عن المظلة الأمريكية في المنطقة من بوابة المصالح المشتركة.

٤- مواجهة الأنظمة السياسية الخليجية الحليفة للكيان الصهيوني والتي تحاول التضييق على إيران بهدف الهيمنة المطلقة للأجندة الصهيونية على منطقة الخليج وعزل إيران في محيطها الضيق بالتوازي مع محاولة إبعادها عن سوريا وحزب الله .

ثالثاً: أبرز التحولات الطارئة على أهداف القوى المتصارعة والصياغات المحتملة للأهداف

١- إن فشل مشروع الكيان الصهيوني في سوريا وفي اليمن كان له بالغ الأثر في تمدد محور المقاومة إقليمياً ودولياً؛ إذ عبر عن قوته وقدرته على المواجهة والثبات، وأظهر بعض ما لديه من نقاط قوة عززت حضوره الإقليمي والدولي، وسمحت بوجود شراكات جديدة من وحي الاصطفافات المستجدة للقوى في ساحة الصراع .

٢- إن إعادة التموضع للقوى المتصارعة من وحي ضرورة محاكاة واقع انتصار محور المقاومة مكّن دول محور المقاومة من تعزيز أجندتها ورؤيتها لما يجب أن يكون عليه شكل وطبيعة التكتلات الجديدة في المنطقة بقيادة محور المقاومة وحلفائه.

٣- إن الحضور الروسي في المنطقة اليوم لن يكون طارئاً أو مؤقتاً، فروسيا اليوم تعبر عن قطبيتها بلعب دور فاعل في ساحة الصراع التي اعتادت الولايات المتحدة على التحرك فيها كما تشاء، وبالتالي، بات النفوذ الروسي في المنطقة يشكل مصلحة استراتيجية عليا يجب الحفاظ عليها وتكريس وجودها من خلال تشبيك اقتصادي وأمني وسياسي عالي المستوى مع منظومة الحلفاء. وهذا الأمر - بطبيعة الحال - سيرخي بظلاله على واقع الصراع مع الكيان الصهيوني، الأمر الذي لن يسمح له بالتمدد في منطقة نفوذ قوة عظمى كروسيا الاتحادية، فالحسابات اليوم اختلفت عما كانت عليه بالأمس.

٤- إن تزويد سوريا بمنظومات دفاع جوي روسية متطورة قد غير واقع الردع مع الكيان الصهيوني لصالح محور المقاومة وكبل الكيان عسكرياً - بالمعنى الاستراتيجي - وحدّ من تطلعاته ومشاريعه على مستوى المنطقة.

٥- إن الإخفاق الكبير لمنظومة الخليج في اليمن أظهر عجز القوى الخليجية الحليفة للولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وسيكون لذلك انعكاساته الكبيرة على مستوى تمدد النفوذ الإيراني في منطقة الخليج كقوة إقليمية راعية للسلام ومتفوقة في قدراتها على حساب منافسيها من أنظمة سياسية خليجية متحالفة مع إسرائيل ومتهالكة في قدراتها العسكرية والسياسية والاقتصادية حتى.

٦- إن الكيان الصهيوني لا بد وأنه سيسعى إلى التعويض عن فشله بما ظل متاحاً له من هامش حركة من خلال خلق منظومة تحالف جديدة يقودها هو على مستوى المنطقة، بحيث تعود مجدداً لتبني استراتيجية القوة الناعمة في الاختراق والاستهداف لمحور المقاومة على اعتبار فشل المواجهة العسكرية المباشرة وغير المباشرة.

٧- إن الصراع الجديد في المنطقة سيكون على تشكيل تكتلات اقتصادية جديدة تضم قوى إقليمية ودولية تخلق خارطة مصالح جديدة وتضيّق هوامش المصالح لمنظومة العدو، وبالتالي، العمل هو على تكييف الواقع بذاك الاتجاه.

رابعاً: نبذةٌ عن المعطيات الميدانية الراهنة وواقع تحول ميزان القوى بين محور المقاومة والكيان الصهيوني

بات الجيش العربي السوري والقوات الحليفة له يسيطرون على ٥٦٪ بالمائة من مساحة الأرض السورية، بما يعني أن الهامش المتبقي من مساحة الاشتباك لم يعد يتسع لحراك كل تلك القوى التي كانت منخرطة في الصراع. ولذلك، ظل الطرف التركي يتحرك في تلك المساحة المتبقية مع بضع قوات فرنسية ووحدات نخبة بريطانية (على مستوى خبراء) في تطوير أسلحة الفصائل الإرهابية لبقاء استمرار وجودها وإطالة عمرها قدر المستطاع، وتحديداً في إدلب وجزء من ريف حلب الشمالي الغربي وجزء من ريف حماه الشمالي الشرقي عبر عناصر تنظيم جبهة النصرة الإرهابية. في حين كانت القوات الأمريكية تتموضع في قاعدة التنف في ريف دير الزور الشرقي وبعض المناطق شرق الفرات وتقوم بتقديم دعم لوجستي للميليشيات الكردية الانفصالية (قوات الحماية الكردية وقوات سورية الديمقراطية)، ونتيجة التقدم الحاصل عسكرياً خلال الآونة الأخيرة لصالح الجيش العربي السوري وحلفائه، قررت الولايات المتحدة سحب قواتها العسكرية من سوريا مستبقة للحظة مواجهة آتية لا محالة مع الجيش العربي السوري وحليفه الروسي اللذين أعلنا منذ البداية أن قرار استعادة كامل الأرض السورية هو قرار سيادي لا رجعة عنه مهما بلغت التكاليف؛ أو أنه انسحاب حتمي لتفادي المواجهة العسكرية وتداعياتها، فكان غطاء الانسحاب السياسي هو إعلان القضاء على تنظيم داعش الإرهابي في سورية، وتلك كانت الذريعة المتداولة أمريكياً لوجود قواتها في سوريا.

نتيجة ذلك، قامت الميليشيات الكردية بسحب قواتها وتسليم مواقعها في منبج (قرية في شمال حلب). ومن المنتظر تسليم باقي المدن والقرى في شرق الفرات تباعاً لقوات الجيش العربي السوري، تفادياً لهجوم تركي كان قد أعلن عنه الرئيس التركي موجهاً ضد قوات الميليشيات الكردية في شرق الفرات، وذلك في ظل تخبط في المواقف الأمريكية والتركية والإسرائيلية بعد قرار الانسحاب.

هذا الواقع الميداني اليوم يمهد الطريق أمام القوات السورية لاستعادة سيطرتها على كامل أراضيها، كما تدفع لإعادة تفعيل التنسيق الروسي التركي في سوتشي وتحت مظلة اتفاق أستانة وللحيلولة دون مواجهة عسكرية سورية تركية على الأراضي السورية. وفي السياق ذاته أيضاً، تندلع مواجهات عسكرية محتدمة بين الفصائل الإرهابية في إدلب ومحيطها، الأمر الذي سيسهل أيضاً عملية الانقضاض السوري على ما تبقى من فصائل إرهابية في إدلب ومحيطها.

ذلك الواقع برمته يقود إلى تقوية محور المقاومة كطرف منتصر في معادلة الصراع، ويثبت حدوث تراجع استراتيجي للكيان الصهيوني، فجميع الأهداف المرتبطة بكسر العمود الفقري لمحور المقاومة من خلال محاولة إسقاط الدولة السورية قد باءت بالفشل وأثمرت واقعاً مجهضاً لتلك الأهداف، حيث ثبّت هذا الواقع أقدام محور المقاومة أكثر في محيط الكيان الصهيوني، وثبّت بالتالي منظومة محور المقاومة الفكرية والمفاهيمية حول مسألة الصراع مع الصهيوني، وشكّل انتكاسة كبيرة لاتباع المشروع الصهيوني في المنطقة باعتباره مشروعاً مهزوماً بالمعنى الاستراتيجي. فالقوى الحليفة لمحور المقاومة باتت اليوم حاضرة وبشكل مباشر في ساحة الصراع، وأصبح تحالفها مع دول محور المقاومة مصلحة استراتيجية عليا لها معطياتها الاقتصادية والسياسية. وبهذا الشكل يحسب لمحور المقاومة فوزه في ترجيح كفة ميزانه في المنطقة برمتها على حساب الكيان الصهيوني ومشروعه.

خامساً: رؤية استشرافية بخصوص مستقبل توازن القوى بين الطرفين والتأثيرات المتوقعة في تحقيق اهدافهما

إن مستقبل التوازن بين طرفي الصراع في هذه المرحلة محكوم بمجموعة من العوامل منها ما يعتبر ثابتاً في معادلة الصراع لم يتبدل منذ بدء هذا الصراع لا بل وربما يعتبر أساساً منطقياً في أي نوع من الصراعات بين القوى في كل مرحلة تاريخية، والآخر متغير قابل للتبدل بفعل ظروف المرحلة وما فيها من معطيات تتبدل بدورها وتؤثر على سياق الصراع جزءاً أو كلاً.

فميزان القوى السياسي اليوم وفي ضوء ما تحقق في ساحة الصراع السورية يشير إلى تنامي حضور وفاعلية المنظومة الحليفة لمحور المقاومة، وبالتالي تنامي فاعلية دول محور المقاومة نفسها التي تجاوزت مستنقعات الاشتباك العسكري والسياسي المباشر

وأثبتت أنها ليست لقمة سائغة يمكن ابتلاعها، فالحضور السياسي والعسكري لروسيا وتوقيعها على عدد من عقود التنقيب عن النفط والغاز في المتوسط مع الدولة السورية ومشروعها الاقتصادي الكبير التي ترمي إليه من البوابة التركية - أيضاً - والذي يسعى لتفعيل الاتحاد الأورو - آسيوي من شأنه تعزيز الحضور الروسي في هذا الجزء من العالم، وبالطبع ذلك سيكون على حساب تراجع الحضور الأمريكي الذي أمسى متهالكاً وغير ذي فاعلية مقارنة بالسابق، علماً أن ظروف المواجهة المفتوحة والشاملة ليست متوفرة اليوم بين قوى الصراع الكبرى، فلا مناص من تفاهمات تمليها ضرورة محاكاة الواقع والبراغماتية السياسية بشكل أو بآخر. وبالطبع إن ذلك الحضور لن يتوقف عن الحدود الاقتصادية بل سيخلق نوعاً من التوازن على مستوى القوى المتصارعة بحكم الحاجة لبيئة مستقرة تنتعش فيها الفرص الاستثمارية والمصالح الاقتصادية وتتوسع فيها رقعة الشراكات المحتملة، فضلاً عن الدور الصيني الذي يسعى للحضور في هذه الرقعة من العالم - أيضاً - من بوابة مشروع الحزام والطريق الذي طرحه الرئيس الصيني (تشي جين بين) منذ عام ٢٠١٣م.

أي أن حضور القوى الكبرى في المنطقة سيشكل عاملاً مساعداً على خلق مناخ من التوازن والاستقرار بحكم المصلحة، فضلاً عن عوامل القوة التي أثبتت دول محور المقاومة امتلاكها.

كما أن التراجع الأمريكي المحتمل في المنطقة عموماً وتوجهه إلى مناطق أخرى كشرق آسيا ووسط آسيا لقطع الطريق على طموحات الصين الاقتصادية في العالم سيفسح المجال أمام المنطقة لتتنفس مجدداً ولو بشكل حذر في ظل وجود الكيان الصهيوني وأتباعه الذين سيحاولون بالتوازي إقامة مناطق تعاون وتشبيك اقتصادي يكرس التطبيع العلني مع الكيان في المنطقة، وهذا ما أعلن عنه النظام السعودي ويقوده على مستوى منطقة الخليج برمتها، فهذا الأمر بدا واضحاً من خلال زيارة رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو إلى سلطنة عمان والبحرين وحديثه عن فتح الباب واسعاً أمام علاقات جيدة ومعلنة مع دول المنطقة العربية.

أما فيما يتعلق بالميزان العسكري للقوى، فالمؤشرات السياسية ترخي بظلالها دون شك على واقع الاشتباك العسكري الذي بدأت عوامله المباشرة تضمحل في ضوء نتائج وتداعيات الاشتباكات الأخيرة التي ربما استخدمت كامل ذخيرتها من القوة العسكرية

باستخدام آلة الإرهاب تارة والعدوان العسكري المباشر تارة أخرى كما حدث في أبريل ومايو ٢٠١٨م في سوريا، حيث تعرضت لعدوان ثلاثي (أمريكي - فرنسي - بريطاني) في أبريل، ثم عدوان صهيوني واسع في الشهر الذي تلاه.

في الواقع، إن تزويد سوريا بمنظومات الدفاع الجوي الروسية (إس ٣٠٠) كان له بالغ الأثر على ميزان القوى العسكري بين محور المقاومة والكيان الصهيوني على مستوى الردع لأي عدوان محتمل، فضلاً عن أن ذلك يعتبر رصيداً مباشراً في قدرات حزب الله العسكرية أيضاً؛ إذ أنه بعد الحرب على سوريا باتت جبهات الاشتباك واحدة لا يمكن الفصل بينها منطقياً، وهذا ما أثبتته الوقائع من خلال انخراط حزب الله بشكل مباشر في محاربة الإرهاب إلى جانب الجيش العربي السوري في سوريا.

إذا ما تبلورت منظومة حلفاء المقاومة بشكلها الاقتصادي المتوقع في مرحلة ما بعد الحرب على سوريا وإعادة الإعمار، فإن ذلك - دون أدنى شك - سيعزز كفة دول محور المقاومة كلاعب أساسي تفرضه خارطة المصالح الجديدة. وبهذا المعنى، نستطيع القول إن أمام محور المقاومة فرصة تاريخية لتوسيع نفوذه وحضوره في المنطقة والعالم، ولا ينبغي نسيان الأهمية القصوى للبعد المفاهيمي والقيمي لمشروع المقاومة والذي لا بد له من استمرار التعبير عن ذاته سياسياً واجتماعياً على مستوى توسيع مساحة التأييد الشعبي له، والاستفادة من الحاصل في ساحة الصراع السورية لتعزيز واقعية ومشروعية طرحه السياسي ولا سيما تلك المتعلقة بالهوية الجامعة والقضية الجامعة والعدو المشترك، بحيث يستمر في تعميم منظومته المفاهيمية للتأثير بنيوياً في كيان العدو الصهيوني، ويعيد إحياء متطلبات النهوض العربي كمشروع قومي ناهض، وينعش أيضاً امتداداته الموضوعية إقليمياً ودولياً دون البقاء في مساحة المشروع المقاوم فحسب بل الانطلاق نحو تعميق المشروع القومي كأساس جامع يملك القدرة على النفاذ إلى مساحات واسعة على امتداد الأمة العربية ويحرك الجماهير العربية وفق أولويات حقيقية واستراتيجية حقاً.

بالطبع، فإن ذلك يتطلب حراكاً ثقافياً مجتمعياً وسياسياً واسع النطاق تشترك فيه كل القوى والتيارات السياسية والمنظمات غير الحكومية لإعادة ضبط الوعي الجمعي وفق أولويات المرحلة بما يشكل استجابة موضوعية لظروف المرحلة التاريخية الراهنة وما حصل فيها من تطورات بالغة الأهمية تسمح بتأطير المنافع والمكاسب وصولاً إلى

تعظيمها بشكل منهجي قابل للتوسع مع مرور الوقت، وبما يمكن ذلك الوعي الجمعي من تجاوز القصور المتراكم خلال المراحل السابقة، والتعامل بالتوازي - أيضاً - مع استحقاقات المرحلة الراهنة والمستقبلية التي أفرزتها مرحلة الصراع.

فالصراع لم ولن ينتهي لأنه - كما أسلفنا - صراع بنيوي وليس صراعاً مرحلياً أو طارئاً، هو صراع وجود وليس صراع حدود، وبالتالي، فإن المسار طويل ويحتاج إلى عقل بارد يستطيع تحقيق تراكمات مطلوبة بإلحاح في الإنجاز وبأعلى كفاءة ممكنة وبأقل وقت أيضاً.

الحق يقال بأن الرهان على الأجيال اللاحقة هو العنصر الفيصل في حسم الصراع ربما بوجهه المستقبلي، وهذا لا شك يتطلب العمل على خلق ذهنية مقاومة تدرك قيمة القيم التي تناضل من أجلها وتدرك قيمة الانتماء والهوية التي تملكها وتتحرك بوحيها. ولعل هذا الأمر يحتاج إلى قدرة على إيصال الخطاب المطلوب بلغة عصرية وعبر وسائل عصرية - أيضاً - لا تبدو أنها بحالة وفرة، فلا يزال الإعلام المقاوم قاصراً ومحدوداً أمام الآلة الإعلامية المعادية، فهو أمام استحقاق هام وكبير على هذا المستوى، فالحقيقة لا تكفي بذاتها بل هي بحاجة إلى من يعبر عنها ويتمسك بها بقوة وبإصرار في وقت يعمل الإعلام المعادي على قلب الحقائق وتشويه التاريخ وتزييف الواقع وطرح فوضى فكرية ومفاهيمية تبعد المجتمعات والأجيال عن تأطير أفكارها وتحديد أولوياتها، وبالتالي ضياع البوصلة لديها وتشتت اهتماماتها وخياراتها، وخلق بروباغاندا ضخمة حول ما يريدون تسويقه، ويبقون على تقدمهم علينا لنبقى نحن في موقع الانفعال لا الفعل.

فالكيان الصهيوني يملك المال والدعم السياسي الإقليمي والدولي، ويملك الإعلام الإقليمي والدولي على نطاق واسع، وهذا ما يجب على محور المقاومة أن يحقق سبقاً فيه ليعزز قدراته ويحصن منجزاته السياسية والعسكرية ويصون ما تحقق لأجيال وأجيال قادمة، فلا يزهو ببطر النصر في هذه المرحلة بل ينطلق لتأسيس مرحلة أكثر جدية وإصراراً على المواجهة.

إن القدرة على ربط البعد الأيديولوجي لمنظومة مفاهيم وقيم المقاومة بشبكة المصالح الاقتصادية للمجتمع، وجعل أي تحسن يطال الواقع الاقتصادي والمعيشي لأفراد المجتمع يخدم الأيديولوجية المقاومة هو شرط أساسي في نجاح المشروع للمرحلة المقبلة، وذلك من خلال تحسين واقع العلاقات الاقتصادية مع الدول المختلفة وزيادة معدلات النمو

وتقليل معدلات البطالة وخفض مستويات الفقر ومكافحة الجريمة والفساد الإداري والمالي وتوسيع هامش الحريات السياسية والمدنية. كل ذلك من شأنه دعم مشروع دول محور المقاومة في مواجهة المشروع الصهيوني، وهذا في الواقع تحدٍ كبير أمام محور المقاومة يجب أن يقطع أشواطاً متقدمة في مضماره وإلا سيبقى الواقع بعيداً عن طروحات الخطاب المقاوم وما يقوم عليه، فالصراع في المرحلة القادمة في أحد أبرز وجوهه هو في كسب الجماهير والرأي العام فعلاً، وبالتالي نبذ الأصوات الشاذة التي تريد أن تغني خارج السرب بشكل قصدي متعمد لخلق إشكاليات مفاهيمية وسياسية وتناقضات اجتماعية تحول دون تمكن المشروع المقاوم من الارتكاز على قاعدة جماهيرية عريضة مطلوب توسعها بإلحاح في المرحلة القادمة.

هذا كله وغيره من العوامل لها في الواقع بالغ التأثير على ميزان القوى مع الكيان الصهيوني، فميزان القوى يرتسم بحكم واقع العوامل المؤثرة فيه بدءاً من منظومة المفاهيم والقيم ومروراً بالسياسة والاقتصاد والمجتمع ووصولاً إلى نجاعة وجدوى التحالفات الإقليمية والدولية ومردوديتها الفعلية على مستوى تمكين وتمتين البنية الأساسية لدول محور المقاومة كعامل موضوعي يضاف إلى مجموع العوامل الذاتية التي تملكها هذه المنظومة.

يبقى لنا في الختام القول بأن مجمل التأثيرات المحتملة محكومة بواقع التنفيذ لما يحدد من أولويات وما يوضع من أهداف مرحلية واستراتيجية. فالوعي بالمشكلة لا يكفي لحلها وإنما المطلوب رفع وتيرة بناء القدرات على أسس متينة مفتاحها الوعي وجوهرها الانتماء وهدفها العمل.

الجذور التاريخية للهوية اليمنية ودورها الحضاري

د. أحمد أحمد العرامي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر (المشارك) - جامعة البيضاء

مقدمة:

لم تكن الهوية اليمنية يوماً ما موضوعاً للنقاش، بالنظر إلى ما يمثله اليمن كمسمى ثابت تاريخياً، يتخذ في كل مرحلة من مراحل التاريخ هوية سياسية معينة، والأهم من هذا هو أنه حتى الهويات السياسية التي برزت في مختلف المراحل التاريخية كانت تستند في جوهر وجودها على الأساس أو المنشأ لطبيعة الدولة التاريخية ومسماها.

إن مسمى "الشعب" في معظم النقوش اليمنية كانت تطلق على الوحدات السكانية في الدول التي نشأت خلال تاريخ اليمن القديم، وهذا مؤشر هام على مدى الحضور المبكر لمفهوم الشعب في النقوش التاريخية للدول اليمنية القديمة. والأهم من هذا - أيضاً - هو الحضور المبكر لمفهوم "المواطنة الحديثة" في تلك الحقبة التاريخية، حيث ذكرته إحدى النقوش المعينية فيما يتعلق بحقوق أبناء الأم المعينية من زوج غير معيني، وذلك في دلالة واضحة على الحضور القانوني والتشريعي المنظم لحقوق الأفراد والجماعة في إطار الدولة، وكدليل على حضارة وطنية راقية.

ذلك كله يؤكد وحدة الهوية التاريخية اليمنية كنواة للأمة العربية كلها التي تشظت إلى هويات وطنية قطرية عدة مع قيام "الدولة الوطنية الحديثة" في أعقاب زوال الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطني، وهي الدولة التي بدأت معها ملامح مرحلة جديدة على صعيد الهويات القطرية والوطنية التي عكست - ولا تزال - هويات سياسية مؤطرة وفقاً للمرجعيات الدستورية والسياسية للنظام السياسي الحاكم الذي نشأ في كل دولة بعد الاستقلال، وهي بذلك لا تعكس الأصل الثقافي والاجتماعي والاثني للهويات الجديدة، ولكنها - في الوقت نفسه - لا تتعارض معها.

أولاً: اسم اليمن عبر التاريخ

١ - اليمن عند اليونان والرومان:

أطلق الجغرافيون اليونان والرومان على اليمن اسم "العربية السعيدة"، وذلك لِمَا عُرفت به من خير عميم وثراء تجاري وفير بفضل تحكمها بطرق التجارة البرية بين سواحل البحرين العربي والأحمر وسواحل البحر الأبيض المتوسط. وكان اليمنيون يحرصون على الاحتفاظ بأسرار تجارتهم وحصر المشتغلين بها - قدر الامكان - فيما بينهم. وكان اليونان والرومان يسمعون عن وفرة ثراء اليمن وجودة وندرة بضاعتها، ولكنهم يجهلون الكثير عن موقعها، وربما كان جلّ علمهم أنها تقع إلى الجنوب من حوض البحر الأبيض المتوسط، وأنها تعد بمثابة آخر الأرض المعمورة حيث يوجد المُرّ والكاسيا والقرفة وأشجار اللبان التي لا تسوق إلى بلدانهم من مكان غيرها في العالم.

بصفة عامة، إن الرقعة الجغرافية لليمن في تصورات اليونان والرومان لم تكن واضحة المعالم، وذلك نتيجة اتساع سيطرة الدول اليمنية القديمة بين فترة تاريخية وأخرى؛ إذ كانت تصل إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ومعظم شبه الجزيرة العربية في فترات معينة، وتعود في فترات أخرى إلى جنوب شبه الجزيرة العربية وجنوبها الغربي. وعند الرحالة اليوناني بطليموس تبدأ حدود "العربية السعيدة" حوالي عشرة كيلو مترات جنوب خليج العقبة، ويمتد خط حدودها شرقاً حتى الخليج العربي وجنوباً حتى البحر العربي، وهي بذلك كانت تشمل معظم شبه الجزيرة العربية.

٢ - اليمن عند العرب:

سماها العرب "اليمن" نسبة لاسم ولد قحطان بن الهميسع بن تيمن بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم، وبهم سميت الناحية التي سكنوها، كما نسبها بعضهم إلى أيمن بن يعرب بن قحطان. وسمي اليمن يمناً ليُمنه، (...) وسمي اليمن يمناً لأنه يمين الكعبة وسمي الشام شاماً لأنه شمال الكعبة، وسمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين الشام واليمن[١].

حدود اليمن عند الحسن بن أحمد الهمداني تبدأ مما خلف تثليث، وفيها التهائم والنجد، واليمن تجمع ذلك كله، وتأييد ذلك عنده - أي في جمع اليمن لهذه المواضع - هي كتب العهود من الخلفاء لولاة صنعاء اليمن ومخاليفها وعك (تهامة) وعُمان وحضرموت.

١- جرجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، بيروت، (د. ن)، ١٩٧٩م، ص ١٢.

أما الجزيرة العربية في نظر كثير من الجغرافيين العرب كالهمداني فتمتد من نهر الفرات شمالاً حتى البحر العربي جنوباً، وتأييد ذلك أن الصحراء العربية تمتد من الربع الخالي عبر الدهناء والنفوذ وتشمل بادية الشام، بل إن المظاهر الطبيعية من جبال وصحاري وغيرها في شمال الجزيرة هي امتداد طبيعي لجنوبها. وإذا ما أخذ بهذا القول، فإن من اليسير أن يفهم تصور العرب قديماً لشمال جزيرتهم وجنوبها على وجه الإجمال، فهم ينعتون شمالها بالشام وجنوبها باليمن، ولكنهم يختلفون في تثبيت حدود الشمال والجنوب، وذلك لعدم وجود حاجز طبيعي يفصلها بصورة واضحة ويصلح أن يتخذ حداً. كما أن شقة الخلاف حول هذه الحدود توسعت بسبب الأقوال التي حرصت - قديماً وحديثاً - على أن سوريا وفلسطين ولبنان وغيرها ليست ضمن الجزيرة العربية بحكم تفردها بخصائص حضارات مستقرة تختلف عن النمط المعيشي البدوي الغالب على الجزيرة العربية.

بصفة عامة، ورغم الخلاف حول تسمية اليمن، فإن اليمن بمعنى الجنوب كان معروفاً عند العرب في إطار جزيرتهم؛ فقد قالوا: سميت اليمن لتيامُن العرب إليها، أي لاتجاههم في نجعاتهم وبحثهم عن الماء والعشب والمأوى نحو الجنوب، وعرفوا أنه إذا ما استقبل أحدهم الشمس صباحاً في جزيرة العرب فإن يده اليمنى كانت تشير إلى الجنوب واليد اليسرى كانت تشير إلى الشمال، فالشام هي شماله واليمن جنوبه، وقد سموا الركن الجنوبي من الكعبة بالركن اليماني وذكروا "الريح اليمانية" و"البرق اليماني".

٣ - اليمن في شعر العرب القديم:

شعر العرب القديم هو مادة علومهم الجغرافية وشاهد إثباتهم. وقد ورد ذكر اليمن في الكثير من أشعار العرب، ومن أمثلة ذلك الأبيات الآتية:

حيث قال العرب:

بكى كل ذي شوق يمانٍ وشاقه شآم فأنّى يلتقي الشجيان

وقالوا في إشارة إلى تعاكس مطلعي الثريا وسهيل في السماء، وتعريضاً بزوجين يحملان الاسمين نفسيهما:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عَمرك الله كيف يلتقيانِ

هي شاميةٌ إذا ما تبدت وسهيل إذا استقل يمانِ

وقالوا:

أبا كرب والأيهمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

وقالوا:

ثم اغتدت والنجم ما تصوبا تؤم في الأفق اليماني الكوكبا

تيامُن العرب، أي اتخاذهم جهة اليمين أي جهة اليمن (الجنوب) بحثاً عن الماء والعشب، كان تفاؤلاً بالبرق اليماني وريح الجنوب (الأمطار الموسمية)، وربما كان ذلك من أسباب ابتدائهم باليد اليمنى وتقديمها على اليسرى، وذلك يعد من آداب العرب قبل الإسلام وبعده؛ إذ قال شاعرهم:

صددت الكاس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

فصار كل تيامُنٍ عند العرب أدباً محموداً وميموناً وفألاً حسناً وبشارة بالخير واليمن والبركة[1]؛ فقالوا:

أما من جنوب تذهب الغل ظلة يمانية من نحو ليلى ولا ركب

يمانون نستوحيهم عن بلادهم على قلص يذمي بأحسنها الجدب

وقالوا:

وإني ليحييني الصبا ويميتني إذا ما جرت بعد العشى جنوب

وارتاح للبرق اليماني كأنني له حين يبدو في السماء نسيب

خلاصة القول هنا، أن اليمن تعني جنوب الجزيرة كما الشام تعني شمالها. فعرب الشمال يسمون "أهل الشام" وعرب الجنوب يسمون "أهل اليمن". ويُقال: بلاد اليمن وأرض اليمن أو اليمن فقط. وما زال اللفظان حيين بالمعنى القديم في كلام العرب إلى اليوم.

ثانياً: الوحدة اليمنية عبر التاريخ وتشكيل الهوية اليمنية

تميز التاريخ اليمني على مر العصور بقيام دول مركزية تمكنت من توحيده، إلا أن هذه الوحدة تعرضت في بعض الفترات للتفكك والتجزئة نتيجة الاختلاف الداخلي الذي سهل للأجنبي الطامع احتلال اليمن. ومن المهم الإشارة إلى أنه سواء في عصر الدول والممالك اليمنية القديمة (سبأ، معين، حمير، حضرموت، قتبان، أوسان) أو الدويلات التي نشأت في اليمن في عصر التفكك، كانت كل من تلك الدول والدويلات تسعى لحكم اليمن بأكمله. وتلك حقيقة تاريخية ثابتة تشير إلى طبيعة إدراك حكام تلك الدول والممالك

١- يوسف محمد عبدالله، **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره** (بحوث ومقالات)، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٠م، ص ١٨٥ - ١٩٢.

والدويلات لواحدية الجغرافيا اليمنية، وأن تمام حكمهم لليمن لا يتحقق دون السيطرة على كامل رقعة تلك الجغرافيا المعبرة عن وجدان اليمنيين الذين يؤمنون - منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر - بأن اليمن إقليم موحد تميز بوحدته الطبيعية والبشرية التي أنتجت حضارة مزدهرة على مر العصور.

لتوضيح أكثر حول الحقيقة التاريخية سالفة الذكر، يمكن الإشارة - بإيجاز – إلى بعض المحطات التاريخية التي تؤكد تلك الحقيقة، وذلك على النحو الآتي:

١ - في العصر القديم:

يشير بعض المؤرخين إلى أن الملك السبئي (كرب إيل وتر) هو أول موحد اليمن، وذلك في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد[١]. وبعد وفاة كرب إيل وتر استمرت الوحدة في عصر خلفائه إلى مطلع العصور الميلادية.

بصفة عامة، كانت دولة سبأ بمثابة عمود التاريخ اليمني القديم، وذلك باعتبار الدولة المركزية في اليمن القديم في مقابل الدول التي عاصرتها. حيث كانت تلك الدول بمثابة تكوينات سياسية ترتبط بدولة سبأ في حقب قوتها وتنفصل عنها عندما تأنس منها ضعفاً، ولكنها سرعان ما تعيدها عندما تستعيد قوتها[٢].

إن تاريخ دولة سبأ قبل الميلاد يمثل الوحدة اليمنية، حيث ارتبطت بها معظم الرموز التاريخية في اليمن القديم، فسبأ عند النسابة هو أبو حمير وكهلان؛ ومن هذين الفرعين تسلسلت أنساب أهل اليمن جميعاً. والبلدة الطيبة التي ذُكرت في القران الكريم هي أرض سبأ، ويمكن القول إنه لا يوجد في تاريخ اليمن القديم مثل تاريخ دولة سبأ، حيث عمت شهرة سبأ آفاق العالم القديم، وكانت صفة "سبئي" تطلق على كل يمني[٣].

في أواخر القرن الثالث الميلادي سيطرت حمير على سبأ وحمل الحميريون لقب (ملك سبأ وذي ريدان) لأنهم اعتبروا أنفسهم امتداداً لسبأ. وبعد أن تمكن الملك (شمر يهرعش) من ضم دولة حضرموت استطاع أن يوحد كل اليمن القديم تحت إمارته، وحمل اللقب الملكي الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة) ليصبح بذلك أول التبابعة

١- محمد عبدالقادر بافقيه، **موجز تاريخ اليمن القديم**، تونس، المؤسسة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥م، ص ٥٧ – ٦٩.

٢- يوسف محمد عبدالله، **مرجع سابق**، ص ٣١٣ – ٣١٤.

٣- محمد عبدالقادر بافقيه، **مرجع سابق**، ص ٢٣.

الحميريين[١]. وفي النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وصل نفوذ دولة حمير إلى شمال الجزيرة العربية، حيث وصلوا إلى نجد وسواحل الخليج العربي، وحمل التبع (أسعد الكامل) في مطلع القرن الخامس الميلادي لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم طوداً وتهامة)[٢]. وأصبح التبع الحميري حكماً تلتجئ إليه كل قبائل الجزيرة العربية، وأصبح "التبع الحميري" للعرب بمثابة "الخليفة" للمسلمين. وفي بداية القرن السادس الميلادي ضعفت الدولة الحميرية نتيجة الصراع الذي شهدته بين الديانتين اليهودية والمسيحية والذي أدى إلى سقوط الدولة الحميرية واحتلال الأحباش لليمن حتى طردهم منها اليمني (سيف بن ذي يزن) بمساعدة الفرس، وبعد اغتياله أصبح اليمن ولاية فارسية.

٢ - في العصر الإسلامي:

كانت اليمن عند ظهور الإسلام مفتتة. وبعد دخول الإسلام إلى اليمن وانضمام اليمن إلى دولة الإسلام الفتية، قسمت اليمن ضمن عدة مخاليف تراوحت أعدادها بين الاثنين والأربعة، وأسندت الولاية العامة على كل اليمن إلى والي أحد هذه المخاليف، فقد كانت الولاية العامة في البداية في يد والي مخلاف الجند ثم انتقلت إلى يد والي مخلاف صنعاء، ثم أصبحت ولاية واحدة في عهد الدولتين الأموية والعباسية[٣].

لقد تعامل المؤرخون والجغرافيون العرب المسلمين مع اليمن باعتباره إقليماً واحداً؛ إذ بينما قسموا شمال الجزيرة العربية إلى أربعة أقسام على أساس التضاريس الطبيعية المكونة لها: فالجبال الحجاز، والهضاب نجد، والسواحل الغربية تهامة، والسواحل الشرقية البحرين. فإن اليمن عندهم ظل كياناً واحداً، ولم يقسموه على أساس تكويناته التضاريسية بالرغم من قولهم إنه يشمل السهل والجبل والهضبة[٤].

عندما بدأ ظهور الدول المستقلة في اليمن خلال العصر العباسي الثاني بتولي حكام الدولة الزيادية (٢٠٣ - ٤٠٩هـ / ٨١٨ - ١٠١٨م)، ومن بعدهم حكام الدولة النجاحية (١٠٢١ - ١١٥٦م)، أُعطيت لأولئك الحكام الولاية العامة على اليمن بصفتهم ممثلين للخلافة

١- عبدالرحمن بن خلدون، **العبر**، بيروت، (د. ن)، ١٩٧٧م، ص ٩٤.

٢- أبو محمد الحسن الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، (تحقيق: محمد بن علي الأكوع)، صنعاء، (د. ن)،١٩٩٠م، ص ٨٦ – ٨٩.

٣- محمد يحيى الحداد، **التاريخ العام لليمن** (ج ٢)، بيروت، دار التنوير، (د. ت)، ص ٧٧ – ٨٧.

٤- سيد مصطفى سالم، **الفتح العثماني الأول لليمن**، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ط ٣، ١٩٩٤م، ص ٢٥٥.

العباسية، وكانت بقية الدول اليمنية المعاصرة لهم تعترف لهم بذلك وتقدم لهم الولاء بالرغم من عدم شمولية سيطرة دولهم على كل اليمن.

ثم بعد ذلك عرفت اليمن دول أخرى تمكنت من توحيده كاملاً تحت سيطرتها، بل إن سيطرتها قد تعدت اليمن إلى (مكة) مثلاً، وكانت أولى تلك الدول هي الدول الصليحية (١٠٤٧ - ١١٣٨م) التي أسسها علي بن محمد الصليحي، ثم الدولة الأيوبية التي مثلت امتداداً لدولة صلاح الدين الأيوبي في مصر وبلاد الشام، ومن بعدها جاءت الدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) التي أسسها عمر بن محمد بن رسول.

٣ - في العصر الحديث والمعاصر:

بدأت سيطرة الدولة العثمانية على اليمن عام ١٥٣٨م، حيث امتدت السيطرة لتشمل كل اليمن التي انضوت في ظل الدولة العثمانية بصفتها ولاية واحدة. وقد تمكن اليمنيون من دحر العثمانيين عام ١٦٣٥م، وأصبحت اليمن أول ولاية عربية تستقل عن الدولة العثمانية، حيث قامت فيها الدولة القاسمية التي تمكنت من فرض سيطرتها على كل اليمن خصوصاً في عهد المتوكل على الله إسماعيل. وقد شهد القرن التاسع عشر عودة العثمانيين إلى اليمن عام ١٨٧٢م، حيث سيطروا على المناطق الشمالية والغربية، كما احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩م، ثم توسعت في بقية المناطق الجنوبية والشرقية وفرضت حمايتها عليها. وقد تم تقسيم اليمن بين الدولة العثمانية وبريطانيا عام ١٩١٤م، وكان ذلك التقسيم أساساً للتشطير، حيث ورثت المملكة المتوكلية اليمنية ومن بعدها الجمهورية العربية اليمنية الشطر الشمالي من العثمانيين، وورثت جمهورية اليمن الديمقراطية الشطر الجنوبي لليمن من بريطانيا.

مع ذلك، ظل اليمن موحداً في وجدان اليمنيين وقواه الوطنية، وتجلى ذلك بوضوح في النضال المشترك ضد الإمامة في الشمال والاحتلال في الجنوب، حيث اتخذت حركة النضال الوطني ضد الحكم الإمامي من عدن منطلقاً لها، بل واندمجت في حركة واحدة مع المناضلين الجنوبيين (الجمعية اليمنية الكبرى). وبعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م وإعلان الجمهورية في الشمال هب أبناء الشمال إلى جانب إخوتهم الجنوبيين للدفاع عنها، حيث عمل أبناء الشمال على دعم ثورة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني، وأصبح الشمال قاعدة لانطلاق ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م.

في ٢٢ مايو ١٩٩٠م تم إعادة تحقيق الوحدة اليمنية وإعلان ميلاد الجمهورية اليمنية تتويجاً لنضال الشعب اليمني نحو الحرية والتنمية والاستقلال، وقد تزامن إعادة تحقيق الوحدة مع إعلان التعددية السياسية واتخاذ الديمقراطية نهجاً للحكم، سعياً لتكريس التداول السلمي للسلطة والانتقال من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية.

ثالثاً: الهوية اليمنية ودورها الحضاري

عرفت اليمن الاستقرار البشري منذ فجر التاريخ، وقامت فيها حضارة مزدهرة أسهمت في تقدم الحضارة الإنسانية في مختلف الجوانب الاقتصادية والزراعية والصناعية والثقافية. وسنشير هنا إلى بعض من جوانب دور اليمن الحضاري، وذلك على النحو الآتي:

١ - طرق الري:

إلى جانب ما اشتهرت به اليمن القديمة من دور مركزي في التجارة والسيطرة على طرقها البرية، انصرف اليمنيون منذ عهود بعيدة إلى الاهتمام بتعمير الأرض واستصلاحها وزراعتها، فالزراعة – إجمالاً - كانت بمثابة العمود الفقري للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة. والمعروف أن الكثير من مناطق اليمن في الشرق والغرب تهطل عليها الأمطار الموسمية بانتظام وغزارة، كما تنتشر في كل أنحاء اليمن الأودية التي تجري المياه في بعضها طوال السنة.

لعل أول ما ينبغي أن نلاحظه هو أن الزراعة في الأودية اعتمدت أساساً - ولا تزال - على السيول، وهي المياه المتجمعة عقب هطول الأمطار في المرتفعات والتي تنزل متدفقة في بطون الأودية حيث يتجه بعضها نحو البحر والبعض الآخر نحو الصحراء. ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بكميات المياه التي يأتي بها السيل ولا مواعيد حدوثه حتى في الأماكن التي تكون فيها الأمطار منتظمة، وإنما يختلف ذلك من موسم إلى آخر وفقاً لاختلاف غزارة الأمطار. ونظام الري التقليدي القديم لم يكن يهدف إلى خزن مياه السيول وتوزيعها والاستفادة منها إلى أقصى مدى ممكن، لذا كانت الحواجز تعمل على رفع مستوى مياه السيل لكي تصل إلى الأراضي الزراعية المحيطة بمجرى الوادي. وتكون تلك الحواجز من القوة بحيث تحول مجرى السيول العادية إلى القنوات الجانبية، ولها مصارف يفيض منها الماء إذا كان حجم السيل أكبر من المعتاد فتخفف على الحاجز

ضغط اندفاع السيل الكبير. ولكن تلك الحواجز التي يتكون جسمها من التراب، كثيراً ما كانت تتعرض للتهدم بفعل السيول الكبيرة الأساسية فيعاد بناؤها من جديد[١].

٢ - سد مأرب:

يُعد سد مارب الشهير أهم أعمال الري القديمة في اليمن، وقد وصفه المؤرخ وعالم الآثار العربي (أحمد فخري) بأنه: "اشهر آثار اليمن وأعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية كلها"[٢]. كما وردت في القرآن الكريم إشارة إلى الرخاء الذي تسبب فيه السد للسبئيين، وذلك في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)[٣].

يقوم سد مأرب العظيم في (وادي ذنه) الذي تقع مدينة مأرب على الضفة الشمالية منه. وقريباً من مأرب يقع الجبل المسمى بـ(جبل بلقو) وفيه يشق وادي ذنه ممراً ضيقاً وعميقاً مقسماً ذلك الجبل إلى قسمين يعرفان ببلق الأيمن وبلق الأيسر، وهو الممر الصخري الضيق المعروف الآن بـ(الضيقة). أقام السبئيون جداراً سميكاً من التراب طوله حوالي (١٨٠٠ قدم) وغطوه بالصخور الكبيرة من الجانب المواجه للسيل وجعلوا في كل صرف من ذلك الجدار (السد) فتحه للتصريف تسمى الصدف (الصدف الأيمن والصدف الأيسر)، وبذلك تمكنوا من حجز مياه السيول التي تأتي بعد هطول الأمطار الموسمية في المرتفعات، ورفعوا مستواها لتصل إلى الأراضي الزراعية الواقعة على جانب بطن الوادي المنخفض، كما استطاعوا أن يضمنوا الاحتفاظ بكميات من المياه للري بين موسم وآخر[٤].

من الواضح من طبيعة مجرى الوادي - كما يُشاهد اليوم بعد زوال السد - أنه بعد خروجه من البلقين عبارة عن مجرى منخفض يقسم الأرض الزراعية من حوله إلى قسمين مرتفعين. وهذا يثبت أن الهدف من بناء السد كان رفع مستوى المياه لتصل إلى مستوى أعلى يمكنها من النزول إلى الأراضي الزراعية المرتفعة على الجانبين.

١- محمد عبدالقادر بافقيه، **مرجع سابق**، ص ١٨٦ – ١٨٧.

٢- **المرجع السابق**، ص ١٨٧.

٣- سورة سبأ، الآية (١٥).

٤- محمد عبدالقادر بافقيه، **مرجع سابق**، ص ١٨٧ – ١٨٩.

لا بد أن مشاكل كثيرة قد واجهت السبئيين بعد بناء السد، منها تجمع الطمي في الحوض القائم خلفه، تماماً كما حدث ويحدث إلى اليوم في السدود الصغيرة. ولا بد أن ذلك قد أدى إلى ارتفاع مستمر لقاع الحوض ومن ثم تناقص مستمر أيضاً في كمية المياه المتجمعة فيه وفيضان كميات أكثر من فوق جدار السد. ويؤكد حدوث ذلك عمليات التعلية الظاهرة، فقد بلغ ارتفاع السد في المراحل الأخيرة إلى (١٤ متراً) فوق سطح الوادي. ويبدو من الترميمات التي تتحدث عنها النقوش أن السد تعرض في بعض الفترات إلى تهدم جداره الرئيسي ربما بفعل سيول كبيرة أكثر من المعتاد. ويبدو أن الترميمات المتكررة أصبحت نقاط ضعف في ذلك الجدار الضخم جعلت أمر صيانته - بمضي الوقت - عملاً صعباً، حتى أنه تهدم في عهد الحاكم الحبشي أبرهة (٥٤١م).

٣ - خط المسند:

حاول بعض العلماء أن يربطوا بين لفظ مسند وشكل الكتابة، ولأن لحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تنحو نحو الأعمدة في عمارة القصور والمعابد والاسوار والسدود وأبواب المدن، لذلك يوجد عندهم ميل شديد لا يجاد حروف على هيئة الأعمدة. أي أن الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند إلى أعمدة، حيث أطلقوا عليها لفظ "المسند" لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة. وتتكون أبجدية المسند من (٢٩ رمزاً) للحروف تمثل أصوات الحروف العربية الحديثة بزيادة صوت واحد ينطق من مخرج قريب من السين (بين السين والشين)، ونعتقد أن آثاره باقية في الوقت الحاضر في اللهجة المهرية.

يلاحظ أن نقوش المسند التي وصلت إلينا تمثل مستوى عالياً من الدقة والجمال في رسم أشكال الرموز، وتمثل - في الوقت نفسه - أثراً باقياً لثقافة فذة ذات شخصية متميزة وعالية التطور. ولا يعرف أحد إلى اليوم كيف بدأ هذا الخط، فالنظريات المتعارضة التي افترضها العلماء لنشوئه لم تستقر بعد على رأي يمكن الأخذ به، وجميع تلك الآراء تقوم على أساس مقارنة أشكال الحروف والعلاقة الجغرافية بين الأماكن التي عثر فيها على نماذج الأبجديات المختلفة.

على أبعد تقدير، ترجع أقدم النقوش اليمنية (المسند) إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد، إذا أخذنا في الاعتبار الختم الذي عثر عليه في (بيتل) بفلسطين، علماً بأن أقدم

ما وصل إلينا من نقوش لا يمثل بالضرورة تاريخ بداية استخدام الخط. أما أحدث ما وصل إلينا من تلك النقوش فيرجع إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد[1].

لسنا بحاجة إلى التأكيد بأن لغة النقوش اليمنية (المسند) إنما هي لهجات عربية، وليست لغة أو لغات مستقلة مهما اختلفت مفرداتها أو كانت غير معروفة أو غير شائعة في اللغة الشمالية التي تمثلها أحسن تمثيل لغة القران الكريم. ولا شك أن بعض المفردات قد دخلت على اللهجات اليمنية القديمة بالاستعارة من لغات أخرى أو من لهجات عربية أو سامية بفعل الصلات التجارية على الأقل، وهذا قد حدث حتى بالنسبة للهجة العربية الشمالية التي توحدت فيها ألسنة العرب مع الإسلام، وهو ما يحدث دائماً في جميع اللغات.

ولقد لا حظ الدارسون للنصوص اليمنية القديمة، منذ البداية، أن محتويات تلك النصوص تكاد تنحصر في مواضيع محدودة، لأنها ذات طابع عملي بشكل صارم، كونها تسجل تشريعات قانونية أو نصب جنائزية أو سجلات معمارية أو تقدمات متعلقة بوفاء النذور. والنوع الأخير كثيراً ما احتوى على وصف للحملات العسكرية.

أما طريقة الكتابة ففي الغالب تكتب من اليمين إلى الشمال، وحتى في النصوص القديمة التي كتبت على الطريقة الحلزونية، التي يعكس فيها السطر التالي السطر السابق له في الاتجاه، فتبدأ من اليمين في الغالب. وفي السطر الذي يكتب من الشمال إلى اليمين تتحول اتجاهات الحروف غير المتناسقة، مثل الراء والشين وغيرها.

٤ - الزراعة:

تتميز اليمن تاريخياً بشهرتها بالزراعة، ولهذا سميت باليمن الخضراء، وقد ساعد على ذلك تعدد المناطق والنشاط الزراعي، حيث تساق الأتربة من الأودية إلى المحلات المناسبة في السفوح المنحدرة الصخرية لتهيئتها للزراعة بعد رفع الأحجار منها، فتدرَّج الجبال وتقسم إلى حقول للزراعة في مناظر تدهش الناظرين. وللفلاح اليمني خبرة واسعة بمواسم الزراعة، حيث تزرع الحبوب والبقول والفواكه والخضروات والقطن وينتج العسل. وتنتشر الزراعة في اليمن في الوديان وعلى سفوح الجبال وفي السهول.

تنتشر المزارع المدرجة على سفوح الجبال في جميع مناطق اليمن. كما تزرع الأرض الواقعة على جوانب الوديان للاستفادة من مياه السيول عند نزول الأمطار، حيث تحمل السيول تربة غرينية فتترسب في الوديان وعلى جوانبها، فيحرث المزارعون تلك الأرض

١- محمد عبدالقادر بافقيه، **مرجع سابق**، ص ١٩١ – ٢٠٠.

ويهيؤون منها حقولاً للزرع، ويحيطون كل مزرعة بأكوام التراب، وعند جريان السيول يصرفون مياهها إلى تلك المزارع عبر السواقي. وما يميز اليمن عن غيرها، أن الزراعة مستمرة فيها طوال السنة في المكان الواحد، حيث يرى المرء مزارع آن حصادها وأخرى تزرع حديثاً في أول نمو الزرع، فتبدو الأرض مستعدة للعطاء في كل وقت[١].

كما أن تعدد الأصناف الزراعية وفر لليمن اكتفاءً ذاتياً استطاعت من خلاله سد كل حاجاتها دون أن تعتمد على الخارج. ويمكن القول إن تعدد صنوف الزراعة وطبيعة الأرض كانت أحد العوامل الرئيسة التي أوجبت على اليمني أن يحتفظ بأرضه ولا يهاجر عنها. ومن الواضح أن الاستقرار في الأرض والتوطن فيها وعدم مغادرتها، كانت من العوامل المشجعة لإقامة الحضارة فيها، فالعربي الذي لا تجود أرضه بما يحتاجه إليه، تدفعه للبحث عن أرض أخرى لسد حاجاته، وبذلك فإن عدم التوطن المستمر في الأرض لا تدفع العربي إلى إقامة الحضارة الدائمة عليها، وهذه المشكلة سادت الوطن العربي عدا اليمن، حيث ارتبط اليمني بأرضه، فأقام الحضارة عليها وتفنن بزراعتها وارتبط بجذورها[٢].

٥ - الصناعة:

اشتهرت اليمن بالصناعة، فقد اشتهرت بصنع الأواني النحاسية والذهبية، وصنع التماثيل، وكانت بعض المدن تشتهر بصناعة معينة لتمييزها على غيرها، فمدينة سبأ (مأرب) كانت تشتهر بصناعة المآزر المحوكة بالذهب والأقمشة الحريرية والصوفية، ومدينة صعدة باستخراج الحديد وصناعته ودباغة الجلود وتصنيعها. وقد اشتهرت اليمن باستخراج الحديد وصناعته، كما اشتهرت - أيضاً - بصناعة الأسلحة على اختلاف أنواعها كالسيوف والرماح والخناجر والتروس والخوذ والدروع. وقد دلت الآثار المكتشفة على أن اليمنيين قد تفردوا بصناعة مادة للبناء يسمونها "القضاض"، وهي مادة تشبه الإسمنت، واشتهرت اليمن أيضاً بصناعة مواد الزينة الخاصة بالبناء، كما استعمل اليمنيون الساعات المائية، واهتموا كذلك بإنتاج الأحجار الكريمة.

كما قام قدماء اليمنيون بسك النقود الخاصة بالدول اليمنية القديمة، فقد ضرب اليمنيون نقوداً تحمل صور الملوك ونقوشاً بحروف المسند تسجل أسماءهم وأسماء

١- زين بن علي عنان، **تاريخ اليمن القديم**، (د. م. ن)، المطبعة السفلية، (د.ت)، ص ٨٦.

٢- ناجي معروف، **أصالة الحضارة العربية**، بيروت، (د. ن)، ط ٢، ١٩٧٥م، ص ٨٧.

المدن التي ضربت فيها، كما زينوها برموز سياسية أو اجتماعية كصورة البومة أو الصقر أو رأس الثور رمز الفلاحة والزراعة، أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم[١]. ومن المعلوم أن عملية ضرب النقود لا يمكن أن تتم إلا إذا كان اقتصاد الدولة يتمتع بالاستقلال التام ولا يخضع لسيطرة اقتصادية لدولة أخرى، وهي دليل على قدرة الدولة وإمكانياتها وثقة المجتمع بها، حيث لا يمكن أن تتم تلك العملية إلا إذا كانت الدولة تتمتع بإمكانات اقتصادية وصناعية متطورة.

٦ - التعدين:

اشتهرت اليمن في التاريخ القديم بكثرة مناجم الفضة والذهب والأحجار الكريمة، حتى ألّف البعض كتباً خاصة في معادنها. ومن هذه المناجم منجم (نحب)، ومنجم (حليت) في ديار بني كلاب، ومنجم (مخاليف)، ومنجم (قفاعة)، ومنجم (خولان)، ومعادن اليمامة وديار ربيعة، وهو معدن الحسن أو (الأحسن) هو معدن ذهب غزير، ومنجم ذهب في الحفير، ومنجم الضبيب عن سيار هضب القليب، ومنجم الثنية وغيرها مئات المناجم. وفي اليمن فضلاً عن الذهب مناجم الجواهر كمنجم الفضة في الرضاض، ومناجم للحديد في نقم وغمدان، وأنواع أخرى من المعادن والعقيق[٢]. ولا يزال العديد من المناطق في اليمن غنية بالذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة غير المستخرجة حتى الآن.

٧ - التجارة:

عاش العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة ومجتمعات متباينة، فهناك المجتمع الرعوي وهناك المجتمع التجاري وهناك المجتمع الزراعي، واشتهرت كل منطقة بنشاط يناسب طبيعتها. وقد حظيت اليمن بموقع تجاري ممتاز بين البلاد الأخرى المجاورة، فهي تقع في طريق التجارة الدولية، فشمالها يرتبط بالدولتين الكبيرتين في ذلك الوقت (فارس والروم)، وفي غربها تقع الحبشة وشرقها الهند[٣]، أضف إلى ذلك ما قام في وسطها من مراكز ومحطات تجارية.

١- جرجي زيدان، **مرجع سابق**، ص ١٨٥.

٢- **المرجع السابق**، ص ١٩١.

٣- محمد السيد غلاب، "التجارة في عصر ما قبل الإسلام"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية** (ج ٢)، الرياض، (د. ن)، ١٩٧٤م، ص ٩٤.

لقد اشتهر أهل اليمن بين الأمم بتجارتهم، ووصفوا بأنهم قوم تجارة ورحلة في سبيلها، وأن مملكة سبأ ومعين قد اشتهرت بما وصلت إليه من التجارة، حيث كان لتجارها مكانة مرموقة في تجارة الشرق وتجارة العالم. حيث كان أهل سبأ يحملون ما يصل إليهم من بضائع الحبشة والهند إلى مصر والعراق والشام، وكان لسبأ نفوذ تجاري واسع في هذه الممالك، إذ كانت سفنها تمخر عباب المياه، وكانت القوافل البرية تنطلق من شبوة في حضرموت وتذهب إلى مأرب عاصمة سبأ، ثم تتجه شمالاً إلى مكة وتواصل طريقها إلى البتراء ومنها إلى غزة على البحر الأبيض المتوسط[١].

ظلت الممالك اليمنية تسيطر على التجارة حتى القرن السادس الميلادي عندما تحولت التجارة إلى قريش ومكة ثم المدينة، كما ظلت اليمن محتفظة بعلاقاتها التجارية مع الحبشة والهند تستورد منها العاج والأبنوس، وتصدر إليها بالمقابل سلعها[٢]. وقد برزت دول اليمن القديمة في التجارة الدولية، ومن هذه الدول معين وحضرموت وسبأ وقتبان، والتي تعاملت مع الأنباط والتدمريين في الشمال، كما أثبتت هذه الدول قدرتها على تأمين خطوط التجارة الدولية، وأنشأت مدناً وأقامت محطات لاستراحة التجار، وشيدت استحكامات خاصة لهم تحمي تجارتهم[٣]. وكان من نتيجة ازدهار تجارة اليمن أن دفعت الدول اليمنية القديمة إلى السيطرة على أقاليم أخرى من أجل المحافظة على تجارتها وتأمين طرق مواصلاتها[٤].

٨ - طرق نقل التجارة البحرية والبرية:

اعتمدت حضارة اليمن في جانب كبير من ازدهارها على استغلال قدماء اليمنيين لمميزات بلادهم الجغرافية، ومنها سواحل اليمن التي تطل من الغرب على البحر الأحمر ومن الجنوب على البحر العربي الذي هو جزء من المحيط الهندي. فقد أتاح لليمن موقعها الاستراتيجي أن تقوم بدور الوساطة التجارية بين الهند والشرق الأقصى وحوض البحر الأبيض المتوسط. وتتحدث النقوش المسمارية والأكادية والرومانية التي ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد عن صلات بحرية بين العراق واليمن وحوض البحر الأبيض

١- **المرجع السابق**، ص ٣١٥.

٢- **المرجع السابق**، ص ٣١٦.

٣- أحمد حسين شرف الدين، **مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها**، الرياض، (د. ن)، ١٩٨٤م، ص ٩٣.

٤) **المرجع السابق**، ص ٢٥١.

المتوسط. كما ازدهرت بفعل طرق القوافل التجارية البرية مدن الصحراء مثل مأرب ومعين ونجران والعلاء والبتراء بطرق القوافل البرية، وازدهرت في المقابل المدن الساحلية مثل عدن والمكلا والمخا[1]. وقد ازدهرت حركة التجارة البحرية الدولية بشكل ملحوظ في القرن الأول الميلادي، وأكسب ذلك الموانئ اليمنية حركة كبيرة في مجال السفن التجارية[2].

لقد أثبتت الكتابات الآشورية والبابلية والسومرية تطور التجارة الدولية بين هذه الدول واليمن عن طريق التجارة البحرية والبرية، وتم إنشاء العديد من المدن التجارية لهذا الغرض، وبذلك فقد ملك اليمنيون في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب، وكانت تلك التجارة تسهم بالسيادة على الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي.

وقد تميز دور اليمن التجاري بالخصائص الآتية:

١- وفرت التجارة لليمن الاطلاع على الحضارات الأخرى واقتباس ما يمكن أن يفيد اليمن.

٢- ساعدت التجارة على تصريف البضائع اليمنية في الخارج، وتوفير متطلبات اليمن من البضائع التي تحتاجها.

٣- ساعدت التجارة على إقامة علاقات متطورة مع الدول الأخرى من أجل ضمان التجارة معها.

٤- دفعت التجارة إلى قيام الدول في اليمن بتأمين خطوط مواصلاتها في المناطق والمدن الواقعة على خطوط نقل التجارة سواء بعقد الاتفاقيات أو السيطرة المباشرة.

١- **المرجع السابق**، ص ٢٥٣.

٢- محمد عبدالقادر بافقيه، **مرجع سابق**، ص ٩٤.

أمريكا ودول الخليج: علاقات متشابكة ومستقبل غامض

د. حبيب عبد الله الرميمة
أكاديمي وباحث يمني

لمحة تاريخية:

ممّا لا شك فيه أن دول "ممالك الخليج" تعد بمسمياتها وكياناتها السياسية الحالية دولاً مصطنعة. بمعنى آخر، إن مسمياتها كدول في حدودها الحالية ليس له بُعد تاريخي وإنما كان للإمبراطورية البريطانية الدور الأكبر في إنشاء جميع تلك الكيانات؛ فعلى مدار قرن ونصف وتحديداً منذ العام ١٨٢٠م تاريخ توقيع المعاهدة العامة للسلام وحتى عام ١٩٧١م حيث نالت آخر دولة خليجية استقلالها (دولة البحرين)[1] استطاعت بريطانيا من خلال نفوذها بمنطقة الخليج إقامة عدد من الاتفاقيات مع زعماء الدول الناشئة ومن أبرزها اتفاقية (دارين) مع الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩١٥م، أي قبل إعلان اتفاقية سايكس بيكو بعام واحد،

حيث اعترفت بريطانيا بموجب تلك الاتفاقية بعبد العزيز آل سعود حاكماً على بلاد نجد والأحساء والقطيف والجبيل وتوابعها "باعتبارها أرض أبائه" ومن بعده أولاده، وذلك مقابل إذعانه للحماية البريطانية، ثم وقعت معه اتفاقية جدة عام ١٩٢٧م والتي بموجبها اعترفت بريطانيا للملك عبد العزيز آل سعود بحكمه على نجد والحجاز ومن

١- مثلت هذه الاتفاقية افتتاح رسمي للعلاقة بين بريطانيا العظمى ومشيخات ساحل عُمان (مجموعة الجزر المتناثرة والتي كونت فيما بعد الإمارات العربية المتحدة)، بالإضافة إلى قطر والبحرين، وسميت فيما بعد الساحل المتصالح، لتأمين الملاحة البريطانية في الجانب البحري "خليج فارس"، ثم ألزمت الاتفاقيات المانعة لعام ١٨٩٢م شيوخ الساحل المتصالح بعدم الدخول في اتفاقيات أو إجراء اتصالات مع أي قوة أو دولة أخرى عدا الحكومة البريطانية. ومقابل ذلك تعهّد البريطانيون بتحمّل مسؤولية الدفاع عن الإمارات من أيّ عدوان خارجي. لقد مثّلت الاتفاقيات المانعة آخر طبقة في بناء المعاهدة التي أنشأها البريطانيون في الخليج في القرن التاسع عشر، كما استمرّت حجر الزاوية للسيادة البريطانية في الخليج حتى انسحابهم من المنطقة عام ١٩٧١م.

انظر في ذلك: **العهد البريطاني**، موقع الأرشيف الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة؛ متوفر على الرابط:
https://www.na.ae/ar/archives/historicalperiods/britishprince

بعده أولاده مقابل الحماية البريطانية[1]. ومن مجموع تلك الاتفاقيات وغيرها التي عقدتها بريطانيا مع مشيخات الخليج تم تكريس نفوذهم على تلك الدول مقابل الحماية وتنفيذ المصالح البريطانية.

مما لا شك فيه أن الموقع الجيوسياسي للمنطقة العربية زاد من تركيز بريطانيا على منطقة الخليج خصوصاً بعد أن عدّل العالم الجغرافي ماكندر نظريته حول تحديد "قلب العالم"[2] باندلاع الحرب العالمية الثانية وبزوغ نجم الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى ورثت مناطق النفوذ البريطاني في منطقة الشرق الأوسط، حيث كان التحول الأبرز - بحسب رأي كثير من السياسيين – هو خروج بريطانيا منهكة من الحربين العالميتين وخصوصاً الحرب العالمية الثانية، واللقاء السري الذي جمع الملك عبد العزيز بالرئيس الأمريكي روزفلت وتوقيع ما يعرف بـ (اتفاق كوينسي)[3]. بالإضافة

١- عند النظر في الاتفاقيتين نرى أنهما لا تكادان تختلفان في مضمونهما عدا من حيث تغيير الألقاب أو اعتراف الأخيرة لجلالة الملك – حسب الاتفاقية الجديدة – ملكا على نجد والحجاز.

انظر: **اتفاقية دارين بين بريطانيا وبني سعود**؛ متوفرة على الرابط:

https://www.a-a-hakeka.ahlamontada.net/t80-topic

٢- نظرية قلب العالم هي نظرية سياسية ظهرت في مطلع القرن العشرين في الكتاب الذي ألفه ماكندر عام ١٩٠٤م بعنوان (المحور الجغرافي للتاريخ) (Democratic Ideals and Reality)، حمل في طياتها أن مفتاح السيطرة على العالم؛ السيطرة على قلبه، فكما الإنسان لا يستطيع العيش بلا قلب، كذلك العالم، ولكن الفرق أن السيطرة على القلب ستكون الأساس للسيطرة على كل دول العالم.. إنها نظرية قلب العالم أو الهارتلاند (Heartland Theory). حيث كتب البريطاني هارلفورد جون ماكندر عن مفهوم قلب العالم (Heart Land) ليفسر للإمبراطورية البريطانية ضرورة الوقوف في وجه التوسع الروسي في منطقة الخليج العربي، في وقت كانت روسيا تعزز فيه قوتها في الخليج العربي، للوقوف في وجه بريطانيا كقوة بحرية، وهو ما يمثل صراعاً بين القوة البرية والقوة البحرية. ثم عدل نظريته عام ١٩٤٣م، فقسم العالم إلى قلبين شمالي (آسيا) وجنوبي (أفريقيا)، ورأى أن القلبين الشمالي والجنوبي يتصلان ببعضهما البعض عن طريق جسر هو المنطقة العربية، التي تمتد من نهر النيل غرباً إلى ما وراء نهر الفرات شرقاً، ومن سفوح جبال طوروس شمالاً حتى خليج عدن جنوباً، وتمتاز هذه المنطقة بوجود طرق مائية وهي نهر النيل والبحر الأحمر، كذلك نهر الفرات والخليج العربي، كما تشكل المنطقة العربية طريقاً برياً بين القلب الشمالي والقلب الجنوبي. والقوة التي تسيطر على هذه المنطقة (قلب العالم) تعتبر سيطرت على العالم.

انظر في ذلك: **نظرية قلب العالم (Heartland Theory)**؛ متوفر على الرابط:

https://www.babonej.com/the-geographical-pivot-of-history-heartland-theory-2119.html

٣ – نسبة للطراد الحربي الأمريكي (كوينسي)، الذي جمع على ظهره لقاء روزفلت وعبد العزيز آل سعود في البحيرات المرة بقناة السويس في مصر. وتم فيه التوقيع على اتفاقية بين الطرفين تتضمن توفير الولايات المتحدة الحماية للملكة العربية السعودية مقابل ضمان السعودية لإمدادات النفط إلى الولايات المتحدة لمدة ٦٠ سنة.

انظر: إسماعيل علوان التميمي، **العلاقات الأمريكية السعودية: من اتفاقية كوينسي إلى قانون جاستا (عرض– استنتاجات– توصيات)**، موقع الحوار المتمدن؛ متوفر على الرابط:

https://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=549993&r=0

كذلك لتصاعد موجة حركات التحرر العربي ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي، ورواج مفهوم القومية العربية، وإقرار مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها - وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٦٣٧ عام ١٩٥٢، وتأكيد هذا المبدأ في الفقرة الثانية من إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة، المؤرخ عام ١٩٦٠. وهو القرار المعروف بتصفية الاستعمار- ومساندة واشنطن لهذا المبدأ. أضف إلى ذلك الموقف الأمريكي من العدوان الثلاثي على مصر، حيث تزعمت بريطانيا هذا العدوان بينما وقفت واشنطن موقف إيجابي منه مما زاد نقمة الشعوب العربية على بريطانيا وظهور أمريكا "ظاهرياً" كدولة مناصرة لقضايا المنطقة العربية، بالإضافة إلى الشعارات البراقة التي كانت ترفعها كاحترام حقوق الشعوب في تقرير مصيرها وإنهاء الاستعمار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وزيادة استعار الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي آنذاك بغرض السيطرة بقدر الإمكان على أكبر قدر من مناطق النفوذ لكل منها، كل هذه العوامل وغيرها مكنت الولايات المتحدة الأمريكية من التركيز بشكل خاص على منطقة الخليج كبوابة للنفوذ والهيمنة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط بشكل عام.

وعليه فأننا سنناقش هنا العلاقة الأمريكية الخليجية انطلاقاً من رؤيتين:

أولهما: أن العلاقة الأمريكية الخليجية لم تكن يوماً علاقة ندية، وإنما علاقة تبعية وحماية واستغلال من جانب الولايات المتحدة لتلك الدول لتمرير مخططاتها الاستعمارية للسيطرة على قلب العالم - حسب نظرية ماكندر - وتحقيق أكبر قدر من المصالح الأمريكية في مجالات مختلفة وعلى رأسها الجانب العقائدي (حماية إسرائيل كما أشرنا سابقاً، وأيضاً ما سنخلص إليه من خلال هذه الدراسة)

ثانيهما: وهي رؤية ملازمة للرؤية الأولى، وتشير إلى أن الولايات المتحدة استغلت علاقاتها مع دول الخليج لتنفيذها أدوار تتفاوت بين دولة وأخرى حسب مصلحتها، وهذا لا يعني أن تتزعم دولة خليجية الدور الأبرز في مرحلة معينة عدم مشاركة بقية دول الخليج للسياسة الأمريكية في تلك المرحلة.

وسوف نقسم تلك المراحل هنا بحسب التقسيم النمطي المتبع في السياسية الدولية مع الإشارة إلى الدور الأبرز لكل دولة منها في مرحلة معينة:

- العلاقات الخليجية الأمريكية أثناء الحرب الباردة:

في أوج الصراع السياسي بين القطبين العالميين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي

سابقاً) نالت آخر دولة خليجية استقلالها (البحرين) بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٧١م، وكان من اللافت أن نيران الحرب الباردة التي كانت تعتمد على تأليب الانقلابات داخل الدول لصالح أحد المعسكرين - خصوصاً دول العالم الثالث - لم تطل نيرانها ممالك الخليج مع أنها دول ملكية وحديثة العهد! بل إن هذه الدول احتفظت بعروشها في تلك الحقبة من الانقسامات الأيدولوجية السياسية، وتبعيتها الواضحة للمعسكر الغربي بقيادة واشنطن. ويتجلى ذلك في ثلاث نقاط رئيسية مهمة خلال تلك الحقبة:

١- إنشاء مجلس التعاون الخليجي عام ١٩٨١م، ويعزى ذلك حسب رأي البعض إلى التحالفات التي كانت تقيمها بريطانيا والولايات المتحدة ضمن المعسكر الغربي لمحاصرة وعزل الاتحاد السوفيتي.

٢- الدعم اللوجستي والمادي التي مارسته دول الخليج في الحرب العراقية الإيرانية عقب اندلاع الثورة في إيران عام ١٩٧٩م، وعلى وجه الخصوص الكويت والسعودية، حيث تشير بعض الإحصاءات إلى أن حجم التمويل الخليجي وعلى وجه الخصوص الكويتي للحكومة العراقية حينها بلغ أكثر من ٥٠ مليار دولار - وهذا التمويل والموقف الخليجي لم يكن إلا "حرباً بالوكالة" عن الولايات المتحدة الأمريكية - حيث اعترف أحد الإعلاميين السعوديين الذي غطى مراحل الحرب المختلفة لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) بما نصه: "إن الولايات المتحدة ضخمت الخطر الإيراني مع قدوم الثورة الإيرانية في ١٩٧٩، ما أوجد رأياً عاماً مضاداً للثورة الإيرانية في الصحافة والرأي العام الخليجي رغم التصريحات التي أدلى بها قائد الثورة الإيرانية في حينها الإمام الخميني حول ضرورة استعادة القدس ومحاربة إسرائيل"[١].

٣- خاضت دول الخليج وتحديداً السعودية "حرباً بالوكالة" عن الولايات المتحدة الأمريكية وذلك من خلال الدعم اللوجستي والمادي وتوفير الطاقة البشرية بدعم ما سمي (الأفغان العرب) و حشد الطاقات ضد الاتحاد السوفيتي، وإغراقها في المستنقع الأفغاني، وهو ما صرح به ولي العهد السعودي مؤخراً في لقائه مع صحيفة الواشنطن بوست[٢].

١- انظر في ذلك: تحقيق بعنوان: **التمويل الخليجي للعراق بين الحقائق الأمنية وتضخيم التهديد الإيراني**؛ متوفر على الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/09/100922_gulfstatesandiraq_tc2 .

٢- "وقد سئل محمد بن سلمان عن انتشار الوهابية التي تمولها السعودية، وهي العقيدة المتشددة المهيمنة في المملكة، والتي يتهمها البعض بأنها مصدر للإرهاب العالمي، فقال إن الاستثمارات في المساجد والمدارس في الخارج كانت متجذرة في الحرب الباردة، عندما كان الحلفاء طلب من المملكة العربية السعودية استخدام مواردها لمنع الغزو في الدول الإسلامية من قبل الاتحاد السوفيتي".

- العلاقات الخليجية الأمريكية بعد الحرب الباردة:

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩م أصبح العالم يرتكز على قطبية أحادية تهمين على النظام الدولي ممثلة بالولايات المتحدة الأمريكية، ووجدت أمريكا في هذا الانتصار فرصة لتحقيق طموحاتها الإمبراطورية للسيطرة على مصادر الطاقة والمضائق المائية العالمية وغيرها من الأهداف .. "هنا كان يتحتم على واشنطن التضحية بعلاقتها مع الرئيس العراقي السابق صدام حسين، والذي لم يستطع حسم الحرب مع إيران حسب ما كانت تؤمله واشنطن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى خروجه منهكاً من تلك الحرب وما ولدته من سخط شعبي ضده. وقد شكل اجتياح العراق للكويت مرحلة مفصلية من مراحل تنفيذ سياسة الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط، حيث تحولت العلاقة بين واشنطن ودول الخليج إلى حماية مباشرة من خلال إقامة القواعد العسكرية الأمريكية في كثير من بلدان الخليج، ونشر الأساطيل والقطع البحرية الأمريكية في المياه الدافئة (الخليج العربي)، ولعل ذلك ما يؤكد صحة التقارير التي تقول أن اجتياح صدام حسين للعراق كان بضوء أخضر أمريكي[١]، وما ترتب عن تلك الحرب من تحمل دول الخليج نفقات مالية باهظة سواء نفقات المشاركة الحربية للقوات الأمريكية أو الصيانة والتشغيل باعتبار أن هذه القوات جاءت لحماية دول الخليج من نظام صدام حسين، واستمر هذا الوضع الاستنزافي من أمريكا لدول الخليج حتى العام ٢٠٠٣م عندما قررت الولايات المتحدة الأمريكية غزو العراق تحت مبرر القضاء على أسلحة الدمار الشامل، ومحاربة الإرهاب وهو ما لم يثبت أبداً.

- العلاقات الأمريكية الخليجية في مرحلة "الحرب على الإرهاب":

شكلت هجمات ١١سبتمبر ٢٠٠١م منعطفاً خطيراً على السياسة الدولية العالمية بشكل عام، وعلى دول الخليج وتحديداً المملكة العربية السعودية بشكل خاص، حيث إن خمسة عشر مهاجماً من أصل تسعة عشر من المهاجمين يحملون الجنسية السعودية بحسب التحقيقات الأمريكية. ولم تمض إلا أيام قليلة على تلك الهجمات حتى أصدر مجلس

انظر النص الأصلي للمقابلة التي أجرته معه صحيفة الواشنطن بوست بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠١٨م؛ متوفر على الرابط:
https://www.washingtonpost.com/world/national-security/saudi-prince-denies-kushner-is-in-his-pocket/2018/03/22/

١- سليمان الشناوي، **الخديعة في زمن الحرب**، موقع منتدى الحوار المتمدن؛ متوفر على الرابط:
httpS://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=486126&r=0

الأمن الدولي قرارين بخصوص الحرب على الإرهاب؛ أولهما القرار (١٣٦٨) بتاريخ ٢٠٠١/٩/١٢م أي بعد تلك الهجمات بيوم واحد، حيث اعتبر المجلس هجمات ١١سبتمبر من قبيل الأعمال التي تشكل تهديداً للسلام والأمن الدوليين... والقرار رقم (١٣٧٣) الصادر بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٨م، وهذا القرار أوضح في تحديد المسؤولية الملقاة على عاتق الدول[١].

وقد خول هذان القراران للولايات المتحدة قيادة التحالف على ما يسمى الحرب على الإرهاب، بموجب ما تمليه الولاية القائمة على الحق المشروع في الدفاع عن النفس التي أكد عليها الميثاق كاستثناء من مبدأ عدم جواز استخدام القوة في العلاقات الدولية. وهو ما اتخذته ذريعة لاحتلال بعض البلدان عسكرياً مثل أفغانستان والعراق، وانتهاك سيادة عدد من الدول وذلك بتنفيذ ضربات جوية بحجة ملاحقة تنظيم القاعدة تحت مسمى الحرب الاستباقية - ومن ضمنها الجمهورية اليمنية - وقد أعلن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش شعار المرحلة (من ليس معنا فهو ضدنا)[٢].

هذا الإعلان يؤكد أن الحرب على الإرهاب استغلت عملياً من قبل واشنطن كاستراتيجية أمريكية لإخضاع العالم وتحديداً منطقة الشرق الأوسط تحت سيطرتها التامة، مستندة في ذلك على آلية التنسيق الأمريكي الخليجي وعلى وجه الخصوص دور المملكة العربية السعودية - ذات العقيدة الوهابية - في دعم التنظيمات الإرهابية، والتي أثبتت سابقاً نجاحها في شن "حرب بالوكالة" عن الولايات المتحدة الأمريكية وإغراق أكبر خصومها "الاتحاد السوفيتي" في أفغانستان من جهة، وتهيئة الساحة للقوات الأمريكية أن تمارس دور المخلص للشعوب نتيجة التصرفات الوحشية التي تقوم بها هذه التنظيمات الإرهابية، لكن هذه المرة ليس في رقعة جغرافية محددة، وإنما في مناطق واسعة في الشرق الأوسط وحول العالم. وقد شكل احتلال الولايات المتحدة الأمريكية لأفغانستان في ٧ أكتوبر ٢٠٠١م، بعد شهر واحد من الأحداث، وما لاقته القوات الأمريكية من ترحيب داخلي لتخليص أفغانستان من تنظيم القاعدة، وصمت دولي استحساناً لدى الإدارة الأمريكية، كما أن النتائج التي حققها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في

١- من الملاحظ على القرار الأول أنه لم يشر صراحة إلى معالجة القضية تحت الفصل السابع، بخلاف القرار الثاني. لمزيد من التفصيل حول هذين القرارين، راجع كتابنا: **دور الأمم المتحدة في تحقيق الأمن الجماعي الدولي**، جمهورية مصر العربية، المركز القومي للدراسات القانونية، ص ٣٣٠ وما بعدها.

٢- تُرجم هذا الإعلان عملياً في وثيقة استراتيجية الأمن القومي الأمريكي ٢٠٠٢م، لمزيد من التفصيل حول هذه الوثيقة: انظر كتابنا المشار إليه في المرجع السابق، ص ٢٠٤ وما بعدها.

السنوات الأولى أغرى واشنطن أنه بالإمكان إعادة التجربة وبالأدوات نفسها الوهابية المتطرفة في مناطق أخرى من العالم. فكانت نقطة الانطلاق بالمنطقة العربية من العراق، حيث نفذت القوات الأمريكية غزوها للعراق لإسقاط نظام صدام حسين في ٢٠٠٣م بتهمة امتلاك أسلحة دمار شامل ودعم الإرهاب، وكان ذلك صورة مصغرة لما حصل في أفغانستان سابقاً، فدخلت المنطقة منعطفا جديدا من "التوأمة" والـ"حرب بالوكالة" في علاقة واشنطن بدول الخليج، ومثلت السعودية الخزان المالي والبشري لتغذية الصراعات الطائفية والمذهبية، فنشطت وتنامت التيارات التكفيرية داخل العراق بالتزامن مع تواجد قوات الاحتلال الأمريكي، وشهدت العراق موجة تفجيرات إرهابية استهدفت كثيراً من المدن العراقية على رأسها العاصمة بغداد، حيث تشير بعض التصريحات لمسؤولين عراقيين أن ٥٠٠٠ انتحاري ممن فجروا أنفسهم في مناطق متفرقة من العراق يحملون الجنسية السعودية[١].

وصلت ذروة هذه التفجيرات في العام ٢٠٠٥ م. واستكمالاً للفوضى التدميرية التي شهدها العراق نتيجة احتلال القوات الأمريكية وانتشار التنظيمات الإرهابية، قامت إسرائيل في عام ٢٠٠٦م بشن عدوانها على لبنان للقضاء على المقاومة اللبنانية "حزب الله" وتسليم لبنان للقوى المدعومة من السعودية، بهذا تصبح سوريا بين كماشة القوات الأمريكية والتكفيريين في العراق وبين التيار الموالي للمشروع الأمريكي في لبنان، إلا أن انتصار حزب الله في تلك الحرب، وصدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم (١٧٠١) قد أربك حسابات المشروع الأمريكي وأدواته في المنطقة وشكّل أولى الانتكاسات للعلاقة بين واشنطن بالخليج وتحديداً العلاقة مع السعودية، وهو ما حدا بالإدارة الأمريكية آنذاك الحديث عن استراتيجية مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي أطلقته وزيرة الخارجية الأمريكية (كونداليزا رايس) أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان[٢] مستفيدة من عدة عوامل أهمها الدعم اللوجستي الخليجي "السعودي" إعلامياً وماليا أثناء الحرب على

١- هو ما أشار إليه رئيس الوزراء العراقي السابق حيدر العبادي في أحد خطاباته.
نص الخطاب متوفر على الرابط:
https://m.youtube.com/watch?v=zQUI_AZutUQ

٢- استخدم هذا المصطلح من قبل كونداليزا رايس أثناء خطاب لها في تل أبيب؛ متوفر على الرابط:
https://www.sasapost.com/new-middle-east-project

لبنان، واستغلال الثورة المعلوماتية التي تسخرها تكنولوجيا الاتصالات في ترويج مصطلحات كـ: "الهلال الشيعي" و "الخطر الرافضي" والمسنودة بفتاوى التكفير.

في ظل إدارة الديمقراطيين استمر تنفيذ استراتيجية الشرق الأوسط الجديد لكن وفق "رؤية الديمقراطيين" الذين لا يحبذون استخدام القوة العسكرية الأمريكية بطريقة مباشرة – على خلاف الجمهوريين - وإنما الاعتماد على القوة غير المباشرة لتنفيذ المصالح الأمريكية "الحرب بالوكالة" وهو ما بدا في خطاب أوباما عند أول زيارة له إلى الشرق الأوسط بعد تولي الرئاسة والتي افتتحها بضرورة تحسين العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامي: "لقد أتيت هنا للبحث عن بداية جديدة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي استناداً إلى المصلحة المشتركة"، وركز في خطابه على ثلاث مناطق رئيسية (العراق، أفغانستان، إسرائيل)، فتمنى أن يرى الجنود الأمريكيين عائدين من أفغانستان، وتعهد أنه سيحترم الاتفاق مع الحكومة العراقية المنتخبة ديمقراطياً والذي يقضي بسحب جميع القوات الأمريكية بحلول ٢٠١٢م، كما التزم بأمن إسرائيل، وركز على الخطورة الذي يمثلها تنظيم القاعدة[١]، لكن يبدو أن تنظيم القاعدة الذي تحدث عنه أوباما كان بمثابة القاعدة التي ستبنى عليها أعمدة التنظيمات الظلامية السوداء أبرزها تنظيم "داعش" الإرهابي.

-العلاقة الخليجية الأمريكية أثناء وبعد ثورات الربيع العربي:

أثبت الواقع العملي أن إعلان الولايات المتحدة قتل زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن بتاريخ ٢/ ٢٠١١/٥م وإعلان أوباما سحب القوات الأمريكية من العراق ٢١/١٠/٢٠١١م، لم يكن بقصد أن المهمة انتهت، وإنما كان بمثابة إنقاذ الجندي الأمريكي قبل المزيد من إشعال الحرائق في المنطقة على طريقة الإدارة الديمقراطية، والتي يمكن القول أن أبرز ملامحها "إدارة العنف الممنهج" وتعني - حسب تصورنا - دعم كيانات سياسية متطرفة تولد من رحم الشعارات والمطالب العادلة كوسيلة للوصول إلى السلطة في دول معينة . فهو أشبه بمفهوم "الثورات الملونة" أو "ربيع أوكرانيا" التي استخدمتها الولايات المتحدة في أوروبا، مع الأخذ بالاعتبار تحولها إلى العنف المسلح لخصوصية المنطقة العربية، والتي لن نسهب في شرحها هنا حتى لا نخرج عن جوهر الدراسة.

١- نص خطاب أوباما في جامعة القاهرة؛ متوفر على الرابط:

https://archive.arabic.cnn.com/2009/world/6/4/Obama.speech

المؤكد أن إدارة أوباما وجدت في عقدة الخوف القطرية من جارتها السعودية، وأحلام أردوغان العثمانية، وتلهف حركة الإخوان المسلمين للسلطة؛ ضالتها المنشودة لتمرير مشروع "العنف الممنهج" في إطار مشروع الشرق الأوسط الجديد، وخلق كيان سياسي ذي مرجعية دينية مذهبية (سنية) لمواجهة تيار المقاومة للمشروع الصهيوأمريكي في المنطقة. وقد تزعم الدور الخليجي الأبرز في هذه المرحلة (٢٠١١ - ٢٠١٥) دولة قطر، وذلك بما تملكه من شبكة إعلامية ضخمة أهمها قناة الجزيرة، ومسنودة بحركة إخوانية لها امتدادات واسعة على مستوى الساحة العربية والإسلامية، واستغلال القمع والاضطهاد لبعض الأنظمة تارة، والهامش الديمقراطي لبعضها تارة أخرى في تهييج الشارع العربي لإسقاط الأنظمة. وقد نجح هذا الثلاثي في بداية الأمر في ركوب موجة الثورة وإسقاط عدد من الأنظمة العربية والسيطرة على السلطة فيها مثل مصر وتونس وليبيا واليمن، وكذا السيطرة على أجزاء كبيرة من سوريا والعراق وجزء من لبنان. إلا أنه سرعان ما انهار في كثير منها، حيث شكّل سقوط هذا المشروع تدريجياً ابتداءً من مصر ومن ثم تونس ثم اليمن "بسقوط حكم الإخوان" وتحرير جرود عرسال في لبنان وحلب في سوريا والموصل في العراق مرحلة فاصلة في فشل المشروع الثلاثي التي تتزعمه قطر كأداة لتنفيذ الهيمنة الأمريكية على المنطقة.

خلاصة القول هنا، إن اندلاع ثورات "الربيع العربي" أدى إلى انفجار شعبي هائل في كثير من الدول العربية، مما ولد مخاوف لدى كثير من دول المنطقة بما ستؤول إليه تلك الثورات وانعكاساتها على وضعها الداخلي. وهو ما نتج عنه صعود ثلاثة عوامل رئيسية في هذه المرحلة نذكرها بإيجاز في الآتي:

١- موقف دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والتي تخشى من سيطرة جماعة الإخوان المسلمين ذات المرجعية الدينية المرتبطة بالمرشد الأعلى لها لا بملوك ورؤساء تلك الدول - كما هو الحال في التيارات السلفية الوهابية الأخرى - أضف إلى ذلك خوضها مع هذا التنظيم (جماعة الإخوان) صراعاً تاريخياً مريراً خصوصاً السعودية، أبرزها حركة فيصل الدويش عام ١٩٢٩م، الذي انقلب على الملك عبد العزيز آل سعود بعد أن جند نفسه والإخوان تحت إمرته، وكاد أن يطيح بملكه لولا تدخل بريطانيا آنذاك إلى جانب آل سعود. فكيف وقد أصبح الإخوان المسلمين تنظيماً دولياً له من الإمكانات ما لم تكن متوفرة له من قبل، ومسنوداً من دول تحتضن

زعماءه في الخليج كقطر، وهو ما حدا بالسعودية في عهد الملك عبد الله أن تقود حركات مناهضة لسلطة الإخوان في تونس ومصر، تكللن بالفعل بإسقاطها في مصر وتدجينها في تونس. لكن لا يفهم من هذا التحرك السعودي - الإماراتي أنه كان تحركاً خارج السرب الأمريكي، وإنما لحماية مصالحهما الداخلية من جهة، وتصوير الأمر أنه خدمة وحماية للمصالح الأمريكية، وذلك باستغلال الرفض الشعبي لسلطة الإخوان، والاستعانة بقوى الدولة العميقة في تلك الدول، كمؤشر على أن المشروع الذي تقوده قطر هو مشروع يغلب عليه التضخيم الإعلامي عبر الفضائيات دون أن يتناسب مع حجمه الشعبي.

٢- تصاعد التيار الثوري والشعبي المناهض للمشروع الأمريكي كما هو الحال في اليمن والعراق، ففي اليمن استطاعت حركة أنصار الله أن تصبح في بداية الأمر قوة ثورية تضاهي شعبية الإخوان خصوصاً في العاصمة صنعاء، ثم قادت هذه الحركة الشارع الثوري لإسقاط حكومة الإخوان (حكومة باسندوة) وإعلان ثورة ٢١سبتمبر ٢٠١٤. وعلى مستوى العراق بدأت تتشكل قوات الحشد الشعبي في ٢٠١٤م لمواجهة تنظيم ما سمي الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش)، وتحولت إلى قوة ضاربة استطاعت تحرير كافة المدن العراقية من التنظيم.

٣- دخول روسيا الاتحادية كلاعب رئيس في سوريا خشية من تمدد مشروع القوى التكفيرية المدعوم من تركيا إلى دول آسيا الوسطى وتكرار تجربة الأفغان العرب من جهة، وحماية نفوذها العسكري في سورية التي تطل على البحر الأبيض المتوسط، من جهة أخرى.

هذه العوامل الثلاث وغيرها من العوامل التي لم نسهب في شرحها هنا خشية من الخروج عن جوهر الدراسة، أدت إلى وضع الإدارة الديمقراطية بواشنطن في مأزق كبير، بل إن تهاوي "مشروع داعش" في المنطقة كان أحد أسباب خسارة هيلاري كلنتون الانتخابات الرئيسية في مواجهة الجمهوري دونالد ترامب والذي اتهم صراحة أثناء الحملات الانتخابية كلنتون وأوباما بتأسيس تنظيم داعش[١].

١- **ترامب يتهم أوباما بتأسيس داعش**، موقع صحيفة الحياة؛ متوفر على الرابط:
https://www.google.com/amp/s/amp.france24.com/ar/20160811

وعليه يمكن القول إن دخول روسيا كلاعب محوري في سوريا وزيادة قوة التيار الشعبي المقاوم للمشروع الأمريكي، جعل من التحالف الإماراتي السعودي هو المرتكز الأساس والبديل في نظر الإدارة الأمريكية لضمان عدم خروجها من المنطقة، وهذا هو جوهر الأزمة الخليجية بين قطر من جهة والإمارات والسعودية والبحرين من جهة أخرى، والتي لا تزال تداعياتها إلى اليوم. وهذه الاستراتيجية التي تبنتها الإدارة الأمريكية أواخر عهد أوباما كأحد ملامحها الجديدة يمكن إجمالها في الآتي:

١- تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد، وذلك بخلق كيانات مستقلة داخل الدول لا تقوم على الأسس المذهبية - بعد فشل داعش - وإنما على أُسس عرقية ومناطقية، وهو ما سعت إلى ترجمته الإمارات في دعم انفصال إقليم كردستان العراق، وما تسعى إليه في اليمن من خلال الأحزمة الأمنية المناطقية في المحافظات الجنوبية من اليمن، وفي سوريا بدعم قوات سوريا الديمقراطية الكردية، وكذلك في ليبيا. إلا أن هذا المشروع فشل في انفصال كردستان العراق رغم الاستفتاء الذي تم بتاريخ ٢٠١٧/٩/٢٥ م. وهو في طريقه للفشل في المحافظات الجنوبية اليمنية التي يتعزز الوعي الشعبي فيها يوماً بعد آخر بخطورة تقسيم الجنوب إلى كنتونات مناطقية متصارعة، وكذلك واقع الحال المُشاهد في سوريا وليبيا من نماء فكرة تعزيز الهوية القومية للدولة الجامعة.

أما عن الدور السعودي الذي كان يعول عليه بتكوين تحالف "سني" يضع الدول العربية والإسلامية تحت مظلة الهيمنة الأمريكية، ويمهد للتطبيع والتحالف العلني مع اسرائيل بحجة مواجهة الخطر الإيراني في المنطقة، فقد تجسد بالرهان على ما تحظى به السعودية من ثقل مادي ومعنوي، وعلى التغيير الحاصل في المملكة بموت الملك عبد الله وتولي الملك سلمان مقاليد الحكم، وتسهيل كل المعوقات له لكي ينحصر وراثة الحكم في أسرته، وهو ما ترجم عملياً بإزاحة أولياء العهد المعتمدين حسب أسلوب البيعة المتبع وتنصيب محمد بن سلمان ولياً للعهد. ومَثّل اجتماع القمة العربية في شرم الشيخ بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٨م أي بعد يومين من إعلان "عاصفة الحزم" من جانب السعودية على اليمن، وتشكيل التحالف العربي للعدوان على اليمن كنواة لهذا التحالف. لكن واقع الحال أثبت خلاف التوقعات الأمريكية، ومنيت الإدارة الأمريكية بخيبة أمل شديدة من هذا التحالف بقيادة السعودية والإمارات للأسباب الآتية:

١- إن التحالف الذي أرادت أن تطبعه السعودية بطابع مذهبي "سني" تحت قيادتها، والذي ضم معظم الدول العربية، كان يراد منه أن يكون قوة للتدخل العسكري المباشر في أكثر من دولة في حال نجاحه بحسم المعركة باليمن خلال الفترة التي كانت محددة بأن لا تتجاوز الشهرين - حسب اعتقادهم - قد تصدع بشكل كبير وبدأت الانسحابات منه تتوالى بل وشكّل رفض بعض الدول الإسلامية الوازنة الانخراط فيه مثل باكستان ضربة قوية له، ولتترك السعودية والإمارات تغرقان في جبال وصحاري اليمن.

٢- غياب القيادة الرشيدة في كل من السعودية والإمارات بسبب عوارض صحية في رأس السلطة، وتسليم دفة الحكم لوليي عهد يتصرفان تصرفات لا تتفق مع أبسط القيم والمبادئ التي تفرضها هيبة الدولة وتتماشى مع المعاهدات الدولية، وهو ما عرضهما لانتقادات شديدة سواء ما يتعلق بالجرائم المرتكبة بحق المدنيين في اليمن أو ما يتعلق بجريمة القنصلية في إسطنبول والتي تدور الشبهات حول ضلوع ولي العهد السعودي فيها.

- مستقبل العلاقات الخليجية الأمريكية:

تمر علاقة الدول الخليجية مع واشنطن - كأدوات لتنفيذ المشروع الأمريكي - في أسوأ مراحلها، ويتجلى ذلك من خلال فشل الإخوان العرب (تنظيم الإخوان) المدعوم قطرياً في دول "الربيع العربي" من تكرار نجاح تجربة الأفغان العرب بأفغانستان، إذ ازداد خصوم الولايات المتحدة (إيران وروسيا وحركات المقاومة للمشروع الصهيوأمريكي) قوة ونفوذاً في المنطقة، خصوصاً بعد الموقف الواضح لحركة حماس من انسلاخها عن أي مشروع لا يدعم خيار المقاومة الفلسطينية، وهو ما ترجم عملياً في غرفة العمليات المشتركة لفصائل المقاومة الفلسطينية في عملية خان يونس الأخيرة، والتي أجبرت ليبرمان على الاستقالة تعبيراً عن سخطه من موقف نتنياهو الضعيف بطلب الوساطة المصرية لوقف الحرب، وانتصار كبير لمحور المقاومة في المنطقة بقيادة إيران.

أما على المقلب الخليجي الآخر (التحالف السعودي الإماراتي) فإن هذا التحالف ليس بأحسن حال من سابقه، حيث أصبح يشكل عبئاً ثقيلاً على الولايات المتحدة الأمريكية في عدد من الملفات، وخصوصاً الجرائم التي يرتكبها التحالف في اليمن ضد المدنيين دون تحقيق أي إنجاز كبير على المستوى العسكري، بالإضافة إلى الفجوة الحاصلة داخل الأسرة المالكة في السعودية بعد أحداث الاعتقالات لكثير من الأمراء في فندق الريتز

نهاية العام ٢٠١٧ من جانب ولي العهد محمد بن سلمان، وما ترتب عن ذلك من سطو على جزء من ثرواتهم تحت مسمى مكافحة الفساد، والإهانة التي يعامل بها كثير منهم حتى بعد الإفراج عنهم عن طريق وضع أساور الترقب الإلكترونية على أجسادهم، وهذا الأمر لم يقتصر على الأمراء بل طال معظم رجال الأعمال البارزين في السعودية، وكذا اعتقال رئيس وزراء لبنان سعد الحريري. أضف إلى ذلك جريمة قتل جمال خاشقجي وتقطيعه داخل القنصلية السعودية بإسطنبول، وحملات القمع والاعتقالات التي تقوم بها أجهزة الأمن السعودية ضد العلماء المحسوبين على تيار الإخوان وكذا الناشطين الحقوقيين، كل هذه الملفات تشكل ارتدادات سلبية كبيرة على استقرار المملكة داخلياً، وعلى المستوى الخارجي فقدان المملكة للهالة المعنوية لدى كثير من شعوب المنطقة العربية، وهو ما تجلى واضحاً من خلال المظاهرات التي خرجت في بعض البلدان العربية التي كانت ضمن برنامج زيارة محمد بن سلمان أثناء حضوره قمة العشرين الأخيرة المنعقدة في الأرجنتين، وتؤشر إلى مستقبل غامض للأسرة الحاكمة، وزيادة الوعي لدى الشارع العربي بالرهان على محور المقاومة للمشروع الأمريكي في المنطقة، كما تضع واشنطن في وضع لا تحسد عليه أمام الرأي العام العالمي، وتضعف من سطوتها على المنطقة خصوصاً مع تراجع فرص نجاح صفقة القرن لتصفية القضية الفلسطينية، وبقاء واشنطن وحيدة في قرارها بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، والتي كانت تأمل من هذه الخطوة أن تنجر كثير من الدول وراءها ومن بينها دول خليجية.

إن هذا التراجع الواقعي لدور واشنطن في المنطقة وخصوصاً الخليج، جعل من بريطانيا تعيد إحياء دورها السابق في منطقة الخليج بهدف سد الفراغ لأي تراجع للدور الأمريكي مستقبلاً وهو ما بدا من خلال المناورات التي أجرتها القوات الملكية البريطانية مع سلطنة عمان بتاريخ ٢٠١٨/١٠/١م، واستمرت ما يقارب الشهر تحت اسم (السيف السريع ٣)، وما أعقبها من توقيع اتفاقية للدفاع المشترك بين السلطنة وبريطانيا، وكذلك المناورات التي قامت بها بريطانيا مع القوات الجوية السعودية تحت عنوان العلم الأخضر بتاريخ ٢٠١٨/١١/٢٦م، والتي من المرجح أن تنتهي بتوقيع اتفاقية حماية مشتركة، وليس من المستبعد أن تقوم بريطانيا بتوقيع اتفاقيات مماثلة مع بقية دول الخليج، خصوصاً في ظل التصدع الذي يشهده مجلس التعاون الخليجي والذي انعكس على شكل أزمات داخل دول المجلس بدت حادة ومعلنة بين قطر من جهة والسعودية والإمارات والبحرين

من جهة أخرى، وتقارب الموقفين الكويتي والعُماني المتصاعد على حساب التقارب السعودي الإماراتي، وهو ما بدا من موقف ممثل سلطنة عمان في قمة مجلس التعاون الخليجي المتعقدة بالرياض - والتي لم تدم سوى ساعات - حيث اكتفى ممثل سلطنة عمان في كلمته بـ: "بتأييد ما ورد في كلام رئيس دولة الكويت باعتبارها تمثل موقف السلطنة"، دون أن يشيد أو يثني على ما جاء في كلمة الملك سلمان. كما أن التحالف السعودي الإماراتي وإن بدا في ظاهره منسجماً نوعاً ما إلا أن هناك هوة كبيرة بين البلدين في ملفات إقليمية عدة أبرزها اليمن، وهو ما يتجلى من خلال "صراع الأجنحة" بين قيادات وقوى المرتزقة التابعة للسعودية والإمارات حول تطبيق اتفاق استكهولم.

فأنصار الله وبقية الأحزاب كطرف في المفاوضات أظهر التزاماً كبيراً بإنجاح هذا الاتفاق، بل إن إعلان قائد الثورة في صنعاء السيد عبد الملك الحوثي الاستعداد لتنفيذ اتفاق استكهولم من طرف واحد، والمبادرة الإنسانية بحق الأسير السعودي المريض كبادرة لتنفيذ الاتفاق فيما يتعلق بالأسرى بينما ظلت عقدة التفكك وصراع تلك الأجنحة هي المعطل الرئيس لهذا الاتفاق، حيث إن الطرف المفاوض مما تسمى الشرعية والمتواجدة في فنادق الرياض والموقعة على اتفاق استكهولم لا تملك القبضة العسكرية على الأرض في المناطق المحتلة من تحالف العدوان، وعلى وجه الخصوص في الساحل الغربي.

يضاف إلى ذلك خروج المظاهرات في المناطق الجنوبية المحتلة للمطالبة برحيل القوات الإماراتية، وبروز حالة من التذمر ضد القوات الإماراتية دون أي ذكر للاحتلال السعودي!! في مقابل ذلك إطلاق النار على الفريق الأممي في خطوط التماس في الحديدة حيث إن الكثير من "الفصائل" المتواجدة على خطوط التماس ومنها "لواء العمالقة" يخضع لتوجيهات القوات الإماراتية ولا يعترف في حقيقة الأمر بطرف الحكومة التابعة للرياض الموقعة على الاتفاق. وهو ما يجعل من الصعوبة تنفيذ هذا الاتفاق الموقع عليه من طرف الحكومة التابعة للرياض، ويضع الأمم المتحدة في موقف لا تحسد عليه، وينعكس بشكل كبير على ثقة المجتمع الدولي بهذا التحالف بقيادة السعودية والإمارات ومصداقية الولايات المتحدة كدولة كبرى مؤيدة للاتفاق ولو بشكل غير مباشر من خلال دعمها للقرارين الأخيرين الصادرين من مجلس الأمن الدولي.

هذه الملفات التي ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر تنبئ بأن العلاقة بين السعودية والإمارات يصدق عليها المثل الشائع (الجمر تحت الرماد)، فالخطوط الحمراء الحاكمة لهذه العلاقة ليست داخلية بقدر تماهيها مع مشروع "المرجعيات" الثلاث (الولايات المتحدة، بريطانيا، إسرائيل) في المنطقة، وهو ما بدا واضحاً من تحجيم مستوى التمثيل الدبلوماسي بالقمة الاقتصادية العربية في بيروت وما رافق ذلك من عدوان للتحالف على العاصمة صنعاء، وكذا العدوان الإسرائيلي على دمشق عشية انعقاد القمة. والاتهامات المتبادلة بين القيادات الموالية للاحتلال السعودي الإماراتي عن مسؤولية الفوضى التي تعصف بالمحافظات اليمنية المحتلة، في مقابل ذلك تماسك وتعاظم الإنجازات التي يحققها الجيش واللجان الشعبية وهم على أبواب الثبات والصمود للعام الخامس من العدوان.

خلاصة القول: من خلال استعراضنا الموجز في هذه القراءة لمراحل العلاقة الخليجية مع واشنطن، نجد أن هذه العلاقة المتشابكة في كثير من المجالات الاقتصادية والثقافية والعسكرية والسياسية، تسعى واشنطن ومن ورائها بريطانيا إلى تحقيق أهداف عقائدية بما تمليه الأفكار البروتستانتية التي تهيمن على مخيلة "البروتستانت البيض من الأمريكيين والإنجليز الذين يرون أنفسهم يهود الروح الذين أوكل لهم الرب قيادة جيوش القيامة بعد أن أصبح يهود الدم هم الشعب الشاهد والضعيف"[1]. وهي الأفكار التي كانت تلهب مخيلة الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية، والذين هاجروا من إنجلترا واعتبروا أن اضطهادهم من ملك بريطانيا كاضطهاد فرعون لأصحاب موسى، وأنهم فروا بدينهم كما فر أصحاب موسى من فرعون، وأطلقوا على المستعمرات الأمريكية الجديدة أسماء تلمودية "أرض كنعان" و"إسرائيل الجديدة" و"أرض الميعاد". وهذه العقيدة البروتستانتية القيامية رافقت كل الرؤساء البروتستانت الذين حكموا الولايات المتحدة - عدا جون كندي الكاثوليكي المذهب والذي اغتيل في ظروف غامضة عام ١٩٦٣م - حتى أن الرئيس ريغان كان يعتقد أنه من الجيل الذين سيشهدون معركة "أرمجدون القيامية". بل وكان يفسر امتلاك أمريكا للسلاح النووي بأن الشعب الأمريكي هو المقصود من نبوءة حزقيال بأن الله سيحرق أعداء إسرائيل بالكبريت والنار.

١ - انظر: **الصراع العربي الإسرائيلي**، مادة ضمن متطلبات الجامعات اليمنية، ٢٠١٧م.

وأن هذا السلاح منحة من الله لعظمة الشعب الأمريكي[1]، وهو ما يفسر التزام جميع رؤساء أمريكا بحماية إسرائيل. بل إن المسألة العقائدية باتت أشد وضوحاً في عهد ترامب والذي صرح مؤخراً بأن تواجد أمريكا في الشرق الأوسط ليس بهدف النفط كما يتصور البعض، وإنما لحماية إسرائيل. بل وذهب إلى أبعد من ذلك بالحديث عن جوهر العلاقة (العقائدية) بين واشنطن والسعودية بقوله: "لولا السعودية لكانت إسرائيل في ورطة". وأردف قائلاً: "هل تريدون إسرائيل أن ترحل، إن لدينا حليف قوي وهو السعودية".

كما تستغل واشنطن التصرفات السلبية التي يقوم بها ولي العهد لتسخيرها بجر السعودية إلى التطبيع العلني مع إسرائيل، وهو ما بدا من موقف نتنياهو بطلب الوساطة لدى واشنطن لولي العهد بخصوص قتل خاشقجي، بل إن جوهر هذه العلاقة لا يقتصر على المملكة السعودية وإنما على جميع دول الخليج، وهو ما يتجلى بالضغط الأمريكي البريطاني على بقية دول الخليج بالتطبيع العلني من خلال زيارات وفود رسمية إسرائيلية لدول الخليج. في المقابل، فإن التيار الشعبي المقاوم في المنطقة للمشروع الأمريكي الإسرائيلي من منظور ديني يزداد قوة ووعي بخطورة الهيمنة الأمريكية على الجزيرة العربية والدول العربية.

وعليه فإن العلاقة المستقبلية بين واشنطن ودول الخليج والتي يهيمن عليها غموض واضح مرهونة حسب تصورنا بثلاث مديات رئيسية:

أولها: مدى استقرار الحكم الأسري لممالك الخليج من عدمه وخصوصاً في السعودية.

ثانيها: مدى قدرة الأنظمة الخليجية على تحييد شعوبها بعدم الخوض في القضايا الكبرى للأمة، وأبرزها القضية الفلسطينية والتطبيع العلني مع إسرائيل.

ثالثها: مدى قدرة واشنطن على الاحتفاظ بتفوقها كقوة أحادية في النظام الدولي، في ظل تزايد الاتجاه نحو نظام دولي متعدد الأقطاب تكون الصين وروسيا أبرز المنافسين لها.

---

١ - المرجع السابق، ص ٧٧.

دور القبيلة اليمنية في مواجهة العدوان على اليمن

خالد يحي العماد
باحث في علم الاجتماع سياسي

مقدمة:

(قبائل اليمن) هي القبائل القاطنة ضمن حدود الجمهورية اليمنية. ولا توجد إحصائيات رسمية لعدد القبائل في اليمن، لكن بعض الدراسات تشير إلى أن: "القبائل تشكل حوالي ٨٥% من تعداد السكان البالغ عددهم ٢٨٨،٤٠٨،٢٥ نسمة (فبراير ٢٠١٣م). وبحسب بعض الإحصائيات فإنه يتواجد ما يقارب ٢٠٠ قبيلة في اليمن، وبعضها الآخر أحصى أكثر من ٤٠٠ قبيلة"(١)، وبصفة عامة، تعد اليمن أكثر بلدان العالم العربي قبليةً. ولمعظم القبائل اليمنية تاريخ قديم يعود إلى عصر الدول اليمنية القديمة كمملكة سبأ. وفي فترات مختلفة من التاريخ شكلت القبائل اليمنية تحالفات قوية لبناء دول وإسقاط أخرى. وبالرغم من أن عموم القبائل اليمنية تعود إلى أقسام مشتركة بطبيعة الحال، فإن تنسيب القبيلة بمعناه الدقيق يعد ترفاً معرفياً، وهو أمر ليس بأهمية النظر إلى طبيعة التحالفات القبلية؛ فالقبائل أبعد من أن تكون هياكل مجتمعية متجانسة بأي حال من الأحوال، إذ قد تشترك عدة قبائل في تاريخ ونسب مشترك، ولكنها تدخل في إطار تحالفات مختلفة.

ظلت اليمن عبر فترات طويلة تشكل أمة موحدة على الرغم من عدم تشكل دولة مركزية تفرض سلطتها على كامل اليمن، باستثناء فترات قصيرة من تاريخ اليمن. وكانت الأمة مكونة من عدد من القبائل. وقد استقر التقسيم القبلي في اليمن مع ظهور الإسلام في إطار أربعة اتحادات قبلية (حمير، مذحج، كندة، همدان)، حيث يتكون تجمع

١- "قبيلة"، **الموسوعة الحرة**، موقع ويكيبيديا؛ متوفر على الرابط:

hptts://ar. Wikipedia.Orglw

قبائل مذحج من ثلاث قبائل (عنس، مراد، الحداء) وهي تعيش في المناطق الشرقية من اليمن، أما قبائل حمير فهي التي تسكن المناطق الجبلية الجنوبية والهضاب الوسطى، أما همدان فتتكون من قبيلتين (حاشد وبكيل). وقد أدت الظروف السياسية والاقتصادية في اليمن خلال العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث إلى إعادة رسم الخارطة القبلية لليمن، فانضمت قبائل مذحج إلى اتحاد قبائل بكيل، وانضمت بعض قبائل حمير إلى اتحاد قبائل حاشد.

بالتالي، فإن الخارطة القبلية في اليمن لم تكن جامدة، فالبنية القبلية لم تتحدد على أساس القرابة، بل أيضاً على أسس سياسية واقتصادية؛ فالقبيلة اليمنية في ظل غياب الدولة كانت تضطلع بجميع الوظائف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي يمكن للدولة أن تقوم بها، لذلك كانت القبيلة اليمنية تنظيماً حربياً يضمن أمن أفراده وحماية ممتلكاتهم، وكانت تنظيماً اقتصادياً ينظم استخدام الموارد الطبيعية، وأيضاً تنظيماً اجتماعياً وقانونياً ينظم قواعد العلاقات الاجتماعية وتسوية الخلافات بين أفراد القبيلة.

أولاً: تعريف القبيلة

١ - تعريف القبيلة لُغةً:

يعرف علماء اللغة العربية القبيلة بأنها: "جماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جد واحد، كقبائل العرب وسائرهم من الناس، وأخذت قبائل العرب من قبائل الرأس لاجتماعها، وجماعتها الشعب والقبائل دونها، يقال الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن"[١].

٢ - تعريف القبيلة اصطلاحاً:

تعرف القبيلة اصطلاحاً بأنها: "الشكل الاجتماعي والسياسي الذي كان سائداً قبل ظهور مفهوم المدينة أو الدولة، إذ أن الدراسات الأنثروبولوجية تعتبر القبيلة نمطاً مجتمعياً ونموذجاً من نماذج التنظيم الاجتماعي، إلا أن الباحثين يؤكدون صعوبة إيجاد تعريف شامل لها؛ لذا برزت العديد من المحاولات النظرية لتقديم مفهوم أو تعريف للقبيلة ومن بينها ذلك التعريف القائل بأنها: مجموعة بشرية مكونة من مجموعات اجتماعية، يجمع

١- ابن منظور، **لسان العرب**، (تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون)، القاهرة، دار المعارف، ج ٥، ط ٢، ص ٢٥١٩.

بينها رابط القرابة، وتحتل مجالاً ترابياً تمارس عليه سلطتها، وتدافع عنه، وتخضع لقيم ومبادئ مشتركة"[١].

٣ - تعريف قاموس أكسفورد للقبيلة:

عرفها القاموس بأنها: "جماعة من الناس يشكلون مجتمعاً محلياً ويعلنون أنهم ينحدرون من جد أو سلف مشترك"[٢].

٤ - تعريفات أخرى للقبيلة:

- هي: "أحد المؤسسات الاجتماعية أو منظمات المجتمع المدني والتي تقوم على رابطة الدم كعامل أساسي في التأثير على آراء واتجاهات أبنائها"[٣].

- هي: "جماعة من الناس تنتمي في الغالب إلى نسب واحد يرجع إلى جد أعلى أو اسم قبلي يعتبر بمثابة جد، وتتكون من عدة بطون وعشائر، وغالباً ما يسكن أفراد القبيلة إقليماً مشتركاً يعدونه وطناً لهم، ويتحدثون لهجة مميزة، ولهم ثقافة متجانسة أو تضامن مشترك"[٤].

ثانياً: لمحة تاريخية عن الدور السياسي للقبيلة اليمنية

"هب رجال اليمن لنشر راية التوحيد من ديار الإسلام، وهناك في أرض الهجرة دافعوا دفاع الأبطال، واقتحموا الأهوال وصابروا وصبروا وقاتلوا حتى ظفروا بإحدى الحسنيين"[٥].

تاريخياً، كان للقبائل اليمنية دور كبير وبارز في الفتوحات الإسلامية، وفي نصرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في معارك الجمل وصفين. كما كان للقبائل اليمنية (الشمالية والشرقية) صولة وجولة في مواجهة الغزو الأيوبي لليمن منتصف القرن السادس الهجري (٥٦٩هـ - ٦٢٦هـ) بقيادة الإمام أحمد بن سليمان وكذلك الإمام عبدالله بن حمزة. وقد قاومت القبائل اليمنية - أيضاً - الغزو التركي لليمن في القرن

١- منذر إسحاق، **القبيلة والسياسة في اليمن: مقاربة سوسيولوجية**، تعز، المؤسسة التنموية للشباب، ٢٠١٢م، ص ٢.

2- Morton H. Fried, **The Nation of Tribe**, Menlo Park, California, Publishing Company, 1975, P 3.

٣- جمعه الزروق فرج بلعيد، **دور القبيلة في الأنظمة السياسية والعربية (اليمن نموذجاً)**، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، العلوم السياسية، جامعه الشرق الأوسط، ٢٠١٥م، ص ٦.

٤- "قبيلة"، الموسوعة الحرة، **مرجع سابق**.

٥- العلامة أحمد بن أحمد المطاع، **تاريخ اليمن الاسلامي من سنة ٢٠٤هـ - ١٠٠٦هـ**، (تحقيق: عبدالله محمد الحبشي)، (د. م. ن)، دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٦م، ص ٢٥.

العاشر الهجري، وقد قاد احدى الثورات ضد ذلك الغزو الإمام القاسم محمد بن علي (١٠٤٥هـ). وبالرغم من كثرة جيش الأتراك وتطور سلاحه في مقابل بساطة عتاد وأعداد القبائل اليمنية وسلاحها، إلا أن الأتراك واجهوا مقاومة شرسة داخل اليمن، وذلك تأكيداً لمقولة أن اليمن تعد "مقبرة الغزاة". وقد تمكنت القبائل اليمنية بقيادة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين من دحر الاحتلال التركي وتوحيد اليمن شمالاً وغرباً وشرقاً في العام ١٩١٧م. كما تمكنت قبائل الجنوب اليمني من دحر الاحتلال البريطاني رغم مدة بقائه الكبيرة في جنوب اليمن (١٣٩عاماً)؛ إذ تمكنت بسالة وشجاعة وصبر تلك القبائل ومساندتها من القبائل الشمالية من هزيمة ودحر الاحتلال البريطاني من أرض الجنوب اليمني نهاية العام ١٩٦٧م. وبصفة خاصة، كان للقبائل اليمنية دور مؤثر في تشكل الدولة اليمنية القديمة والمعاصرة على الأصعدة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

على المنوال ذاته، تواجه القبائل اليمنية في الوقت الحاضر العدوان السعودي الأمريكي منذ أربعة أعوام بتنظيمها التقليدي وسلاحها البسيط؛ حيث أبهرت العالم وقهرت فخر الصناعات العسكرية الأمريكية والأوروبية، مسجلة بذلك أروع وانصع الانتصارات، ومكبدة قوى العدوان أفدح الخسائر المادية والبشرية.

ثالثاً: تركيبة القبيلة اليمنية

"تعد البنية القبلية من أهم السمات الرئيسية التي تتميز بها البنية الاجتماعية في المجتمع العربي عموماً، والمجتمع اليمني خصوصاً؛ حيث ظلت القبيلة عبر التاريخ جزءاً لا يتجزأ من المفهوم العام للأمة والمجتمع اليمني، ولعبت دوراً فاعلاً في الحياة السياسية، وتمتعت في كثير من حقب التاريخ بنفوذ كبير"[١]. و "تشكل القبيلة اليمنية - تاريخياً - وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة ومستقلة عن غيرها من الوحدات، فكانت تمثل تنظيماً لإدارة الموارد الطبيعية المملوكة ملكية جماعية، ووحدة عسكرية تضطلع بالدفاع عن أفرادها والأفراد والجماعات التابعة لها، وتنظيم اجتماعي ينظم علاقة أفراده بعضهم بالبعض الآخر"[٢].

١- منذر اسحاق، **مرجع سابق**، ص ١.

٢- عادل مجاهد الشرجبي وآخرون، **القصر والديوان: الدور السياسي للقبيلة في اليمن**، صنعاء، المرصد اليمني لحقوق الانسان بالتعاون مع معهد دراسات التنمية الدولية -كندا، ٢٠٠٩م، ص ١٧.

كما تتميز القبيلة اليمنية بقوة ترابطها وقوة بنيتها البيولوجية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فالقبيلة اليمنية تتكون من الأسرة، والأسرة مع الأسرة تشكل القرية، والقرية مع القرية تشكل القبيلة، والقبيلة مع القبيلة تشكل المخلاف. وتجمع القبيلة عادةً رابطة الدم، لكن أحياناً قد لا توجد رابطة دم واحدة في القبيلة. كما يوحد القبيلة - بعد الدين - عاداتها وتقاليدها وأعرافها وأسلافها ولهجتها. وللأعراف والأسلاف والعادات والتقاليد قداسة وحضور في حياة ووجدان القبيلة اليومي، حيث أن للقبيلة طقوساً اجتماعية وسياسية واقتصادية عرفت بها منذ القدم، كالوحدة في مواجهة العدو و"الغُرْم" والعون والتعاون في الزراعة، وكذا التكافل الاجتماعي بين أفراد القرية الواحدة والقرى معاً، ومن ثم القبائل فيما بينها، فهذه الطقوس تعتبر جامعة وموحدة لأفراد القبيلة والقرية على حد سواء، ولا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال.

نتيجة لهذا التركيب المعقد والطقوس الموحدة والجامعة والقوية في فاعليتها بين أفراد القبيلة، ظلت قبائل اليمن قوية ومترابطة وعصية، ولم تخضع للاستعمار أو الغزو، ولم تقبل بالأجنبي، حتى أنها أحيانا كانت تثور ضد حكامها الظلمة إذا ما دعا الأمر.

رابعاً: القبيلة تثور ضد النظام الفاسد (٢٠١١م)

خرجت قبائل اليمن ضمن مكونات الثورة الشعبية الكبيرة التي قامت ضد نظام صالح في مطلع العام ٢٠١١م، وذلك نتيجة لفساد ذلك النظام على المستويات الإدارية والمالية والسياسية والاقتصادية، وسوء توزيع الثروة الوطنية، وكذا تهميشه لدور أبناء القبائل ومشايخها المعارضين للنظام، وافتقار مناطقهم لمشاريع التنمية والخدمات العامة، ناهيك عن نهب ثروات البلد وتمكين الشركات الأجنبية من التحكم في ثروات اليمن المعدنية والنفطية. في المقابل، سعت أمريكا جاهدة لبقاء "صالح" في مسرح العملية السياسية وبقاء أعوانه الفاسدين عن طريق ما عرف بالمبادرة الخليجية، حيث أعطت تلك المبادرة لصالح وأعوانه حصانه قانونية تمنع من ملاحقتهم قضائياً، فكان تمرير الأمريكان لتلك المبادرة بمثابة اغتيال مبكر للثورة الشعبية.

في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م خرجت قبائل اليمن - مجدداً - بثورة عارمة ضد نظام هادي وحكومة باسندوه، وذلك في ظل تصاعد وتيرة الفساد المالي والإداري و"الجرع" التي توالت على الشعب اليمني. ونجحت تلك الثورة - في مرحلة لاحقة - في مواجهة واجهاض مؤامرة مشروع الأقلمة بمؤازرة القبائل اليمنية، حيث رحل المارينز الأمريكي عن الأرض اليمنية،

واستقل القرار السياسي لليمن، بعد أن كانت اليمن تدار من السفارات. كما تمكنت اللجان الشعبية من القضاء على تنظيم القاعدة في سبع محافظات يمنية، وإلقاء القبض على عصابات الاغتيالات التابعة لحزب الإصلاح.

خامساً: القبيلة تواجهه العدوان السعودي الأمريكي على اليمن

"لقد أثبتت الأحداث التي شهدتها اليمن قديماً وحديثاً دور القبيلة ليس فقط في عملية التنمية بل أيضاً دورها ومساهمتها في دعم الحركات الوطنية التي دافعت عن اليمن ضد الغزو الأجنبي"[١]. "وتمثل القبائل في اليمن أحد أهم المقومات الأساسية المتعاقبة، وتعد المخزون الاستراتيجي لتزويد الأنظمة السياسية اليمنية المتعاقبة بالرجال المحاربين والجيوش المقاتلة. كما أن السمة التي تميزت بها حياة القبيلة في اليمن - عبر التاريخ - هي النزعة الحربية والقتالية لأفرادها وجماعاتها، وما زالت القبيلة اليمنية المكون الأساسي للمجتمع اليمني"[٢].

"إن هذا الدور لقبيلة اليمن ليس وليد اللحظة وإنما بنية اجتماعية قيمية أخلاقية متأصلة ضاربة في عمق التاريخ، بعكس ما لمسناه من المكونات السياسية التي أثبتت تضعضعاً أخلاقياً يفوح عفنه من إبط تصرفات قياداتها (....) فالقبيلة ممثلة باللجان الشعبية قد جمعت واحتضنت تحت راية الوطن في مواجهة العدوان كافة الأطراف والمكونات ومن كافة المناطق"[٣].

"هذه الروح القبلية الأصيلة جزءٌ أصيل من تكوينها الاجتماعي والاقتصادي (....) إلا أن القبيلة مازالت تحتفظ بالقيم الأصيلة التي تعكس تكوينها الأول، والقبيلي متمسك بقبيلته رغم تحرره الاقتصادي، فنجد الكرم والجود ووحدة الجماعة في دفاعها عن الفرد فيها وعن ساحتها"[٤]. "والقيادة في القبيلة متوارثة، ولها ترتيب هرمي يكون الشيخ في قمته، وقوة الشيخ في القبيلة غير مسبوقة"[٥]. "أعلنت قبائل همدان والحيمة وبني

١- جمعه الزروق فرج بلعيد، **مرجع سابق**، ص ٨٩.

٢- **المرجع نفسه**، ص ٩٦.

٣- زياد السالمي، **قبيلة اليمن ودورها في مواجهة العدوان**، موقع خبر وقضية؛ متوفر على الرابط:
https://www.laamedia.com/articalview.aspx?art=4122

٤- أنس القاضي، عن **القبيلة اليمنية.. دورها التاريخي ومستقبلها الوطني**، موقع متابعات؛ متوفر على الرابط:
https://www.motabaat.com/2016/04/18

٥- جمعه الزروق فرج بلعيد، **مرجع سابق**، ص ٦٦.

حشيش وخولان وبلاد الروس وسنحان في محافظة صنعاء، وقبائل الحداء وآنس ورداع والبيضاء والمحويت، وخيران وعبس في حجة، ومعها حاشد وبني صريم في عمران، وقبائل يام وريمة، وأخرى من الحديدة، انتقالها من المساندة إلى المواجهة المباشرة مع قوات التحالف، ونظمت هي الأخرى عروضاً عسكرية كبيرة أظهرت فيها قدراتها القتالية التي بدا أنها توازي - مجتمعةً - قوة الدولة لجهة العتاد والرجال"[1].

"إن التحول الدراماتيكي في موقف القبائل من الإسناد إلى المواجهة يضع قوات العدوان في مواجهة مباشرة مع الشعب اليمني برمته، كما يرى مراقبون يؤكدون أن هذا التحول سيساهم بعد الإنهاك الكبير للعدو، وفي تعزيز صمود الجيش واللجان الشعبية من جهة وإحباط تقدم القوات الموالية للعدوان، كما يلغي ذلك في رأيهم فرضيات التحالف في إحداث اختراق لما يسمى (قبائل الطوق) التي تحيط بالعاصمة من كل اتجاه، فضلاً عن أن أسلوب العروض العسكرية يعيد تنظيم دور القبائل ويعلن مرحلة جديدة من سلوك مقاتليها"[2].

ينطلق أفراد القبيلة في مواجهتهم للعدوان من إيمانهم الكامل بواجبهم القبلي الوطني والديني، حيث تتجلى مظاهر دور القبيلة اليمنية في تلك المواجهة بما يقدمه أبناء القبائل من دعم للجبهات ورفد لها بالمقاتلين بين الحين والآخر، وكذا مساندة الجبهات بالوقفات القبلية المسلحة التي يتخللها الكلمات الحماسية والشعر الحماسي والقوافل الغذائية.

أ - القبيلة ترفد الجبهات بالمقاتلين:

(قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِين) [النمل: ٣٣].

حين شن العدوان السعودي الأمريكي حربه على اليمن كانت القبائل اليمنية في مقدمة صفوف مواجهته، حيث تلعب القبيلة اليمنية منذ أربع سنوات دوراً بارزاً وجوهرياً في مقاومة ذلك العدوان الغاشم، فرجال القبائل اليمنية - بطبيعتهم - يحملون السلاح ويجيدون استخدامه ويتقنون مهارات وفنون الحرب كابراً عن كابر. كما أن القبائل اليمنية تملك مختلف أنواع السلاح الخفيف والمتوسط وتجيد استخدامه بكفاءة عالية.

١- رشيد الحداد، **القبائل اليمنية ترتدي بزّة الحرب لمواجهة قوات العدوان**، موقع المرصاد نت؛ متوفر على الرابط:
https://www.almersad.net

٢- المرجع السابق.

وتتمتع كذلك بروح المقاومة والشجاعة والنجدة والمروءة والكرم، ما جعل تحركها في جبهات القتال تحركاً سريعاً ومرناً ومؤثراً. كما تحتفظ القبائل اليمنية بثقافة الغُرْم، وهي مساهمة أبناء القبيلة في رفد الجبهات بالرجال المقاتلين والسلاح والمال والمواد الغذائية. ولأبناء القبائل اليمنية قدرة عجيبة على تحمل التعب والمشقة والصبر والإصرار على تحقيق النصر. ونلاحظ أنه بعد مرور أربعة أعوام على عدوان السعودية وأمريكا على اليمن فإن قبائل اليمن لا تزال صامدة وصابرة، بل تواجه وتجابه العدوان بكل بسالة وشجاعة رغم بساطة السلاح الذي يملكه رجال القبائل، حيث أن معنوياتهم كبيرة ويتمتعون بثقة كبيرة بأنفسهم ويؤمنون بقناعاتهم الشخصية بالنصر منذ اليوم الأول للعدوان على اليمن. لقد أبهر أولئك الرجال العالم وهم يواجهون أحدث وأفخر الصناعات العسكرية الأمريكية والأوروبية من طائرات ودبابات ومدرعات ومدفعية متطورة، وهم يواجهون كل تلك الأسلحة الحديثة بالكلاشنكوف والـ آر بي جي، أربعة أعوام من العدوان على اليمن وقبائل اليمن تقاتل وتواجه دونما هوادة، وذلك بالرغم من تفكك الجيش اليمني وتعدد ولاءاته وغيابه عن جبهات القتال إلا ما ندر من أبناء الجيش الشرفاء والأوفياء لوطنهم. زد على ذلك أن اليمن أصبح بلداً محاصراً براً وبحراً وجواً.

ب- القبيلة تواجه اقتصادياً:

"إن اليمن ورغم أزمته الاقتصادية الخانقة يتميز بحيوية مجتمعه السياسي، وتعدد الأقطاب الاجتماعية الصلبة فيه وفي طليعتها القبائل. وبالتالي فالدولة اليمنية لا يمكن أن تدار على المدى المنظور من دون حل جذري للمشاكل الاقتصادية والسياسية. وهذا ما يغيب عن وعي الساسة السعوديين والإماراتيين الذين يفضلون التعامل مع الظواهر وليس الجذور"[1].

تمثل القبيلة مكوناً أساسياً من مكونات رأس المال الاجتماعي، وقوة اقتصادية حية تمتد تأثيراتها على العلاقة بين الدولة والقبيلة. ولم يكن للقبيلة دور واحد فحسب وهو رفد الجبهات بالمقاتلين الشجعان؛ ولكن لها دور آخر اقتصادي محوري متمثل في رفد الجبهات بالقوافل الغذائية وبالمال والسلاح من حين إلى آخر. ورغم الحصار وارتفاع الأسعار إلا أن أبناء القبائل اليمنية لديهم ثقافة العون والغرم والرفد وهو واجب قبلي وموروث اجتماعي ضارب في عمق التاريخ اليمني والحضارة اليمنية، فبين الحين والآخر

١- مؤامرة جديدة تواجه اليمن: الخلفيات والتداعيات، **مرجع سابق**.

يظهر أبناء القبائل اليمنية في وقفات مجتمعين ومعهم ما جادوا به من المال والمواد الغذائية والأبقار والأغنام رفداً للجبهات، متعهدين بالمزيد من الدعم ومن الرفد للجبهات وأن ما يقدمونه ليس إلا القليل، حتى أن آباء بعض الشهداء لا يكتفي بأن قدم ابنه شهيداً، ولكنه يقوم بتسيير قافلة غذائية باسم الشهيد. فأي شعب عظيم كالشعب اليمني وأبناء قبائل الشعب اليمني الشجعان الكرماء الأوفياء لبلدهم ولدماء شهدائهم ولدينهم.

جـ- القبيلة تواجه ثقافياً:

لدى اليمنيين موروث أدبي شعبي كبير وعريق وقديم ومتميز متمثل بالخطابة والنثر والشعر الفصيح والشعبي وكذا "الزوامل" الشعبية وهي عبارة عن الأشعار الشعبية والشعر الفصيح، فكثيرة هي الأشعار تلك التي تمدح المجاهدين اليمنيين وتتوعد العدو والخائن وتعلي من تضحيات أبناء الوطن؛ فالشعر يؤثر في نفوس المقاتلين فيحركهم نحو الجبهات والإنفاق، ويعلمهم الشجاعة والصبر والثبات. وتصف الزوامل الملاحم القتالية والمعارك بصور بلاغية عالية، فأبناء القبائل اليمنية يعتبرون الشعر جزءاً من ترسانتهم العسكرية، ففي كل قرية هناك شاعر، وللقبيلة أيضاً شعراء يرفدون أرض المعارك بالقصائد والأشعار الحماسية والمدح والفخر والرثاء للشهداء، وكذا الهجاء للعدو والخائن والتوعد والوعيد بالتنكيل. ويرافق الزوامل عادةً البرع والرقصات الشعبية، فلكل قبيلة برعة (رقصة) تميزها عن باقي القبائل، وعادةً ما يكون البرع بالجنبية (السلاح الأبيض) التي ترفع باليد اليمنى في حين تحمل اليد اليسرى السلاح (البندقية). والبرع بالجنبية يعد علامة للقوة والشجاعة، فطبل الحرب يقرع للوعيد تجاه العدو، والتلويح بالجنبية في الهواء هو تلويح بالقوة والفخر والنصر. كذلك الوقفات القبلية المنددة بالعدوان والمتضمنة للكلمات الثقافية والسياسية والاقتصادية والأشعار الحماسية، ووعد أبناء القبائل بالمقاومة والقتال حتى آخر رجل منهم، فأبناء القبائل اليمنية عصية وقوية وثابتة وشامخة كجبال اليمن.

قراءة في كتاب:

ما بعد الشيوخ.. الانهيار المقبل للممالك الخليجية

(After the Sheikhs: The Coming Collapse of the Gulf Monarchies)

- المؤلف: كريستوفر م. ديفيدسون.
- الناشر للطبعة المترجمة: مركز أورال للدراسات والتوثيق (بيروت، نوفمبر ٢٠١٤م).

(أعد القراءة: أ. أنس القاضي)

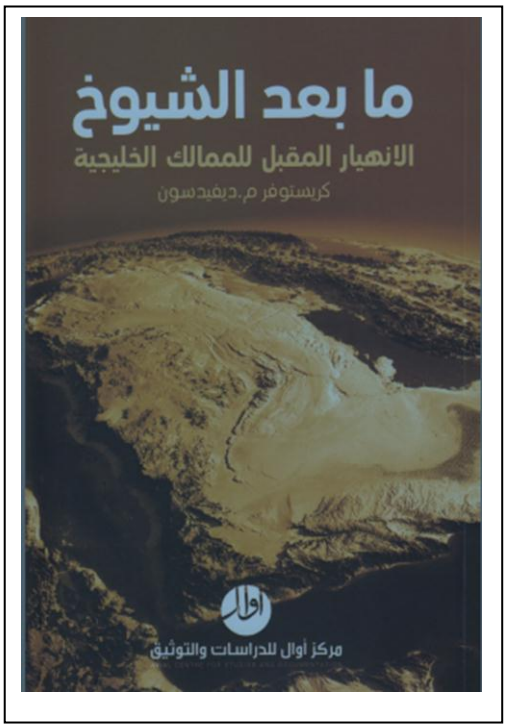

نُشر هذا الكتاب للمرة الأولى في المملكة المتحدة بواسطة شركة هيريست وشركاؤه المحدودة، وهذه الطبعة التي قمنا بقراءة لها هي الترجمة الرسمية الأولى المُعتمدة للكتاب من المؤلف ودار النشر.

الانهيار المُقبل للممالك الخليجية هو العنوان التفصيلي لكتاب (ما بعد الشيوخ) للمؤلف البريطاني (كريستوفر ديفيدسون)، وهو خبير عالمي بارز في سياسات الشرق الأوسط وعضو باحث في جامعة درهام في المملكة المتحدة، ومؤلف لعدة كتب عن الشرق الأوسط من بينها (حروب الظل: الأنماط الكامنة وراء الصراع في الشرق الأوسط)، (دبي: هشاشة النجاح). وفي كتابه ما بعد الشيوخ يستشرف ديفيدسون مستقبل الممالك الخليجية، مستنتجاً أن مآلها التاريخي هو نحو الانهيار، وذلك بحسب مؤشرات وأطروحات عديدة وضعها ونقلها المؤلف.

في التمهيد للكتاب المكون من ستة فصول، يطرح المؤلف بعض الفرضيات التي تفسر بقاء هذه الممالك من نظرة مادية تاريخية وقراءات أخرى تقوم على الإحصاء، وتركز

هذه القراءات على البناء الاقتصادي الريعي النفطي كبناء تحتي وترابطه مع الأيديولوجيا الوهابية كبناء فوقي، والحماية البريطانية، والأجهزة البوليسية التي تستخدم لقمع المعارضين، وعن دور الشرعية القبلية والعشائرية التي تشكل مع الاقتصادي والأيديولوجي نموذج سيطرة هؤلاء المشائخ والأمراء على هذه الممالك، وعن مستقبل أشكال السيطرة التي تفقدها هذه الممالك.

في الفصل الأول من الكتاب، يتحدث المؤلف عن نشأة هذه الدول والتنمية الاقتصادية التي تعيشها، متعمقاً في جذور هذه الممالك ومفصلاً الدور البريطاني الحاسم في إنشائها. في الفصل الثاني يتناول أسباب بقاء هذه الدول على المستوى الداخلي، ومن بينها توزيع الثروة الريعية، كما يتناول النخبة الوطنية أي سكان هذه الممالك وامتيازاتهم الخاصة، واستمالة العمالة المغتربة، وكيف يقدم الملوك للمجتمع ويلقنونه عبادة الشخصية. كما تطرّق الكاتب إلى التراث والتاريخ وكيف يُستغل لدعم بقاء هذه الممالك، والدين ودوره في إضفاء الشرعية على المُلْك والمَلِك، وعن المؤهلات البيئية.

في الفصل الثالث، يتحدث المؤلف عن الظروف الخارجية المساعدة على بقاء هذه الدول، ونستطيع تلخيص هذه الظروف الخارجية بعبارة: "ممالك الخليج ترشوا العالم"؛ فيتحدث الكاتب عن المساعدات المالية والمؤسسات الخيرية التي تعمل في الأوساط الخارجية، إضافة إلى المساعدات المالية، كما تحدث عن العوامل الخارجية الأخرى من الأدوار الدولية الإيجابية التي تدعيها وتقوم بها هذه الدول، وأيضاً عن القوة الناعمة الخليجية الفاعلة في الغرب، والتي تتركز على الاستثمارات الاستراتيجية في الاقتصاديات الغربية وكذا المساعدات الإنمائية، ودعم المؤسسات الثقافية، وتمويل الجامعات والتلاعب بالأبحاث، وعن التوجه الخليجي الجديد إلى نسج علاقات مع الصين واليابان.

في الفصل الرابع يتحدث المؤلف عن مسألة محدودية الموارد وتنامي الكثافة السكانية، مقيماً قدرة الممالك الخليجية على التغلب على نقص الموارد والاستمرار في تقديم المعونات المالية للمجتمع السعودي (كنموذج)، كما يتطرق المؤلف إلى البطالة الطوعية بين صفوف الخريجين الجامعيين المنعكسة عن الثقافة السلبية السائدة لدى الشباب السعودي تجاه العمل، كما يتطرق إلى تبديد الثروات والفقر والبطالة الحقيقية،

والتمييز وانعدام الجنسية والتوجهات الطائفية تجاه سكان المنطقة الشرقية (السعودية)، وكذا التأثيرات السلبية الناتجة عن تشديد الرقابة وتقييد حرية التعبير.

في الفصل الخامس، يتطرق المؤلف إلى الضغوط الخارجية المتصاعدة والمؤثرة سلبياً في المجتمع الخليجي "النخب الوطنية"، كالترحيب بالأجانب، والاستهزاء بالقيم والتقاليد الدينية، وكذا القواعد الحربية الأجنبية في الخليج، وصفقات السلاح التي تستنفذ الثروات الخليجية، ومعاداة إيران والعلاقة الخليجية بإسرائيل، وعن الانقسام وغياب الوحدة بين الممالك الخليجية، ورصيدها في التدخل بالشؤون الأجنبية وتمويل الانقلابات.

في الفصل السادس والأخير الذي يعنونه المؤلف بـ"الانهيار المُقبل" يتحدث عن المعارضة الناشئة، وعملية تحديث القوى الاجتماعية في المجتمع الخليجي، كما يتطرق إلى الاحتجاجات في سلطنة عمان، والمملكة العربية السعودية وظهور التفككات، كما يعرج على الكويت وربيع الشعوب، ونشوء المعارضة في الإمارات العربية المتحدة وأوضاع دولة قطر.

- فرضيات أسباب بقاء الممالك:

يقول المؤلف: "على الرغم من أنه يبدو للوهلة الأولى أن الاقتصادات الخليجية تبنت طرق الإنتاج الرأسمالية، إلا أنها لم تقم أبداً بتوسيع طبقة العمال الكادحين أو أي طبقات قد تسعى إلى الإطاحة بالطبقات الأعلى منها، وعلى حد سواء وعلى الرغم من نشوء شريحة سكانية متمدنة في الخليج، ومتعلمة، وممتلكة للاتصال والثقافة؛ فإنه من الصعب مقارنتها بالطبقات الوسطى والمتمدنة في الدول الديمقراطية الأكثر تطوراً، لاعتماد هذه الدول على الاقتصاد الريعي، وحققت الحكومات من خلاله عائدات ضخمة من مبيعات النفط والغاز أغنتها عن فرض الضرائب على شعوبها بشكل كبير، وكان كارل ماركس أول من ناقش المفهوم في العام ١٨٦٠ في سياق حديثه عن الفئات المنحلة التي تستفيد من الربح، أو الربح الناتج عن استئجار الملكيات وبذلك لا تنتج أي جديد".

كما أن الدول الريعية تمكن الحكومات من تمويل مشاريع رعاية مكثفة لتحسين سمعة الحكام، مما سيضاعف نداءات التمويل، وبالفعل يمكن ملاحظة غياب المنظمات التقليدية للمجتمع المدني في الدول الفتية كالممالك الخليجية نظراً إلى غيابها (أي الدولة) وأن الحكومات تعتمد على الهبات السخية بدلاً من القمع لمنع نشوء رأسمال بشري اجتماعي

قوي، هذه النظرة الماركسية التي أوردها المؤلف تبدو الأقرب لتوصيف حقيقة بقاء هذه الأسر حتى اليوم.

تحدث الكاتب في بقية فصول الكتاب عن فترات ما قبل العدوان على اليمن، وهي فترات شهدت فيها هذه الممالك أزمات مالية، فكيف سيكون وضعها اليوم مع النفقات الباهظة للعدوان على اليمن، والتي لا شك أنها ستمثل عاملاً رئيسياً مؤثراً على هذه الممالك من الجانب الاقتصادي، وعلى الرغم من أنه من غير العلمي التعويل على الجانب الاقتصادي فقط في انهيارها، إلا أن الاقتصاد حين ينهار يتكفل بإخراج بقية التناقضات داخل مجتمعات هذه الممالك وداخل الأسر الحاكمة نفسها.

- الشكل الحديث للدولة والممارسة التقليدية:

يتحدث المؤلف في هذا الجزء الذي يعتبره من أعمدة بقاء سيطرة هذه الممالك، فعلى الرغم من أنها أنشأت بنية تحتية حديثة ومؤسسات أشبه بالمؤسسات الديمقراطية، يُفترض أن تؤسس لجيل متمدن رافض للسلطة التقليدية؛ إلا أنها حين أنشأت هذه البنى الحديثة أبقت على الممارسة التقليدية.

يؤكد المؤلف استناداً إلى مقالات عديدة حول النظرة إلى تطور هذه الممالك، أن السياسات ستنضج لتنتقل من الاعتماد على السلطة الكاريزمية ذات الأب الواحد وأسرته التي غالباً ما تكون إقطاعية قبل أن تتطور أخيراً لتصبح دولاً تحكمها سلطة قانونية تكون السلطات فيها متاحة في المناصب بدلاً من شاغليها.

يمر المؤلف على بعض هذه التجارب كالكويت التي خضعت لتجربة البرلمان المنتخب - نسبياً - على عكس جيرانها، وبها مزيج من التعددية الموجهة والانتخابات، إلا أن السلطة السياسية تتحدى فيها المؤسسات والقوانين والمنطق.

- التخويف من الديمقراطية:

إلى جانب محافظة الممالك الخليجية على شكل حكمها الاستبدادي، تنشر فكرة أن المجتمع الخليجي له خصوصية، وأنه لا يتلاءم مع الديمقراطية. كما أن هذه الممالك استغلت النماذج العربية المحيطة التي لا تأخذ من الديمقراطية غير الانتخابات، لتوحي لشعوبها أن "الديمقراطية" تعني هذه الدول الفقيرة والمُضطربة، كما شهد الجميع استغلال ممالك الخليج وضع الدول المتدهور بعد الربيع العربي - التي كان لهذه الممالك دور رئيسي في إجهاض الثورات الشعبية التي تسعى إلى الديمقراطية الكاملة -

لتعطي شعوبها انطباعاً أن الديمقراطية تعني الفوضى والتدهور والفقر، وأن واقعهم هو الأنسب والأفضل.

- الفصل الأول: نشأة الدولة والتنمية الاقتصادية

برزت ممالك خليجية في القرن العشرين كدول شبه مستقلة منها المملكة العربية السعودية التي تكونت من تحالف بين قوى دينية وقبلية في المناطق النائية، والكويت والمشيخات الأصغر (قطر والبحرين والإمارات) الواقعة تحت حماية الإمبراطورية البريطانية، أما سلطنة عمان التي كانت فيما مضى إمبراطورية تجارية متواضعة تمتد أساطيلها من شرق أفريقيا إلى جنوب آسيا فتمتلك تاريخاً أطول بكثير، لكنه متأثر على الرغم من ذلك بالقوى الأجنبية والدين والسياسة القبلية.

كانت هذه التفاعلات الأولى مع القوى الخارجية - وتحديداً البريطانية - بارزةً جداً في بلورة هيكليات الممالك الخليجية السياسية والاقتصادية، والتي لا يزال الكثير منها على حاله حتى اليوم، حيث شكلت نماذج للدولة الريعية المعاصرة. وفي هذه الفترة تحددت اتجاهات السلطة الأبوية المرافقة لمسارات تنمية صناعات النفط والغاز وقطاعات الصناعة التحويلية وصناعة السياحة والمراكز المالية وأسواق العقارات.

- الفصل الثاني: تفسير أسباب البقاء... الشؤون الداخلية

يتحدث المؤلف في هذا الفصل، عن العوامل الداخلية في تفسير بقاء الأنظمة الحاكمة في الخليج والتي تتلخص في معادلة "الرفاه مُقابل الصمت عن الحقوق السياسية"، وهذه العوامل تتمثل على سبيل الحصر في توزيع الأعطيات على شيوخ القبائل، ونظام الإسكان ومنح الأراضي للاستصلاح الزراعي أو السكني أو التجاري، وبناء المرافق الكبيرة التي تحمل اسم الحاكم كالمستشفيات ومرافق النقل العام، والتوظيف الحكومي بأعداد كبيرة جداً وبأقل الشروط الوظيفية، والتوظيف في المؤسسات شبه الحكومية، وتوفير مزايا وظيفية للمواطنين كالضمان الاجتماعي والصحي والإعفاء من الضرائب، ورمزية أسعار الخدمات العامة كالكهرباء والماء، وإلغاء الديون المترتبة على المواطنين تجاه الحكومة، وتشكيل النخبة الوطنية وتفضيل المواطن على الوافد، عن طريق نظام "الكفيل"، وحصر الزواج بين المواطنين، واعتماد لباس رسمي للمواطنين، وصعوبة حصول الأجانب على الجنسية، جدير بالذكر أن نسبة الأجانب في الممالك الخليجية

كالتالي: السعودية: ٢٥% من السكان، سلطنة عمان: ١٧%، البحرين: ٥٠%، الكويت: ٧٠%، الإمارات: ٩٠%، قطر: ٨٠%.

ضمن العوامل الداخلية؛ تلعب مسألة خلق الشخصيات البارزة في الأسر الحاكمة دوراً مهماً في بقاء واستمرار حكم المشيخات، استناداً إلى الكيفية التي تقدّم بها للمجتمع عن طريق نشر صور الحاكم وأسرته أو ولي عهده في الشوارع وعلى جدران المؤسسات الحكومية، واستحداث الألقاب التي تضيف هالة من القداسة على الملوك والأمراء كصاحب الجلالة والسمو.

كما يلعب التراث والتاريخ دوراً في ترسيخ الهيمنة على الوعي الاجتماعي للمجتمعات الخليجية، حيث يتم إبراز تاريخ الدولة والأسرة الحاكمة، والتركيز على انتقاء مراحل تاريخية معينة ليس فيها ما يشوه صورة الأسرة "الناصعة". وفي الجانب الديني تأخذ السيطرة أشكالاً عديدة بدءاً من كون الدعاة وأئمة المساجد موظفين حكوميين كما هي من خلال التحكم بخطب الجمعة وتوجيهها، وبناء المساجد الكبيرة وتسميتها بأسماء الحكام للربط بين الحاكم والدين، وصولاً إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوهابية (في النموذج السعودي).

- الفصل الثالث: تفسير أسباب البقاء... الشؤون الخارجية

يتحدث المؤلف في هذا الفصل عن العوامل الخارجية المساعدة على صمود المشيخات الخليجية. حيث مرت هذه العوامل بمراحل ثلاث؛ كانت الأولوية في المرحلة الأولى تقوية العلاقات مع الدول العربية في مواجهة "إسرائيل"، وبعد الغزو العراقي للكويت تحولت الأولوية إلى توطيد العلاقات مع الدول الغربية القادرة على حماية تلك المشيخات، واليوم نشهد توجهاً نحو الصين لأكثر من اعتبار. لكن ظلت هذه العوامل محدودة النتائج كونها مرتبطة بمصالح الخارج، لذا تم اعتماد استراتيجيات، ومنها استراتيجية "دعم التنمية والمساعدات الخارجية في العالم الغربي، عبر وزارات الخارجية أو صناديق التنمية الخليجية التي ترتبط بأعضاء من الأسر الحاكمة، وأسماء الحكام".

حيث تلعب القوة الخليجية الناعمة بواسطة الاستثمار والشراكة أو الاستحواذ على معالم أو أسماء لامعة دوراً في صمود هذه المشيخات، حيث تحتل هذه الاستراتيجية المساحة الأكبر من عرض الكاتب في الفصل الثالث كونها ترتبط بالإنفاق في الغرب وخاصة في الدول التي تشكل حماية تاريخية ودعماً مستقبلياً لتلك المشيخات.

- الفصل الرابع: المشكلات الداخلية التي تهدد بقاء المشيخات في الخليج

يتناول المؤلف في هذا الفصل المشكلات التي تعاني منها الأنظمة الحاكمة في الخليج أو التي يتوقع منها أن تتسبب في مشاكل تهدد بقاء هذه الأنظمة، وهي مشاكل متعلقة بطبيعة الأنظمة ولا يمكن تجاهلها، وتتطلب معالجات تتعارض مع مصالح تلك الأنظمة الحاكمة، وفي مقدمة هذه المشاكل والتهديدات مسألة النفط، حيث تتناقص الموارد في مقابل ازدياد عدد السكان، وهذا يدفع الحكومات إلى خفض الدعم عن بعض الخدمات والسلع. وتشكل الموارد مشكلة مخيفة لأنظمة الخليج ذات الاقتصاد الأحادي غير المتنوع.

زيادة عدد السكان، تؤدي إلى استنزاف الموارد وارتفاع احتياجات هذه المشيخات من الخدمات وإنتاج فرص عمل جديدة، حيث تظهر البطالة الاختيارية أو الطوعية كأحد أبرز المشاكل المجتمعية.

تبديد الثروة والموارد الوطنية من أهم المشكلات في هذه المشيخات وهي المشكلات التي لا حل لها إلا في سقوطها أو تحولها إلى ملكيات دستورية تحد من تصرف الأسر الحاكمة في الموارد الوطنية الذي يتأتى عادة عن طريق بناء أو شراء المباني والمنشآت الراقية، والمشاريع الضخمة غير المنجزة أو غير الناجحة.

كما تعاني المشيخات الخليجية من التمييز ومشكلة "البدون" والطائفية، وكذا الرقابة وتقييد الحريات التي تعد من القضايا السياسية الساخنة في الممالك الخليجية، حيث تأتي الكويت في المرتبة الأعلى خليجياً من جهة حرية الإعلام والصحافة (في المركز ٧٨ عالمياً)، والإمارات في المركز ١١٢، وقطر في المركز ١١٤، وسلطنة عمان في المركز ١١٧، بينما تقع البحرين والسعودية في آخر القائمة عالمياً. لكن مع تطور الوسائل التكنولوجية لم تعد الرقابة بالفاعلية السابقة، ما دفع الحكومات إلى ملاحقة الناشطين وإغلاق المواقع المعارضة.

- الفصل الخامس: المشكلات الخارجية التي تهدد بقاء الأنظمة الخليجية

يناقش المؤلف في الفصل الخامس المشاكل الخارجية التي تهدد بقاء الأنظمة الخليجية، متحدثاً عن ستة عوامل رئيسية تتضافر مع التهديدات الداخلية مما يجعل سقوط الممالك الخليجية وشيكاً.

أحد تلك العوامل يتمثل في ازدياد الترحيب بالحضور الأجنبي على حساب الدين والأعراف المحلية، حيث يثير ازدياد الترحيب بالحضور الأجنبي في دول الخليج سخط القطاعات المحافظة من المجتمع الخليجي ما قد يهدد شرعية الحكم.

من تلبك العوامل أيضاً ما يتعلق بالتسلح ووجود القواعد العسكرية الأجنبية في المالك الخليجية، ففي قطر تضم (قاعدة العديد) القيادة المركزية الأميركية وقاعدة لـ CIA، وقوات خاصة أخرى. وفي البحرين قاعدة بحرية كبيرة يتمركز فيها الأسطول الخامس الأميركي كاملاً، وهناك انتشار لقوات أمريكية في الكويت، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم موانئ الإمارات للأغراض العسكرية بشكل كبير جداً. وفي سلطنة عمان ترابط قوات بريطانية، وكذلك قاعدة عسكرية في أبو ظبي.

تعتبر صفقات الأسلحة واجهة لأثمان تدفعها الأنظمة الخليجية لقاء اتفاقاتها الأمنية مع الدول الغربية. فالسعودية أنفقت ما بين ١٠إلى ١١% من إجمالي ناتجها القومي لشراء الأسلحة عام ٢٠١٠م، وهي الأعلى عالمياً. فيما أنفقت سلطنة عمان ما يقرب من ١٠% على شراء الأسلحة في العام ٢٠٠٩م. والإمارات تنفق ما بين ٥ و ٦%. بينما الدول الخليجية الأخرى تنفق ما بين ٣ و ٥% من ناتجها القومي في شراء الأسلحة.

استعداء إيران مشكلة خارجية تخلقها الأنظمة الخليجية، هذا العامل يصب في خدمة مصالح الدول الغربية المنتجة للسلاح والتي تؤجج حالة استعداء دول الخليج لجارتهم القوية لتطلب مزيداً من التسلح، كما يمنح الأنظمة الحاكمة مبررات لقمع المعارضة الداخلية بذريعة أنها طابور خامس لإيران.

يشير المؤلف إلى وجود علاقات لبعض دول الخليج مع "إسرائيل"، وتداعيات تلك العلاقات على مجتمعاتها. وهذه العلاقات السرية التي أشار إليها المؤلف ظهرت بشكل جلي في الأعوام ٢٠١٧م - ٢٠١٨م من خلال الزيارات والمؤتمرات والأنشطة والتصريحات المشتركة بين تلك الأنظمة والكيان الصهيوني.

يذكر الكاتب أن بعض الدول لا ترى مانعاً من حضور ومشاركة وفود إسرائيلية في مؤتمرات كبرى تنظم فوق أراضيها كما فعلت الإمارات، كما ينوه إلى رفع الحجب عن بعض المواقع الإلكترونية الموطّنة في "إسرائيل". ونقل الكاتب عن جريدة كويتية عام ٢٠١٠م أنه تم نقل إحدى نساء شيوخ الإمارات إلى مستشفى في "إسرائيل" لإجراء جراحة قلب! وفي البحرين منعت الحكومة الموظفين الرسميين من الإشارة إلى "إسرائيل" باسم

الكيان الصهيوني أو العدو. وفي عام ٢٠٠٥م أغلقت البحرين مكتب مقاطعة "إسرائيل". وقد نشر المؤلف تسريباً بأن الملك السعودي صرح لدبلوماسيين أمريكان أن لديه تواصلاً أمنياً مع "إسرائيل"! إضافة إلى التواصل الأمني بين قطر "إسرائيل". ويشير المؤلف إلى تسريبات أخرى عن معلومات حول العلاقات بين السعودية و"إسرائيل" ضد "العدو الإيراني".

يتناول المؤلف ضعف المواقف الموحدة بين الأنظمة الحاكمة في الخليج وضعف تأثير مجلس التعاون، كأحد التهديدات الخارجية التي تواجهها، مستشهداً بقضية فشل تطبيق العملة الموحدة وانسحاب عمان ثم الإمارات، وتوتر العلاقات بين السعودية والإمارات آنذاك. وكذا قضية خلية التجسس الإماراتية التي تم كشفها في عمان. بالإضافة إلى ذلك تباين المواقف من إيران التي تعتبر "العدو الوجودي" لبعض دول الخليج.

رصيد التدخلات الخارجية والانقلابات التي تدعمها المشيخات الخليجية ضد بعضها البعض هي مشكلة أخرى معقدة تفقدها الثقة فيما بينها، ففي الثمانينيات دعمت دبي انقلاب عبد العزيز القاسمي ضد أخيه حاكم الشارقة، وفي ١٩٩٥م دعمت السعودية وأبو ظبي حاكم قطر السابق (حمد بن خليفة) ضد والده، وفي ٢٠٠٩م كانت محاولة انقلاب أخرى في قطر خطط لها قادة من الجيش وأفراد من العائلة الحاكمة بدعم من السعودية. وكذلك قضية عزل ولي عهد رأس الخيمة ونفيه ثم عودته ومحاولته أخذ الحكم بعد موت والده. بالإضافة إلى قضية ولاية العهد في سلطنة عمان والمشكلة التي قد تحدث بعد وفاة السلطان قابوس. كما تنبأ المؤلف بحدوث خلاف داخل الأسرة الحاكمة السعودية على خلفية ولاية العهد وانتقال المُلك إلى الأحفاد، وهو ما تحقق بعد تولي الملك سلمان الحكم والذي سارع إلى إزاحة كلٍّ من مقرن بن عبد العزيز ومحمد بن نايف من طريق ولي العهد الحالي محمد بن سلمان.

- الفصل السادس: السقوط القادم

في هذا الفصل يتحدث المؤلف عن مؤشرات "السقوط القادم" لملكيات الخليج، حيث واجهت تلك الدول عدة حركات مقاومة، لكنها عادةً لم تكن تتمتع بقاعدة واسعة وكانت تمثل قطاعات صغيرة من المجتمع كانت الأنظمة تتمكن من شيطنتها والقضاء عليها.

العامل الأول في "السقوط القادم" هو تنامي المعارضة، ويسرد المؤلف بدايات المعارضة منذ الستينيات، منها جبهة تحرير ظفار اليسارية في سلطنة عمان، والمعارضة القومية

في دبي في الستينيات، وحركات الصحوة الإسلامية في التسعينيات التي أثرت في عدد من دول الخليج.

العامل الثاني من عوامل سقوط هذه المشيخات، كما يرى المؤلف يتمثل في عملية التحديث الاقتصادية الاجتماعية التي تمر بها مشيخات الخليج، والتي تفرز طبقات وشرائح اجتماعية تتناقض مصالحها ومواقفها مع الملكية الاستبدادية. كذلك قصور التحكم بالمناهج الدراسية والرقابة الإعلامية عما كان عليه سابقاً بسبب انتشار وسائل الاتصال الحديثة وانخراط أعداد هائلة من الشباب فيها.

العامل الثالث من عوامل السقوط، هو اتخاذ حكومات الخليج موقفاً مضاداً من "الربيع العربي"، حيث قللت الحكومات ومستشاروها في بعض دول الخليج من أهمية الثورات العربية أو لم يقدروا أثرها بشكل جيد. وهكذا أصبحت هذه الدول مضادة للثورات، وهو أمر يُرجَّح أن يستهجنه شباب الخليج المتحمسون للثورات فيفقدوا الثقة في حكوماتهم.

بعد ذلك يستعرض المؤلف الأوضاع في دول الخليج في ضوء هذه العوامل، انطلاقاً من البحرين فعُمان فالسعودية فالكويت فالإمارات والختام مع قطر.

- البحرين:

يسرد المؤلف أولاً كيف ظهرت المظاهرات في البحرين وكيف تطورت من مطالبات بالإصلاح إلى إسقاط الملك، وتعرضها لقمع شديد من قوات الأمن، ويلاحظ أن حكومة البحرين لم تتمكن من إيقاف تلك المظاهرات، كما أشار إلى تقارير تتحدث عن محاولة النظام دعم قواته الأمنية بمرتزقة من باكستان وغيرها.

- عُمان... الاحتجاجات والوعود:

يتحدث المؤلف عن بدايات المظاهرات في عمان في ٢٠١١م وتطورها وتعامل الحكومة معها. يقول المؤلف عنها إنها مثل الوضع في البحرين في البداية، فالاحتجاجات لم تطالب بإسقاط النظام وإنما إصلاح الأوضاع في البلد. كان المتظاهرون يشتكون من تردي الوضع الاقتصادي، وغياب الإصلاح السياسي وانتشار الفساد في الحكومة. ولا عجب أن نشطت المظاهرات في المناطق الأقل رخاء، وخاصة في صحار، مع أن العاصمة أيضاً شهدت خروج مئات المتظاهرين؛ لذا أطلقت الحكومة وعوداً بزيادة الرواتب، وتقديم مخصصات للعاطلين، ومخصصات أخرى يُقدّر أنها كلّفت الحكومة ٦ ٢ مليار دولار. كما قام السلطان بعزل ١٢ وزيراً في محاولة لإرضاء الأصوات المحتجة.

ويقول المؤلف إن الوضع بدأ يستقر مع خريف ٢٠١١م بعد انتخابات مجلس الشورى ووعود السلطان بصلاحيات أكبر للمجلس، وبـ ٥٠ ألف وظيفة جديدة. وفي نهاية هذا القسم يشير المؤلف سريعاً إلى اعتقالات ٢٠١٢م للمدونين والناشطين إلكترونياً واتهامهم بـ "إعابة" الذات السلطانية.

- السعودية... تصدعات تظهر:

تدخلت السعودية عسكرياً في البحرين وأصبحت الممول للعائلتين الحاكمتين في البحرين وعمان لمساعدتهما في وقف الاحتجاجات، وفي حين يمكن للجيران احتواء أي ثورة في دولة صغيرة، فإن أي بلبلة في السعودية ستكون لها عواقب كبرى تنتشر في ملكيات الخليج. وعلى الرغم من أن السعودية تحتفظ بموارد غنية إلا أنها تعاني من توتر ناجم من العوامل الداخلية والخارجية التي عرضنا لها آنفاً. ومثل البحرين وعمان كانت هناك احتجاجات وضحايا في السعودية، لكن قدرة المملكة على قمعها وعلى التحكم بالإعلام أفقدها صداها. كما أن عدم ترحيب السعودية بالصحافيين الأجانب والمنظمات المدنية العالمية ساعد على عدم بروز الاحتجاجات في المملكة.

في بداية فبراير ٢٠١١م نادى عدد من كبار رجال الدين في السعودية بضرورة تنحي الرئيس المصري (مبارك) حفاظاً على دماء المصريين، بعكس دعوة المفتي السعودي. وفي الأسبوع نفسه أنشأ ناشطون سعوديون مجموعة على الفيسبوك يناقشون فيها قضايا بلدهم تحت عنوان "الشعب يريد إصلاح النظام". وبعد سقوط مبارك انتشرت عدة عرائض مطالبات، فمثلاً وقّع آلاف الإسلاميين والليبراليين على وثيقة بعنوان "الإعلان الوطني للإصلاح" ووثيقة "نحو دولة الحقوق والمؤسسات". وإضافة لذلك فقد أنشأ معارضون "حزب الأمة الإسلامي" في منتصف فبراير رغم عدم قانونية إنشاء الأحزاب في المملكة.

ومثل عمان والبحرين تنوعت طرق تعامل النظام السعودي مع هذه التحديات ما بين التهديد والعنف والإرضاء والمكرمات الحكومية. وبعد اضطراره لحبس حوالي ١٦٠ ناشطاً سياسياً في الشهرين الأولين؛ سارع الملك إلى إنشاء لجنة حكومية لمحاربة الفساد، ووعد بتوفير آلاف الوظائف، إلا أن البعض يشير إلى أن هذه الوظائف كان الهدف منها تقوية الجهاز الأمني حيث خُصصت ٦٠ ألف وظيفة في وزارة الداخلية، وأُعلن عن زيادات في الرواتب ودعم حكومي في مجالات متعددة ومعونات للعاطلين، يُقدر أن كل ما سبق

كلّف النظام ١٣٠ مليار دولار. كما تم الإسراع بإصدار قوانين جديدة تهدف إلى الحدّ من تأثير صوت المعارضة الإعلامي الذي بدأ ينشط وخاصة على مواقع الإنترنت.

في خطوة استباقية لمعارضة الفتوى بعدم جواز الخروج على الحاكم، صدر قانون يحظر التعدي على كرامة المفتي وسمعته والطعن فيه، كما صدر قانون آخر يمنع الطعن في أي مسؤول أو مؤسسة حكومية ويمنع نشر تفاصيل المحاكمات مما جعل العائلة الحاكمة والمحاكمات فوق النقد. وفي يوليو ٢٠١١م قالت منظمة العفو الدولية أن هناك قانوناً سرياً جديداً حول محاربة الإرهاب تقوم السلطات السعودية بإعداده من أجل تقييد الاحتجاجات السلمية بذريعة مكافحة إرهاب.

- الكويت... ربيع الشعب:

تعتبر الكويت ذات تعداد سكاني صغير نسبياً وموارد كبيرة تمكنها من الاستمرار في توزيع الثروة على شعبها، ما جنبها الاحتجاجات العنيفة. كما أن وجود برلمان قوي لا يوجد مثله عند جيرانها جعل الكويت في مأمن، كما يتمتع الكويتيون بهامش واسع من حرية التعبير والكتابة. ومع ذلك فقد شهدت الكويت احتجاجات قوية في ٢٠١١م. وكما هو الحال في دول الخليج الأخرى فقد قام النظام الكويتي بملاحقة المعارضين من المفكرين والصحفيين والنشطاء الآخرين والتضييق عليهم. ويذكر أن الاحتجاجات تركزت على انتقاد الحكومة في موضوع الفساد وتبديد الثروة وغياب الإصلاحات السياسية والاقتصادية الحقيقية.

على خُطا السعودية كان رد الفعل الرسمي هو زيادة الإنفاق الحكومي، وتشير مصادر إلى أن النظام صرف ٤ مليار دولار. وإلى جانب ذلك حاولت الحكومة استخدام آليات قانونية لملاحقة المعارضين والطعن فيهم.

- الإمارات... ظهور المعارضة:

الإمارات دولة صغيرة وثرية أيضاً ولم تظهر فيها مظاهرات كالدول الأخرى، لكن تواجه عائلاتها الحاكمة الآن معارضة متنامية، ويعود السبب في ذلك إلى أن المواطن يعاني من قيود - هي الأقوى في المنطقة - على حرية التعبير والإعلام، كما يلحظ أن ثمة استياء متزايد وانتقادات فيما يختص بالفساد وغياب الشفافية والتعدي على حقوق الإنسان، إضافة إلى بعض السياسات الحكومية.

كما أن هناك فجوة متزايدة في حجم الثروة بين أفراد الشعب، مما يؤدي إلى استياء بين الفئات المحرومة، وعلى الرغم من أن الإمارات اتبعت أسلوب السعودية في زيادة الإنفاق للحد من تأثير الربيع العربي إلا أن الأمر لم يكن كافياً، فقد قامت الحكومة باعتقال العديد من النشطاء مع تشديد القبضة على المجتمع المدني.

وتعود جذور هذه المعارضة إلى العام ٢٠٠٩م حين أطلق بعض النشطاء والطلاب موقع حوار الإمارات (https://uaehewar.net) الذي أصبح مركزاً للنقاشات السياسية. وفي يناير ٢٠١٠م كان الموضوع الأكثر سخونة هو تبرئة شخص من إحدى العائلات الحاكمة كان متهماً بالتعذيب والشذوذ. وكانت النقاشات تدور حول وجوب تطبيق القانون على العائلات الحاكمة، وبعد أيام تم حجب الموقع محلياً بحجة خلل فني!

ولما كان الدخول إلى الموقع من خارج الإمارات ممكناً؛ فقد نشط إبان الثورتين في تونس ومصر، وطرح موضوعات ساخنة تتعلق بالأسرة الحاكمة. وفي مارس ٢٠١١م قام مؤسسو الموقع ونشطاء آخرون بتوزيع عرائض موجهة لحاكم البلاد تطالب بإصلاحات منها "الملكية الدستورية"، كما عزز تلك العرائض توقيعات اتحاد القضاة والمدرسين والتراث القومي والأساتذة الجامعيين.

في مواجهة هذه التحديات سعت السلطات إلى إضعاف مؤسسات المجتمع المدني من خلال فصل أعضاء مجالس إداراتها وتبديلهم بموالين، وظهرت عريضة "موالاة" لاحقاً. بعد ذلك توجهت الحكومة إلى بعض الإصلاحات مثل الزيادة في الهيئات الانتخابية للمجلس الوطني، وتوزيع المكرمات المتعددة.

في مقابل ذلك، وفي مايو ٢٠١١م تم الكشف عن أن الإمارات كانت توظف جيشاً خاصاً من الجنود الأجانب تحسباً لمظاهرات كبيرة. فقد أشار تقرير لـ(نيويورك تايمز) إلى أن ولي عهد أبو ظبي كلّف مؤسس شركة بلاك ووتر - سيئة السمعة - بتشكيل قوة من ٨٠٠ جندي. حيث تشكلت القوة من كولومبيين وجنوب أفريقيين، جاؤوا في هيئة عمّال إنشاء في قاعدة في أبو ظبي. وكان الهدف هو حماية أنابيب النفط وناطحات السحاب من العمليات الإرهابية إضافة إلى قمع الثورات الداخلية.

بعد ذلك تحدث المؤلف عن اعتقالات بعض الإسلاميين وسحب الجنسية عن ٧ منهم، وعن اعتقالات عديدة لأصحاب الرأي.

- قطر:

بما أن قطر دولة صغيرة جداً وذات تعداد سكاني صغير للغاية ومعدل دخل للفرد هو الأعلى في العالم، فقد كانت العائلة الحاكمة آمنة. وفي قطر لا توجد سوى قلة قليلة من المعارضين ولا نداءات حقيقية ذات وزن للإصلاح السياسي. وقد يكون الإعلان في ٢٠١١م عن انتخابات مجلس الشورى في ٢٠١٣م خطوة استباقية من الحكومة لإظهار نية الإصلاح. كما أن دعم قطر لعدد من الثورات العربية إضافة إلى دورها في الوساطات في المنطقة جعلها بعيدة عن موقف بقية ملكيات الخليج المناهضة للثورات.

لقد أثار موقف قطر من الوضع في البحرين الكثير من الانتقادات رغم الفيلم الذي عرضته الجزيرة الإنجليزية عن احتجاجات البحرين. ومع تزايد الاستقالات من قناة الجزيرة العربية عام ٢٠١١م بسبب فشلها في توفير تغطية متكافئة لجميع الاحتجاجات، زادت الشكوك حول الدور الذي تلعبه تلك القناة. وأظهرت برقية مسربة أن رئيس الوزراء القطري فاوض الرئيس مبارك بوقف تغطية الجزيرة في مصر مقابل تغيير موقفها في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية. هذا ويتزايد النقد داخل قطر بأن الحكومة تشجع الرقابة الذاتية في الإعلام حتى يتم التغاضي عن تغطية بعض القضايا الداخلية. كما يشير مراقبون إلى استعداد السلطات القطرية للقمع كما حدث مع المدون سلطان الخليفي الذي أسس مؤسسة تراقب الاحتجاز التعسفي.

- الخاتمة:

يعتقد الكاتب أن مستقبل البحرين هو الأكثر ظلاماً، حيث تضاءل الأمل في قدرة العائلة الحاكمة على استعادة ما يكفي من الشرعية للحكم دون اللجوء إلى الأحكام العرفية والقمع المفرط. وهي الآن محمية من حلفائها في المنطقة وبالتحديد السعودية والإمارات اللتين سيتوجب عليهما مواصلة الدعم العسكري والمالي للبحرين. هذا وسيزداد الضغط الدولي على البحرين حيث سيزداد وزن الأدلة ضد الحكومة. لكن في الوقت الحالي يبدو أن القوى الغربية مستعدة للتعامل مع ثورة البحرين كحالة استثنائية، وذلك بسبب وجود القاعدة البحرية الأمريكية في البحرين ودورها المحتمل في أي مواجهة مع إيران.

كما أن هناك عدداً من المقالات الضعيفة التي تظهر في صحف غربية تشير إلى الرابط المفترض بين إيران والمعارضة البحرينية. ويقوم النظام البحريني بدفع مبالغ

لأكاديميين ودبلوماسيين سابقين وغيرهم في الغرب لكتابة تلك المقالات المثيرة للخوف.

فيما يخص سلطنة عمان وعلى الرغم من أن مستقبل العائلة الحاكمة فيها أكثر استقراراً ولم يتضرر بالتبعات الطائفية أو التدخل عسكري، إلا أن هناك تحديات للاستقرار السياسي، فمواردها محدودة ولا يمكن أن تعتمد على توفير الوظائف الحكومية لإرضاء الناس ووقف الاحتجاجات والمطالب.

وبينما يُعتقد أن العائلة الحاكمة في السعودية أكثر استقراراً، إلا أنها لا تختلف كثيراً عن الوضع في البحرين وعمان رغم ثرائها. فرغم اتخاذ السلطات أساليب الترهيب والترغيب إلا أن الاحتجاجات ازدادت وتيرتها لتبدو المملكة في واقع الأمر هشة لا تستطيع مواجهة أي هزة قادمة.

من جهة أخرى، يُتوقع أن تدهور الأوضاع في البحرين سيشجع على التظاهر في شرق السعودية تعاطفاً بحكم الجوار، ومع ازدياد الفرق بين الأغنياء والفقراء وازدياد البطالة، فإنه من المتوقع أيضاً ظهور احتجاجات أخرى في باقي المملكة لا في المنطقة الشرقية وحدها.

في الكويت مثّل حلّ البرلمان في يونيو ٢٠١٢م ضعفاً لموقف الأمير الذي كان ينتظر منه الاستجابة لمطالب الشعب بمكافحة الفساد. وقد اعتبرت المعارضة وصف الأمير لقراره بالنهائي وغير القابل للطعن انقلاباً على الدستور. ومؤخراً قامت السلطات باستخدام أساليب قاسية في التعامل مع الاحتجاجات، ومع أن الكويت لم تشهد مواجهات مثل البحرين وعمان والسعودية إلا أن مستقبل العائلة الحاكمة في الكويت ليس بعيداً عن مستقبل مثيلاتها في تلك الدول.

العائلات الحاكمة الإماراتية في موقف أقوى حيث يثق المواطنون بقدرتها على مواصلة توزيع الثروة، لكن السؤال: إلى متى؟ يتوقع المؤلف فشل الحكومة في احتواء الوضع في الإمارات الشمالية الأكثر فقراً ويتوقع ظهور الاحتجاجات قريباً من رأس الخيمة. كما يقول المؤلف إن الحكومة فقدت جزءاً من شرعيتها في السنة الماضية بسبب أساليب القمع والملاحقة الأمنية التي انتهجتها.

قطر هي الحالة الشاذة عن القاعدة، فمستقبل العائلة الحاكمة فيها أكثر "وردية" من بقية العائلات في ملكيات الخليج. ثراء قطر سيمكنها من توزيع الثروة لفترة أطول،

وهي لا تعاني من طائفية أو تمييز. واتخذت موقفاً إيجابياً من الربيع العربي. ويتوقع المؤلف أن يتبع أمير قطر في السنوات القادمة خطوات نحو إعلان الملكية الدستورية في بلاده. مع ذلك هناك تحديات قادمة حيث توجد معارضة متواضعة تنتقد الحاكم وزوجته بشدة، قد تكبر مما سيغري الحكومة بالقمع فتفقد شرعيتها.

من أنشطة المركز

أولاً: منتدى مقاربات

- المشهد الجنوبي اليوم (١٤ أكتوبر ٢٠١٨م)

ذكرى الرابع عشر من أكتوبر

قدم ورقة عمل المنتدى الدكتور سامي عطا بعنوان: "المشهد الجنوبي اليوم" وعقد المنتدى بمناسبة ذكرى ثورة الرابع عشر من أكتوبر التي قادها أبناء جنوب الوطن ضد المحتل البريطاني. حيث تحدث معد الورقة عن وضع المحافظات الجنوبية التي تعيش صورة مشابهة - الاحتلال السعودي الإماراتي - وتناول الصراع الجاري في جنوب الوطن واصفاً إياه بـ "صراع أجندات" مختلفة منها إقليمية وأخرى دولية، يرى الكاتب أن مواجهة هذا الوضع يتطلب تهيئة سياسية وذلك من خلال خلق وعاء سياسي ومشروع تنويري إعلامي توعوي يترافق مع إيجاد وعاء سياسي يدفع الجماهير في الجنوب إلى مقاومة الاحتلال وإفشال مشاريعه.

- واقع انتاج الحبوب في اليمن: التحديات والحلول (١٤ نوفمبر ٢٠١٨م)

قدم ورقة المنتدى الدكتور عبد الواحد سيف (الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي)، حيث أكد فيها على أهمية تأمين الغذاء للدولة بما يمكنها من امتلاك قرارها، وأشار إلى واقع انتاج الحبوب في اليمن والنجاحات والعوائق التي تقف أمام ذلك، كما استعرض مقومات انتاج الحبوب وأكد في ذلك الصدد على ضرورة التزام الحكومة بالاستثمار في المحاصيل الاستراتيجية وإدخال نظم الري الحديث. كما أكد مقدم الورقة على ضرورة إيلاء اهتمام خاص بالجامعات ومراكز البحوث من أجل تعزيز دورها في التنمية الزراعية.

- من دفاتر الاستقلال (٣٠ نوفمبر ٢٠١٨م)

ذكرى الثلاثين من نوفمبر

قدم ورقة عمل المنتدى الباحث ياسين ناشر بمناسبة الذكرى الـ ٥١ لاستقلال جنوب الوطن من الاحتلال البريطاني والذي جثم على أرضه مدة (١٣٨) عاماً (١٨٣٩- ١٩٦٧)؛ حيث اعتبر معد الورقة أن إعلان الاستقلال جاء تتويجاً لكفاح الشعب ضد الاستعمار البريطاني والقوى الضالعة معه وتسجيلاً لانتصار الثورة المسلحة ثورة ١٤ أكتوبر

العظيمة. كما توقف عند الأوضاع التي يعيشها جنوب الوطن المحتل في الوقت الراهن، والتي كان أبناء الجنوب قد ثاروا على مثلها قبل نصف قرن من الزمن، داعياً في الوقت ذاته إلى تكرار الثورة ضد الاحتلال الجديد.

- البحر الأحمر وحروب السيطرة (١٦ يناير ٢٠١٩)

قدم ورقة عمل المنتدى الباحث عبد الجبار الحاج، حيث تناول فيها الأطماع التاريخية للدول الاستعمارية في جغرافية اليمن الاستراتيجية، كما قدم مقاربته لاتفاق السويد وطرح تساؤلات عن تأثير بعض بنوده على سيادة البلد، وكذا نتائج ذلك الاتفاق على سير معركة مواجهة العدوان على اليمن أرضاً وإنساناً. وقد تضمنت اعمال المنتدى تعقيباً للأستاذ عبد الله صبري ومداخلات للحاضرين وتم من خلال ذلك طرح مجموعة من التساؤلات وتقديم عدد من الإجابات التي وضحت بعض ملابسات ذلك الاتفاق والنتائج الإيجابية (السياسية والاقتصادية) التي انتزعها المفاوض اليمني سواءً من المجتمع الدولي أو من طرف العدوان.

- قراءة في القرارين ٢٤٥١ و٢٤٥٢ (١٢ فبراير ٢٠١٩م)

قدم ورقة عمل المنتدى الدكتور أحمد عبد الملك حميد الدين (المستشار القانوني للمجلس السياسي الأعلى)، حيث تناول فيها الدوافع التي أدت لقبول العدوان باتفاق السويد، وعلى رأسها محاولة امتصاص الغضب الدولي بسبب جرائمه البشعة والالتفاف عليها بالجلوس على طاولة المفاوضات، إضافة إلى حادثة مقتل الصحفي جمال خاشقجي التي كانت دافعاً للسعودية لمحاولة ترميم صورتها أمام المجتمع الدولي الساخط على جرائمها سواء بحق مواطنيها أم بحق الشعب اليمني.

كما قارن معد الورقة ما بين القرار (٢٢١٦) الذي اعترف بالفار هادي كرئيس شرعي وحكومته، والقرار (٢٤٥١) الذي لم يعتبر أنصار الله انقلابيين ولا هادي شرعياً، وخلص ضمن استنتاجاته من تلك المقارنة إلى وصف ذلك بـ"الاختراق"، مبيناً ما يترتب على تلك المسميات من آثار في مسار المفاوضات.

- قراءة في قرارات مجلس الأمن الدولي بحق اليمن (٧ مارس ٢٠١٩م)

قدم ورقة عمل المنتدى الدكتور إسماعيل المحاقري أستاذ القانون بجامعة صنعاء، حيث قرأ القرارات المتعلقة باليمن قراءة نقدية قانونية، وهي تلك القرارات الصادرة بحق اليمن خلال الفترة: ٢٠١١م - ٢٠١٩م، وتطرق إلى أهم الملاحظات الواردة على القرارات:

(٢٠١٤، ٢٠٥١، ٢١٤٠، ٢٢٠١). كما أفرد معد الورقة للقرار رقم (٢٢١٦) مبحثاً خاصاً كونه القرار الأول بعد العدوان على اليمن.

- إعادة الانتشار في موانئ الحديدة من طرف واحد: المواقف والدلالات (١٩/ مايو ٢٠١٥م)

قدم ورقة عمل المنتدى الباحث إدريس الشرجبي، حيث ناقش من خلالها تنفيذ الخطوة الأولى من اتفاق ستوكهولم من طرف صنعاء، معتبراً أن ذلك يأتي من منطلق مسؤولية طرف حكومة صنعاء أمام مواطنيها والتزاماً بما وقعت عليه، وذلك على أمل أن يقوم طرف الرياض باتخاذ خطوة مقابلة.

وفي محاولة لتفسير نكوص طرف الرياض عن التزاماته في اتفاق السويد رجح معد الورقة أن ثمة خلافات حدثت بسبب التباس في فهم بنود الاتفاق، أو أنها مناورة لكسب الوقت وإعادة ترتيب الأوراق. كما أشار إلى المرحلة الثانية من تنفيذ اتفاق الحديدة والتي بدأت بعد تنحي الجنرال باتريك كاميرت وتولي الجنرال لوليسغارد الذي شهد تنفيذ إعادة الانتشار في مدينة الحديدة اليمنية بشكل أحادي، راصداً في الصدد ذاته أهم التفاعلات وردود الأفعال تجاه هذه الخطوة.

- الوحدة اليمنية مقاربة سياسية (٢٨ مايو ٢٠١٩م)

ذكرى الوحدة اليمنية

قدم ورقة عمل المنتدى كل من: الأستاذ ياسين ناشر والدكتور سامي عطا، وذلك بمناسبة ذكرى الوحدة اليمنية. حيث عرض الأستاذ ناشر عدة وثائق من تاريخ الوحدة اليمنية ركز من خلالها على الجانب القانوني لاتفاقية الوحدة اليمنية، منبهاً إلى ما اعتبره مخالفات قانونية رافقت إعلان الوحدة بين الشطرين عام ١٩٩٠م، وكيف تم تجاوز تلك المخالفات نظراً للإجماع الشعبي اليمني الذي حظيت به الوحدة اليمنية.

من جانبه، قدم الدكتور سامي عطا ورقة تضمنت مقاربة سياسية للوحدة، حاول من خلالها الإجابة عن عدد من التساؤلات المتعلقة بمجموعة من القضايا من قبيل: جوهر الوحدة السياسية، والعوائق الراهنة أمام الوحدة وكيفية تجاوزها.

ثانياً: الندوات

الدور المجتمعي المنشود في التنمية الزراعية (٢٥ديسمبر ٢٠١٨م)

قدمت خلال الندوة ثلاث أوراق عمل؛ حيث تحدث المهندس وجيه المتوكل في ورقته عن دور الأسرة اليمنية في النشاط الزراعي التنموي (الزراعة الريفية والحضرية)، ونبه

فيها على أهمية القطاع الزراعي في توفير الأمن الغذائي بشقيه النباتي والحيواني، تطرق المهندس إلى التحديات التي تواجه القطاع الزراعي والمعوقات الأساسية للقطاع. كما ناقش المهندس المتوكل في ورقته الأنشطة التنموية للأسرة اليمنية سواء الريفية منها والحضرية، مختتماً ورقته بالتوصيات حول ضرورة تشجيع العودة إلى العادات القديمة للأسرة اليمنية في اقتناء وتربية الطيور والزراعة المنزلية على الأسطح أو الأحواش.

في الورقة الثانية تناولت المهندسة أسماء عبد العزيز موضوع (الزراعة المنزلية)، حيث أشارت فيها إلى أنواع الزراعة المنزلية وأهم مبادئها وخطواتها، كما قدمت العديد من النماذج للخضروات والفواكه التي يمكن أن تزرع في المنازل مع شرح كيفية زراعتها ورعايتها.

أما الورقة الثالثة فقد قدمت تجربة المزارع عثمان سودان في تطبيق تقنية الزراعة بدون تربة، والتي جمعت ما بين معالجة مشكلة التربة ورفع كفاءة الإنتاج، مستعيناً في ذلك بعرض مصور وشرح وافٍ لمراحل ومبادئ هذه التجربة التي أكد نجاحها بعرضه لكميات الإنتاج الذي حققته، حيث أشارت الأرقام إلى تحقيق ضعف الإنتاج الذي تحققه البيوت المحمية على نفس المساحة.

تبني الرؤية الوطنية لبناء الدولة: الأبعاد والدلالات الإستراتيجية (٢٤ أبريل ٢٠١٩م)

بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد الرئيس صالح الصماد، عقد المركز ندوة بعنوان: "تبني الرؤية الوطنية لبناء الدولة، الأبعاد والدلالات الإستراتيجية". في الندوة أكد الأستاذ محمد صالح النعيمي عضو المجلس السياسي الأعلى أن الرئيس الشهيد الصماد قد أطلق في ٢٦ مارس ٢٠١٨م مشروع بناء الدولة "يد تحمي .. ويد تبني" لإرساء العمل المؤسسي ومعالجة التحديات التي يمر بها الشعب اليمني. ولفت النعيمي إلى أن الرؤية الوطنية تتضمن معالجات سيتم البدء فيها لإدارة الحوكمة وتعزيز سيادة القانون وتنفيذ المشاريع بأقل تكلفة، إضافة إلى إرساء العمل المنهجي التي يحفظ لليمن سيادته واستقلاله ووحدته بعيداً عن الهيمنة والوصاية والتبعية.

أمين سر المجلس السياسي الأعلى الدكتور ياسر الحوري استعرض خلال الندوة أهداف الرؤية التي تجسد مشروع الرئيس الشهيد صالح الصماد ومشروعه الوطني، مبيناً أن الرؤية مطلب وطني يتطلع إليه الشعب اليمني للانتقال إلى مرحلة البناء والتأسيس لمستقبل اليمن الجديد. كما بين الدكتور الحوري أن الرؤية ترتكز على أسس تواجه

العديد من التحديات السياسية والاقتصادية والأمنية والصحية والتربوية والخدمية والسياسة الخارجية والأمن والدفاع والبنية التحتية، مؤكداً أن الرؤية شملت ١٢ محوراً أساسياً لكل محور منها أهداف وغايات.

في ورقة العمل الأولى التي حملت عنوان: (الشهيد الصماد ومشروع الدولة المدنية الحديثة)، تطرق أستاذ القانون بجامعة صنعاء الدكتور إسماعيل المحاقري إلى مكامن الفساد المتجذر وانطلاقة الشهيد لاستعادة بناء الدولة ووضع أسس لها، وكذا دور ثورة ٢١ سبتمبر في الصدد ذاته. في حين حملت ورقة العمل الثانية عنوان: (الشهيد صالح الصماد الرؤية القرآنية للمرأة)، حيث نوهت من خلالها الأستاذة أخلاق الشامي (عضو المكتب السياسي لأنصار الله) بمناقب الشهيد الصماد ونظرته للمرأة ومدى اهتمامه بمستقبلها في المجال السياسي. كما عرضت معدة الورقة نماذج من خطابات الشهيد الصماد وتأكيداته على الاهتمام بالمرأة اليمنية وصمودها إلى جانب أخيها الرجل في مواجهة العدوان ودعمها وإسنادها للمرابطين في الجبهات.

- مزيداً من الصبر مزيداً من الصمود ينكسر العدوان وتفشل مؤامراته (٢٠ مارس ٢٠١٩م)

بمناسبة الذكرى الرابعة للعدوان على اليمن، عقد المركز ندوة بعنوان: (مزيداً من الصبر مزيداً من الصمود ينكسر العدوان وتفشل مؤامراته). حيث قدمت خلال الندوة ثلاث أوراق عمل. أعد أولى تلك الأوراق وقدمها الأستاذ أحمد الحبيشي، متوقفاً من خلال عرضه أمام مسار الحرب الإعلامية والنفسية التي رافقت العدوان العسكري الشامل بمختلف صوره البشعة وأدواته الخبيثة وأهدافه القذرة. كما أشاد الأستاذ الحبيشي بالخبرات الإبداعية للعاملين في جبهة الإعلام الحربي والإعلام العام، ودورهما في التصدي لنشاط الترسانة الإعلامية الضخمة للعدو، وكسر الحصار الإعلامي الذي سعى إلى فرضه منذ اليوم الأول للعدوان.

أما الورقة الثانية فتناول فيها الأستاذ عبد الله صبري جولات المفاوضات بدءاً بتفاهمات مسقط التي أفضت المشاورات خلالها إلى التفاهم على سبع نقاط، تضمنت موافقة أنصار الله والمؤتمر الشعبي على القرار ٢٢١٦، مع الاتفاق على آلية عملية لتنفيذ القرار بما يتلاءم وتوازن القوى على الأرض. ثم مفاوضات جنيف الأولى (١٦-١٩ يونيو ٢٠١٥م) والثانية (ديسمبر ٢٠١٥م).

عرج الباحث صبري على مشاورات السلام اليمنية بالكويت التي انطلقت في إبريل ٢٠١٦م، واكتسبت زخماً إعلامياً واهتماماً دولياً كبيراً، وإن لم يلتزم فيها العدوان بوقف إطلاق النار المتفق عليه فيها، ثم اختتم الأستاذ صبري بمشاورات السويد المنعقدة منتصف ديسمبر ٢٠١٨م.

في حين تناول الأستاذ أنس القاضي في ورقته (الثالثة) موضوع المرتكزات الاستراتيجية لمواجهة العدوان في خطاب قائد الثورة (السيد عبد الملك بدر الدي الحوثي). حيث أشار إلى أهمية دور القيادة في التاريخ، ودور السيد القائد في واقعنا التاريخي، وأهمية الجوانب العقائدية والقيمية في الشخصية القيادية. كما تطرقت الورقة إلى السمات التي تحلى بها السيد قائد الثورة وما انعكس عن هذه السمات من حكمة في اتخاذ القرارات ومن جذب للجماهير.

- الشهيد القائد، الحضور المتجدد (٦ أبريل ٢٠١٩)

بمناسبة الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٣٩هـ عقد المركز ندوة بعنوان: (الشهيد القائد، الحضور المتجدد)، وقد قدمت في الندوة ثلاث أوراق عمل؛ حيث قدم الورقة الأولى الدكتور أحمد الشامي، تحدث فيها عن أحد أوجه شخصية الشهيد القائد وهي ثقته بالله تعالى، كما تناول سعي الشهيد القائد إلى كسر الهيمنة الذي يرى فيه الشهيد القائد بداية نحو التخلص من الواقع السيء، وقد تطرق معد الورقة إلى أهم معالم المشروع القرآني والمتمثلة في محورية النص القرآني، والهوية الجامعة (الهوية الإسلامية)، والبعد الحضاري المتمثل في علاقة المسلم بالطبيعة، حيث يعتبر الشهيد القائد أن أهم عبادة وأرقاها هي الاختراع والابتكار كنوع من التعرف على عظمة الله وسعياً نحو امتلاك أسباب القوة.

أما الورقة الثانية فكانت بعنوان (معالم مشروع المسيرة القرآنية) وقد قدمها القاضي عبد الوهاب المحبشي، حيث نبه من خلالها إلى تميّز المشروع القرآني للسيد حسين الحوثي، بدقة التشخيص للمشكلات والقدرة على تقديم الحلول المناسبة. كما تطرق إلى ميزة أخرى تمثلت في "وحدة النظرية والحركة" حيث لم يلحظ تصادماً أو انفصالاً بين النظرية والحركة كما هو حال بعض الحركات والمنظرين.

الورقة الثالثة والتي قدمتها الأستاذة هناء العلوي كانت بعنوان (الاكتفاء الذاتي في فكر الشهيد القائد)، حيث تطرقت إلى رؤية السيد حسين الحوثي للاكتفاء الذاتي كفكرة

مستوحاة من القرآن الكريم وحاجة حيوية تضمن أمن البلاد والشعوب، معدة الورقة ألمحت إلى منهج الشهيد القائد في استحضار البعد الديني والثقة بالله في عملية الاكتفاء الذاتي إلى جانب الأخذ بالأسباب المادية.

توفر لك الكثير
اتصال ونت ورسائل

100 دقيقة داخل الشبكة - 90 ميجا انترنت
30 رسالة SMS لجميع الشبكات المحلية

الباقة لمشتركي الدفع المسبق
للإشتراك في الباقة ارسل (ع) إلى الرقم 400
لمزيد من المعلومات ارسل : مزايا الاسبوعية إلى 123 مجاناً

Yemen Mobile
يمن موبايل
معنا .. إتصالك أسهل

yemenmobile.com.ye
yemenmobileye1
yemenmobile.com.ye
+YemenmobileYe1
yemenmobileYe1
yemenmobileye1

مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية اليمني

مؤسسة بحثية تعنى بدراسة وتحليل الشؤون اليمنية والإقليمية والدولية وتقديم مادة علمية تحليلية عن مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومتابعة مسار التحولات والمستجدات السياسية، وأنماط التفاعلات الدولية والإقليمية، وتوقع مساراتها ونتائجها وإعداد التوصيات اللازمة بشأنها، والإسهام في تنمية الوعي السياسي العام وترشيد القرار السياسي.

من أهداف المركز

إعداد ونشر الدراسات والبحوث في المجالات الاستراتيجية المختلفة.

إصدار المجلات والنشرات في المجالات المختلفة بما يتفق مع أهداف المركز.

ترجمة ونشر الكتب والدراسات التي تتفق مع أنشطة وأهداف المركز.

عقد وتنظيم المؤتمرات والندوات السياسية وورش العمل وحلقات النقاش.

إجراء دراسات قياس الرأي العام والمسوحات الميدانية للظواهر ذات العلاقة باهتمامات المركز.

الجمهورية اليمنية - صنعاء - حي الجراف.
هاتف: ٠٠٩٦٧١٣٣٧٣٠٠+
صندوق بريد: ٤١٩٠
بريد الكتروني: yecscs@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.yecscs.com